منبر الإسلام

مع العدد هدية :

- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- صورة بالألوان لقائد ثورة التصحيح الرئيس المؤمن محمد أنور السادات
- الفردوس : مجلة الطفل المسلم

عدد ممتاز — الثمن ٢٠ قرشا

السنة ٣٣ - العدد ٥ - جمادى الأولى ١٣٩٥ - مايو ١٩٧٥

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة
كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العدد ٥ - السنة ٣٣
جمادى الأولى ١٣٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مع محتويات العدد

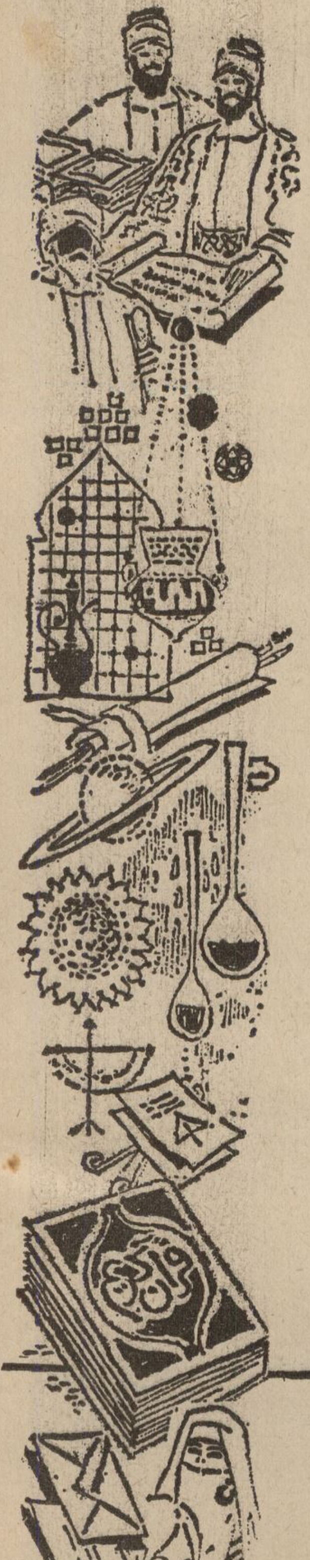

● مع قائد ثورة التصحيح وبطل العبور الرئيس محمد انور السادات والخطاب التاريخى الهام الذى القاه فى الحفل العظيم الذى اقيم فى اسيوط بمناسبة عيد العمال .

● الرئيس السادات مؤسس دولة العلم والايمان ..	الاستاذ صبرى ابو المجد
● ثورة التصحيح وفتح قناة السويس . . .	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
● فى الذكرى الرابعة لثورة التصحيح . . .	الدكتور يس محمد يحيى
● الذين فى قلوبهم مرض والانتصارات التى حققناها	الدكتور حامد محمد شعبان
تفسير سورة البقرة . .	الاستاذ احمد حسين
● انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى
● درجات التائبين . . .	الدكتور احمد الحوفى
● الاعجاز العلمى للسنة النبوية	الدكتور عبد الرزاق نوفل
● الحياة من القرآن . .	الدكتور محمد عبد المنعم القيعى
● الله والعقل . . .	الاستاذ احمد زين
● اثر اللغة العربية على الفارسية	الدكتور ميرولى خان المسعود
● الاسلام وعلاج المرضى ورعايتهم	الدكتور احمد حلمى محمود
● فيصل بن عبد العزيز نظرة بين العقل والعاطفة .	الاستاذ محمد سعد كرشاه
● منهج الاسلام فى توجيه الشباب	الشيخ منصور عبيد
● العلم فى القرآن . .	الدكتور احمد حسنين القفل

العنوان : ٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون ٢٨١٥٦ — تلغرافيا : الاسلام — القاهرة

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية — ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف اليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى .. تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين .

معالم الطريق

مع القائد المؤمن

الرئيس محمد أنور السادات

والخطاب التاريخي الهام الذي ألقاه
فى الحفل العظيم الذي أقيم فى أسيوط

بمناسبة عيد العمال

١٩٧٥/٥/١

● الرئيس السادات يرد على تحية جماهير العمال التى احتشدت فى السرادق الكبير لتستمع الى الخطاب التاريخى لسيادته بمناسبة عيد العمال ..

● الرئيس : لسنا هواة مزايدات او محترفى سياسة ، ولكننا وطنيون ثوريون ..

فى خطاب سياسى كبير القاه الرئيس انور السادات فى احتفال عيد العمال فى أسيوط ، وشرح فيه كل ظروف العمل خلال هذه المرحلة : داخليا وعربيا ودوليا ، اعلن الرئيس قرارا هاما يقضى بمنح صفار العاملين فى الحكومة والقطاع العام ، وكذلك رجال القوات المسلحة والشرطة، اعتبارا من — أول مايو — اعانة غلاء المعيشة تصرف طبقا لاوضاعهم الوظيفية وحالتهم الاجتماعية بحد اقصى قدره ٣٠ فى المائة من بداية ربط مرتب الدرجة التى يشغلونها فى اول ديسمبر ٧٤ ، وبحيث لا يزيد مجموع ما يتقضاه العامل من مرتب أو اجر اساسى ، بالاضافة الى اعانة الغلاء على ٥٠ جنيها فى الشهر . ويتكلف هذا المشروع ٨٤ مليون جنيه سنويا.

واضاف الرئيس السادات انه الى جانب ذلك ، فانه طلب من رئيس الوزراء العمل فورا على تثبيت الاسعار للسلع الاساسية ، والتوصل بكل سبيل ، وبغير ابطاء ، الى توفير السلع التموينية الاساسية وتنظيم تدفقها الى الجماهير ، وكذلك المسارعة فى اعادة النظر فى النظام الضرائبى بحيث يكون أداة لتحقيق العدل بين المواطنين ينظم مشاركتهم فى الاعباء العامة ، كل بحسب ما يحصل عليه من ثروة ودخل وقدرة على العمل .

وقد جاءت هذه القرارات فى خطاب الرئيس السادات ضمن حديثه عن العمل الوطنى فى خلال هذه المرحلة التى قال ان اساس العمل فيها بداية ونهاية يرتكز على « أن الحقد لا يبنى ابدا وانه بالحب والفهم والاخوة يمكن ان نبنى ونحل كل مشاكلنا فيها» وأضاف الرئيس السادات أنه اذا كانت قواتنا المسلحة قد استطاعت ان تستوعب كل اسلحة وتكنولوجيا العصر وتحقق العبور ، فعلى الشعب ان يستوعب كل مسئوليات المرحلة القادمة ويحقق البناء .

وتأكيدا لكل هذه المعانى للعمل الداخلى ، اعلن الرئيس السادات :

ان تحقيق الانفتاح الاقتصادى لا يعنى انفتاحا على الغرب وحده وانما يعنى الانفتاح ايضا على الشرق على حد سواء .

●● ان كل انسان له متاعبه. وليس خافيا اننا نواجه المصاعب بسبب استنزاف اقتصادنا فى السنوات السبع الماضية ومن الضرورى انه عندما تكون عندنا هذه المصاعب الا نسمح لاحد باستغلالها للتخريب» وضرب الرئيس السادات مثالا على ذلك بشكوى الجماهير من أزمة المواصلات ثم خروج المظاهرات فى أول يناير وتحطيمها أربعين سيارة أوتوبيس .

■ اسباب التغيير الوزارى الاخير

وفى استكماله لحديث العمل الوطنى اضاف الرئيس السادات:

●● نحن لسنا ضد اى واحد يكسب بعرقه وبانتاجه ولكن اذا جاء هذا الكسب عن طريق السمسرة، فيجب ان يحاسب ويدفع غاليا عليها .

●● ان قانون الاصلاح الوظيفى ليس الا خطوة على طريق طويل أعلنت ضرورة العمل فيه من أجل اقرار المزيد من العدل الاجتماعى .

●● اننا فى مجال العمل فى الجبهة الداخلية لابد أن نلتزم بمبادىء ثورة التصحيح سيادة القانون — اعزاز كلمة القضاء — اقامة دولة المؤسسات — وضع الضوابط التى يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح .

●● ان التغيير الوزارى الاخير لم يحدث لان الدكتور حجازى اساء فى اى ناحية « ولكننى رايت أن العمل لا يسير بالسرعة الواجبة والانفتاح بالذات يحتاج الى دفعة اكبر » .

وقد وجه الرئيس خطابه الى الامة من خلال جماهير العمال فقال :

بسم الله

ايها الاخوة والاخوات — لقد اخترت أن يكون احتفالنا بعيد العمال هذا العام هنا فى هذا البلد الذى يتوسط صعيد مصر العربية كما يتوسط المعالم الكبرى لاول حضارة انسانية فى التاريخ اعطاها شعبنا للمنطقة ثم قدمها مصدرا ومرتكزا لحضارات أخرى حملت مشاعل النور وتقدمت بها الى عصرنا الحديث .

لقد قصدت ذلك لمعان ورموز . لقد كان صعيد مصر العربية هو القاعدة الصلبة للنضال المصرى منذ أقدم العصور ، وفى حين استطاعت بعض موجات الغزو أن تمس شمال الوادى ثم تنزاح عنه فان صعيد مصر ظل العمق البعيد المستعصى دواما والراسخ أبدا ومن ثم فقد ظل معقلا للاصالة المصرية والاصالة العربية .

ولقد كان الوادى من حولكم وبالقرب منكم ساحة للتاريخ .. كان الانسان المصرى منذ أقدم العصور بناء للحضارة بفكره وبيده .. .. وليست الاثار الباقية على أرض صعيد مصر مجرد أحجار صماء .. ولكنها شواهد فكر خارق .. وشواهد عمل متقدم .. وشواهد علم دقيق .. كل ذلك يتوجه ايمان عميق بالدين وبالخلود.. ولنا أن نقول اليوم أن خلود الحضارة المصرية .. وخلود التاريخ المصرى كان ايمانا راسخا أنار الفكر واستنبط العلم وقدس العمل وليس أى شىء آخر.. ولقد كان الفكر المصرى غذاء اساسيا للحضارة الاغريقية .. وتبقى معالم للحضارة بفكره ويده .. وليست سبق غيره بكثير الى مجالات متعددة فى الهندسة والفلك والكيمياء وغيرها من العلوم . ولم تكن الخضرة التى تكسو وادى النيل بالخصب.. لم تكن هذه الخضرة مجرد قطرات ماء جاء بها نهرنا فحسب.. ولكنها قبل ذلك وبعده كانت قطرات عرق فاض بها عمل الانسان المصرى حرثا وزرعا وحصادا.

نحتاج الاصالة والفكر لناخذ الامل

.. كانت هذ المعانى وتلك الرموز كلها فى ذهنى عندما اخترت ان يكون احتفالنا بعيد العمال هنا هذا العام وما احوجنا فى هذه اللحظات الى ان نعود مرة أخرى الى معاقل الاصالة المصرية العربية . ما

جوهر ثورة التصحيح هو سيادة

احوجنا مرة اخرى الى الايمان الراسخ ينير الفكر ويستوعب كل ما فى العصر من علم ويقدس العمل من أجل امل جديد ومن اجل خلود جديد .

اننا اليوم نريد هذا كله ونحتاج اليه لا لكى نغالب يأسا يعترينا ولكن لكى ننتزع الامل الذى ينادينا .. كانت هناك ظروف فى تاريخنا احتجنا فيها الى الاصالة والى الفكر والعلم والعمل لكى ندرأ اليأس عنا ونباعد ما بيننا وبينه ونحن اليوم نحتاج الى الاصالة والى الفكر والعلم والعمل لكى ناخذ الامل بايدنا ولكى نصنع به مستقبلنا ونساهم به فى صنع مستقبل أمتنا العربية كلها وتحقق ونؤكد دورا عربيا لا غنى عنه ولا بديل عنه فى تشكيل عالم جديد يقوم على الحق وينشد السلام العادل .

لقد كانت ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ منسجمة مع منطق التاريخ .. كانت ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ منسجمة مع موقف التاريخ حينما استقر قرارها على أن تحالف قوى الشعب العامل هو وحده السلطة القادرة على بناء المستقبل الحقيقى لان القوة التى صنعت التاريخ الحقيقى .. والتاريخ دائما هو من صنع اولئك الذين

● **هدية محافظة اسيوط الى الرئيس : لوحة تعكس الفن الذى اشتهرت به اسيوط وعليها آية قرآنية ..**

القانون وإقامة دولة المؤسسات

يفكرون ويعملون ويعملون بالايمان الراسخ واليقين الاصيل هؤلاء هم صناع التاريخ فالفكر تقدم بالطبيعة ..والعلم انساني بالضرورة والعمل لايمكن أن يكون مستقلا وانما العمل عطاء واضافة وبناء خلاق ومتواصل .

ان ثورة ٢٣ يوليو ازاحت الاستغلال وحرمته .. ثم فتحت المجال فسيحا لقوى الشعب العامل مصدر الاصالة ومنبعها والمالكين لزمام الفكر والعلم والعمل .. وكان ذلك انسجاما مع منطق التاريخ وكان ذلك ايضا انسجاما مع منطق المستقبل، ولقد اخترنا المستقبل حينما اخترنا الحرية والاشتراكية والوحدة اهدافا عظمى لنضالنا ليس هناك من يستطيع أن يحمل امانة هذه **الاهداف العظمى غير تحالف قوى الشعب العامل لانها قوى الاصالة ولانها قوى الفكر والعلم والعمل .**

قوى التحالف هى التى عبرت فى ٦ أكتوبر

ايها الاخوة والاخوات .. ان تحالف قوى الشعب مسلحا بكل ما لديه من اسباب القوة مدعو اليوم الى الوقوف .. لا لكى يدرأ بأسا كما قلت لكم ولكن لكى ننتزع الامل. **لقد كانت قوى التحالف وليست أى قوة غيرها هى التى عبرت بقواتها المسلحة جسور يوم ٦ أكتوبر العظيم .وكانت قوى التحالف بقواتها المسلحة أيضا هى التى أجازت واجتاحت حواجز اليأس وأعطت لنفسها منطلقات جديدة فى كل المجالات فى مجالات العمل الداخلى وفى مجالات العمل الوطنى وفى مجالات العمل العربى وفى مجالات العمل الدولى .**

ايها الاخوة والاخوات . فى العمل الوطنى ابدأ حديثى لكم بما سبق أن كررته مرارا فى كل اجتماعاتى بكم .. ابدا حديثى لكم فى العمل الداخلى .. واقول .. **ان الحقد لا يبنى أبدا .**

ان الحقد لا يبنى أبدا .. ولن يجد الحقد أبدا له مكانا بين شعبنا الطيب .

وعن جوهر ثورة التصحيح قال الرئيس :

اى نظام ناخذ به .. اى نظام ناخذ به لابد وان ينطلق هذا النظام من تراب هذا البلد .. ومن تقاليده .. ومن اصالته .. ومن مبادئه .. لما تتعرض للبناء زى ما تعرضنا للتحرير تماما .. لازم نتسلح فى معركة البناء بأسلحتنا احنا اللى من صنعنا .. تقاليدنا .. اصالتنا .. مبادئنا .. عراقتنا .. ترابنا اللى احنا نشأنا كلنا منه .. علشان كده البعض يمكن ماعرفش جوهر ثورة التصحيح ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ماكنتش مجرد تنحية لمراكز القوى .. ولا جوهر ثورة التصحيح فى ١٥ مايو كان الى جانب ازاحة مراكز القوى كان جوهرها واساسها هو سيادة القانون .. اعلاء كلمة قضاء .. اقامة دولة المؤسسات .. ووضع الضوابط التى يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح .

مصر تدرك دائما مسئولياتها القومية

وبعد أن تحدث السيد الرئيس عما تم منذ أكتوبر ١٩٧٣ حتى الان أعلن سيادته أن مصر تدرك مسئوليتها القومية فقال :

وقف اطلاق النار زى غيره من اللى وقع اثناء المعركة وبعدها ، وراه خلفيات كثيرة وحقائق كثيرة جدا ما جاش الاوان علشان نقولها ، انما اللى أحب اطمنكم عليه ، واحب اطمن الامة العربية عليه ، انه دايما مصر فى كل مواقفها بتعرف مسئوليتها تماما نحو أرض مصر ونحو القومية العربية ونحو القضية العربية ونحو شعب فلسطين بالذات .

الرئيس يطلب إلى الحكومة العمل فوراً

وحصل وقف اطلاق النار واليهود نقضوه بعد كده بساعتين ، املا منهم انهم يستطيعوا انهم يغيروا مصير المعركة ، تصوروا انهم يقدروا ياخدوا السويس والاسماعيلية وييجوا وراء الجيوش بتاعتنا وبذلك نبقى خسرنا احنا المعركة بالكامل .

زى ما أنتم عارفين كفاح السويس البطولى ما تدروش يدخلوها ، ما قدروش يدخلوا السويس ولا يمكثوا فيها أبدا ، والى يومنا هذا موتاهم مدفونين فى السويس .. أما الاسماعيلية فما استطاعوا حتى ان يصلوا الى مشارفها .

وجاء الدكتور كيسنجر — فى اندفاعهم نحو السويس — بقى فيه وضع غريب .. فرقتين من

● على طول الطريق من اسيوط الى القاهرة وفى المحطات التى مر بها قطار الرئيس احتشد الوف المواطنين لتحيته ، وقد امتدت ايديهم تحاول مصافحته وهو واقف يرد تحيتهم فى شرفة القطار ..

على تخفيض أسعار السلع الأساسية وتوفيرها

الجيش الثالث فى الشرق ، وجم همه وراهم فى الغرب وباقى الجيش الثالث قدام الاسرائيليين فبقت قواتنا وقوات اسرائيل وقواتنا ، عملية اتلخبطت مع بعضها .. دا الجيب اللى كانوا بيقولوا عليه انه قضى علينا ، وانه هزيمة لنا ، كانت قوات اسرائيل بين قواتنا اللى فى الشرق واللى فى الغرب ، صحيح جات ورا القوات اللى فى الشرق ، لكن قواتنا فى الشرق – الفرقتين – بتوع الجيش الثالث فضلوا لاخر يوم لغاية ما انسحب اليهود لاخر يوم يقاتلوا ويكسبوا ارض جديدة ، وعملوا من البطولات ، وسطروا من البطولات ما تعتز به مصر وتعتز به امتكم العربية ، ونعتز كلنا بأبنائنا فيه .

جه ليه كيسنجر وعملنا النقط السته .. وكان اول اتصال لنا بأمريكا .. قبل هذا علاقتنا – زى ما انتم عارفين – الدبلوماسية كلها مقطوعة .. بعد ثلاث ساعات كنا متفقين على النقط السته .. وانا فى هذا طلبت خط ٢٢ اكتوبر بس .. ما طلبتش ان اليهود يرحلوا من الغرب .. من عندى .. قلت انا عايز خط ٢٢ اكتوبر .. فكيسنجر قال ليه ؟ .. الجهد اللى يبذل فى خط ٢٢ اكتوبر يبذل فى انهم ينسحبوا الى الشرق لان موقفهم فى الغرب سيىء .. الجيب اللى الكثيرين – وللاسف بعض اخواننا العرب حاولوا ان يتخذوا منه مادة علشان يشوهوا المعركة بأكملها – المعركة اللى جعلت من الامة العربية القوة السادسة فى عالم اليوم .. المعركة اللى غيرت وجه التاريخ العربى .. المعركة اللى كسرت جدار الخوف .. جدار الانهزامية .. جدار التمزق وصدرناه كله للمجتمع الاسرائيلى النهارده .. طلبت خط ٢٢ بس .. ما طلبتش اكثر منه .. وزى ما قلت لكم الدكتور كيسنجر قال ان فصل القوات يساوى تماما خط ٢٢ ، لان خط ٢٢ بيعتبروه اليهود مازق لهم .. وهو مازق فعلا ، وبيورى ان بعد ١٧ يوم قتال ، منهم عشرة ايام بنواجه أمريكا ووقفناهم على خط ٢٢ اللى كان مقتل باعترافهم وباعتراف رئيس اركان الحرب الاسرائيلى بعد ذلك ، اللى عزلوه وكتب مذكراته .. حصل لبس هنا برضه عند البعض فى الامة العربية .. فى شعبنا أنا أحمد الله ان شعبنا واعى ومتابع وكل شىء فيه واضح وضوح الشمس .. لكن فيه التواء فى نفوس البعض عندنا فى العالم العربى للاسف .. برغم ان المعركة معركتنا جميعا ، وبرغم ان الكل ما عدا هؤلاء الملتوين وقفوا موقف بطولى تاريخى ، واصبح للامة العربية مكانها الجديد .. برضه اتفهم فض الاشتباك غلط .

انا هنا بيهمنى اقول واقرر امامكم ان مصر عليها التزام قومى تعرف حدوده تماما و لاتفرط فيه ولا هى محتاجة الى ان يذكرها حد به ..

التزام مصر القومى خلال ٢٧ سنة فاتت خلانا نخش اربع معارك مع اسرائيل ونخسر عشرات الاف من الارواح .. وفى حرب ٦٧ وحدها فى السنوات السبع فى الصمود الصعب اللى استنزف اقتصادنا فيه استنزاف كامل خسرنا نقدا خمسة آلاف مليون جنيه وخمسة آلاف مليون جنيه اخرى اللى كان لابد نعمل بيها التنمية واللى كانت حتكون عائد ..

التزام مصر العربى نحن فى غير حاجة أن يذكرنا به أحد .. لو كل انسان عرف التزامه وعرف مسئوليته بتتحل المشكلة .

وقدوجه الرئيس السادات فى خطابه الهام الشكر الى « اخواننا العرب » الذين استطعنا بفضل الله وبمساعدتهم أن نجتاز الاوقات الصعبة : وقد اثنى الرئيس على جهود المغفور له جلالة الملك فيصل والرئيس ابو مدين وامير الكويت وولى عهده والشيخ زايد امير دولة الامارات وامير قطر وامير البحرين .

■ موقفنا مع امريكا وموسكو والعرب

وكان الرئيس السادات قد بدأ خطابه بالحديث عن ازمة الشرق الاوسط وتطوراتها وقد تناولها تفصيلا من اوجه عديدة شرح فيها .

١ ـ **الموقف بعد فشل مهمة كيسنجر** : وقال الرئيس انه دهش جدا من رد الفعل الذى حدث فى بعض العواصم العربية من الرجوع مرة ثانية لحالة اليأس والتمزق. وقال متسائلا : هل فشل مهمة كيسنجر يعتبر نهاية الدنيا ؟ وحتى بالنسبة لمؤتمر جنيف الذى يمكن ان ينجح او يفشل ، فهل يعنى فشله نهاية الدنيا ؟

واضاف الرئيس السادات مؤكدا بلغة الواثق المؤمن : لقد وهبنا الله العقل ، وفى يدنا ارادتنا ، ومادامت هذه الارادة فى ايدينا وعقلنا نفكر به ، فلا نخاف .

٢ ـ **الموقف مع أمريكا** : قال الرئيس السادات اننا سنحتفظ بأحسن علاقات ممكنة مع أمريكا مثل ما نحتفظ بأحسن علاقات مع الاتحاد السوفيتى ، الا انه فى اعادة التقييم التى تقوم بها أمريكا الان لسياستها فى الشرق الاوسط فلقد آن الاوان ان تحدد الولايات المتحدة موقفها بوضوح من اسرائيل : هل أمريكا تحمى اسرائيل داخل حدودها ، أو تدافع عن اسرائيل فى الارض التى اغتصبتها .

٣ ـ **الموقف مع الاتحاد السوفيتى** : فيما يتعلق بالسلاح، قال الرئيس السادات انه منذ نهاية المعركة فى اكتوبر ٧٣ حتى يناير ٧٥ ، لم تتلق مصر اى أسلحة سوفيتية سوى صفقة دبابات كان الرئيس بومدين قد دفع جزءا من ثمنها لموسكو ، ثم من يناير الماضى بدء وصول اسلحة اخرى فى عقود واجبة الاداء خلال عامى ٧٣ و ٧٤ .

وقال الرئيس السادات : ان اسماعيل فهمى طلب الى المسئولين السوفيت فى خلال زيارته الاخيرة لموسكو أن تعطى موسكو مصر فترة سماح يتم خلالها تأجيل سداد الديون المصرية للاتحاد السوفيتى وقد رد المسئولون السوفيت على هذا الطلب باعتباره « نوعا من فرض الشروط عليهم » .

وقال الرئيس السادات : اننا لا نفرض شروطنا ابدا على احد ، لسبب بسيط ، هو اننا لا نقبل ان يفرض الاخرون شروطهم علينا .

لن نسمح لاحد
باستغلال المصاعب

وجه الرئيس كلامه الى العمال فقال :

انا عايز اقول لكم بمنتهى الصراحة وانتم العمال اللى قامت على اكتافكم الصناعة وقام على اكتافكم وحيقوم كل بناء جديد لمصر حيقوم على اكتافكم انتم .

قواتنا المسلحة استطاعت استيعاب تكنولوجيا العصر وعلى الشعب أن يستوعب مسئوليات المرحلة القادمة وحقوق البناء .

انا عايز اقول لما تكون عندنا مصاعب مايجيش نسمح لحد فى وسطنا ان يستغل هذه المصاعب ولازم نوقفه عند حده من داخلكم .

يعنى انا اضرب لكم مثل بسيط بتشكى الدولة كلها من ازمة المواصلات طيب فى اول يناير الاقى متظاهرين طلعوا وكسروا أربعين أتوبيس والاتوبيسات دى ملك مين .. ملككم .. ملك الشعب .. مش ملك شركة فلان الفلانى واللا امتياز بتاع فلان الفلانى .. دى ملك الشعب ليه .. التخريب ليه واسلوب الهدم ليه واسلوب الحقد ليه علشان كده باقولكم وانتم اللى قامت وحاتقوم على اكتافكم باطالبكم انتم ان امثال هذه العناصر انتم اللى تتعاملوا معاها وتوقفوها عند حدها لانى باثق فيكم ثقة كاملة والا ما كنتش جيت وقفت معاكم علشان اقول لكم كل سنة وانتم طيبين النهاردة .

المطالب كل طائفة وكل انسان له مطالب وكل واحد عايز يحسن حالته وانا معترف معاكم ان احنا بنمر بأوقات صعبة خصوصا على محدودى الدخل واللى دخولهم صغيرة وده أنا جايله دلوقت .

لازم انبهكم واقول لكم يا عمال مصر ويا أبناءها وأقول لمصر كلها من خلالكم انتم . أنا ابتداء من اليوم لا أسمح ابدا لا بالتخريب ولا بتعطيل الانتاج .. لا التخريب وتعطيل الانتاج .. الاخطاء ممكن تقع ونصلحها ولكن التخريب غلط وتعطيل الانتاج غلط لان احنا بنقال من انتاج مصر واحنا فى الانفتاح .. انا فى الانفتاح باقول وقلت لوزير الاقتصاد لما شفته مع رئيس الوزراء قلت له كل ما يضيف الى مصر انتاج جديد وعمالة جديدة .. عمال تشتغل أنا باقابله على طول وما نقعدش نقول قطاع خاص وقطاع عام والكلام ده كله .. كل ما يضيف انتاج وما يضيف وباديله

الفرصة . وانا مش ضد اى واحد يكسب بعرقه وبدبه لكن مش بالسمسرة .. بالسمسره لازم يتحاسب ويدفع عليها غالى اما بعرقه يكسب ويدى حق الدوله ويعيش ويحسن حالته زى ما هو عايز ..

اعانة غلاء المعيشة لصغار العاملين

علشان كده انا جيت أقول لكم لا التخريب ولا تعطيل الانتاج أسمح به بعد اليوم أبدا .. وانا قلت اول كلمة فى خطبتى اذكرها .. الحقد لا يبنى أبدا .. بالحب وبالاخوة وبالفهم نقدر نبنى ونحل كل مشاكلنا ..

أيها الاخوة والاخوات فى نهاية استعراضى للوضع الداخلى واحنا اتكلمنا فى حاجات كثيرة فيهولكن هو متصل اصله بالطبيعة ماهواش منفصل أبدا عن الوضع العربى ولا عن الوضع العالمى .. عاوز أقول كلمتين .. ان قانون الاصلاح الوظيفى بالصورة التى انتهى اليها بعد المناقشات الطويلة فى مجلس الشعب والحكومة يؤدى الى تحسين الاوضاع الوظيفية لقطاعات عريضة من العاملين وخاصة بعد قرارى الخاص بتطبيقه على العاملين فى القطاع العام : واننى أعلم ان مئات الالوف من العاملين تتعلق آمالها بنتائج تطبيقه واننى أريد أن أعلن هنا لابنائى العمال انهذا القانون ليس الاخطوة علىطريق طويل اعلنت ضرورة المضى فيه من أجل اقرار المزيد من العدل الاجتماعى وتحقيق العدالة فى توزيع الاعباء والتخفيف عن صغار العاملين وخاصة القطاعات الكادحة فى مجتمعنا ، وذلك فاننى أعود اليوم فى مناسبه عيد العمال لكى أعلن :

أولا : منح صغار العاملين فى الحكومة والقطاع العام وكذلك رجال القوات المسلحة والشرطه اعتبارا من اليوم أول مايو أعانة غلاء معيشه طبقا لأوضاعهم الوظيفيه وحالتهم الاجتماعية وذلك بحد اقصى قدره ثلاثين فى المائة من بداية ربط الفئة التى يشغلونهافى أول ديسمبر سنة ٧٤ على الا يزيد مجموع مايتقاضاه العامل من مرتب أو أجر أساسى بالاضافه الى اعانة الغلاء عن ٥٠ جنيها فى الشهر وتستهلك هذه الاعانة مما حصل أو يحصل عليه العامل بعد ١ ـ ١٢ ـ ٧٤ من علاوات أو ترقيات أو بدلات .. تكاليف المشروع ده تطلع ٨٤ مليون جنيه .

ثانيا : طلبت من رئيس الوزراء العمل فورا على تثبيت الاسعار للسلعالاساسية بقدر الامكانومحاولة تخفيض بعض أسعارها .

سواء نجح مؤتمر جنيف أم لم ينجح نلتزم بمبادئ ثلاثة

• وضوح الرؤية
• استقلال الإرادة
• التصميم على الهدف

ثالثا : التوصل بكل سبيل وبغير ابطاء الى توفير السلع التموينية الاساسية وتنظيم تدفقها الى الجماهير بما يخفف من معاناتهم اليوم فى محاولة الحصول عليها .

رابعا : المسارعة الى تنفيذ ما وجهته الى مجلس الشعب والحكومة من ضروره اعادة النظر فى النظام الضرائبى بحيث يكون أداة لتحقيق العدل بين المواطنين ينظم مشاركتهم فى الاعباء العامة كل بحسب ما يحصل عليه من ثروة ودخل وقدرة على العمل .

حجازى ادى واجبه بكل شرف وامانة

لكن بالخص كلامى معكم ان احنا فى الجبهة الداخلية زى ما أنتم شايفين وفى العمل الوطنى لابد أن نلتزم بمبادئنا مبادىء ثورة التصحيح اللى قلت لكم عنها وهى سيادة القانون .. واعزاز كلمة القضاء .. اقامة دولة المؤسسات..وضع الضوابط التى يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح .. فى التعمير زى ما شرحت لكم الانفتاح هواساس المرحلةالمقبلة ويهمنىهناان اقولكلمتين.. التغيير الوزارى الاخير اللى حصل ما حصلش لان الدكتور حجازى أساء فى أى ناحية أو أخطأ فى أى ناحية اناشوفت انالعمل ماشىليس بالسرعةالواجبة والانفتاح بالذات محتاج الى دفعة اكبر اما الدكتور حجازى بكل شرف وبكل أمانة أدى ما عليه ولا يجب أن يظن فيه أى شىء خلاف هذا كل شىء فى موقفنا بالخص موقفنا كلهوباقول حاتشهدوا فى الايام القليلة المقبلة حاتسمعوا عن تحركات دبلوماسية لانه ما دام مفيش معركة عسكرية يبقى لازم لازم يبقى فيه معركة دبلوماسية وحاتسمعوا ان شاء الله ابتداء من بكرة عن آثار هذه المعركة الدبلوماسية اللى هدفها فى النهاية انه لايمكن نسمح بحالة اللاسلم واللاحرب

مرة اخرى ولابد من انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق الشرعية لشعب فلسطين .

وبعد ان عرض الرئيس لظروف العمل فى المرحلة الراهنة داخليا وعربيا ودوليا قال سيادته

ايها الاخوة والاخوات

لقد أردت بهذا العرض لسياستنا وتحركاتنا ان تكونوا على بينة من كل شىء لكى يكون اسهامكم فى توجيه الامور توجيها يملك كل عناصر صنع القرار .. ان الوطن يحتاج الى كل أصالتكم والى كل ما لديكم من قدرات على الفكر والعلم والعمل المدعم بالايمان واليقين .. ان الامة تحتاج الى كل اصالتكم والى كل ما لديكم من قدرات على الفكر والعلم والعمل .

ان قضيانا المتشابكة جميعا وصلاتنا بالدنيا كلها تحتاج الى كل اصالتكم والى كل ما لديكم من قدرات على الفكر والعلم والعمل المدعم بالايمان واليقين .. اننا لابد ان نتمسك بقيمنا الروحية فى مواجهة موجة الاستمتاع المادى التى تعرفها مجتمعات الاستهلاك الغنية لان تلك القيم هى من السمات الاصيلة لحضارتنا ولان المجتمعات التى تجاهلتها تعرف الشقاء النفسى وسط الوفرة المادية

ايها الاخوة والاخوات أختم حديثى لكم بما بدأته به، ان الحقد لا يبنى شيئا ولايجد مكانا فى صفوف شعبنا الطيب« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

وقد اعلن الرئيس قبل نهاية الحديث ان خبرا هاما سوف يذاع يوم الجمعة[٢ — ٥ — ١٩٧٥]، وان الايام القليلة القادمة سوف تشهد تحركات دبلوماسية] وانه سيتم من اليوم سماع آثار هذا التحرك الذى يهدف الى عدم السماح بحالة اللاسلم واللاحرب مرةاخرى ، وضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة ، والاعتراف بالحقوق الشرعية لشعب فلسطين .

وقد اعلن فعلا فى مساء يوم ٢ — ٥ — ١٩٧٥ نبا التقاء الرئيس السادات بالرئيس الامريكى جيرالد فورد فى سالزبورج بالنمسا يومى ١ و ٢ يونيو المقبل واذيع ذلك فى بيان رسمى صدر فى كل من واشنطن والقاهرة .

• داخل السرادق الكبير الذى ضم عشرات الالوف من عمال الصعيد وابنائه يستمعون الى خطاب الرئيس ..

دراسات قرآنية

تفسير سورة البقرة

الآيات من ١٨٣-١٨٨

- فريضة الصوم
- الدعاء مخ العبادة
- حدود الرشوة في الإسلام

الأستاذ أحمد حسين

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم أن كنتم تعلمون شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا اوعلى سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون • واذا سالك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون • أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون • ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون •

الصوم

بمعنى الامساك عن الطعام ظاهرة انسانية لاحظها الانسان مذ كان انسانا ، فاذا كان قد ادرك بغريزته أن لابد له من الطعام لكى يحيا ، فقد اكتشف كذلك عن طريق الممارسة أن الكائن الحى قد يموت من التخمة أى من الافراط فى تناول الطعام ، واصبحت الفضيلة هى ما دعا اليه القرآن الكريم « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » **الحمية : أى الامتناع عن تناول الطعام** واكتشف الانسان كذلك من اقدم العصور ان « الحمية » أى الامتناع عن الطعام لفترة قد تكون علاجا لبعض الامراض ، ولما كانت الاديان السماوية قد نزلت لخير الانسان فقد تضمنت كلها وبغير استثناء فريضة الصوم على اتباعها ولهذا التكليف يشير القرآن الكريم بقوله تعالى : « **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** »

وكتب : أى فرض

والصوم : لغة الامساك ومنه حكاية القرآن الكريم عن السيدة مريم « **انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا** » ، ولكن كلمة الصوم اخذت مدلولا شرعيا فأصبحت تعنى الامتناع عن الطعام والشراب واتيان النساء من طلوع الفجر حتى غروب الشمس بنية الصوم لله تعالى

فريضة الصوم

وقد اصبح الصوم أحد فرائض الاسلام بموجب هذه الايات من سورة البقرة التى نزلت بالمدينة وتعين شهر رمضان من كل عام وقتا لاداء هذه الفريضة كما سوف يرد علينا .

وقبل نزول هذه الايات كان المسلمون يمارسون نوعا من أنواع الصيام تشير له الايات القادمة .

ونحن نرى ان هذه الايات الخاصة بالصوم آيات محكمة مترابطة فى معانيها بحيث تنظم كلها « ركن الصوم » ولكن المولعين من القدامى « بالناسخ والمنسوخ » يجزئون الايات فيفسرون أجزاء منها على معنى معين ثم يعتبرون اجزاء أخرى ناسخة ، وعندنا ان ذلك تكلف لاغناء فيه ، فالايات الكريمة وحدة واحدة لا خلاف بين جزء وآخر وان ما جاء فى اولها من تعميم فقد جاء آخرها بالتخصيص .

والشىء المحقق عندنا أن المسلمين ظلوا يمارسون الوانا من العبادة والتصرفات الى أن ينزل القرآن بحدود هذه المسألة او تلك فتصبح هى الشريعة ، وتكون الكيفية التى مارسها بها الرسول هى السنة الواجبة الاتباع طبقا لما حددتها كتب الاصول المعتمدة من الفقه .

والصوم لا يقف عند حد كونه فريضة من فرائض الاسلام بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعله ركنا من اركان الاسلام ومفهوم الركن أنه أحد المقومات الاساسية الذى لا يقوم الشىء الا به ، جاء فى الحديث الصحيح وعليه الاجماع :

« بنى الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج »

والاحاديث فى أهمية الصوم وخطورته فى حياة المسلم كثيرة ، نكتفى بذكر حديثين . روى الشيخان البخارى ومسلم عن رسول الله انه قال : « **من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » ، وجاء فى الحديث القدسى : « **كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنه بعشر أمثالها الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به** » رواه مسلم

وهذا معناه ان الله سبحانه وتعالى جعل الصوم من العبادات التى يكافىء عليها الى ما لا نهاية .

المسلمون والصوم على مر العصور

ويكاد يكون شهر رمضان واستقبال المسلمين له المرآة التى تعكس مدى ماهم عليه من تقدم أو تخلف فعندما كان المسلمون « هم الناس » بمعنى ان كانوا هم ائمة الهدى ومبعث الضياء وقادة الحضارة ، فقد كانوا يتهيأون لرمضان بالتوبة والكف عن المعاصى ، فاذا اقبل اقدموا على كل صنوف الطاعات والتقرب الى الله سبحانه وتعالى بالصلاة والاحسان كل فى حدود طاقته ، وبالجملة فقد كان الشهر الذى يحاول فيه المسلمون ان يغسلوا فيه أدرانهم وان يعيدوا فيه اصلاح نفوسهم ومن هنا عز المسلمون وسادوا ، فالانسان بخير ما توقف من حين لاخر لمحاسبة نفسه

وتخلف المسلمون :

وجاء وقت تخلف فيه المسلمون وهى الفترة التى لا تزال مستمرة حتى الان ولكن من حسن الحظ انها اوشكت على نهايتها وفى هذه الفترة وان ظل السواد الاعظم من الناس يحترمون شهر رمضان الاحترام الواجب ويقومون بحقه ، فان الجمهرة العظمى من القادرين قد حولوا هذا الشهر الى شهر :

١ ـ الافراط فى الطعام
٢ ـ السهر فى اللهو المباح
٣ ـ التوقف او على احسن تقدير التباطؤ فى العمل وبالتالى الانتاج .

وانا اتحدث هنا يجرى فى مصر بخاصة حيث تعلن الارقام ان كميات ما يستهلك فى شهر رمضان وحده يكاد يساوى ما يستهلك على مدار السنة ، وحقا ان جزءا من هذه الزيادة يذهب الى عمل الخير ، ولكن الصحيح ايضا ان الجزء الاكبر من هذه الزيادة يذهب الى بطون الصائمين الذين قلبوا آية الصوم فجعلوه عكس المقصود منه ،والكلام ذو سعة فى هذا الموضوع ولذلك نكتفى بهذه الاشارة ، كذلك بالنسبة للموضوعين الاخيرين ونعنى بهما موضوع الملاهى وتعطل الانتاج فقد اصبح شهر رمضان موسما لكليهما ولكننا نعود لنؤكد ان السواد الاعظم من المسلمين بخير ويستقبلون رمضان ويعايشونه بما هو اهل له ، عرفت انسانا توفى الى رحمة اله كان مدمن خمر ، ولكن اذا جاء رمضان كف عن شرب الخمر واقبل على الصلاة ويقول لى لا جدوى من الصيام بغير صلاة ».

العاشر من رمضان

واذا كنت قد اشرت فيما سبق ان مظاهر تخلف المسلمين كما يعكسها شهر رمضان قد اذنت بالزوال فانى استمد تفاؤلى هذا مما حدث فى العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هجرية حيث عز الاسلام فى هذا اليوم المجيد حيث تمكنت قواتنا من العبو وانتصرنا فى هذا اليوم الخالد تحت هتاف « الله اكبر » على الاسرائيليين ، وسيكون هذا اليوم بدء البعث الاسلامى ان شاء الله ».

لعلكم تتقون

وختمت الاية بالصيغة القرآنية التى تستعمل كلمة « لعل » التى تفيد لغويا معنى الترجى ولكن القرآن الكريم « فى تصورنا » يستعملها للتعبير عن الندب والحث على التقوى ، والتقوى هنا بمعناها العام اى ذروة الايمان بالخوف من الله واتقاء عذابه بالامتثال لاوامره والانتهاء عن نواهيه ».

اياما معدودات

قدمنا ان الصوم يعنى فى اللغة الامساك ولكن القرآن الكريم وقد جاء ليشرع الفرائض للناس جميعا ، بطريقة سمحة فى الاستطاعة اداؤها فى نطاق من اليسر ، بادر بتحديد الصوم وانه لن يكون على مدار القسم الاكبر من السنة ، وانما سيكون محصورا فى ايام معدودات من كل سنة ، ثم لم يلبث القرآن الكريم ان حدد هذه الايام المعدودة بشهر رمضان اى ان فريضة الصوم وقف على جزء من اثنى عشر جزءا من السنة اى ثلاثين يوما من ٣٦٠ وهو ما نتصور انه تفسير « اياما معدودات » ».

ولكنك ستجد فى التفاسير القديمة من يقول لك « ان المسلمين كانوا يصومون ثلاثة ايام ويوم عاشوراء ثم نسخ هذا فى هذه الامة بشهر رمضان وقال معاذ ابن جبل : نسخ ذلك « بايام معدودات ، ثم نسخت الايام برمضان ».

فاما ان المسلمين كانوا يصومون بضعة ايام على وجه ما قبل تقرير صوم رمضان فهذه حقيقة متفق عليها ، وقد روت كتب السيرة المعتمدة ان سيدنا محمدا عندما هاجر الى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء باعتباره اليوم الذى أكرم فيه الله سيدنا موسى ومن معه فقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : نحن أحق بهذا منهم فصام يوم عاشوراء وصامه المسلمون بالتالى ، هذه وقائع روتها كتب السيرة .

ولكن النص القرآنى الذى امامنا ينصرف الى تفصيل فريضة الصوم ، كما انتهت اليه ونرى من التكلف تخصيص صدر الاية لفترة زمنية محدده ، واعتبارها ناسخة لشىء ما ، ثم اعتبارها منسوخة بدورها بالاية التى تليها ومن حسن الحظ ان عمدة التفسير واشياخه لم يأخذوا بهذه الاقوال واعتبروا الايات منذ بدايتها حتى نهايتها حديثا عن فريضة شهر رمضان

فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام اخر

قدمنا ان البعض يرون ان الحديث عن الصوم فى هذه الاية منفصل عن الحديث عن صوم رمضان مع أن هذا القسم من الاية يفيد :

١ ـ ان الصوم فى ايام عدة وانها كانت محددة ومعروفة .

٢ ـ ان الافطار فيها لعذرى المرض والسفر جائز شريطة تعويضها بأيام أخرى .

ولم تنقل لنا أحاديث صحيحة ما هى هذه الايام المعددة ، وكل ما قيل هو انها ثلاثة ايام من كل شهر عربى « فى وسط » ، وليس امامنا الا صوم شهر رمضان بكامله فهو الذى يتسع لهذا التعبير فى يسر **« فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر » رخصة الافطار فى المرض والسفر :**

وفى تفسير القرطبى كما فى كتب الفقه الكثير عن رخصة الافطار فى حالتى المرض والسفر ، ولكننا فى حدود التفسير اللفظى للكلمات ومعانيها الظاهرة نثبت هنا نص ما جاء فى « التفسير الوسيط » لاشياخنا علماء الازهر تعليقا على هذه الرخصة ، قالوا : « **فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر** » اه

اى فمن مرض منكم أو سافر فله أن يفطر مدة المرض او السفر ، ثم يقضى اياما بعدة ايام فطره . وتقدير المرض والسفر ، فيه خلاف بين الفقهاء . فقد ذهب بعضهم : الى ان اى مرض أو سفر ، يبيح الفطر . وذهب الجمهور الى ان المرض المبيح للفطر ، هو الذى يشق احتمال الصيام معه ، ولا يحتمل عادة . ومثل المرض الشديد والخوف من استمراره ، أو زيادته ، او توقع حدوثه ان صام ، بحكم عادة أو مشورة طبيب عدل . وهذا هو الراجح . وقيل : غير ذلك . واما السفر ، فحدده بعضهم بثمانية واربعين ميلا ، بينما نزل به البعض الاخر الى ثلاثة أميال . وقيل : غير ذلك . ويشترطون فيه الا يكون سفر معصية وعلى المسلم ان يحتاط فى تقدير المرض ، فالصوم امانة بين العبد وربه ، كما عليه ان يحتاط فى تقدير مشقة السفر ، وبخاصة فى هذا العصر الذى توافرت فيه سبل الراحة بالمواصلات السريعة . وحسبه قوله تعالى ، « **وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون** » فينبغى له أن يصوم كلما أمكن الصوم ، وان انطبقت عليه الرخصة . واذا افطر المترخص بالسفر او المرض فلا ينبغى أن يعيب عليه من صام ، مع وجود الرخصة لهم . فقد روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه : « **كنا نسافر مع الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم** » .

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين .

يطيقونه : مأخوذ من الطاقة وقد جاء فى معجم الفاظ القرآن ما يلى :

الطاقة : اقصى الغاية اى ما يمكن فعله بمشقه بعدها العجز فتصعب مزاولته وليست الطاقة القدرة ولا الوسع لانها ادنى درجات القدرة والوسع ما تتسع له القدرة .

ومعنى يطيقونه : تصعب عليهم مزاولته .

جاء فى بعض كتب التفسير التى تعنى كثيرا بالناسخ والمنسوخ ان هذه الاية كانت تخير المسلمين بين ان يصوموا وبين ان يفتدوا صومهم باطعام مسكين فكان من شاء صام ومن شاء افطر ويفتدى حتى نزلت « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » فنسختها . وقد قررنا من قبل أن المسلمين صاموا وفق قواعد معينة قبل فرض الصوم حتى نزلت هذه الايات وعندنا انها كل متكامل مترابط تزيد كل آية على ما قبلها فى التخصيص والتفصيل فى حدود ما جاء فى أولها « **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** » .

ومن هنا اخترنا قول من قال أن لا نسخ فى الايات **وجئنا بتعريف المجمع اللغوى لكلمة « يطيقونه » وأنها** تعنى « يصعب عليهم مزاولته » **أى يصومون فى جهد** ومشقة فيصبح واجبا عليهم اذا افطروا اخراج فدية طعام مسكين ويدخل فى هؤلاء اى من يصومون ، بمشقة الشيخ الضعيف والحامل والمرضع ونحوهم .

وقد حدد الفقهاء الحد الادنى لاطعام المسكين الذى يجزىء فى هذه الحالة عن الصوم ، مما قدره بعض الباحثين المصريين بنصف قدح من القمح ، وعندنا ان الاطعام يجب أن يكون من نوع وقدر طعام المفطر ، على أن المرجع فى ذلك هو كتب الفقه .

فمن تطوع خيرا فهو خير له : اى فمن زاد على قدر الفديه فأطعم على سبيل المثال مسكينين بدلا من مسكين واحد فهو خير له .

وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون .

بعد أن منح الله عز وجل الرخصة للمريض والمسافر وكل من يصوم بمشقة ، نبه الى ان الصيام فى جميع هذه الاحوال هو الاحسن والافضل شريطة ان لا يتعرض الصائم بصومه الى الخطر يقول اصحاب الوسيط ففى مثل هذه الحالة الفطر واجب بالاجماع لقوله تعالى : « **ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة** » .

شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .

واختار الله عز وجل من بين شهور السنة الاثنى عشر شهر رمضان ليكون هو « **الايام المعدودات ! التى** يزاول فيه الصوم ثم بين لنا سبحانه وتعالى **أنه اختار** هذا الشهر ليظل يذكر المسلمين الى الابد **أنه فى مثل** هذا الشهر وفى ليلة من لياليه نزل القرآن الكريم **أول** ما نزل على سيدنا محمد وسمى الله سبحانه وتعالى ليلة نزوله بانها ليلة القدر وانزل فى افضليتها سورة تشع حروفها ومعانيها بموسيقى من نوع خاص تهتز لها ارواح المؤمنين فقال وقوله الحق :

- **انا أنزلناه فى ليلة القدر .**
- **وما أدراك ما ليلة القدر .**
- **ليلة القدر خير من ألف شهر .**
- **تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر .**
- **سلام هى حتى مطلع الفجر .**

فالقرآن الكريم نزل اول مانزل على سيدنا محمد فى احدى ليالى رمضان . فشاء الله سبحانه وتعالى اختصاص هذا الشهر بفريضة الصوم التى هى عامة فى سائر الاديان لفضائلها .

نزول القرآن

وثمة أقوال لبعض أجلاء الصحابة تتحدث عن انزال القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ، فى ليلة القدر ، ثم نزل به جبريل بعد ذلك على سيدنا محمد منجما فى ثلاثة وعشرين عاما بحسب المناسبات ، ونحن فى هذه القضية من راى الشيخ الامام محمد عبده وتلميذه الفقيه الشيخ رشيد رضا على ما جاء فى تفسير المنار من ان ذلك من الامور الغيبية التى نفوض علمها الى الله عزوجل ، ونقف عند حد القرآن الكريم فى قوله تعالى : « **بل هو قرآن مجيد • فى لوح محفوظ** » !

والاية الواحدة من القرآن تسمى قرآنا ، وقد تحدثت أكثر من آية على انزال القرآن على قلب سيدنا محمد قبل أن يكون القرآن كله قد نزل .

« ... القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »

القرآن : اسم لكلام الله الذى نزل به جبريل على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو بمعنى المقروء ، وقيل أن الكلمة من الناحية اللغوية هى مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا .

جاء فى التنزيل : « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » أى قراءة الفجر .

هدى : ارشاد وبيان .

أى أن القرآن الكريم انزل على رسول الله لارشاد البشرية لما يصلحها وينفعها فى الدنيا والاخرة .

وبينات من الهدى والفرقان .

البينات جمع بينة من بان الشىء اذا وضح والفرقان هو ما فرق بين الحق والباطل ، وهذا القسم من الاية هو التخصيص بعد التعميم ، فان القرآن كله هدى وارشاد للناس .

ثم خص الله بالذكر ما تضمنه القرآن من حلال وحرام ومواعظ واحكام وكل ما تضمنه مما يفرق بين الحق والباطل .

فمن شهد منكم الشهر فليصمه .

وهكذا بعد أن قرر القرآن فريضة الصوم وحدد لها شهر رمضان تشريفا له وتعظيما ، باعتباره الشهر الذى نزل فيه القرآن ، فكان نقطة التحول فى البشرية ، بعد هذا التمهيد أنزل الله سبحانه وتعالى امره واضحا صريحا « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » .

وشهد هنا بمعنى حضر فى « المصر » بدء الشهر وعلم بكافة طرق العلم بظهور هلال بدء الشهر ، فقد أضبح من الواجب عليه أن يصدع بأمر الله سبحانه وتعالى فيصوم رمضان .

ويرى بعض المفسرين ان كلمة « الشهر » هنا تعنى الهلال وكانت العرب تعبر عن الهلال بالشهر .

وقد روى الشيخان الحديث القاطع الشافى متى يبدأ صيام رمضان « **صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عده شعبان ثلاثين يوما** » .

وكانت قد بدت فى فترة ما فكرة ان يعتمد على الحساب بوجه عام لتحديد بدء شهر رمضان باعتبار انه اصبح اليوم من العلوم والمعارف « التكنولوجيا » ما يغنى عن الرؤيه البصريه ، وعندنا ان ذلك مرفوض شكلا وموضوعا ، فالاحكام الدينيه كما رسم حدودها رسول الله لا تعود قابلة للاجتهاد « وسخافة » تحكيم العقل والعلم ، فان التسليم بذلك يفتح بابا من الشر مستطيرا ، ويجب ان يكون مفهوما ان اربعة عشر قرنا تمر على المسلمين وهم يتبعون نظاما معينا مطابقا لكتاب الله وسنة رسوله يصبح تقليدا راسخا صالحا لا تنطوى مخالفته الا على شر .

ولذلك اعجبنا ما قضى به مؤتمر مجمع البحوث الاسلاميه فى قرار حديث : الاعتماد على الرؤية فى حاله الصحو والاعتماد على المراصد الفلكية فى حالة الغيم اذ الرؤيه فيها رؤية .

اى ان علماء المسلمين قد التزموا بشرط الرؤية وغنى عن البيان انه اذا كانت رؤيه الشخص بالعين المجرده مقبوله مادام « عدلا » فمن باب اولى عندما يرى المختص الهلال بواسطة آلات الرصد والمهم ان مؤتمر مجمع البحوث أسقط « ونرجو أن يكون الى الابد » فكره الاعتماد على الحسابات حيث تمكن الرويه البصرية سواء بالعين المجرده او بآلات الرصد ، أما حيث تصبح الرؤية متعذره ، وربما ممتنعه تماما ، كما هو الشأن فى المناطق الشمالية فضلا عن الدائرة القطبية مثلا ، فهذه يصبح لها احكامها الخاصة التى تتناسب مع ظروفها ، ويبقى ان نعرف ان الفقه الاسلامى والحمد لله لم يغفل أمثال هذه الحالات وقد أشار اليها تفسير المنار .

ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

وها هو ما يرجح ما قدمناه من وحدة الحديث عن فريضة الصوم منذ بدات بقوله تعالى - **كتب عليكم الصيام** - الاية وان شهر رمضان هو المقصود منذ البداية ان عاد القرآن الكريم ليؤكد الرخصة «للمريض والمسافر» ان يفطر فى رمضان على ان يصوم بعدد ايام افطاره فى وقت لاحق « **فعدة من ايام اخر** » .

جاء فى الوسيط :

« والايام الاخر ، تتم فى غير رمضان والعيدين ويكون صيامها بعد أيام الفطر »

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

ويكشف الله عن حكمته فى الترخيص للمريض والمسافر فى الانطار أيام المرض والسفر على أن يصوموا بعد زوال السبب ، كما رخص من قبل على ما راينا لمن يجهدهم الصوم ويهددهم بضرر ان يطعموا مسكينا ، كل ذلك وامثاله فى كل أحكام الاسلام كثير ، انما شرعه الله سبحانه وتعالى لانه لا يريد أن يقسو على البشر ويكلفهم بما يشق عليهم فضلا عن ان يعذبهم او يؤذيهم فما جاء الدين الا لصلاح البشر وخيرهم جاء فى القرآن الكريم :

- « **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا** » .

- « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » .
وقال عليه الصلاة والسلام

« **يسروا ولا تعسروا** » .

واليسر بمعنى السهولة ، والعسر المشقة ضد ذلك . وقد اشتق الفقهاء قاعدة أصولية تبنى عليها الاحكام « المشقة تجلب التيسير » .

« **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم** » .

ولتكملوا العدة : ذكرت آية سابقة أن الصوم « **اياما معدودات** » وبينت آية ثانية أن يكون ذلك فى شهر رمضان ، وهذا النص أمر باستيفاء الصوم طوال شهر رمضان أداء أو قضاء « فى حالة الرخصة » وفى كتب الفقه تفصيل ما يتبع فى عد أيام رمضان

ولتكبروا الله على ما هداكم

أمر من الله تعالى أن تكون استجابة المسلم لهداية الله ، بالتكبير أى بقول « الله أكبر » ومن هنا سن التكبير منذ فجر يوم العيد .

ولعلكم تشكرون : على ما وفقكم الله اليه من العمل الصالح ، وهذا هو ماينبغى أن يكون عليه احساس كل مؤمن صالح وهو أن يدرك أن اداءه فرائض الدين على الوجه الاكمل هى نعمة من الله جديرة بأن يشكر العبد ربه ان وفقه اليها .

واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان

الحديث عن فريضة الصوم لم ينته بعد وسترد علينا الايات التالية لتكمل حدود الفريضة ، ويكون تخلل هذه الاية عن الدعاء وسط آيات الصوم ، اظهار للعلاقة الوثيقة بين صوم رمضان وبين الدعاء وقد روى الترمذى بسنده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **الصائم لا ترد دعوته** » .

الدعاء هو العبادة

ولعل الايمان بالله وقدرته على عمل كل شىء وعنايته بالانسان لا يتجليان فى شىء قدر تجليهما فى الدعاء فالانسان لا يدعو الا قادرا ، ولا يدعو الا من يتصور أنه سيستجيب .

ومن هنا جاء فى الحديث الصحيح « **الدعاء هو العبادة** » وفى صيغة اخرى « **الدعاء مخ العبادة** » والاية التى نحن بصددها تشير الى سؤال « **واذا سالك عبادى عنى** »

وقد روى ان اعرابيا سأل رسول الله : « أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ، قيل فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية » .

حديث المتكلمين .

وقد دار كلام كثير بين المتكلمين حول القرب المنسوب لله فقالوا ان المقصود بالقرب هو الاحاطة والعلم ويروى لنا الشيخ رشيد رضا : أن ذلك هو راى السلفيين كذلك ، وعندنا ان القرب والبعد بالنسبة لوجود الله او علمه ليس مشكلة على الاطلاق ذلك أن القرب والبعد سواء فى الزمان أو المكان هما امران خاصان بالانسان جاء نتيجة نقصه وعجزه فلان ايامه فى الحياة معدودة فقد راح يحصى هذه الايام ويقسمها ، فكان الزمن ولانه عاجز فى قدرته كان تصوره للمكان ، اما بالنسبة لله سبحانه وتعالى الذى هو الكمال المطلق والقدرة المطلقة فلا وجود للزمان او المكان بالنسبة اليه « **فصلنا هذا الموضوع فى كتابنا « تأملات »** » فكل حديث فى القرآن عن قرب الله من مثل قوله « **ونحن أقرب اليه من حبل الوريد** » او « **ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون** » كل ذلك هو حديث بمفاهيمنا الانسانية لنعلم أن عنايته وعلمه وقدرته محيطة بنا أقرب الينا مما يمكن ان يذهب له خيالنا أو تصورنا

الدعـــاء

وقد عالجنا موضوع الدعاء ومكانه بالنسبة للسنن الكونية فحددنا ما تصورناه شروطا لازمة لتحققه وأفضنا فى ذلك ما شاء لنا الله ان نفيض فيه فى كتابنا « الطاقة الانسانية » ونكتفى هنا بنقل ما اثبتناه هناك . مما سماه الامام الغزالى « آداب الدعاء » ورأينا فى هذه الاداب أنها تطبيق لما تصورناه السنة الالهية لتحقق الدعاء قال الامام الغزالى :

آداب الدعاء

أولا : أن يترصد المؤمن لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الاشهر ويوم الجمعة من الاسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل .

ثانيا : أن يغتنم الاحوال الشريفة كزحف الصفوف ، وعند نزول الغيث ، وعند اقامة الصلوات ، ووقت السحر ، ووقت صفاء القلب وخلاصه وفراغه من المشوشات .

ثالثا : استقبال القبلة - ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه . « روى انس انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء » .

رابعا : خفوت الصوت بين المخافته والجهر « **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** » « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** » .

خامسا : ان لا يتكلف السجع فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى أن يكون حال تضرع والتكلف لا يناسبه .

سادسا : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة .

سابعا : أن يحزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه .

« **لا يقل احدكم اذا دعا الله اللهم اغفر لى ان شئت ، ليعزم المسألة فانه لا مكره له .. ادعوا وانتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل** » .

ثامنا : أن يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثا . « قال ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلاثا ، واذا سأل سأل ثلاثا - يستجاب لاحدكم ما لم يعجل ويقول دعوت فلم يستجب فاذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما » .

تاسعا : أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل .

عاشرا : الادب الباطنى وهو الاصل فى الاجابة ؛ اى التوبة ورد المظالم ، والاقبال على الله عز وجل بكل الهمة فذلك هو السبب القريب فى الاجابة .

ذلك ما قاله الامام الغزالى فى كتاب الاحياء الجزء الاول .

اما هنا فى مجال التفسير فنقف عند حد الحديث الصحيح الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « على ما رواه مالك فى الموطأ » :

« **ما من مسلم يدعو الله بدعوة ، ليس فيها اثم ، ولا قطيعة رحم ، الا أعطاه الله - تبارك وتعالى - احدى ثلاث ، اما أن يعجل فى الدنيا : واما أن يدخره له ، واما أن يكف عنه السوء بمثلها ، قالوا : اذن نكثر ، قال : الله اكثر** » .

فليستجيبوا : اى فليطلبوا اجابتى بالدعاء بالتوجه الى وحدى فى كل شئونهم .

وليؤمنوا بى : بكل صفاتى ووحدانيتى وقدرتى المطلقة على الاستجابة لدعائهم .

لعلهم يرشدون : فهذا هو طريق الرشد ، والرشد والرشاد ضد الفساد .

« **أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم** » .

الناسخ والمنسوخ

يفيد هذا السياق على وجه القطع واليقين انه كان هناك مفهوم وقواعد للصوم سار عليها المسلمون قبل نزول هذه الايات ، ومن هنا فلم ننازع ابدا ، وما كان لنا ان ننازع فى امر اجمع عليه المسلمون ، من ان هناك بعض العبادات والاحكام سار عليها المسلمون فترة من الوقت ثم نزل القرآن بحكم يخالف ما جرى عليه العمل حتى ساعة نزوله ، قلنا ذلك بمناسبة التحول عن القبلة ، فقد جرى العمل ، قبل ان يأمر القران بالتوجه صوب المسجد الحرام ، على التوجه صوب بيت المقدس فجاء القرآن بتحويل القبلة الى الكعبة فهذا نسخ لما جرى عليه العمل بالفعل لفترة ما ولكنك لن تجد فى القرآن ابدا دعوة الى اتخاذ بيت المقدس قبلة ، وكذلك الشأن فيما نحن بصدده من موضوع الصوم فالاية تنطق « كما قدمنا » بأنه كانت هناك ممارسة فعلية للصوم وفق قواعد معينة ومحددة وجاءت هذه الاية الكريمة تعدل فى هذه القواعد وتخفف من شدتها ، ولكنك لن تجد فى القرآن ابدا اى أمر لهذه القواعد التى عدل عنها ، ومن هنا اخترنا القول الذى ينفى أن يكون فى القرآن ناسخ ومنسوخ ولكن هذا لا يعنى بحال ولا يمكن أن يعنى أننا ننفى النسخ بعامة فالنسخ وجد وقام كما هو المستفاد من هذه الاية حيث تحدث عن توبة الله وعفوه لبعض اعمال قام بها المسلمون ، قبل نزول هذه الاية ، والعفو والتوبة لا يكونان الا بالنسبة لخطأ وقع بالفعل ، فنزلت الاية الكريمة لترفع عن هذا الفعل الحظر وتبيحه .

الوحى القرآنى

وكما عودنا قراءنا من الشباب ومن المتشككين نقف امام هذه المسائل لتظهر ما فيها من دلالة على ان سيدنا محمدا لم يكن يسمى قرآنا الا ما اوحى اليه به بواسطة جبريل فهاهى الوان من العباده مارسها المسلمون بالفعل على صورة ما ، حتى ينزل الوحى على سيدنا محمد بالقرآن فيحدد حدودها ، اما قبل أن ينزل بها الوحى فلن تجد لها نصا فى القرآن مع انها كانت تمارس بالفعل .

أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم .

أحل لكم : بمعنى ابيح فليس عندنا نص سابق يفيد التحريم ، ويرى بعض آخر أنه تحليل بعد تحريم والنتيجة واحدة على الحالتين وهو الاباحة .

ليلة الصيام : اى طوال ايام الصيام متى غربت الشمس وبدأ بذلك الليل .

الرفث : ما لا يحسن التصريح به وينبغى أن يكنى عنه من قول أو عمل .

وهى هنا تعنى « الافضاء الى النساء » أى الجماع .

وقد تكرر اللفظ فى القرآن بمعنى « الفحش فى القول ! » .

فلا رفث ولافسوق ولا جدال فى الحج .

مناسبة نزول الايه

وقد ورد كثير من الاحاديث عن المناسبة التى نزلت بسببها هذه الاية وادق هذه الاحاديث واوثقها هو ما أورده البخارى بسنده :

لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله تعالى : **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم .**

« خان واختان بمعنى الخيانة » .

وقد رويت أحاديث بنفس المعنى وبعضها يزيد الامر تفصيلا ويذكر اسماء محدده اشهرها اسم سيدنا عمر ابن الخطاب ونكتفى بايراد ما اورده الطبرى :

« ان عمر رضى الله تعالى عنه رجع من عند النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمر عنده ليلة فوجد امراته نامت فأرادها فقالت له : قد نمت ، فقال لها ، ما نمت ، فوقع بها وصنع كعب بن مالك مثله ، فغدا عمر على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اعتذر الى الله واليك فان نفسى زينت لى فواقعت اهلى ، فهل تجد لى من رخصة ؟ فقال لى : « **لم تكن حقيقا بذلك يا عمر !** فلما بلغ بيته . ارسل اليه فأنبأه بعذره فى آية من القرآن .

وكتب التفسير تورد عديدا من الاحاديث بهذا المعنى ، وقد تصدى الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار لهذه الاحاديث بالمناقشة والتحليل . ولنا الحكم الثابت فى الاية الكريمة من انه لا حرج من مباشرة النساء فى فترة الافطار فى ليالى رمضان « **فالان باشروهن** » وهذا صريح فى انه ترخيص لشىء كان محظورا .

وما نفهمه نحن من كل ذلك ان اليهود فى المدينة كانوا قد حددوا قواعد الصوم واصبح الصوم لا يفهم الا طبقا لهذه القواعد فنزل القرآن الكريم « **يعدل ويحدد وييسر** » ما ظن انه متفق عليه

هن لباس لكم وأنتم لباس لهن .

اللباس : الثوب ، فكما يحيط اللباس بالانسان ويلامسه ويمتزج به حتى ليصبح وكأنه جزء من الانسان فذلك هو شأن الانسان مع زوجته والتى تصبح بالنسبة له كالثوب او هى اقرب .

علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم

قدمنا انه كان مستقرا فى مفهوم المسلمين ان غشيانهم لنسائهم فى رمضان هو أمر محظور ومع علمهم او تصورهم لذلك فقد غلبتهم الطبيعة البشرية ووقعوا فيما اعتبروه محظورا ، ولما كان القرآن الكريم كما أشرنا الى ذلك من قبل لا يحارب الغرائز ولا يكبتها بل ينظمها ويهذبها لانها سر الحياة ومن هنا فقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة بأنه من غير الطبيعى ان يحال بين الرجل وزوجته فى الليل وهما يرقدان سويا فى فراش واحد وكل منهما لصيق بالاخر شان الثوب اللصيق بالجسد ، ولما كان الله سبحانه وتعالى هو الذى جهز الذكر بالشوق الذى لا يقاوم الى انثاه « اذ فى ذلك سر الحياة وعمار الكون » فقد رخص القرآن بما رخص به ، ولماكانمن مارسواهذا العمل قبل نزول هذه الرخصة الصريحة ، فعلوا ما فعلوا وهم يتصورون انهم يفعلون حراما ، ويخونون انفسهم بمخالفة احكام الصيام فقد رفع القرآن الكريم عنهم هذا الحرج وأنبأهم بأنه « **تاب عليهم وعفا عنهم** » فأصبح ما وقع منهم كأن لم يكن .

فالان باشروهن وابتغو اما كتب الله لكم

ولم يقف القرآن الكريم فى تعبيره عند رفع الحرج ، ولكنه حرص على ازالة ما قد يكون لا يزال مستقرا فى بعض النفوس من كراهية مباشرة النساء فى رمضان ، فأمر امرا بمباشرتهن وابتغاء ما أحله الله لهم والامر هنا لايعنى الوجوب عن قرب او بعد ، وانما هو يعنى الاباحة ، اى انه اذا تحركت الغريزة فلا حرج ، فانما ذلك امر مشروع فى الحدود التى ستبينها الفقرة التالية .

وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر

وبهذا الجزء من الاية تحدد صوم المسلمين بما يجعله مختلفا عن صيام مختلف الطوائف الدينية الاخرى فأصبح يقوم على مبدا الامساك عن المباحات التى تستوجبها الغرائز من طعام وشراب ومباشرة جنسية منذ الفجر .

ثم أتموا الصيام الى الليل

والليل هو غروب الشمس ، وهكذا تتحدد فترة الصوم بالمدة من الفجر «عند اول انبثاق للنور» حتى مغيب الشمس ، وهى مدة تتراوح حول الاثنتى عشرة ساعة زيادة ونقصا وهى ليست بالامر الشاق وانما تأتى المشقة التى يحس بها بعض الصائمين من اضطراب ما اعتادوه من تناول للطعام والشراب فى اوقات محددة ، فاذا جاء شهر رمضان أحسوا بالصعوبة فى الايام الاولى لاختلاف العادة والا فالجسم البشرى يؤدى وظائفه على خير وجه واكمله بطعام قليل ولو لمرة واحدة فى اليوم واكثر ما يتناوله الناس من الاطعمة انما هو على سبيل العادة وليس الحاجة .

ولما كان الاسلام يحرص دائما أن تكون أوامره التعبدية هى لصالح الانسان دائما وليس للاعنات فضلا عن التعذيب فقد تحدث القرآن الكريم بصيغة الامر للمسلمين ان « **ياكلوا ويشربوا** » .

وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعجيل بالافطار وتأخير السحور ورغب كثيرا فى وجبة

السحور وذلك كله لارشاد المسلم المؤمن أن الامر كله أمر تنظيم وتدريب على الطاعة وهو عين المطلوب فى الصلاة والحج وهكذا يظل المسلم ، كل مسلم ، جنديا يقظا مستعدا على الدوام من خلال الطاعة والنظام لتلبية كل عمل يعود عليه وعلى الاخرين بالخير

احد عباد النظام يبهره المسلمون فى رمضان

وما اكثر ما قيل وسيظل يقال عن فوائد الصوم من الناحية الصحية اذا ما اتبعت أحكامه على الوجه الصحيح ، وهو مما لا أحب الاسهاب فيه فما دام الصوم فريضة فرضها الله على الانسان فهى لا يمكن ان تكون الا خيرا ، ولكنى لا أستطيع ونحن بصدد صوم شهر رمضان ان لا أسجل مدى انبهار دبلوماسى غير مسلم بمظهر المسلمين فى شهر رمضان ، قال لى الرجل وهو سفير ألمانيا فى مصر قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة وكان الرجل قد اقام لى مادبة ولما كنا فى شهر رمضان فقد جعل موعدها عند ساعة الافطار ، وفى ذلك الوقت الذى اتحدث عنه كان هتلر زعيم المانيا قد وصل بها الى سيادة اوربا كلها ، والالمان أمة نظام ، واصبحوا فى ايام هتلر كالساعة الدقاقة ، ومع ذلك فلم يبلغوا فى ذلك شأو المسلمين فى رمضان ومن هنا فقد قال السفير ونحن على مائدة الافطار « ولكن أن يأكل كل المصريين فى لحظة معينة فهذا شىء عجيب وقوة رهيبة » .

فقلت : لا يقف الامر عند حد المصريين وانما ذلك شأن المسلمين فى طول الدنيا وعرضها اذا جاء رمضان أكلوا جميعا عند غروب الشمس ، وهذه هى عظمة الاسلام وروعته . وأقول اليوم ان يتدبر المسلمون حقيقة دينهم الذى يجعل منهم « **خير أمة أخرجت للناس** » .

وفى كتب الفقه تفاصيل أحكام الصيام وما يفطر وما لا يفطر ، ومدته بالضبط ومتى يبدأ الفجر الذى يبدأ منه الامساك عن الطعام وبقية المحرمات ، وقد توهم اقوام على زمن سيدنا محمد عندما سمعوا قول القران الكريم « **حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود** » ان ذلك مقصود على الحقيقة وليس كناية عن انبثاق طلائع النور حتى ان بعضهم عمد الى عقالين أحدهما أبيض والاخر اسود ولا يبدأ صومه الا بعد أن يفرق بين لونيهما ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن المقصود هو اللحظة المميز فبين انتهاء الليل وبدء النهار وزادت جملة « من **الفجر** » الامر وضوحا وتأكيدا .

ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد

الاعتكاف : فى اللغة الملازمة يقال عكف على الشىء اذا لازمه مقبلا عليه .

وقد أصبح للاعتكاف فى المسجد معنى خاص فى الشريعة ونبادر فنقول ان الاجماع على أنه ليس بواجب وانما هو قربة . من القرب ونافلة من النوافل عمل بها رسول الله واصحابه وازواجه .

ولما كان اعتكاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يكون فى رمضان فقد جاءت الاشارة الى الاعتكاف خلال الحديث عن صوم رمضان لكى يحرم على المعتكف رخصة مباشرة النساء فى الليل ، فاذا جاز هذا للصائم فانه غير جائز لمن لازم المسجد بنية الاعتكاف .

وليرجع من أراد الاحاطة بأحكام الاعتكاف الى تفسير القرطبى او الى كتب الفقه والذى يهمنا النص عليه هنا ان من الزم نفسه بالاعتكاف فى المسجد فيجب ان يمتنع عن مباشرة النساء ما بقى معتكفا وذلك بصريح النص .

تلك حدود الله فلا تقربوها

أى ان هذه الاحكام السابقة الخاصة هى حدود الله فلا تخالفوها والحدود فى اللغة الحواجز ، وحذر الله من الاقتراب منها ليظل آمنا على نفسه من مخالفتها وهى صورة قوية من صور التحذير

كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون

وهكذا يوضح الله للناس العلامات الهادية للحق « الايات » رجاء أن يوفقوا لعمل الخير والرشاد والتمسك بتقوى الله التى هى الهدف من كل العبادات

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون

آية محكمة من أمهات الكتاب

فى رأينا ان هذه الاية واحدة من الايات المحكمات التى وصفها القرآن بقوله « **منه آيات محكمات هن ام الكتاب** » فهذه واحدة منهن حيث يقوم عليها سلامة المعاملات التى هى أساس لقيام الحضارة الانسانية وقد دعا القران كما اشرنا من قبل اكثر من مرة الى الاساس الذى تقوم عليه كل المعاملات الانسانية وهو الوفاء بالعهود ، أى الوفاء بما أخذ الانسان على نفسه أن يفى به ، وهو ما يسمى بلغتنا القانونية المعاصرة ، الوفاء بالالتزامات ، وتجىء هذه الاية الكريمة التى نحن بصددها ، لكى تصون سلامة المعاملات وتجعل من كل انسان رقيبا على نفسه لصيانة المعاملات وجعلها تسير كلها على أساس من الحق المتفق عليه بين الناس ، ويحذرهم من أكل اموالهم بينهم « **بالباطل** » .

يا ويل المجتمع اذا انعدم الوازع الدينى

ونريد قبل ان نتعرض لشرح كلمات الاية ان نسجل اولا وقبل كل شىء ضرورة الوازع الدينى الذى يجعل كل انسان رقيبا وحسيبا على نفسه خوفا من الله

والثواب والعقاب فى الاخرة وبين ما زعموه من ضمير اخلاقى تخلقه التربية والتعليم ، والحوافز المادية من ناحية ، والقانون الصارم من ناحية أخرى ، وقد اثبتت التجربة افلاس هذا الزعم فحيث انعدم الوازع الدينى تحول المجتمع الى غابة تتلخص شريعتها ان القادر على شىء يفعله مادام هذا الشىء لا يعرضه مباشرة لسلطان القانون ، وانتشر الفساد حتى اوشك ان يكون عرفا جديدا ذلك أن القانون لا يستطيع ان يحدث تأثيره الا عن طريق الشرطة والمراقبين والمفتشين ، ومن اين يجىء بهؤلاء اذا كانوا بدورهم فقدوا الوازع الدينى ، انهم بدورهم سيكونون فى حاجة الى رقباء ومفتشين وهكذا الى ما لا نهاية فينتهى الامر كله الى الفوضى والى حياة الغابة واعماق البحار حيث يأكل القوى الضعيف ويسحق القادر غير القادر بدون رحمة أو شفقة وهو ما بات يحدث بالفعل فى المجتمعات التى يزعمون انها راقية وهى من الرقى براء ، فالرقى أعظم الرقى هو ان يعيش البشر مترابطين متراحمين متعاونين وهو ما لا يمكن ان يتم ويتحقق الا من الوازع الدينى الذى يجعل **كل انسان كما قدمنا رقيبا ومحاسبا لنفسه وهو ماترسى قواعده هذه الاية الكريمة ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل**

الباطل : ضد الحق والاصل اللغوى : الذاهب الزائل . ذلك لانه فى خاتمة المطاف لا يصح سوى الصحيح ، فيزول الباطل ويبقى الحق

وعبر القرآن بأخذ ما ليس من حق الانسان انه بمثابة الاكل وفى آيات أخرى اعتبر أن ما يؤكل بهذه الكيفية انما هو « نار » .

وزاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما هو شأنه دائما الامر تفصيلا وتبيانا لكل ما تقدم وفى الحديث الذى رواه الجماعة قال :

انما أنا بشر وانكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار » .

وهكذا جعل سيدنا محمد ما ليس من حق الانسان هو قطعة من النار ، وجعل من كل انسان رقيبا على نفسه ، وبين على سبيل التعليم والارشاد ان حكم المحكمة « حتى ولو كان القاضى هو رسول الله نفسه لا يحول الباطل الى حق » وقد بينت احكام الشريعة الاسلامية كل ما يعتبر حقا فى المعاملات وما يعتبر الخروج عليه باطلا ، فليدرك ذلك جماعة المؤمنين ولا يتصورون انه بحسب القوانين الوضعية حتى لو خالفت ما يعتبره القرآن حقا واعترفت بما يعتبره القرآن باطلا ، أقول لا يتصور جماعة المؤمنين الحريصين على دينهم ان الباطل ينقلب الى حق لمجرد انه ورد فى قانون وضعى وانما يشترط فى اى قانون وضعى ان لا تكون فيه مخالفة للاسلام

وحدة المجتمع

بقيت ملاحظة جديرة بالتسجيل لاظهار عظمة القران وكيف انه كان وسيكون ابدا صانع الحضارة والازدهار البشرى ، فهو يعتبر دائما الانسان المعتدى والخارج على الشريعة انما يعتدى على نفسه فى الدرجه الاولى ففى آية يقول « **ولا تقتلوا انفسكم** » .

ويعنى بها قتل البعض ، وها هو هنا يحذر من اكل اموال الناس بالباطل ويعبر عنها بأنها « **اموالكم** » .

فهل رايت هناك ما هو اروع واعظم من التعبير عن وحدة المجتمع وتضامنه وتكافله ، من هذا التعبير الذى يعتبر العدوان على الغير هو فى الدرجة الاولى عدوان على النفس .

وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون .

تدلوا : اى تلقوا ، وهى مأخوذة من « الدلو » الذى يستخرج به الماء من البئر ، فقالوا : أدلى الرجل بحجته ، اى أرسلها .

فريقا من الناس : اى قطعة وجزءا .

والفريق : القطعة من الغنم تشذ عن معظمها .

بالاثم : اى بالظلم والتعدى . وانتم تعلمون بطلان ما اخذتم .

الرشوة .. الرشوة .. الرشوة

مذ وعينا لتلاوة القرآن ونحن لا نفهم من هذه الاية الا انها تتحدث عما نسميه فى عصرنا بالرشوة ولا نتصور ان لها معنى غير ذلك .

فالضمير فى « بها » يعود الى الاموال ويكون المعنى فى مفهومنا « ان لا تلقوا بأموالكم الى الحكام ، وهم كل من بيده سلطة التصرف فى أمر ما » .

لتاكلوا بهذا الاسلوب أموال البعض منكم ظلما وعدوانا . اقول ان هذا هو ما فهمته دائما من هذه الاية ، ومن حسن الحظ اننى وجدت ان ذلك هو ما يقول به جمهرة المفسرين واخذ به القرطبى فى تفسيره الجليل ونقل عن الصحاح قوله : والرشوة معروفة ، والجمع رشى ، ويرشو ويرشى « بضم الراء وكسرها » . وقد رشاه يرشوه وارتشى اخذ الرشوة ، واسترشى فى حكمه طلب الرشوة عليه .

لا تدلوا بالحجج الباطلة الى الحكام

ومع ذلك فهناك من قال : ان المعنى لا تدلوا بحججكم الباطلة او خصوماتكم الى الحكام لتبرروا اكل بعض اموال الناس ولكننا لا نأخذ بهذا الراى . ذلك لا يتوصل اليه الا بفرض كلمات لا وجود لها يقدرونها بحسب مفهومهم ونأخذ بالراى الاول وانها تعنى الرشوة .. والله تعالى اعلم .

يتبع

إنا نحن
نزلنا الذكر
وإنا له
لحافظون

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

- ١٠١ -

سبحانك ربى ما اجزل رحمتك بعبادك المستضعفين . وما اغدق نعمك على خاتم انبيائك الذى جعلته رحمة للعالمين .

وما ألطف فضلك وأدق أسرار كتابك الذى أنزلت فيه أربع عشره اية فى سورة واحدة وكلها متتاليات وجميعها فى الحث على البر بعباد الله الفقراء والمساكين والتحذير من البخل عليهم بما يخفف عنهم ما هم فيه والحرص على الا ينالهم أذى أو احتقار يفقدهم انسانيتهم .

فارونى ايها الادعياء أى رسول من رسل الله صلاة الله ورحمته عليهم أجمعين . نقول ايهم جاء بمثل هذا الفضل الشامل الذى لم يدع فضيلة الا وحث عليها . ولا نقيصة الا وحذر منها . ولا بابا من ابواب الخير الا وأرشد اليه وحث عليه . ولا منفذا من منافذ الشر الا واغلقه دون عباده المتقين .

دين كهذا لا يهمل كتابه المستضعفين من أهله دون أن يرشدهم الى ابتغاء المثوبة العظمى فى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين .

وها هى ذى الايات الكريمات نسوقها اليك ايها القارىء الكريم بعضها آخذ بحجزة بعض . كلها فى موضوع واحد كما علمت لكنها تخطر أمام ناظريك وعلى سمعك فى سور مختلفة كأنها مواضيع عدة . وهذا سر من أسرار اعجاز هذا الكتاب الكريم . وهذه الايات الاربعة عشر تبدأ من آية ٢٦١ الى آية ٢٧٤ من سورة البقرة واليك هذه الايات .

« ١ » آية ٢٦١ من سورة البقرة « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

المعنى :

مثل ما ينفقه الذين ينفقون فى سبيل الله وهو كل ما يوصل الى رضاه ، كمثل حبة بر مثلا . والمعنى أن المنفق لوجه الله يضاعف الله تعالى له الجزاء أضعافا كثيرة ، سبعمائة فأكثر . كما قال « **والله يضاعف لمن يشاء** » أى بحسب قوة ايمانه وحسن نيته ، وعمق اخلاصه ، وغير ذلك مما يرافق الانفاق ويكون سببا فى زيارته ، فيزيده على السبعمائة بما لا يحصر والله تعالى واسع لا يحد فضله عليم بمن يستحق المضاعفة .

« ٢ » آية ٢٦٢ سورة البقرة « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

« **منا** » هو تعداد الاحسان على المحسن اليه .
« **أذى** » هو أعم من المن يشمله ويشمل ما هو أقسى منه كأن يعيره بنكران الجميل .

والمعنى : بين سبحانه بعض ما يكون عليه هذا الانفاق المضاعف الاجر بأنه هو الصادر من مؤمن لا يمن على المنفق عليه ولا يؤذيه ، فهؤلاء لهم أجرهم الذى وعدهم به ربهم فى الاية السابقة ، ولا يخافون يوم يخاف الناس من الفزع الاكبر ، ولا هم يحزنون على فوات نعيم يوم يحزن البخلاء .

« ٣ » آية ٢٦٣ سورة البقرة « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم »

المعنى : اكد سبحانه النهى عن المن والاذى بقوله تعالى « قول معروف ... الاية » . أى كلام جميل يقال للسائل كيرحمك الله ، أو ربنا يعطيك ويعطينا ، و « مغفرة » ، أى ستر عليه ما يقع منه من الحاح وغيره ، خير للسائل من صدقة يتبعها أذى ، والاذى يشمل المن ، والمراد أن العمل الصالح يجب ان يكون خاليا من كل عيب يذهب من فائدته . والله تعالى غنى وانما امر بالانفاق لمصلحة المنفق ، وليظهر عيب البخيل . وهو سبحانه حليم لا يعجل العقوبة للمخالف لعله يرجع .

« ٤ » آية ٢٦٤ سورة البقرة « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر . فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » .

« **رئاء الناس** » مرائيا للناس ليمدحوه . لا لوجه الله . « **صفوان** » هو الحجر الكبير الاملس **تراب** ، المراد به هنا الغبار الدقيق . « **وابل** » مطر شديد . « **صلدا** » أى أملس خاليا من الغبار .

المعنى : أكد سبحانه قبح المن والاذى بجعله كالرياء المذموم عند جميع الناس فى العاقبة الوخيمة فقال : لا تضيعوا ثواب صدقاتكم تضييعا كتضييع الذى ينفق ماله مرائيا للناس ليمدحوه ، لا يبغى رضا الله لانشغال قلبه بمظاهر الدنيا ، ولا يؤمن بالله حتى يخافه ، ولا باليوم الاخر حتى يعد له ما ينجيه من هوله فمثل هذا المرائى ونفقته كمثل حجر ناعم عليه غبار دقيق نزل عليه مطر شديد اذهبه ولم يبق منه شيئا .

فهؤلاء المراءون لا يستطيعون الحصول على شىء من ثمرة انفاقهم اذا أصابهم غضبه تعالى أو احبط أعمالهم ، كما لا يستطيع الحجر امساك ما عليه من الغبار اذا صابه مطر شديد . والله تعالى لا يهدى الكافرين عقابا لهم على أنهم وضعوا أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعون ادلة الحق ، انظر قول نبى الله نوح عليه السلام فى أمثالهم « **وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم** » آية ٧ سورة نوح وفى الكلام اشارة الى أن المن والاذى من صفات الكافرين فيجب على المؤمن الابتعاد عنهما .

« ٥ » آية ٢٦٥ سورة البقرة « مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير »

« **ابتغاء مرضاة الله** » أى طلب رضا الله .
« **وتثبيتا من انفسهم** » أى تيقنا من ثوابه تعالى لهم تيقنا صادرا من صميم أنفسهم لا ريب فيه . « **ربوة** » هى الارض المرتفعة التى يجود فيها النبات والشجر « **أكلها** » أى ما يؤكل من ثمارها . « **طل** » هو المطر الخفيف .

المعنى : ضرب الله المثل للمخلصين فقال : ومثل الذين ينفقون أموالهم طلبا لرضاء الله وتيقنا من ثوابه تيقنا صادرا من صميم أنفسهم ، لا نفاقا ، قال الحسن رضى الله عنه : كان الرجل منا اذا هم بحسنة يتثبت فان كانت لله فعل ، وان احس برياء امسك . مثل انفاق هؤلاء كمثل بستان فى مكان عال معرض شجرة

للشمس والهواء نزلّ عليه مطر كثير فاثمر قدر غيره أربع مرات . لانه قال « ضعفين » وضعف الشيء مثله ، فالضعفان أربعة أمثال . فان لم يصبه وابل كفاه طل لجودة أرضه وحسن موقعه . والمراد ان هذه الجنة تثمر كثيرا قل المطر أو كثر ، فكذا نفقات المخلصين تنمو عند الله قلت أو كثرت . لانه سبحانه تعالى عليم بما يفعلون بصير بما فى نيتهم .

« ٦ » آية ٢٦٦ سورة البقرة « **ايود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها أعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون** » .

« **اعصار** » هو ريح عاصفة تدور فى الارض ثم ترتفع حاملة غبارا كهيئة عمود .

المعنى : ولكثرة وقوع الناس فى الرياء والمن والاذى ضرب الله سبحانه لها مثلا آخر يبرزها فى صورة مخيفة فقال : لا يحب أحدكم أن يصير الى حال رجل له بستان من نخيل وأعناب وغيرها كما يستفاد مما يأتى ، وانما أقتصر على ذكرهما لاهميتهما ، وقد أصابته الشيخوخة فصار محتاجا لما فى البستان ومع ذلك له ذرية ضعفاء ، لا يقدرون على كسب ، ولا على دفع ضر . وذكر الذرية لاظهار القسوة عليه لانه اذا رأى المصيبة تعمه وتعم عياله الضعفاء كان ألمه أشد وحسرته مضاعفه . فأصاب الجنة ريح فيه نار ، أى شديد الحرارة يحرق الشجر ويذهب النبات ، فكذلك المرائى ، والمنان والمؤذى للسائل الفقير . يكونون يوم القيامة فى أشد الحاجة الى نفقاتهم التى قرنت بالرياء أو المن أو الاذى فاذا بهم يجدونها قد حبطت وذهب ثوابها . وسيقوا الى جهنم ، فيجمعون على الحسره بضياع أموالهم عبثا حسرة العذاب الاليم . كهذا البيان الواضح بين الله تعالى آياته لتعتبروا بما فيها .

« ٧ » آية ٢٦٧ سورة البقرة « **يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد** » .

« **ولا تيمموا** » أى لا تقصدوا . « **الخبيث** » المراد به هنا الشيء الردىء الذى لا تحرص عليه النفوس . وليس المراد به هنا الحرام لانه منهى عن اقتنائه فضلا عن انفاقه . « **الا أن تغمضوا فيه** » أى تغمضوا ابصاركم عن النظر فيه لكراهة أخذه . « **حميد** » أى محمود على كل حال .

المعنى : بعد ما بين سبحانه ما ينبغى أن يكون عليه حال المنفق ، شرع فى بيان ما ينبغى مراعاته فى المبذول فقال أنفقوا من طيبات ما كسبتم وهى أجودها وأحبها الى النفس كما فى آية ٩٢ سورة آل عمر ن . أى انفقوا فى سبيل الله من أجود أموالكم من النقد وعروض التجارة ومما أخرجنا لكم من الارض من حب وثمر ولا تقصدوا المال الردىء تنفقون منه وحده والحال انكم لا تأخذون هذا الردىء لو أعطي لكم سدادا لحقوقكم الا مغمضين أبصاركم عن النظر فيه لكراهتكم له . فالمراد لا تعطوا ما لا ترضون لانفسكم . ان الله غنى عنكم ، وانما أمركم بما فيه مصلحتكم ، حميد يستحق الحمد دائما . ومن جملة حمده وشكره على نعمه تحرى الانفاق من الطيب .

« ٨ » آية ٢٦٨ سورة البقرة « **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** » .

المعنى : بين سبحانه سبب البخل ليتنبه المؤمن فينفق وينقطع عذر البخيل فقال : الشيطان يخيل اليكم بوسوسته ان الانفاق يذهب المال فاحرصوا عليه ، ويأمركم بوسوسته أيضا بالفحشاء كالبخل ، ومنع الزكاة ، والله تعالى يعدكم فى كتابه جزاء ما انفقتم مغفرة لذنوبكم ، وفضلا أى رزقا حسنا ، أى يجمع لكم بين خيرى الدنيا والاخرة . والله عز وجل واسع الفضل عليم بنيات المنفقين .

« ٩ » آية ٢٦٩ سورة البقرة « **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب** » .

الحكمة : المراد بها هنا معرفة اسرار القرآن والاصابة فى القول والعمل ووضع كل شيء فى محله .

المعنى : يؤتى سبحانه الحكمة من يشاء من عباده الصالحين ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرى الدنيا والاخرة . وما يتعظ وينتفع الا أصحاب العقول الخالصة من ظلمة الشهوات .

« ١٠ » آية ٢٧٠ سورة البقرة « **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار** » .

المعنى ، أراد سبحانه أن يبين حكما عاما لجميع أنواع النفقات وما فى حكمها من النذر بعد بيان ما كان منها فى سبيل الله فقط فقال « **وما أنفقتم من نفقة** » قليلة أو كثيرة ، سرا أو علنا فى حق أو باطل ، أو نذرتم من نذر ، فى طاعة أو معصية ، فان الله سبحانه يعلمه ويجازى عليه ، وما من نصير يدفع عذاب الله عمن ظلم .

« ١١ » آية ٢٧١ سورة البقرة « **ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير** » .

المعنى : فصل سبحانه بعض ما أجمل أولا فقال : ان تظهروا اعطاء الصدقات فنعم هذا الابداء ، وان تعطوها خفية بأن يكون الاخذ فقيرا محتاجا فالاخفاء خير لكم لبعده عن الرياء . وعن جرح كرامة الفقير ، والاخفاء أفضل ، ولذا جعله خيرا من غيره ، وقدمه سبحانه عندما أمر بالصدقة في قوله « **قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاه وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية** » آية ٣١ سوره ابراهيم . ويكفر هذا الاعطاء مطلقا سرا وعلنا شيئا من سيئاتكم ، ومن السيئات ما لا يكفرها الا السعى على الاولاد أو الحج المبرور مثلا . ولهذا قال سبحانه « من سيئاتكم » ولم يقل يكفر عنكم سيئاتكم . والله بما تعملون من خير وشر خبير ، وسيجزى عليه .

واكثر العلماء يرون أن اظهار صدقة الفرض كالزكاة أفضل ، واخفاء صدقه التطوع افضل الا لمن وثق من نفسه عدم الرياء وكان قدوة للناس فيحسن له اظهارها ليقتدى به غيره . وقال : الفقراء ولم يقل فقراء كم أو فقراء المسلمين ، ليفيد أن صدقة التطوع مطلوبة لكل فقير ولو كان كافرا ، الا الكافر المحارب فانه لا يجوز اعطاؤه .

« ١٢ » آية ٢٧٢ سورة البقرة « **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون** » .

المعنى : لما كانت الاية السابقة قد شملت الصدقة على المسلم والكافر ، وكان بعض الصحابة قد تحرج من الانفاق على المشركين لبعدهم عن الهداية ، ولما كان شأن المؤمن أن يكون خيره عاما ليكون انسانا كاملا ، أراد سبحانه أن ينبه المؤمنين الى أنه لا يجوز ان تربطوا الصدقة على المحتاج بايمانه وهداه ، لان الهدى من الله فليس عليك أيها النبى هداهم ، وامتك مثلك ، ولنما عليك البلاغ فقط ، والله وحده هو الذى يهدى من يشاء بتوفيقه للنظر الصحيح اذا كان سليم الفطرة لم يفسدها . وما تنفقوا في وجوه البر من خير أى مال حلال فثوابه لانفسكم ، والحال انكم لا تنفقون الا لطلب رضا الله لا رياء ولا جلبا لنفع دنيوى واعلموا أن ما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه تاما ، ولا تظلمون أى لا تنقصون منه شيئا .

« ١٣ » آية ٢٧٣ سورة البقرة « **للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم** » .

احصروا : أى حبسهم عن الكسب انهم خصصوا جميع اوقاتهم للجهاد والاستعداد له وكانوا من فقراء المهاجرين . **ضربا في الارض** : كناية عن السفر والمراد لم يسافروا للتجارة وكسب الرزق لتفرغهم للجهاد . **سيماهم** : أى علاماتهم ، فالسمة هى العلامة وهى هنا التواضع ، واثر التعب . **الحافا** : أى الحاحا : والمراد لا يسألون أبدا ، لانهم لو سألوا لالحوا الحاحا شديدا .

المعنى : بين سبحانه من هم أحق الناس بالصدقة ، وهم من اجتمعت فيهم **خمس صفات فقال** : للفقراء اى الصدقات المطلوبة تعطى للفقراء أصحاب الصفات الاتية :

وهم أهل الصفة : والصفة بضم الصاد سقيفة كانت بالمسجد النبوى ، وكانوا أربعمائة من فقراء المهاجرين ليس لهم مأوى غير هذه السقيفة تقيهم الشمس . **الصفة الاولى** : انهم احصروا فى سبيل الله . **والثانية** : أنهم لا يستطيعون سفرا لكسب رزق لتفرغهم للجهاد . **والثالثة** : ان الجاهل بحالهم يظنهم أغنياء لما هم عليه من التعفف . **والرابعة** : ان لهم علامات خاصة بهم ، وهى التواضع واثر التعب . **والخامسة** : انهم لا يسألون الناس شيئا حتى يلحفوا . والمراد لا يسألون أصلا فلا يقع منهم الحاحا كما هو الشأن فى محترفى التسول . والدليل على عدم وقوع سؤال منهم أصلا عدم معرفتهم الا بعلاماتهم ولو سألوا لعرفوا بالسؤال . وايضا شدة تعففهم حتى يظن انهم اغنياء ولو سألوا لما كانوا كذلك . قال صلى الله عليه وسلم : « **ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان لكن المسكين الذى لا يجد ما يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يسأل الناس** » ، اقرأوا ان شئتم : « **لا يسألون الناس الحافا** » .

« ١٤ » آية ٢٧٤ سوره البقرة « **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

المعنى : شرع سبحانه فى بيان أحوال المنفق وزمان الانفاق . فقال : الذين يشغلون أوقاتهم واحوالهم بالصدقات لحرصهم على الخير ، فكلما رأوا فرصة سارعوا ولم يتعللوا بوقت ولا حال فلهم أجرهم عند ربهم ولا يخافون يوم القيامة من مكروه ولا يحزنون فوات محبوب .

والله ولى التوفيق .

درجات التائبين

موجز ما ذكره الامام الغزالى ان التائبين أربع [١] طبقات :

١ - أن يتوب العاصى ، ويستقيم على توبته الى آخر عمره ، فيتدارك ما فرط من أمره ، ولا يحدث نفسه بالعودة الى ذنبه ، وهذه هى التوبة النصوح ، ونفس صاحبها هى النفس الساكنة المطمئنة التى ترجع الى ربها راضية مرضية .

الدكتور أحمد الحوفى

٢ - أن يسلك التائب طريق الاستقامة فى امهات الطاعات ، ويجتنب كبائر الفواحش ، لكنه لا ينفك عن ذنوب تعتريه فى مجارى أحواله عن غير عمد وعزم ، ثم لا يلبث أن يندم ويأسف ويجدد عزمه على الابتعاد عنها ، وصاحب هذه الحالة هو صاحب النفس اللوامة ، وهذه رتبة عالية ، لكنها نازلة عن السابقة .

وهذه أغلب احوال التائبين ، لان الشر غلاب ، قال تعالى : « **الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ، ان ربك واسع المغفرة** » وقال سبحانه : « **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين** »

وهذا القدر من الذنب لا ينقص التوبة ، ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين .

٣ - أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ، ثم تغلبه شهوته فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن قصد ، لانه عاجز عن قمع شهوته ، ولكنه مع هذا مواظب على الطاعات ، ومبتعد عن جملة الذنوب مع قدرته عليها ، وهو فى الوقت نفسه يود أن يقدره الله على قمع شهوته ، ويندم على ذنبه بعد اقترافه ، ويعتزم أن يتوب ، الا أنه يسوف يوما بعد يوم .

وأصحاب هذه الحالة ينطبق عليهم قوله تعالى : « **وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم** »[٥]

فاذا تداركه الله بفضله ، ومن عليه بالتوبة لحق بالسابقين ، وأن غلبته شقوته وقهرته شهوته فأنه يخشى عليه أن يموت قبل أن تكون توبته مقبولة ، فيكون من المخذولين .

٤ - أن يتوب ويستقيم مدة ، ثم يعود الى ذنوبه بغير أسف أو رغبة فى التوبة .

وهذا هو صاحب النفس الامارة بالسوء الفرارة من الخير التى يخشى عليها سوء العاقبة .

فان ختم الله له بالسوء شقى شقاء لا نهاية له ، وان ختم له بالحسنى فمات على التوحيد فانه ينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ، وليس من المستحيل ان يشمله عفو من الله لسبب خفى لا نعلمه .

وقد علق الغزالى على هذه الحالة الاخيرة بكلام طويل ، منه قوله ان من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر فى الطاعة مصر على الذنوب بعيد من الاستغفار ، يعد عند أرباب القلوب من المعتوهين .

والعجب من هذا المعتوه وترويجه حماقته فى صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم ، ولن تضيق جنته على مثلى ، ولا تضره معصيتى ، ثم تراه يركب البحار ، ويقتحم الاوغار فى طلب الدينار ، واذا قيل له ان الله كريم ، ودنانير خزائنه لن تقصر عن فقرك ، وتركك للتجارة لا يضرك ، فاجلس فى بيتك ، فعسى أن يرزقك الله من حيث لا تحتسب ، اذا قيل له هذا استحمق القائل واستهزأ به ، وقال ما هذا الهوس ، والسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وانما ينال المال بالكسب والعمل ، كما قدره مسبب الاسباب ، وأجرى به سنته ، ولا تبديل لسنة الله .

ولا يعلم المغرور أن رب الاخرة ورب الدنيا واحد ، وأن سنته لا تبديل لها فيهما جميعا ، فكيف يعتقد أنه كريم فى الاخرة وليس بكريم فى الدنيا ؟

وصاحب هذه الحال جدير بأن يكون داخلا تحت

قوله تعالى : « ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ، ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون

تقبل التوبة

يتصل بالرحمة والمغفرة والاستغفار والتوبة تقبل الله سبحانه وتعالى لها .

ولقد نصت آيات كثيرة على انه جل وعلا يتقبلها ، وحسبنا أن كلمة تواب وردت احدى عشرة مرة ، للدلالة على كثرة قبوله تعالى للتوبة منها قوله سبحانه : « **واتقوا الله أن الله تواب رحيم** » .

وجاء التأكيد بأنه عز وجل يحب عباده الذين يكثرون من التوبة مما فرط منهم من ذنب فيطهرون أنفسهم بالتوبة ، ويحب عباده الذين يتنزهون عن الفواحش أو عن الاقذار وعن الصغائر ، قال تعالى : « **ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** » « ٢ » .

وذهب الامام الغزالى الى أن كل توبة صحيحة مقبولة ، وقال ان من يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول « ٣ » .

وهذا هو الرأى السديد الذى يحبب التوبة الى النفس، ويطمئنها بالامل ، ويسعدها بالثقة فى عفو الله وكرمه وتقبله الاعتذار والاستغفار والندم من عباده .

هل قبول التوبة واجب ؟

نؤمن ايمانا راسخا عميقا لا يميد بأن الله سبحانه وتعالى وعد بقبول التوبة ، وأكد هذا الوعد ، وحض على التوبة ، ورغب فيها ، واحب عباده التائبين ، ووعدهم بأن يكفر عنهم سيئاتهم الاخرى .

لكن هذا لا يسوغ لنا أن ندين بما دان به بعض المعتزلة اذ فهموا من ظاهر بعض الايات أن قبول التوبة ومغفرة الذنب أو الذنوب واجب على الله تعالى لابد أن يفعله .

نجد هذه العقيدة مثلا فى تفسير الزمخشرى لقوله تعالى : « **انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ، ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما** » « ٤ » .

قال الزمخشرى : ان القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء ، ثم قال « انما التوبة على الله » اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات ، وقوله « **فأولئك يتوب الله عليهم** ! عدة بأنه يفى بما وجب عليه ، واعلام بأن الغفران كائن لا محالة ، كما يعد العبد الوفاء بالواجب .

وعقب ابن المنير الاسكندرى بما ملخصه أنه تقدم فى مواضع ان اطلاق مثل هذا القول ، وهو يجب على الله كذا مما نعوذ بالله منه ، تعالى الله عن الالزام وعن الايجاب .

وقال ابن المنير : قاعدة أهل السنة أن الله تعالى يتفضل لا عن استحقاق سابق ، فهو المحسن أولا وآخرا وباطنا وظاهرا ، وليسوا مثل القدرية ـ المعتزلة ـ الذين يزعمون أن العبد خلق لنفسه التوبة بقدرته وحوله ليستوجب على ربه المغفرة ، فيطلقون بلسان الجراءة هذا الاطلاق .

ثم قال : وما ابشع ما اكد الزمخشرى به هذا المعتقد الفاسد اذ قال : يجب على الله قبول التوبة كما يجب على العبد بعض الطاعات ، فنظر المعبود بالعبد ، وقاس الخالق على الخلق .

وختم تعقيبه بقوله : نقول نحن معاشر أهل السنة قد وعدنا الله قبول التوبة المستجمعة لشرائط الصحه ، ووقوع هذا الموعود واجب ضرورة صدق الخبر لا لوجوبه على الله تعالى [٥] .

وما من شك فى أن ما ذهب اليه ابن المنير الاسكندرى هو التأدب الذى يليق بجلال الالوهية ، وتوجبه العبودية ، ويقتضيه التفكير السليم .

هل التوبة ضرورية للمغفرة ؟

اذا ارتكب المؤمن كبيرة من الكبائر ، فهل يغفرها الله تعالى بالتوبة فحسب ؟ أو يصح أن يغفرها بغير توبة ؟

المفكرون المسلمون متفقون على المغفرة بعد التوبة ، ومختلفون فى الغفران بغير توبة .

فقد ذهب أكثر المعتزلة الى أن الخطيئة الكبرى التى لا يتوب صاحبها لا يغفرها الله له ، وقليل منهم ذهبوا الى أنها تستحق عقوبة محددة بزمن . وذهب أكثر المرجئة الى أن الايمان وحده كفيل بالظفر برحمة الله وغفرانه للخطايا مهما تكن ، وقليل منهم لم يروا ذلك .

وذهب الاشاعرة الى أن الله تعالى يغفر بعض الذنوب لبعض المؤمنين بشروط من غير أن يعينوا هذه الذنوب ، ومن غير أن يحددوا صفات المؤمنين [٦] .

وقد ذكر احد علماء السنة وهو ابن المنير الاسكندرى عند تعليقه على الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما** » . ان الاية وردت فيمن لم يتب ، ولم تذكر فيها توبة ، ولهذا أطلق الله تعالى نفى مغفرة الشرك ، وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة بالمشيئة ، أما القدرية ـ يريد المعتزلة ـ فيظنون التسوية بين الشرك وما دونه من الكبائر فى أن كل واحد منهما لا يغفر بدون التوبة ، ولا يشاء الله أن يغفرهما الا للتائبين ، فاذا عرض الزمخشرى هذا المعتقد على هذه الاية ردته ونبت عنه ، لان المغفرة منفية فيها عن الشرك ، وثابتة لما دونه مقرونة بالمشيئة [٧] .

١ ـ الاحياء ٤ ـ ٣٨ ـ ٤١
٢ ـ الزمخشرى ١ ـ ١٣٤ وابن كثير ١ ـ ٢٦٠
٣ ـ الاحياء ٤ ـ ١٢
٤ ـ سورة النساء ١٧ بجهالة : بسفاهة وحمق وضعف امام الشهوات عن قريب : بعد الذنب مباشرة او بقليل لا عند الموت ولا فى الاخرة كما فى الاية التالية
٥ ـ الكشاف وهامشه ٢ ـ ٢٥٦
٦ ـ راجع صفحة ١٤٠
٧ ـ الكشاف وهامشه ١ ـ ٢٧٣

من أخلاق القرآن

الثقة بالله

كلمة « الثقة » مشتقة من مادة وثق به ، أى ائتمنه وسكن اليه ، والموثق هو الائتمان ، ويطلق على العهد المؤكد كالميثاق ، لانه يقع به الائتمان . والوثيق : الصلب الشديد . ويقال : عهد وثيق محكم، وعروة وثيقة أى محكمة لا تنقطع ولا تنفصم ، ويقال للمتمسك بالدين : انه متمسك بالعروة الوثقى ، أى متمسك بحبل قوى متين يعصمه من الزلل . والثقة فيها معانى الركون والاطمئنان والامان .

الدكتور أحمد الشرباصى

والثقة بالله تبارك وتعالى خلق من أخلاق القرآن الكريم ، وفضيلة من فضائل الاسلام العظيم ، وجانب من هدى النبى الامين عليه الصلاة والتسليم ، ويقول الامام الهروى فى بيان الشأن العظيم لهذه الفضيلة : الثقة سواد عين التوكل ، ونقطة دائرة التفويض ، وسويداء قلب التسليم » .

ويأتى الامام ابن القيم فى كتابه «مدارج السالكين » ويعلق على عبارة الهروى الدقيقة العميقة فيقول:

« ومراده أن الثقة خلاصة التوكل ولبه ، كما أن سواد العين أشرف ما فى العين . وأشار بأنه نقطة دائرة التفويض الى أن مدار التوكل عليه ، وهو فى وسطه كحال النقطة من الدائرة فان النقطة هى المركز الذى عليه استدار المحيط ، ونسبة جهات المحيط اليه نسبة واحدة ، وكل جزء من أجزاء المحيط مقابل لها ، كذلك الثقة هى النقطة التى يدور عليها التفويض .

وكذلك قوله : سويداء قلب التسليم ، فان القلب أشرف ما فيه سويداؤه ، وهى المهجة التى تكون بها الحياة . وهى فى وسطه ، فلو كان التفويض قلبا لكانت الثقة سويداءه ، ولو كان عينا لكانت سوادها ، ولو كان دائرة لكانت نقطتها » .

ولقد تكررت كلمة « الميثاق » فى القرآن ، وهى تفيد معنى العهد المؤكد الذى يفى به الانسان ويخلص له ، لانه يعقده مع مستحق الثقه كلها ، وهو الله جل جلاله الذى تؤمن به النفس وتثق فيه وتطمئن اليه ، وها هو ذا كتاب الله المجيد يقول مثلا : « **واذكروا نعمة الله** عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا **واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور** » . ونحن نفهم من «المواثقة» هنا ان العباد يثقون بربهم الى درجة اليقين ، ويكون العبد وفيا لربه قدر طاقته ، ويحفظ ميثاقه مع ربه قدر ما يستطيع ،ومقابل هذا أن الله لا يخف وعده ، ولا يخون عهده : « **ومن اوفى بعهده من الله** » ! . فكأن الله تبارك وتعالى قد أثاب ثقة العبد بمثلها ، بل بأكرم منها ، ولله المثل الاعلى .

وآيات القرآن تشير الى الله عز شأنه قد أخذ الميثاق ــ وعماد الثقه ــ من النبيين فقال فى سورة آل عمران : « **واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى [عهدى] قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » .

وقال فى سورة الاحزاب ، « **واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا** .

وأخذ الله الميثاق من بنى اسرائيل ، فيقول فى سورة المائدة ، « **لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون** » .

وأخذ الميثاق من أهل الكتاب ، فقال فى سورة آل عمران ، « **واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون** » .

وأخذ الميثاق على النصارى ، فقال فى سورة المائدة : « **ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** » .

كأن الاساس فى الصلة بين الناس وخالقهم هو « الثقة » القائمة على « الميثاق » ، فالله هو خير من يوثق به ، ولا فلاح للناس الا اذا وفوا بعهدهم وميثاقهم ، فكأن الفيض الالهى الذى تحققه الثقة بالله ، له ثمن ومقابل ، هو الوفاء بالميثاق .

ولذلك اثنى القرآن الحكيم على اهل الثقة بالله ، الاوفياء بميثاق الله الذين وصفهم فى سورة الرعد بقوله : « **الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق** » واخبر عنهم بقوله : « **أولئك لهم عقبى الدار ، جنات**

عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

وأكاد أفهم ان وصف هؤلاء بالصبر هنا فيه اشارة الى أن فضيلة « الثقة بالله » تستلزم الصبر الجميل على كل ما يأتي به الله ، والرضى سمحا وحظا في سائر الازمان والاحوال ، وهو خير الناصرين الواثقين الصابرين .

ويقول كتاب الله في سورة البقرة : « **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم** » . أي ان من يكفر بما خالف امر الله ، ويصدق بالله ويثق به ، وبما جاءت به رسله ، فقد اعتصم بالعصمة الوثيقة ، وعقد لنفسه مع ربه عقدا وثيقا غليظا لا ينقطع ولا يبلى ، ولا تعرض له شبهة ، لانه مؤمن بالله ، معتصم بحماة واثق بجنابه ، مستمسك بأسبابه ، وهو القوى القدير .

وأكد القرآن هذا المعنى في سورة لقمان حين قال : « **ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور** » .

ومن يثق بالله جل علاه يوقن من أعماق الاعماق أن الله كافيه وكافله ، لانه نعم الحسيب ، فهو القائم بالتدبير ، وهو المتصرف في المقادير ، ومن أسماء الله « الحسيب » ، والحسيب هو الكافي ، وفي القرآن : « **وكفى بالله حسيبا** » أي كافيا وكفيلا ، وقد أكد التنزيل المجيد هذا المعنى أقوى تأكيد ، فقال في سورة آل عمران عن المجاهدين في سبيل الله : « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم** » .

وقال في سورة التوبة : « **ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون** » وهذا توجيه الى الثقة بالله ، وحث على اللجوء الى الله .

ويقول في سورة الانفال: «**وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله** . ويقول في آخر سورة التوبة : « **فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** » . ويقول في سورة الزمر : « **قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون** » . ويقول في سورة الطلاق : « **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** » .

ويسوق القرآن الكريم الينا نموذجا رائعا من نماذج الثقة بالله تعالى ، وهو ما كان من أم موسى عليه السلام ، حيث يقول : « **وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين** » .

ونعم ما علق به ابن القيم على هذا الموقف ، حيث قال عن فعلها هذا هو عين ثقتها بالله تعالى ، اذ لولا كمال ثقتها بربها لما ألقيت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء ، تتلاعب به أمواجه ، وجريانه الى حيث ينتهي أو يقف » .

• • •

ويحمل القرآن حملة صارمة حازمة على الذين يخونون الميثاق ، ويفقدون الثقة بالله ، فيصبحون فريسة العقاب والضلال ، فيقول القرآن في سورة البقرة : « **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون** » . ويقول في سورة الرعد : « **والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه** ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في **الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** » . ويقول في سورة المائدة : « **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية** » .

وقد قيل في تفسير «عهد الله» المذكور في الآيتين السابقتين عدة أقوال أوردها تفسير الطبري بقوله : « وقيل في عهد الله وجوه : أحدها أنه ما ركب في عقولهم من أدلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل ، وما احتج به لرسله ، من المعجزات الشاهدة لهم على صدقهم ، ونقضهم لذلك : تركهم الاقرار بما قد بينت لهم صحته بالادلة .

وثانيها : أنه وصية الله الى خلقه على لسان رسوله ، بما أمره به من طاعته ، ونهاهم عنه من معصيته ، فنقضهم لذلك تركهم العمل به .

وثالثها : أن المراد به كفار أهل الكتاب ، وعهد الله الذي نقضوه من بعد ميثاقه هو ما أخذه عليهم في التوراه ، من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بما جاء به من عند ربه ، ونقضهم لذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته ، وكتمانهم ذلك عن الناس ، بعد أن أخذ الله ميثاقهم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، وأنهم ان جاءهم نذير آمنوا به ، فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا ، ونبذوا العهد وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا ، اختار هذا الوجه الطبري .

رابعها : أنه العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم ، كما وردت به القصة ، وهذا الوجه ضعيف ، لانه لا يجوز أن يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ، ولا يكون عليه دليل » .

• • •

والثقة بالله ثلاث درجات عند الصوفية:

الدرجة الاولى : درجة اليأس من تغيير ما قدر الله سبحانه . فهو اذا قضى أمرا فلا مرد له ، ولا معقب لحكمه . وهذا اليأس يجعل صاحبه خاضعا لامر الله ، لا تتعلق ارادته بسواه ، فحسبه الثقة بمولاه .

الدرجة الثانية : درجة الامن ، حيث لا يأسى على فائت ، بل يطمئن الى أن نصيبه من ربه سيصله حتما ، وهنا تسوده روح الرضى ، فيشعر بالراحة

واللذة والنعيم ، وقد روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله ــ بعدله وقسطه ــ جعل الروح والفرح فى اليقين والرضى ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط » .

الدرجة الثالثة : شهود القلب بأولية الحق ، وتفرد الله جل جلاله بالازلية ، فلا يتعلق قلب بالوسائل التى يحسب انها توصل الى المطالب .

وكثير من العلماء يجعل التوكل على الله ، والثقة بالله ، شيئا واحدا .

ولكن عند انعام النظر نفهم أن نسبة الثقة الى التوكل كنسبة الروح الى البدن ، فالثقة روح التوكل ، والتوكل كالبدن الحامل لها ، وذلك كنسبة الاحسان الى الايمان .

وعندما علق ابن القيم على كلام الهروى عن « الثقة » قال هذه العبارة :

« وقد تقدم أن كثيرا من الناس يفسر التوكل بالثقة ، ويجعله حقيقتها ، ومنهم من يفسره بالتفويض ، ومنهم من يفسره بالتسليم . فعلمت أن مقام التوكل يجمع ذلك كله .

فكأن الثقة عند الشيخ هى روح ، والتوكل كالبدن الحامل لها ، ونسبتها الى التوكل كنسبة الاحسان الى الايمان ، والله أعلم » . وقد تحدثت عن فضيلة « التوكل » فى الجزء الثانى من كتاب « أخلاق القرآن » ، وينبغى أن نرجع اليه لنستكمل صورة الموضوع .

ولقد عنى الصوفية بفضيلة « الثقة بالله » وشققوا الحديث عنها على طريقتهم ، فهذا هو شقيق البلخى يسأله بعض الناس : بأى شىء يعرف أن العبد واثق بربه ؟

فقال : يعرف بأنه اذا فاته شىء من الدنيا يحسبه غنيمة ، واذا ابطأ عليه شىء من الدنيا يكون احب اليه من أن يأتيه .

ومن كلام حاتم الاصم الصوفى : من اصبح وهو مستقيم فى اربعة أشياء فهو يتقلب فى رضا الله : أولهــا الثقة بالله ، ثم التوكل ، ثم الاخلاص ، ثم المعرفة ، والامور كلها تتم بالمعرفة .

ويقول يحيى بن معاذ الرازى : ثلاث خصال من صفات الاولياء : الثقة بالله فى كل شىء ، والغنى به عن كل شىء ، والرجوع اليه فى كل شىء .

رزقنى الله واياك فضيلة الثقة به ، ونعمة الالتجاء اليه .

الحياة من القرآن

واذا كانت الكلمة كلمة حق يريد بها أصحابها التوسل الى اثبات باطل ، كان على أهل الحق أن يسلموا بالكلمة دون ما وراءها .. وان لم يفعلوا ذلك خسروا بعض انصارهم .. وعلى أهل الحق أن ينظروا اليه بغض النظر عن المتلفظين به .. فالكيس يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال .. وفى الخبر : لا تنظر الى من قال ولكن انظر الى ما قال ..

ولما تقرر أن الاسلام خاتم الاديان .. وأن كتابه آخر كتاب من السماء .. لم يكن ذلك مجرد ادعاء اجوف .. وانما هو دعوى فى طياتها البرهان على صحتها والحجة على استقامتها .. والمسلم يؤمن بكل نبى ورسول وكتاب من عند الله .. لان الله هو الذى ارسل رسله ، وانزل كتبه فى أوقات مناسبة .. ثم ختم الرسالات برسالة الاسلام العامة الشاملة : [**والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك**] ..

وهذا يؤكد أن الحق لا يقبل التجزئة .. وان على الناس فى الحياة أن يخضعوا للحق ايا كان وفى اى مكان .. والخضوع للحق يعنى أن فى المجتمع قيما مقدسة يلتزم بها الجميع ويحترمونها ويعملون على صيانتها .. واذا لم تكن لهذه القيم العليا قداستها كان الطغيان من القوى على الضعيف ، ومن الناس على أنفسهم .. ونحن نتعلم من الحياة انه لا يوجد فيها شىء مؤكد الوقوع الا الموت .. فكل ما فى الحياة عرض زائل وعارية مؤداه ..

فاذا لم يقع الظالم فى يد العدالة ، فليس معنى هذا أنه فلت من العقاب .. وانما فلت من عقاب هين ، ليقع فى عقاب أشد : « **وبالاخره هم يوقنون** » .. فحديث القرآن عن الاخرة لاثبات عقيدة البعث ولتقرير مبدأ العدل الذى اذا فات تطبيقه فى الدنيا فلن يتأخر تنفيذه فى العقبى ..

ومن القواعد المقرره فى الاسلام ان من عوقب فى الدنيا العقاب المناسب ، كان كفارة له .. ومن تاب من جريمته وصدقت نيته تاب الله عليه واكتفى منه بالندم عقوبة له .. وربما يستهين بعض الناس بالندم كعقوبة وهم مخطئون .. فان للندم نارا يشعلها الضمير فتحرق الاحشاء وتذيب القلوب ..

يجب ان يخضع جميع الناس للحق طائعين او مكرهين من انصار الحق الذين يربطون حياتهم ومصيرهم به، لا يساومون عليه ولايتنازلون عن شيء منه .. فهو كل لا يقبل التجزئة .. وتجزئته تفتيته وطمس معالمه .. ثم جحوده ..

ومن طبيعة الحق خلوه من اى لون من الوان الظلم.. واذا اختلط الحق بالباطل وجب تمييزهما حرصا على سلامة الطيب من دنس الخبيث ..

الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

وقد زودنا القرآن بكل المبادىء الفاضلة ، وامرنا بالاستمساك بها .. ففيها حياة للضمير .. والخلو منها فقر فى الشعور وافلاس فى الحياة ..

ولم ينهج القرآن فيها منهج الخيال.. بل امر الناس بما يطيقون من الاعمال ويفهمون من الاقوال ويتذوقون من الافكار .. فالمتقى يؤمن بالغيب ويقيم الصلاه ويؤدى الزكاة ويؤمن بالرسالات وبالحياه بعد الموت .. وكلها مبادىء تضمن للقلب حياه طيبة .. وللبدن عيشة كريمة واى شيء انفع للانسان من مبادىء تشيع فيه الطمأنينة من الداخل باسناد كل شيء الى الاله القادر العادل الغنى عن خلقه .. وتطمئنه من الخارج بتشريع عادل — تطبيق حكم واحد منه خير لاهل الارض من أن يحصلوا على بعض الثروات : [**أولئك على هدى من ربهم**] ..

وليست قيمة التاجر ان يربح فى صفقة يحصل على الربح منها بطريق الصدفة أو الغش أو الخداع .. وانما القيمة أن يستمر فى تجارته يربح بأمانة.. ويواجه التقلبات بحكمة وفطنة « **واولئك هم المفلحون** ».

ولقد رزق الله عباده أجهزة يحصلون على المنافع بحسن استخدامها .. ومن عطل أجهزة الاستقبال فيه حرم الانتفاع من كل ما يليه .. لقد أعطى سبحانه كل انسان كلفه مؤهلات ذلك التكليف .. واذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب ..

هذه هى القاعدة فى كل أمر أو نهى..

والتبعة بعد ذلك على المضيعين لما فى أيديهم.. المبعثرين لقواهم .. والعاجزون السفهاء يحملون الاقدار نتيجة سوء اختيارهم .. وما هكذا علمنا الاسلام .. فالله أراد بنا شيئا وأراد منا شيئا.. فما اراده بنا طواه عنا .. وما أراده منا اظهره لنا .. فلا نشتغل بما طواه عنا عما اظهره لنا لئلا نضل ونشقى ..

وان أهم ما يتميز به الانسان أنه كائن مسئول.. يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.. ويخطط لنفسه قبل العزم على العمل .. فاذا سد الانسان مسامعه فلا عذر له حين يقول لم أسمع .. واذا افتقر الكسول واحجم عن العمل بعد اتاحة الفرصة فلا يلومن الا نفسه ..

واذا جحد الجاحد بعد الاعراب عن تأمل الحق والسير فيه .. فهو الذى يتحمل نتيجة هذا التقصير [**ان الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون**] ..

لقد قرر الاسلام ان خير الناس أنفعهم للناس.. وأن المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف .. وان شر الدواب الصم البكم الذين لا يعقلون .. وان كل حاسه فى الانسان لها مجالها .. فاذا استعملت فى غير مجالها لم يستفد منها أصحابها..

فاذا لم يفقه القلب ولم تبصر العين ولم تسمع الاذن عند السلامه من الافات — كان اصحابها كالانعام — بل هم أضل : [**اولئك هم الغافلون**]..

والقلوب اوعية.. يشغل منها بمقدار ما يحل فيها .. فاذا امتلات الاوعيه بالماء لا يدخلها الهواء .. واذا شحنت القلوب بالباطل فلا مكان للحق فيها .. والاعراض عن الاستماع اولى درجات الانزلاق للباطل .. والافات الخلقيه اخطر على ذويها من الافات الخلقية .. والميزان للماديات بالكمية وللمعنويات بالكيفية : « **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوه ولهم عذاب عظيم** »..

وكثيرا ما يجنى الانسان على نفسه حين يغفل عن أصول التنشئه السليمة .. ومن هنا كانت التربيه ضرورة حتمية لفهم الحياة .. وقد اهتم الاسلام بها على أصول سليمة حيث أمر بتعهد الطفل منذ تمييزه .. ولكى لا تطمس فطرته — حمل ابويه مسئولية توجيهه .. وقال صلى الله عليه وسلم لام وعدت صبيها بتمره : « **لو لم تعطيه كتبت عليك كذبة** » ..

والقلوب المتفتحة تستوعب العبر مما يجرى حولها.. وتستنير بتجارب السابقين.. والقلوب المغلقة تسد على نفسها منافذ التهوية وتعيش فى جو خانق .. ولعلنا ندرك أن المسلمين الاول كانوا يتمتعون بعقلية مرنة لم تضق بفكرة ولم تجمد أمام التطور الزمنى — دفعت المال لتأليف القلوب حين احتاجت لذلك .. وأوقفت الدفع حين استغنت دون تحرج فى فهم النص الكريم .. سايرت متطلبات الزمن بوعى وفطنة .. مدركة ان اخطر آفة تصيب

الانسانية الجمود على وتيرة واحدة .. بينما الكون يتغير ويتطور .. وافقه الناس فى دين الله من قدم الاهم على المهم ، وابتدأ بنفسه ثم بمن يعول ، ثم بألصق الناس قرابة له ..

وهكذا الى أن يعم بمنفعته الناس أجمعين ، مع مراعاة أولويات الترتيب ..

وأول ما ينبىء عن الخير فى الانسان اصغاؤه واستماعه لما يقال له .. وعليه بعد ذلك ان يتبين ويتحقق من صدق ما يسمع .. ثم يحلل ليصل الى نتيجة مفيدة ..

أما الاستماع والتأثر بكل ما يقال — فليس سبيل عقلاء الناس [**ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**] .. وفى الحديث : [**رب مبلغ أوعى من سامع .. ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه**] ..

وقد عمل الاسلام على السلامة من الافات الخلقيه التى هى أخطر على ذويها من الافات الخلقية التى كثيرا ما تصيب المرء من غير أن يكون له سبب فيها .. فان اصابته بسبب تقصيره فلا يلومن الا نفسه ..

ولا تعانى الانسانية الا من الافات الخلقيـة — كالغش والطمع وحب الذات والسيطرة بالباطل والظلم والتهور — وغير ذلك .. ومكارم الاخلاق وحميد الصفات وجميل الخصال — تشيع فى الناس الامن والامان والطمأنينة والتعاطف والتعاون .. وفى الحديث : « **انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق** » .

وتقاس أعمال الناس بالكيفية لا بالكمية .. فصلاة بغير ورع حاجز لا تنفع صاحبها . وصدقة بمن وأذى تبطل أجر المتصدق .. وكم زودنا الاسلام بقصص عن قوم عملوا زمنا قليلا وانتفعوا بأعمالهم انتفاعا يزيد عن حجم العمل .. لان أعمالهم صدرت عن اخلاص ويقين . فحفظها الله لهم ..

ولاشك أن عمل الخير الدائم خير وأبقى لصاحبه من عمل ينقطع .. وصاحبه قادر على مواصلته ..

والايتان الاخيرتان تتحدثان عن دعاه الباطل المجاهرين به والمدافعين عنه .. ومن قبلهما آيات تتحدث عن انصار الحق المستمسكين به ، وبين هؤلاء وأولئك منافقون مذبذبون ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .. وهم الذين تتحدث عنهم الايات فيما بعد ..

ولعلنا ندرك أن نصير الباطل حرم نفسه من نور الحق .. وان الله ختم على قلبه بسبب سوء اختياره كما قال سبحانه : [**بل طبع الله عليها بكفرهم**] فلما كفروا باختيارهم واختاروا الكفر على الايمان وكان الايمان ميسورا لهم فرفضوه « **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم**] ..

وصلى الله على معلم الناس الخير ..

تأملات فى البيان القرآنى

فى أثناء تأملاتنا السابقة فى الجملة القرآنية شد انتباهنا ما أثير حول الفاصلة فى الاية القرآنية ، فتوقفنا أمامها لحظات : لنعود من ذلك الى تأملاتنا فى الجملة القرآنيه على عمومها ، فاصلة كانت أو مطلعا أو قلبا للاية ، فالجملة القرآنية تشمل هذه وتلك : بل وتشمل الاية كلها بمختلف أجزائها .

والمتأمل فى الجملة القرآنية يلاحظ أنها ذات خصائص تميزها عن الجملة البشرية وترقى بها عن مستوى المخلوق ، ولسوف نعرض لها ان شاء الله تعالى من خلال تأملاتنا فى طائفة من آيات الكتاب الكريم ، باحثين فيها عن نظمها وشكلها ومنهج القرآن الكريم فى صوغها ، لنتعرف على شىء من خصائصها البيانية .

• • •

ومن أهم ما يجذب النظر فى البنـاء القـرآنى ، ويستحوذ على التأملات ، تلك الجمل المتشابهة الالفاظ ، المختلفة فى الصياغة ، بحيث تجعل المخلوق أمامها فى دهش دائم ، لما فيها من مخالفة للمعهود لديه من أساليب البيان وطرائق النظم ، ووسائل التعبير .

١ — من ذلك ما تجد فى قوله تعالى فى سورة القصص : « **وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى** ! : وقوله تعالى فى سورة يس : « **وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى** » .

تقرأ هاتين الجملتين فتجد الالفاظ هى الالفاظ بعينها ، ثم بتقديم هنا وتأخير هناك تغير شكل الجملة سيئا ، فأصبح بين الجملتين تشابها وتخالفا .

ونبحث عن السر فى التقديم والتأخير فى هاتين لجملتين :

أ — اهو راجع الى تخفيف التكرار الناشىء عن تقديم جملتين متفقتين تماما فى المبنى والمعنى ، فلم يكن الا أن يخالف بينهما فى المبنى اية مخالفة ؟!

الجملة القرآنية

الدكتور ابراهيم عوضين

ب – أم هو راجع الى التجميل والتحسين ، واستعراض القدرة على التعبير بتقديم الجملة فى شكل ، ثم تقديمها فى شكل آخر !

افتراضات يمكن أن تطفو على سطح الفكر ، وتفرض نفسها على رأى الناظر . ولكن التأمل فى البناء القرآنى – على عمومه – يفرض علينا ألا نقبل هذا ولا ذاك .

اولا ، لان هذه المخالفة لم تحقق الغرض منها ، بل على العكس من ذلك نجد انها لفتت النظر الى ما فيها . وكان أولى بمن يقصد الى المخالفة ان يعمد الى تغيير الشكل على عمومه ، وما كان ذلك ليعسر على من نسج هذا الكتاب المبين ، وصاغ آياته المحكمة .

ثانيا : لان المغايرة فى شكل الجملة بقصد التزيين واستعراض المقدرة التعبيرية ، يفرض على صاحب التعبير ما هو غريب على البيان ، وخارج على المضمون ، فيكون فى ذلك اخلال بالنسج يصمه بعيب يأباه الانسان على نفسه ، ولا يقبل أن يوصف به عمله .

ونتجه الى البلاغيين نبحث لديهم عن السر فى التقديم والتأخير ، فنراهم يدورون به حول هذه الافتراضات او قريبا منها ، فالتقديم للاهتمام بالمقدم والاعتناء به .

ولكن لماذا اهتم البيان القرآنى بالجار والمجرور فى سورة يس فقدمه ، ولم يهتم به فى سورة القصص فأخره ؟

• • •

ونردد النظر ، ونوجه الفكر الى السياق فى السورتين ، متأملين الموقف هنا والموقف هناك ، بحثا عن السر وراء ذلك على منهجنا الذى ارتضيناه وسرنا عليه فى تأملاتنا السابقة .

فنجد آية القصص تقدم جانبا من أحداث قصة موسى عليه السلام ، وذلك حين بلغ أشده ، ودخل المدينة مستترا ، فصادف رجلين يقتتلان ، احدهما من شيعته ، فانتصر له ، ووكز عدوه فقضى عليه ، فأصبح فى المدينه خائفا من أهلها ، يترقب الانتقام ، حتى يجىء رجل من أقصى المدينة يسعى لينبئه بما يدبره له الملا انتقاما لما صدر منه ، وثارا لقتيلهم ، ويحذره مما ينتظره على أيديهم ، وينصحه بالخروج من المدينة فرارا من وجه المؤتمرين .

« ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين .

« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين .

« قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم .

« قال رب بما أنعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين »

« فاصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين .

« فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين .

« وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فأخرج انى لك من الناصحين » .

فالرجل هنا من اقصى المدينة أى من عمقها وطرفها الابعد ، اشارة الى أنه من أهلها الناشئين فيها ، والعارفين بأسرارها وأسرار أهلها واتجاهاتهم ، والمتصلين بكل ما يجرى فيها فهو ليس غريبا عنها ، ولا طارئا عليها .

والرجل هنا جاء قاصدا الالتقاء بموسى ليبلغه بما يدور فى المدينة ، وما يحاك له ، فالحال التى لابست مجيئه هى السعى ، أو مجيئه من أقصى المدينه يلابس السعى « **وجاء رجل من اقصا المدينة يسعى** » ، لان تخصيص النكرة بالصفة جعل جملة « يسعى » حالا . فحال الرجل فى مجيئه هو السعى ، وهذا يوحى بالتعمد والقصد ، أى أنه عرف ما يدور بين القوم بشأن موسى فاندفع اليه وسار نحوه ليبلغه الخبر ويحذره .

أى أن الرجل هنا يعرف شيئا عن موسى ، جعل له موقفا نحوه . ويعرف كذلك أن هذا يغضب قومه منه ويثيرهم عليه ، فهو يخفى ما يضمر عنهم حرصا على علاقة قومه به ، فلا يجد فى طوقه ما يعين به موسى ويمنعه مما يوشك أن يصيبه الا أن يقصده - متجشما العناء والتعب - من أقصى المدينة ليحذره وينصحه .

« **وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأخرج انى لك من الناصحين** » .

وهكذا نجد النسق محكم البناء احكاما ، متقن النسج كل الاتقان ، بحيث لا يستطيع المتأمل مهما بذل من جهد وطاقة أن يجد فيه هنة أو يعثر على ثغرة .

فالجائى هنا رجل من أهل المدينة ، على صلة بقادتها ان لم يكن واحدا منهم .

وهذا من أهم ما يتطلبه الموقف ، فلو لم يكن الجائى من اهل المدينة لكان ما يلقيه الى موسى من انباء الملا المؤتمرين به مشكوكا فى صحته ودقته . لكن لما كان الجائى من أهل المدينة صبغ ما القى من أخبار القوم بصبغة العلم والمعرفة ، فزالت كثير من الشكوك فيما ألقاه ، فهو رجل عارف بمجريات الامور فى مدينته مطلع على ما يتحرك به قومه وما يدبرون .

أى أن الجائى - كما تشير الاية - واحد من أهل المدينة ، استطاع بمكانه منها أن يطلع على ما يدور فيها ، وأن يقف على سر قومه وما يدبرونه لموسى انتقاما لقتيلهم الذى وكزه موسى فقضى عليه ، وأن يتعرف على ما بيتوا له فى اجتماعهم ذلك ، فجاءه يسعى رغبة فى انقاذه مما يحاك له .

فالسعى هنا ليس صفة ملازمة لرجل ، ولكنها صفة فى حال معينة ، اشارة الى أن السعى مقصود لانه طارىء على الجائى ، متلبس به فى تلك الحال .

هذه آية القصص ، بما تضمنته وما سيقت من أجله .

● ● ●

أما آية يس : « **وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين** » فالمتأمل فى سياقها يجدها جاءت فى معرض الحديث عن أصحاب القرية حين جاءها الرسل ، فصدوا عن دعوتهم بكل وسائل الصد والتنفير حتى كادوا يدخلون معهم فى صراع ، فقد وصلوا الى درجة التهجم باللسان ، والسب والشتم ، حتى جاء - وهم على هذه الحال - من أقصى المدينة رجل يسعى ، فحاول أن يهدىء الموقف ، ويبصرهم بالطريق السوى ، ويلفتهم الى خطئهم ، وينقلهم من الخضوع لسلطان العواطف ، الى التروى والاتزان والنظر العاقل .

« **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون** » .

« **اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون** » .

« **قالوا : ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شىء ان أنتم الا تكذبون** » .

« **قالوا : ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون** » .

« **وما علينا الا البلاغ المبين** » .

« **قالوا : انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم** » .

« **قالوا : طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون** » .

« **وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين** » .

« **اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون** » .

« **وما لى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون ؟! أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون** » .

« **انى اذا لفى ضلال مبين** » .

« **انى آمنت بربكم فاسمعون** » .

فالايات - كما يرى المتأمل - ترسم صورة يبرز فيها عناد أصحاب القرية التى جاءها المرسلون ، وما يواجهون به الرسل من جدال عقيم ، لا يثبتون فى خلاله على رأى ، ولا يعتمدون فى نقاشهم على حجة ، بل انهم فى آخر الامر يرفضون كل نقاش ، اعلانا منهم عن عجزهم على الصمود أمام المنطق والبرهان ، ويلجئون الى التهديد بالرجم والوعيد بالتعذيب .

وبينا هم على تلك الحال فى مواجهة المرسلين يجىء من أقصى المدينة رجل يسعى ، فيوجه اليهم نصحه ، ويعمل على أن يلمس فى أهل القرية مناط التأثير ليصل بهم الى اليقين .

ولا شك فى أن الموقف هنا يحتاج رجلا غير الرجل الذى تطلبه الموقف فى سورة القصص . فالرجل فى يس جاء ليقدم اليهم نصحه ، ويفيدهم من خبراته وتجاربه .

وهنا يهم تحديد مكان مجيئه ، لانه جاء أهل القرية من خارج القرية . ولو أنه كان جائيا من قرية أخرى لما طرأ على الموقف كبير تغير ، وانما هو جاء من أقصى المدينة ، حيث الرأى الجديد ، والفكر الناضج ، والمعرفة التى يتشوف اليها أهل القرية ، ويتطلعون نحوها .

أى أن رجل يس فى أصله من أهل القرية ، وأهل القرية قومه ، ولكنه جاءهم من أقصى المدينة محملا بما تمتاز به المدينة - ولو فى ظن ساكنى القرى - على القرية ، أملا فى أن يجد طريقه الى عقول قومه الذين

يعارضون المرسلين ويكادون يشتبكون معهم فى معركة .

ويقرر هذا المعنى ان تقديم الجار والمجرور على الفاعل جعل من جملة [يسعى] صفة للفاعل وهو الرجل ، فانكشف بذلك لنا من شخصية الرجل الجائى ما يميزه عن رجل القصص ، اذا هو هنا موصوف بالسعى ، أى أن السعى من صفاته القائمة به فى ذلك الحين ، فهو دائم التجوال والترحال ، يسعى من القرية الى المدينة ، ثم يعود من المدينة الى القرية ـ شأنه فى ذلك شأن التجار ونحوهم ـ فالسعى ليس حالة طارئة عليه ، دعاه اليه داع كما رأينا فى آية القصص ، وانما السعى وصف ملازم له .

حين احتدم النقاش بين أصحاب القرية والمرسلين جاء من أقصى المدينة رجلنا ذلك ليواجه قومه أهل القرية بما قر عليه رأيه ، موجها اليهم نصحه من خلال نقاش عقلى واضح هادىء :

« اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون . ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن غنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . انى اذا لفى ضلال مبين » .

● ● ●

بعد هذه السبحة التأملية ، نعاود النظر فى الجملتين .

فنجد آية القصص التزمت فى تركيبها ما يستدعيه الموقف ، ويتطلبه السياق .

ونجد آية يس كذلك التزمت فى تركيبها ما يستدعيه الموقف ويتطلبه السياق .

بحيث لا يمكن أن يتغير الشكل التركيبى لواحدة منهما ، فلا يصح أن يكون التركيب فى آية القصص على نسق آية يس ، ولا يصح أن تركب آية يس على نسق آية القصص ، اذا الموقف فى القصص يحتم أن يكون الرجل الجائى من أهل المدينة ، يعرف أهلها ، ويتصل بهم ، ويطلع على المستور من سلوكهم ، ولا يخفى عليه ما يدور بينهم فى السر والعلن ، حتى يكون فيما يلقيه لموسى عليه السلام من أنباء قومه ناقل واقع ، لا ظن فيه ولا توهم .

أى أنه مؤمن بموسى أو محب له ، خشى عليه ما يدبر له فى الخفاء ، فجاءه عن قصد منه وتعمد ، لينصحه بالفرار من وجه المؤتمرين ، والخروج من المدينة قبل أن يفتكوا به .

ومن ثم كان ما أبلغه بصيغة التأكيد :

« يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين » .

ولو أن رجلا من غير أهل المدينة القى اليه بمثل هذا النبأ لكان ما ألقاه اليه محفوفا بالشكوك .

هذا الى ان السعى من هذا الرجل حال طارئة تلبس بها مجيئه ، فهو حين جاء كان على تلك الهيئة ، فما ان عرف ائتمار القوم بموسى ، وما اتخذوا فيه من قرار .. حتى جاءه يسعى خوفا عليه .

اما الموقف فى يس فيستدعى أن يكون الرجل جائيا من المدينة ليبصر قومه ساكنى القرية الذين لم تتقبل عقولهم رسالة المرسلين ، فبينا هم مع المرسلين فى جدال ونقاش تطور حتى كاد يصبح اشتباكا ، جاء هذا الرجل من أقصى المدينة مصدقا المرسلين فى دعواهم ، ناصحا قومه أهل القرية بالاستجابة لهم .

فالقوم قومه ، وهو ـ على ما يبدو ـ حريص عليهم ، محب لهم ، يخشى أن يصروا على الضلالة ، ويركبوا رءوسهم ، ويستبد بهم العناد ، فتضطرب بهم الحياة ، وينزل بهم السوء .

فأهل القرية فى موقفهم هذا لا يستجيبون لرجل آت من القرية استجابتهم لرجل آت من المدينة ، ثم هم لا يستجيبون لرجل آت من المدينة استجابتهم لرجل منهم آت من المدينة كذلك .

ثم ان استجابتهم لرجل منهم طبيعة عمله السعى بين المدينة والقرية أسرع من استجابتهم لرجل منهم انقطع عن القرية وأقام فى المدينة ، اذ صلتهم بهذا الذى يجمع بين القرية والمدينة أمتن ، وثقتهم فيه اقوى ، واطمئنانهم الى رأيه أرسخ .

ومن ثم كان البيان ممثلا للواقع :

« وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين » .

فالرجل فى يس غير الرجل فى القصص ، وهيئة الرجل فى يس غير هيئة الرجل فى القصص ، ومهمة الرجل فى يس غير مهمة الرجل فى القصص .

وكما رأينا . الموقف فى يس يتطلب أن يكون الرجل على ما جاءت به آيات يس ، بيئة وهيئة وهدفا ، والموقف فى القصص يتطلب ان يكون الرجل على ما جاءت به آيات القصص كذلك .

ومن ثم نقرر هذا الواقع الصلب القوى : أن المخالفة بين نسق الايتين سر من أسرار الاعجاز فى البيان القرآنى ، اذ لا يمكن لاى كائن مخلوق أن يلحظ هذا التفاوت الدقيق بين حالة الرجلين ، فيحرص على أن يكون تعبيره على مثل هذا التفاوت ، لينقل الصورة الصادقة كل الصدق على ما رأينا فى تأملاتنا .

وانى لكائن مخلوق هذا الادراك ، وذاك الحس ، وتلك الطاقة اللغوية ، والقدرة الفنية ، فيقع على الموقف فى كل أبعاده ومشتملاته ويهيىء له التركيب التعبيرى المناسب ؟!

لا يسعنى ازاء ذلك الا ان اردد قول الحكيم العليم :

« لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

القرآن والأحرف السبعة

عرضنا فى العدد السابق للاحاديث والنصوص التى وردت حول موضوع القرآن والاحرف السبعة . وفى هذا المقال نعرض للمعنى المفهوم من هذه الاحاديث ، وهل المقصود القراءات السبعية التى اشتهر القراء بها ، أو أن المعنى غير ذلك . حقيقة أننا نجد قراءات مشهورة غير السبعة هى المكملة للقراءات العشر وهناك قراءات غير هذه العشر لاربعة آخرين يكملون الاربع عشرة قراءة وكل هذا تستدعى دراسة جاده نخرج منها بمفهوم مقارب للحقيقة لاستحالة ادراك الحقيقة كاملة فى كتاب مازال وسيظل مصدرا خصبا لكل دارس وباحث مصداقا لقوله تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » واليك آراء العلماء واقوالهم فى معنى كون القرآن على سبعة أحرف .

الدكتور عبد العزيز رضوان

قال الحافظ أبو حاتم بن حيان البستى « صاحب الصحيح » : اختلف الناس فيها خمسة وثلاثين قولا .

وقال ابن العربى : لم يأت فى معنى هذه السبع نص ولا اثر واختلف الناس فى تعيينها .

وقال الزركشى « البرهان ١ : ٢١٢ » . وقد وقعت فيها على كثير فذهب بعضهم الى أن المراد التوسعة على القارىء ولم يقصد به الحصر ، والاكثر انه محصور فى سبعة ، ثم اختلفوا : هل هى باقية الى الان نقرؤها ؟ أم كان ذلك أولا ثم استقر الحال بعده ؟ على قولين :

قال القرطبى : ان القائلين بالثانى — وهو ان الامر كان كذلك ، ثم استقر على ما هو عليه الان — هم اكثر العلماء ومنهم : سفيان بن عيينه ، وابن وهب والطبرى ، والطحاوى . ثم اختلفوا : هل استقر فى حياته صلى الله عليه وسلم أم بعد وفاته ؟ والاكثرون على الاول ، واختاره القاضى أبو بكر بن الطيب ، وابن عبد البر وابن العربى وغيرهم ، وأرادوا أن ضرورة اختلاف لغات العرب ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة واختاره عليهم فى أول الامر . فاذن لكل منهم ان يقرا على حرفه ، أى طريقته فى اللغة ، الى أن انضبط الامر فى آخر العهد وتدربت الالسن ، وتمكن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة ، فعارض جبريل النبى صلى الله عليه وسلم القرآن مرتين فى السنة الاخيرة واستقر على ما هو عليه الان ، فنسخ الله تلك القراءه المأذون فيها بما أوجبه من الاقتصار على هذه القراءة التى تلقاها الناس .

ويقوى هذا الرأى ويدعمه حديث التخفيف على العجوز والشيخ الكبير ومن التصريح فى بعضها بأن ذلك مثل : هلم وتعال .

وقال السيوطى « الاتقان ١ : ٤٥ والنشر ورقة ١٢ » ورد حديث نزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة ابى بن كعب ، وانس وحذيفة ابن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسلمان بن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمرو بن ابى سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام ابن حكيم ، وأبى بكرة ، وأبى جهم ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى طلحة الانصارى وأبى هريرة ، وأبى أيوب فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا ، وقد نص أبو عبيدة على تواتره .

واخرج أبو يعلى فى مسنده أن عثمان قال على المنبر : أذكر الله رجلا سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام . قال : فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك ، فقال : وأنا أشهد معهم .

ما معنى ورود القرآن على سبعة أحرف ؟

الحقيقة أن هذا الامر موضع خلاف وتأويل بين العلماء وليس هناك رأى أوحد نستطيع ان نقول هذا الرأى لا سواه هو الاولى بالاتباع من غيره . فقد قال السيوطى : اختلف فى معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا .. وسوف نعرض اهم هذه الاقوال واقربها الى المنطق والصواب وهى :

الاول — أنه من المشكل الذى لا يدرى معناه ، لان الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة . وهذا الراى لابن سعدان النحوى . وزاد الزركشى : لان العرب تسمى الكلمة

المنظومة حرفا ، وتسمى القصيدة بأسرها كلمة . والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة ، والحرف أيضا المعنى والجهة .

الثاني – أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التيسير والتسهيل والسعة ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة في الاحاد كما يطلق السبعون فى العشرات والسبعمائة فى المئين ولا يراد العدد المعين والى هذا جنح عياض ومن تبعه . ويرده ما فى حديث ابن عباس فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اقرانى جبريل على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف . وفى حديث ابى عند مسلم أن ربى أرسل الى ان اقرأ القرآن على حرف فرددت اليه أن هون على أمتى فأرسل الى أن أقرأه على حرفين فرددت اليه أن هون على أمتى فأرسل الى أن أقرأه على سبعة أحرف .

وفى لفظ عنه عند النسائى : « ان جبريل وميكائيل اتيانى فقعد جبريل عن يمينى وميكائيل عن يسارى ، فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف . وفى حديث أبى بكرة اقراه فنظرت الى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهت العدة ، فهذا يدل على ارادة حقيقة العدد وانحصاره .

الثالث : ان المراد بها سبع قراءات وتعقب بأنه لا يوجد فى القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه الا القليل مثل : « عبد الطاغوت » و « ولا تقل لهما أف » . قال الزركشى : – وهو اضعفها – وحكى عن الخليل بن أحمد والحرف ها هنا القراءة وقد بين الطبرى فى كتاب « البيان » ان اختلاف القراء انما هو كله حرف واحد من الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن وهو الحرف الذى كتب عثمان عليه المصحف .

الرابع : اجيب عن الثالث بأن المراد ان منه كلمة تقرأ بوجه أو وجهين أو ثلاثة أو أكثر الى سبعة ويشكل عليه أن فى الكلمات ماقرىء على أكثر .

الخامس : ان المراد بها الاوجه التى يقع بها التغاير – وبه قال ابن قتيبه والزركشى وابن عبد البر فيما حكاه عنه بعض المتأخرين قالوا : ان اختلاف القراء يرجع الى سبعة أوجه :

الوجه الاول : الاختلاف فى اعراب الكلمة أو فى حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها . نحو قوله تعالى « فنظرة الى ميسرة – ميسرة » « البقرة » ٢٨٠ « بضم السين » وقوله « ويأمرون الناس بالبخل – بالبخل » « النساء ٣٧ والحديد ٢٤ » بفتح الباء والخاء وقوله« **هؤلاءبناتى هن أطهر لكم وأطهر لكم**«**هود ٧٨**» **بنصب أطهر** »وقوله » **وهل نجازى الا الكفور وهل يجازى الا الكفور** « سبأ ١٧ » ببناء يجازى للمفعول ورفع راء الكفور وقوله « ما هن امهاتهم – المجادلة ٢ » برفع أمهاتهم ونصبها بالكسرة « ويضيق صدرى – ويضيق » « الشعراء ١٣ » .

الوجه الثانى : أن يكون الاختلاف فى اعراب الكلمه وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب . نحو قوله تعالى : « ربنا باعد بين اسفارنا – وربنا باعد بين اسفارنا » « سبأ ١٩ » بفعل الامر باعد « دعاء » وبالماضى اخبار – وقوله « اذ تلقونه – تلقونه » النور ١٥ بتشديد القاف وعدم تشديدها وقوله : « وادكر بعدامة » يوسف٤٥ » أمه يعنى نسيان – وهو كثير يقرأ به ، لما صحت روايته ووافق العربية .

الوجه الثالث : الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ولا يغير صورة الخط فى راى العين ، نحو قوله تعالى : « **وانظر الى العظام كيف ننشزها – ننشرها** » « البقرة ٢٥٩ » وقوله « حتى اذا فزع عن قلوبهم – وفزغ عن قلوبهم . سبأ ٥٣ وقوله « يقص الحق – ويقضى الحق » الانعام ٥٧ وهو كثير يقرأ به اذا صح سنده ووجهه لموافقته لصورة الخط فى رأى العين .

الوجه الرابع : الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله « **ان كانت الا صيحة واحدة – الا زقية واحدة** » يس٢٩ « **كالعهن المنفوش – وكالصوف المنفوش القارعة ٥** » وقراءة عمر «فامضوا الى ذكر الله» فهذا يقبل اذا صحت روايته ولا يقرأ به اليوم لمخالفته لخط المصحف ولانه انما ثبت عن آحاد .

الوجه الخامس : الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها فى الخط ويزيل معناها نحو « آلم ، تنزيل الكتاب » أول السجدة فى موضع – آلم ذلك الكتاب وقوله « وطلح منضود » الواقعة ٢٩ « وطلع منضود » فهذا لا يقرأ به ايضا ، لمخالفته الخط ويقبل منه مالم يكن فيه تضاد لما عليه المصحف .

الوجه السادس : الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو ماروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قرأ عند الموت « وجاءت سكرة الحق بالموت » ق ١٩ وبهذا قرأ ابن مسعود فهذا يقبل لصحة معناه اذا صحت روايته ولا يقرأ به لمخالفته المصحف ولانه خبر واحد .

الوجه السابع : الاختلاف بالزيادة والنقص فى الحروف والكلم نحو قوله : « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى – صلاة العصر** » **البقرة ٢٣٨** . **وقراءة ابن مسعود** « تسع وتسعون نعجة – أنثى »

(ص ٢٢) و « واما الغلام فكان أبواه مؤمنين وكان كافرا » الكهف ٨٠ وقوله « وما عملته أيديهم – وما عملت أيديهم » يس ٣٥ قال ابو عمرو، وهذا وجه حسن من وجوه الحديث وقال بعض المتأخرين وهذا هو المختار . قال : والائمة على أن مصحف عثمان احد الحروف والاخر مثل قراءة ابن مسعود وأبى الدرداء « والذكر والانثى » الليل ٢٣ . ومثل قراءة ابن مسعود : « ان تعذبهم فهم عبادك » المائدة ١١٨ . ونظائره فهذا يقبل منه ما لم يحدث حكما لم يقله احد ، ويقرأ منه ما اتفقت عليه المصاحف فى اثباته وحذفه نحو قوله « تجرى تحتها الانهار » فى براءة عند راس المائة و « من تحتها » وقوله فى سورة الحديد ٢٤ « فان الله هو الغنى الحميد – فان الله الغنى الحميد » والمصحف المنقول بالتواتر مصحف عثمان ورسم الحروف واحد الا ما تنوعت فيه المصاحف . وهو بضعة عشر حرفا . ونحو ذلك مما اختلفت فيه المصاحف التى وجه بها عثمان الى الامصار فيقرأ به . ولا يزاد شىء لم يزد فيها ، ولا ينقص شىء ما لم ينقص فيها .

وقد قسم ابن قتيبه الاختلاف فقال هو نوعان :

١ » اختلاف تضاد – ولا يجوز . ليست واجده بحمد الله فى شىء من القرآن الا فى الامر والنهى من الناسخ والمنسوخ .

٢ » اختلاف تغاير وهو جائز ، وذلك نحو قوله : « وادكر بعد أمة » اى بعد حين وبعد « أمة » اى بعد نسيان له ، والمعنيان جميعا وان اختلفا صحيحان لان ذكر امر يوسف بعد حين وبعد نسيان له . وكقوله « اذ تلقونه بالسنتكم » النور – ١٥ اى تقبلونه وتقولونه « وتلقونه » من الولق وهو الكذب ، والمعنيان جميعا ، وان اختلفا ، صحيحان لانهم قبلوه وقالوه وهو كذب .

وكقوله « ربنا باعد بين أسفارنا » سبأ ١٩ وعلى طريق الدعاء والمسألة و « ربنا باعد بين أسفارنا » وكقوله « وأعدت لهن متكأ » يوسف ٣١ . وهو المجلس و « **وأعدت لهن متكأ** » بضم الميم وسكون التاء وفتح الكاف وهو الاترج فدلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام . وكذلك « ننشزها » و « ننشرها » لان الانشار : الاحياء والانشاز هو التحريك للنقل ، والحياة حركة فلا فرق بينهما .

وايضا فزع عن قلوبهم و « فرغ » ، لان « فزع » خفف عنها الفزع ، وفرغ : فرغ منها الفزع .

ثم قال ابن قتيبة : وكل ما فى القرآن من تقديم او تأخر او زيادة او نقصان ، فعلى مثل هذا السبيل .

السادس : ان المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب ، وليس معناه أن يكون فى [كل] حرف سبعة أوجه ، فان ذلك قليل جدا فى القرآن مثل « وعبد الطاغوت – وجبريل – فلا تقول لهما أف » – أى نزل على سبع لغات متفرقة فى القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة تميم ، وبعضه بلغة ازد وربيعة ، وبعضه بلغة هوزان وسعد ابن بكر ، وكذلك سائر اللغات ، ومعانيها فى هذا كله واحدة .

والى هذا الراى ذهب : أبو عبيد القاسم بن سلام ، واحمد بن يحيى ثعلب وحكاه ابن دريد عن أبى حاتم السجستانى وحكاه بعضهم عن القاضى ابى بكر ، والزهرى وآخرون واختاره ابن عطية وصححه البيهقى فى الشعب وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة ، وأجيب بأن المراد أفصحها فجاء عن أبى صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن ويقال لهم عليا هوازن ، ولهذا قال ابو عمرو بن العلاء أفصح العرب عليا هوازن ، وسفلى تميم يعنى بنى دارم .

وأخرج أبو عبيد من وجه آخر عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بلغة الكعبين : كعب قريش وكعب خزاعة ، قيل : كيف ذاك ؟ قال : لان الدار واحدة يعنى أن خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغتهم .

وقال أبو حاتم السجستانى نزل القرآن بلغة قريش وهذيل وتميم والازد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر . واستنكر ذلك ابن قتيبة ، وقال : لم ينزل القرآن الا بلغة قريش ورده بقوله تعالى : **وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه** » ابراهيم ٤ . فعلى هذا تكون اللغات السبع فى بطون قريش وبذلك جزم ابو على الاهوازى .

وقال ابن عبد البر : قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض فى أول الامر ، لان ذلك من لغته التى طبع عليها .

وايضا فان عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم وكلاهما قرشى قد اختلفت قراءتيهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته .

ثم اختلف القائلون بهذا فى تعيين السبع فأكثروا ، وقال بعضهم : أصل ذلك وقاعدته قريش ، ثم بنو سعد ابن بكر ، لان النبى صلى الله عليه وسلم استرضع فيهم ، ونشأ وترعرع وهو مخالط فى اللسان كنانة ، وهذيلا ، وثقيفا ، وخزاعة ، واسدا وضبة والفافها لقربهم من مكة وتكرارهم عليها ، ثم من بعد هذه تميما وقيسا ، ومن انضاف اليهم وسكن جزيرة العرب .

البقية ص ١٤٥

الفاتحة معجزة القرآن

فى حقيقة المعرفة والوجود والمصير

الأستاذ محمد العفيفى

الله تعالى هو الملك الحق ؟ وهو المالك الحق ، وليس لمخلوق فى الكون كله أن يدعى لنفسه صفة من هاتين الصفتين على سبيل الاطلاق ، الذى لا ياتيه النقص ، من اى سبيل ، اذا لم يكن النقص والخضوع للفواصل والقواطع والحدود ، هو اساس مايعرض للناس من امور الملك وأمور الملك ، مهما تتصل ابعادهما طولا وعرضا وارتفاعا وانخفاضا .

وانه لاعجاز اى اعجاز ان تاتى الاية الرابعة من فاتحة الكتاب وهى قوله تعالى : « مالك يوم الدين » وقد جمعت بين قضية الملك ، وهو أعم من الملك ومتضمن لحقيقته فى قوله تعالى :

﴿ مالك يوم الدين ﴾

وبين قضايا الحقيقة الشاملة جميعا ، هذا الجمع الذى يجعلنا نفكر فيما نملك واى نقص يكون فى صميم مانملك .

ان الزمن هذا الوجود الحقيقى الذى لم يره احد قط ، ولم ينكره أحد قط هو اعظم شاهد للغيب الذى ينكره المنكرون ، فكيف انكروا الغيب وهم يعترفون بالزمن !

وكيف نسوا علاقتهم بالزمن ، الذى لا يملكون منه شيئا بينما هو الذى يحدد حقيقة مايملكون وحقيقتهم هم أنفسهم .

لقد جمع قوله تعالى « مالك يوم الدين » بين قضية الملك والملك وقضية الزمن اى « الاجل المسمى » الذى تستمر فيه حالة الملك أو الملك لاحد من الناس ، او حالة سيطرة ذرة على ذرة فى ملكوت الله فى مادة من مادة الكون ، او خلية من الخلايا فى حى من الاحياء .

وسنرى الان اى معجزة فى الجمع بين هذه القضايا فى صعيد واحد ، حين نرى اصغر لمحات الحقيقة فيما يتعلق بأمر واحد هو ملك الانسان وملك الانسان .

ان النهر المتدفق فى اجسامنا بما يغير من ذرات الخلايا تغييرا متواصلا ، لا يترك لاحدنا فرصة حقيقية لان يجد نفسه حيث هو ، اذا مرت اللحظة تلو اللحظة نتيجة لعلاقاتنا بقياس وجودنا بالزمن ، كما يبين لنا حدود هذه العلاقات ، دوران الارض المتواصل حول الشمس ، او انعكاس ضوء الشمس على القمر ، فماذا هو خط من النور ، أو قوس ، أو قرص او كرة نورانية تتعلق بها العواطف والاحلام ، قبل ان تندفع اليها مركبات الفضاء ، وتطأها اقدام الناس ، وما استقرت أقدامهم بعد على الارض ، كما ينبغى لها ان تستقر ، وهو استقرار لا يتحقق الا بالسير فوق الارض ، متدبرين ما نرى من اجزائها ، فيحجب غيره من الاجزاء ، ومهتدين من هذه التجربة الى الايمان بالغيب ، والوصول الى حقيقة مالك هذا الملكوت كله ، لاننا نرى كل متحرك فالى نهاية ، ونحن نتحرك ، والكون يتحرك ، فأين المصير !

وعودا على بدء ، كيف يملك متحرك متحركا ، والحركة دليل على التداعى والفناء ، دليل على التبعية لشىء يتبع شيئا آخر ، فى صلات جامعة ، مختلفة متنوعة ، فيها حركة المعنى ، بالمادة ، وحركة اللذة بالالم ، وحركة الوداع باللقاء .

فكيف اذن يسبح سابح فى بحر الوجود ، ويدعى انه يملك الموجة التى يسبح فيها ، بينما هى منصبة منه الى قرارها ، دون ان يشعر اى موجة هذه التى غمرته بمائها منذ لحظة او لحظات ، وأى موجة هذه التى انحسرت عنه .

ان حدود المعرفة الانسانية قاسية لا تعرف السكوت على باطل .

بل ان الانسان كما سبق من القول ، لهو نهر آخر متواصل السبح ، حتى ليمتنع على الانسان ، ان يجد نفسه حيث هو لحظة بعد لحظة .

ولقد شبه بعض الكتاب الاوربيين الانسان بهذا النهر المتدفق ، غير أنه لم يعقد المقارنة المذهلة بين نهر الكون ، ونهر الماء الذى تحد مرافئه ويسبح فيه السابحون وقد حفظوا ثيابهم على الشواطىء خشية البلل ، ونهر الخلايا البشرية الذى يؤكد لنا أن احدا لا يمكن ، أن يملك نفسه ملكا حقيقيا لحظتين متتابعتين .

اننا نرى بأعيننا ان النهر يصب فى البحر ، وتثبت تجاربنا أن دورة الماء دائرة بين بحر وسحاب وارض ميتة ، يهزها الغيث الاخضر فتنبت من كل زوج كريم .

ها نحن قد رأينا وجربنا ، فلنرجع البصر والتجربة كرتين ، كى نجد البذور وقد ماتت ، وانتشر عقدها مرة بعد مرة ، حتى اذا أجنتها الارض ، كما تجن موتانا ، واتصلت اسباب الحياة لها من ماء وضوء وغيرهما ، انتفضت البذور من موتها ، وازينت بثيابها الخضر ، تأوى الى أغصانها كل لحن ذى جناحين ، لهما من دنيا الالوان ما ينافس الوان الورد ويهزها طربا لكنوز الالحان والالوان ، ويالها من صلة عجيبة بين وحدانية الله فى نظام الكون ، وتوحيده لاسس الفكر القرآنى المعجز ، حيث نقرأ مما قوله تعالى عن عناد بنى اسرائيل ، وتبجحهم بما يواجهون به نعم الله من مقت وبغضاء .

« واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » البقرة الاية ٦١

وهنا نجد المصطلح القرآنى « **يخرج لنا مما تنبت الارض** » هو نفسه المصطلح الخاص بالظروف التى يمر بها الانسان ، بين موته وحياته ، كما نجد فى قوله تعالى :

« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ! طه الاية ٥٥

وقوله تعالى :

« ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون ! « فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم » الانعام الايتان ٩٥ ـ ٩٦

وفى الايتين السابقتين ، الى وحدة المصطلح القرآنى المعجز ، اعجاز فى تعميم خروج الحى من الميت باذن الله ، كما يبين ذلك الفعل المضارع يخرج ، ومواكبته للحظة الميلاد الدائبة ، كما يبين اسم الفاعل « مخرج » وجمعه بين موضوع المكان والزمان فى صعيد واحد ، كما رأينا فى تتابع الايتين ، الى تضمين الغاية القائمة فى اسمه تعالى المالك ، كما جاء فى فاتحة الكتاب ، باسمه تعالى العزيز وما يتبع ذلك من الضرورة الكونية الواصلة بين أجزاء الكون بعلم الله ، ويبين ذلك اسمه تعالى العليم ، كما يتضح ذلك كله من قوله تعالى : « **ذلك تقدير العزيز العليم** » .

وبعد ، افلا يدفعنا ذلك كله ، اذن ، الى عقد المقارنة بين هذه الانهار التى يسبح بعضها فى بعض ، ويسبح بعضها لبعض ، وهيهات ان تقترب هنا من الفكر الوجودى بفرعه الالحادى ، حيث يفصل بين المادى ويسميه موجودا فى ذاته ، وبين الشعور او الوعى ويسميه موجودا لذاته ، انه فكر لا يضيف جديدا الى الفكر الوثنى وسائر أنماط الخروج من الحقيقه والواقع ، حيث يقطع الصلة بين الوعى وموضوعه وكأنهما موجودان مستقلان ، أو حقيقتان مغلقتان لا تؤديان الى شىء .

أما المقارنة هنا فهى لزيادة الشعور باحكام الصلات بين الانسان وبين حقيقة الكون ، وحقيقه المالك الحقيقى الذى يملكه ، حيث وجوده ضرورة لا مفر منها لمخلوق ، لانه هو خالق كل شىء والمحيط بكل شىء ، ونحن ندرك ذلك بالحقائق العلمية نفسها ، قبل ما يملا سمعنا من أنباء الغيب .

ان ذرات الاوكسجين والايدروجين ، تظل على حالها فى رحلة الماء الدائبة بين النهر والبحر والسحاب ، والارض الميتة التى اهتزت وربت حين ضم اعطافها الماء .

فما بال نهر الخلايا فى جسد الانسان ، يعدم اعداما نهائيا ، يتخلص منه الطحال حين ينتهى الاجل المسمى ، لكل ذرة من ذراته ، فى الوقت نفسه الذى ينتج فيه النخاع ما هو جديد من الخلايا وذلك كله مصداق قوله تعالى : « **ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون** »

« **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين** »

« **هناك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون** »

« **قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا**

الضلال فأنى تصرفون . كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون » . يونس الايات من ٢٨ الى ٣٢ .

وكثيرة هى الاسرار فى هذه الايات البينات .. ولكن اكثرها علاقة بموضوعنا الاساسى هو السؤال القرآنى العظيم : **« من يملك السمع والابصار »** .

ان احدا غير الله لا يملك السمع والابصار ، لان السمع مفتاح العلوم الكليه علوم الغيب ، أما الابصار فهى مفاتح العلوم الجزئيه علوم الشهادة .

ولان أحدا منا لا يضمن ان تكون خلاياه التى تتكون منها عيناه ، هى هى ، فى لحظتين متتابعتين ، أو نظرتين متجاورتين .

والذى لا يملك نفسه ، على سبيل الحقيقة ، لا يملك غيره على أى سبيل .

كيف ذلك والحياة قائمة على الملك قيامها على الملك وما يقوم مقامه !! **كل شىء** فى الحيا ةعارية مستردة من الله والى الله .

والمقارنة بين نهر الماء الذى يصب فى مصابه ، دون تغير فى مادته ، ونهر الخلايا الانسانية الذى يشهد الموت والحياة مجتمعين ، دليل على اختلاف مواقع العمل والتغير ، او الكون والفساد ، كما كان يقول الفلاسفة الاقدمون ، فى ملك الله الذى لا يحد ولا يعد .

ان اطراد القاعدة وثباتها شىء ملازم لفقر التصورات الانسانية .

اما اصلاح الكون بالضرورات الكونية ، اى بأسس العمل الثابتة فى الكون ، وبغير هذه الاسس مما لا يمكننا ادراكه او الاحاطة به من علم الله ، وحكمة الله ، وملك الله وملك الله ، فهو من دلائل القدرة الالهية الشاهدة بعجز المخلوقات كلها ، أمام عظمة الخالق ووحدانيته .

ان الماء تقل كثافته اذا تجمد فيطفو على سطح البحار والمحيطات ، والشأن فى غيره مما يتجمد ان تزيد كثافته .

هنا ينقلب توازن القواعد الى تباين ، وأكثر من ذلك اعجازا ان الاحياء المائية وحاجتها الى الدفء وراء ذلك ، وأكثر من ذلك اعجازا ان التباين حين يتصدى للتوازن ، انما يدخل فى تقدير اعظم من كل تقدير ، حتى تظل الحقيقة الكونية على تسبيحها لمالك كل شىء ، مهما يملك شىء شيئا .

ولو تبين لنا كل ما يتصل من آيات القرآن العظيم ، بهذا المعنى ، وما يتصل به من الحقائق ، لتحقق لنا من العلم ما لا طاقة لنابه .

ان قضايا المادة ، والمادة هى نفسها عالم الشهادة ، وهى نفسها المكان .

وقضايا الزمان ، والزمان نفسه عالم الغيب ، الذى لا يمكن لاحد أن ينكره لشدة وضوحه ودخوله فى صميم الوجود الظاهر .

هذان معا ، لم يجمعا فى قوله تعالى : **« مالك يوم الدين »** .

الا لتتم معجزة كبرى للفكر الانسانى تهديه سواء السبيل فى قضايا الواقع الانسانى والمصير الانسانى ، على نحو لا يمكن أن يتحقق للانسان بعيدا عن القرآن العظيم .

ان بعض الناس بهفوة فكرية شديدة الهوان ، ينكر الحق جملة ، حين ينكر وجود الغيب ، وكل ما هو وراء واقعه ، الذى يكبله بفكرته القاصرة عن التجربه الحسية .

والانسان فى ذلك متناقض مع نفسه ، لانه لو وقف أمام هذه الدعوى ثابت القدمين الى ما لا نهاية ، لاعترف بان صحه دعواه مطلقة . فاى علم تجريبى اكد له ان المطلق فى الحياة كلها ، من نصيب صحة دعوى انحار لمطلق وحدها .

ويا له من تناقض بغير حد ، يثبت المطلق من اقرب طريق ، اى بافكار المنكرين له ، اللهم الا اذا نكصوا على اعقبهم الى جوار رايهم ، والنتيجه واحدةعلى كل حال .

ان هذا التقدير نفسه ليؤتى ثماره النافعة ، عندما ننظر فى قول اى فكر ينعى على التجريد ، ويتبرأ منه تبرءا من الحقيقة ، والايمان بها بالغيب .

انه لا يوافق على استخدام التجريد فى فكره .

وذلك لان التجريد قد تحقق بالفعل ، وهو يقول انه لا يحب التجريد .

ان البخل البحترى بلحظة الصدق النادرة .

هو الذى يترك قضايا الحق محاطة بهذا الخصام هذا اللدد .

وصدق الله العظيم ، اذ يبين لنا حدود ما يملك الانسان . وكيف ينزع منه تعطيل الصدق ما بيديه ، او فى مكنته من ممتلكات اليدين وممتلكات الضمير .

« قل لو انتم تملكون خزائن رحمه ربى اذن لامسكتم خشيه الانفاق وكان الانسان قتورا » . الاسراء الايه ١٠٠ .

والعلم والرحمة وصلتهما الوثيقة كما سبق من قبل . هما هنا اللذان منعا عن طالبيهما بمنع اصحاب دعاوى نكار الغيب ، التصريح بالحقيقة الناصعة وهم يعلمون ، ومن معجزات القرآن العظيم فى ذلك ان صيغه « تملكون » بفعل المضارع ، وفى صيغته الموجهة الى المخاطبين ، لم يوجهها القرآن غير مرتين تاليهما قوله تعالى « **قل ان أفتريته فلا تملكون لى من الله شيئا** » . وهذه الاية الى الاية السابقة ، فيهما كل ما نحتاج من حقيقة وحدانية الله ، وعلم الله .

ان الكون كله وهو يتحرك ويتداعى ويتطع رحلته من حدوث خلقه الى وجوده المحدود ، لا خلاء فيه ولا

ملاء ؟ كما يظن أصحاب الفلسفات القديمة ؟ إلى نهايته المحتومة التى أصبحت اليوم من العلوم الخاضعة للتجربة ، هذا الكون مطابق فى احتياجاته وضروراته ومواطن الخضوع والاضطرار فيه ، لصفات الله سبحانه ، مطابقة حاجة فى الكون ، الى عطاء لصفات الله يجبر نقص المادة ، بتمام خضوعها لخالقها سبحانه .

ان العجز فى الانسان ومادة الكون بلا حدود ، فلابد ان تكون قدرة الله تعالى بلاحدود . .وتعالى الله فان قدرته حقا بلاحدود .

ولقد جربنا فى هذا الحديث ان نعرف قدرة الانسان ، وقدرة الاشياء فى ان يملكها بعضها بعضا .

كما جربنا أحوال الصلات الجامعة لملكوت الله ؟ حيث لا جامع لاجزائه ولا محيط بها غير الله .
ولنجتزىء فى هذه اللمحة الخاطفة ببعض ما تقول كلمات الله فى ذلك .

« ولله ملك السموات والارض والله على كل شىء قدير » . آل عمران الاية ١٨٩ .

« ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء ! . المائدة الاية ١٧ .

« ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير » المائدة الاية ١٨ .

ان وحدانية الله هى النتيجة الحتمية لكل مقدمة تجريبية عملية ، فى ملكوت الله ، وكل حاجة يحكمها الاضطرار والحاجة فى ذات هذا الملكوت .

« ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون » الزمر الاية ٦ .

اما الانسان فمحدود ملكه وملكه هينة يسيرة ؟ كحدود حريته بين ضروراته وضرورات الكون .
يقول فرعون على عهد يوسف عليه السلام : « انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » .

انه اسير سنة النوم ، واسير حلمه الذى حلم ، وأسير الرموز التى كانت فى رؤياه ، سبع بقرات يأكلن سبعا .

فاذا صحا من نومه فليس هو تماما ، ذات الملك الذى كان اسير سنة النوم ، تغيرت خلاياه ، وتغيرت أحواله الخارجية ، لقد تغير هو وتغير العالم ، فلا يملك مما ذهب شيئا ، بدليل انه يحاول مواجهته باعتباره لا مرد له ، ولو كان هو هو قبل رؤيته ما رأى ، ماكان بحاجة الى علاج للموقف الجديد ، الذى ظل ثابتا بينما كل شىء قد تغير .

ونحن نجد فى آيات الله البينات ؟

« ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك اد قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت . قال انا احيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين » .

« او كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير » . البقرة الايتان ٢٥٨ و٢٥٩ .

أما « يوم الدين » كما يرد ذكره فى فاتحة الكتاب ؟ فهو يفتح علينا ابواب عدد من قضايا الفكر الكبرى ، فى حياتنا الانسانية ، وفى الحياة على اطلاقها .

ومن أهم ما يلفت النظر الى وجوب تدبر القرآن العظيم ، دون الاكتفاء بقراءته كما يقرا كل كلام ، ان لفظ اليوم قد جاء فى ترتيبه فى نهاية معجم الفاظ القرآن كلها .

فكانت فى ذلك اشارة الى اقتران علاقتنا بالحياة الدنيا ، التى ما زلنا نحياها بوقت محدود له نهاية كما كانت له بداية .

وبداية الكون المادى ونهايته ؟ أمر يثبته العلم الحديث بقوانين ثابتة تقطع طريق الغرور ، على الذين يدعون اليوم ، ان الكون المادى او ظواهره صنم كبير . قد ورث كل صفات أصنام الحجارة فى طفولة التاريخ البشرى .

ويتصل بذلك أن اختتام معجم الالفاظ القرآنية بكلمة اليوم ، فيه اشارة الى حتمية نهاية الحياة الدنيا لا بالموت ، فليس الموت غير مرحلة من مراحل التغير الفاصلة فى الحياة ، وانما بحتمية اليوم الاخر .

وما احتواء قوله تعالى « **مالك يوم الدين** ! لاكبر القضايا المتصلة بالزمان والمكان ، والمعرفة والوجود والتغير ، على سبيل القطع اليقينى ؟ لا سبيل المحاولات التى تقدمها نظرية من النظريات ، الا لانها تقدم ثلاث مصطلحات فى ثلاث كلمات ، تنطلق بها الحقيقة المعجزة فى سائر آيات القرآن العظيم . فى ما تتم به المعرفة اليقينية كاملة بغير حدود فى الابواب المتصلة بتفصيلات فاتحة الكتاب جميعا .

تطوّر الإنسان في القرآن

لآيات القرآن الكريم ، فى التطور : وبيان حقائقه ، والاشاره الى صوره ، حكمتان : حكمة عقلية ، وحكمة روحية أو خلقية .

أما الحكمة العقلية ، فقوامها أن يدرك الانسان المسلم ، أنه هو يتطور ، وأنه وصل الى ما وصل اليه فى بدنه ونفسه وعقله ، ودينه ودنياه ، بفضل التطور ، وان يدرك أن كل ما حوله يتطور : الحيوان والنبات ، والجماد : والافلاك والشموس والاقمار ، والجبال والبحار والانهار ، والسحاب والبخار والامطار . كلها تتغير ، وتتحرك : وتأخذ حسب سنة الله فى مخلوقاته : صورا وأشكالا ، فى اليوم الواحد ، وفى السنة بشهورها ، وفى الآماد والحقب والاجيال .

والتفات ذهن الانسان المسلم الى هذه الحقيقة الكبيرة ، ينفعه فى أكثر من وجه : فالعلم فى ذاته ، غاية وهدف للانسان المسلم : رجلا كان أو امرأة ، لان العلم قوة ، وزاد ، لا يدخل عقل الانسان ، حتى ينتقل الى نفسه ، وأسلوب حياته ، ومنهج معيشته وطريقة تعامله مع اخوانه فى المجتمع . صحيح أن الناس تتفاوت من حيث الافادة من العلم ، ومن هنا أمر الله المسلمين فى شخص نبيهم «وقل رب زدنى علما ! ومن هنا أيضا قال القرآن الكريم «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » والوجه الثانى أن يحاول الانسان المسلم ، الافادة من حقيقة هذا التطور ، ومساره ، وآثاره ، وأن يتقى المضار التى تلحقه ، ان هو غفل عنه ، أو وقف فى طريقه ، دع عنك تحديه وانكاره .

الأستاذ فتحى رضوان

واذا كان الله تعالى قد قال فى سورة واحده « **وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار** » « **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** » . « **وسخر لكم الليل والنهار** » ثم قال عز وعلا فى سوره النحل « **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر** » « **وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا** » كما قال تبارك فى سورة الحج : « **الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض** » وفى سورة لقمان ، « **ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض** » . اذا كان الله تعالى قد من على الانسان بما سخره له ، من الضخم العظيم ، من مخلوقاته ، وجعله سيدا لهذه الكواكب والاقمار ، والنجوم ، ودواب الارض وهوامها . وما يلج فيها وما يخرج منها ، وما يعرج فى السماء ، وما ينزل منها ، فالسبيل الوحيد ، لتحقيق هذا التسخير ، هو اولا التأمل فى هذا الكون ، ومعرفة السنن التى اودعها الله فيه ، والاهتداء الى مفاتح هذا الكون ومقاليده ، لادارتها ، فاذا هو طائع ، يمنح الانسان العالم ، المفكر ، المتدبر ، خيراته ، كأنه حيوان أليف ، يتبع سيده ، ويلبى اشاراته ، ولا يعصى ما يؤمر به .

فاذا أحسن التأمل ، واطال النظر فى خفايا هذه الكائنات وخباياها ، وأسلوب تلوثها وتحللها ، وطريقة نموها وزواجها واتصال بعضها ببعض ، و تأثير بعضها فى بعض ، زاد سلطانه عليها ، ونفعه منها ، وزاد قربى لربه الذى وعد عباده بالزيادة فى كل شىء فى قوله تبارك وتعالى : « **لئن شكرتم لأزيدنكم** » . وقد قلنا من قبل ، أن خير وسيلة لشكر الله ، هو التفكر فى انعمه ، أى فى أكوانه ، وبدائع مخلوقاته ، والسعى الحثيث للاهتداء الى نواميسه والوقوف على قوانينه .

والانسان الذى يسعى هذا السعى ، وهو لا يدرى الف باء البحث والتنقيب ، اى سر أسرار الكون ، وهو تطوره ، أشبه شىء بمن يدخل الى الصحراء ، وهو لا يدرى تقلب الاجواء فيها ، وما تخدع به السائر فى دروبها ، والسارى فى وهادها ونجادها ، من سراب و « اخيلة » ، فتطور الانسان ، وقدرته على التحول والتكيف ، وانتقاله منذ خلقه الله فى هذه الارض ، من طور الى طور ، وانتقاله هو نفسه منذ دبت فيه الحياة ، فى ظلمات الرحم ، حتى يعود الى ظلمات القبر ، هو الحقيقة البدهية ، التى يؤدى العلم بها ، الى بدهيات اخرى تتسلسل وتتعاقب ، فى انتظام بديع ، واتساق رائع .

ولولا اهتداء الانسان الى قانون التطور لما اهتدى الى القوانين الضابطة والحاكمة لهذا الكون ومخلوقاته من أحياء وجمادات : فالحرارة والبرودة ، والصلابة والسيولة ، والتمدد والانكماش ، ليست الا مظاهر هذا التطور وصوره .

بل التأثر بقانون التطور ، والتأمل فيه ، هو الذي قاد خطى الانسان الى كشف أكبر القوانين العلمية حقا وصدقا ، هو قانون التوحيد . اذ لولا أن الانسان قد عرف أن لهذه الاكوان جميعا الها واحدا ، وأن له قانونا واحدا ، ثابتا لا يتغير ، مهما تغير الزمان أو المكان ، فى القديم والحديث ، فى جميع القارات ، وكل المحيطات ، لبقى الانسان عبدا واسيرا للخرافة والشعوذة ، وللذين يتسلطون على عقول الناس ونفوسهم ، بما يثيرونه فى تلك العقول والنفوس ، من مخاوف باطلة ، واوهام زائفة ، بفضل اتقانهم لترويج الخرافة ولاستغلال الشعوذة .

ولقد روى لنا القرآن ، نموذجا ، لاهتداء الانسان ، الى القانون الاسمى ، وهو قانون التوحيد ، بالاهتداء الى قانون التطور ، وذلك فى قصة ابراهيم الخليل عليه السلام ، فى سورة الانعام :

« **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ، وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل ، رأى كوكبا ، قال هذا ربى ، فلما افل ، قال لا أحب الافلين : فلما رأى القمر بازغا ، قال : هذا ربى ، فلما افل قال ، لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين : فلما رأى الشمس بازغة قال ، هذا ربى ، هذا اكبر ، فلما أفلت ، قال : يا قوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى الذى فطر السموات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين** » .

ولقد بدأت هذه الايات بقول الله تعالى « **وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض** ! أى أن اهتداء ابراهيم عليه السلام ، بدأ بالنظر فى السموات والارض ، فلم يصل الى الايمان بالله ، والاهتداء الى خالق الاكوان الاكبر ، الا بتأمل ظواهر الكون المتطورة والمتغيرة ، واجراء المقارنة بين النجم اللامع ، والقمر الساطع ، والشمس البازغة ، ثم بتبينه أن هذه الاجرام جميعا تختفى ، وذهنه لم يتفتح الى استنباط الحقيقة المستفادة من ظهور هذه الاجرام واختفائها من تباين أحجامها ، واختلاف نصيب كل منها من الضوء ، الا بعد أن تدرب على منهج استنباط الحقائق من تأمل كل ما حوله . ولقد روى لنا القرآن الكريم هذا المثل ، ليرينا أن تأمل ملكوت السموات والارض ، هى سنة صالحة ، وان عاقبتها هى الوصول الى أكبر الحقائق ، التى حينما تمتلىء نفس الانسان بها يتحرر من الخوف الذى هو الحائل الاكبر دون رقى الانسان ، واستزادته من القوة والمنعة والسيادة والخوف من مظاهر الطبيعة المجهولة ، والخوف من الانسان الاخر حاكما كان أو كاهنا ، لينطلق من أسر الاكاذيب الشائعة التى ترتقى باطلا الى مستوى الحقيقة ، وتأخذ مكانها ، ومن أسر المتسلطين الذى يكسبون من استبقاء الجهال ، فى الجهل ، والضعفاء فى الضعف ، والفقراء فى الفقر .

هذه هى الفوائد التى يجنيها الانسان ، فى مجال العقل ، من الاهتداء الى قانون التطور . اما خيرات الاهتداء الى هذا القانون ، الروحية او الخلقية ، فهى كشف أثر تطور الانسان فى المجتمعات ، وطواعية الانظمة ، والاحوال البشرية ، للتطور والتغيير . وواجب الانسان على دفع كل نقص وعيب وقصور وظلم فى مجتمع الانسان ، ليكون افضل وأحسن وأعدل وأسلم ..

فلو لم تقم الادلة على القانون الاسمى « **وتلك الايام نداولها بين الناس** » و « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** » لاستكان الانسان الى الظلم ، والفساد ، والجهل ، ولما كانت لرسالة الرسل ، اثر ، ولا نفع .

وقد قلت وأكرر أن قانون التطور فى القرآن ، قانون مادى أو علمى ، وروحى اى خلقى ، فهو يشمل الكون بمادياته ، ويشمل الانسان الفرد ، والانسان فى المجتمع ، فيبين قوانين المادة وقوانين الانسان ، من حب وكره ، وتجمع وتفرق ، وتقدم وتأخر .

والقسمان ، قسم المادة وقسم الروح ، أو قسم العلم وقسم الاخلاق ، ليسا جزئين منفصلين ، بل هما عنصران فى شىء واحد . فما يعرفه الانسان ، ينعكس على علاقاته بأهله ، وبغيره ، وبخالقه ، وما يفيده الانسان من كشف قوانين الانسان الداعية الى رقيه ، وقوانين تدهوره وانحطاطه ، يعينه على تحصيل المعرفة العقلية ، وحسن استيعابها ، وتبويبها وتصنيفها .

واذا أردت أن أضع تحت نظرك صورة لهذا الكون المتطور ، السائر دائما ، المتحرك دائما الذى لفت القرآن الكريم الى تحركه وتطوره ودورانه ، فيما نقلت اليك من بعض آياته المبينات ، فهذه فقرة من كتاب عالم عربى مسلم ، الاستاذ أحمد زكى يقول لك :

انه طريق الحياة ، العريض ، الواسع ، الفخم ، يحمل الخلائق الوفا مؤلفة ، وهو كالنهر ، يبدأ عند منبعه بميلاد ، وينتهى عند مصبه بانصباب فى ذلك المحيط الاعظم ، الذى لاتكاد تدرك له غورا ، وتأتى الشمس الى هذا المحيط ، تستخلص منه الحياة سحبا ، تعود بها الى تلك المنابع ترويها وتغذيها ، لتعود سيرتها الاولى من ميلاد فى أعالى الارض عند منبع ثم انصباب آخر عند محيط فى دورة لا تنتهى » .

أليس هذا الذى يقوله العلم فى كلام كثير ، يقوله كتاب الله العظيم فى كلمات « **الم تر أن الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ، ثم يخرج به زرعا ، مختلفا الوانه ، ثم يهيج فتراه مصفرا** » او قوله تعالى : « **الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا**

فيبسطه فى السماء كيف يشاء ، ويجعله كسفا ، فترى الودق يخرج من خلاله » وغير ذلك كثير .

وحيرة ابراهيم الخليل عليه السلام ، وهو ينظر الى السماء ، هى حيرة العالم اليوم ، تماما ، لان الانبياء هم ائمة العلماء والعلم ، جاء العلماء على اثرهم ، واهتدوا بهديهم ، يقول نفس العالم :

« يرفع الرجل المتعبد كفيه الى السماء ، يدعو ربه ، فيقولون كفر ، فليس الرب يوجد فى مكان بعينه ، ولكنه يوجد فى كل مكان ، وهل رفع الرجل المتعبد الى السماء ، الى مكان معين ؟ وكيف والسماء تدور ، يرفعهما الرجل الى مكان بعينه ؟ انه يرفعهما الى كل مكان ماتواتر الزمان . آن هذا الذى هو فوقه « ، كان منذ نصف يوم « تحته » والذى هو على يمينه « كان منذ نصف يوم على يساره » » .

وقد سبق القول أن القرآن الكريم قرر ، فى معرض بيان تطور الانسان ، أصل الانسان فرده الى المادة من جهه ، كما كشف عن الاصل المشترك بينه وبين جميع الاحياء من جهه أخرى ، ثم افصح عن فضل الانسان على جميع الاحياء من جهة ثالثة .

اما أصل الانسان المادى فتكشف عنه آيات منها « **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون** » ومنها « **ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين** » ومنها « **ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب** » وعن صلة الانسان بالارض وارتباطه بها قال تعالى : « **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** » .

وعن وحدة الحياة ، قال تعالى « **وجعلنا من الماء كل شىء حى** » كما قال « **وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم !** » .

وليس ثمة مجال يتضح فيها تطور الاحياء مثل عالم الحيوان الاعجم ، الذى سخره الله للانسان فيما سخر من مخلوقاته تبارك وتعالى ، ولذلك لا تجد كتابا من كتب الانسان ، سماوية أو بشرية ، احتفل بعالم الحيوان ، ودعى الى التأمل فيه ، ونعنى بالكتب السماوية أو البشرية ، ما كانت كتب عقائد وتأصيل أصول الحياه الانسانية الكبرى . فان ضرب الامثلة بالحيوان عديدة ، لبيان الافكار القرآنية من ذلك . « **ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** » ومنها : « **ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ، ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا ، لا يستنقذوه منه !** . ولعل من الامور التى تخفى عنا ، أن أكبر سور القرآن ، وأول سورة فى الجزء الاول منه ، هى سورة تحمل اسم حيوان اعجم تلك هى « **البقرة** » ، والسورة السادسة ، وهى من السور الطوال تحمل اسم « الانعام » . ولفظ الانعام يتكرر فى القرآن كثيرا ، ثم هناك سورة تحمل اسم « العنكبوت » ، وأخرى تحمل اسم « النحل وثالثه تحمل اسم « النمل » فلا عذر للانسان المسلم ان هو اغمض عينيه عن هذا الكون ، وعن دراسة جميع عناصره الحية ، والجامدة ، وعن تبين صلاته بها ، ووجوه الشبه بينه وبينها ، وتفوقه عليها ، وتميزه بميزة الروح عنها جميعا ، فالانسان المخلوق من طين او طين لازب أو حما مسنون او صلصال كالفخار أو من تراب ، والذى خرج من الارض ثم سيعود اليها ، ثم سيخرج منها ، والذى تربطه بالحيوان الاعجم وشائج فقد خلق مثله من ماء ، ثم هو بحكم القرآن أمة ، ودواب الارض وطيور السماء امم مثله ، ولكن يأتى بعد ذلك كله ، قول الله تعالى فى سورتى « الحجر » و « ص » « **فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** » وهو خطاب موجه من الخالق الاعظم للملائكة ، مخلوقاته التى لا تعصى له أمرا ، فلا تعرف الذنب ، ولا تقارف الخطيئة .

هذه قمة التطور ، التى لا تقف عند حد التسامى المادى العضوى ، بل تخرج من نطاق المادة تماما ، الى نطاق تقف الحيوانية والمادية دونه بمراحل كثيره ، وهذا هو الجانب الذى تعلو فيه نظرية التطور فى القران ، عن اية نظرية أخرى ، علمية او فلسفية ، فالقران لا يغفل عن حقائق الانسان الواقعية المادية الارضية ، عن صلاته بالماء والهواء ، بالاسماك والطيور ، بالارض بالتراب ، ويدعوه الى التسليم بانبعاثه منها ، وخروجه من امتزاج واتحاد عناصرها ، ثم يدخل على ذلك كله ، ذلك العنصر المجهول ، الذى لم يستطع العلم ان يطرق بابه ، ولا أن يجوس خلاله : عالم الروح ، التى هى - باجماع علماء المادة - من أمر ربى .

ولكن نظرية القرآن - كما سبق ان قلنا - لا تقف عند حد الجانب المادى ، من الكون ، ولا عند الانسان ، بوصفه وحدة من وحدات هذا الكون ، بل انها تشمل جانب المجتمع الذى تدخل دراسته فى نطاق العلوم التى تسمى الان بالعلوم الانسانية ، التى منها علم الاجتماع والتاريخ .

ولقد أورد القرآن فى هذا المجال ، المبدأين الكليين اللذين سلفت اليهما الاشاره ، أولهما مبدأ الصراع بين الناس .

وثانيهما مبدأ غلبة الاعظم نفعا أو الاقوى بالمفهوم الاجتماعى لا بالمفهوم الحيوانى .

فالمبدأ الاول قررته الاية الكريمة « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض !** » .

والمبدأ الثانى قررته الاية الكريمة : « **فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض** ! » .

ولكن الى جانب هذين المبدأين الكليين ترى العديد من الحقائق الاجتماعية التى يهنىء علم الاجتماع الحديث نفسه ، اذ اهتدى اليها وقررها .

من ذلك مبدأ تدهور المجتمعات ، وانحسار قوتها ، بغلبة الترف على أهلها . ومبدأ بدا ضعف المجتمعات ، عند وصولها الى قمة قوتها ، لما يطرأ على السادة فيها من الاستئثار بالسلطة ، وتجميع الثروة ، والاستبداد بالضعفاء ، وحرمانهم من حقوقهم الاساسية .

فمن ذلك ، قول الله تعالى فى سورة الاسراء : « **واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها** » **ومعنى الاية ، انه** اذا بلغت قرية اى مجتمع انسانى ، الغاية من الفساد ، أمر الله سادتها ، الذين ينعمون بالسلطة وبالثروة ، ويتقلبون فى اعطاف النعيم ، بالعودة الى الحق ، فلم يلتفتوا الى مبادىء الصلاح المؤدية الى القوة ، وآثروا جانب الفسق والطغيان ، فحق عليهم ان ينفذ فيهم قانون الحياة ، القانون الذى يقضى بان عاقبة الفساد هى الهلاك . ويتكرر حديث القرآن عن الترف والمترفين ، مقرونا بسوء العاقبة ، وزوال السلطة ، والنعمة معا .

اما بدء التردى فى الضعف ، عن بلوغ الانسان الى غاية القوة المادية واكتفائه بهذه القوى المادية ، دون المقومات المعنوية ، فتراه فى الاية الكريمة « **حتى اذا اخذت الارض زخرفها ، وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلا او نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس** ! » .

واذا أردت أن تعرف سر **فساد** الامم ، وهلاك سلطانها ، فان جزء من آية من القرآن الكريم تبرزه لك فى أربع كلمات ، « **وبئر معطلة وقصر مشيد** » فالمجتمع الذى تشاد فيه القصور ، وتهمل فيه المرافق التى لا غنى عنها للناس ، هو المجتمع الذى يصح فيه قول الله تبارك وتعالى ، « **فكاين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ، وبئر معطلة وقصر مشيد** » .

ولقد شهد القرن العشرين ، مولد فلسفة التاريخ ، على يد اشبنجلر ، مؤلف كتاب « انحلال الغرب » وقبله وضع « جيبون » مؤلف كتاب « سقوط الامبراطورية الرومانية مبادىء عامة أو بذوراً لهذه الفلسفة ، وسبقهما الى ذلك الفيلسوف الاسلامى المغربى ابن خلدون ، ولكن هذه المبادىء جميعا ، ترى ما هو اصح منها ، وأشمل ، واعمق ، ما انتثر فى آيات القرآن الكريم ، من أحكام ، لم تكن الغاية منها بطبيعة الحال ، وضع منهج لدراسة التاريخ ، او لتقرير مبادىء لاستنباط معانيه الكلية ، بالمعنى المدرسى ، ولكن ما انطوت عليه من الحقيقة ، وما استظهرته من أصول الحياة الانسانية ، هاد تماما الى هدف التطور الانسانى ، وغايته ، ومساره .

وجملة القول أن القرآن لم يدع وسيلة لقرع الاذهان ، وتنبيه النفوس ، الى تطور الكون الدائم ، وتطور الانسان معه ، ليكون الانسان اقدر على الحياة ، وعلى استخلاص أسباب القوة ، والنجاة من دواعى الضعف والتحلل ، فالقرآن يؤمن بأن الحياة حق الاقوياء ، ولكن القوة عند القرآن ليست مادية بحتة ، وان لم تخل قط ، من عناصر مادية . فالمسلم لا يملك ان يحطم بدنه ، ولا ان يهمل حاجياته ، ولا ان يقنع بالدون ، بين الاحياء ، ولا ان يزهد فى متع الحياة ، وأطايب لذائذها ، وان كان مؤمورا بأن ينأى عن الترف ، لانه استئثار بأكثر مما يحتاج اليه بدنه وحياته الرفيعة من الملبس والمأكل والمسكن ، ولان هذا الترف ، هو بداية انحلال المجتمعات ، فتقبل الظلم ، وتتعاطاه ، وتسلب الضعفاء حقوقهم ، حرصا على متع الحياة الدنيا ، التى هى متاع الغرور .

فتنبيه القرآن ذهن المسلم الى قانون التطور ، وتحذيره من تبين آثاره ، غايته ، أن يتقدم الانسان ، والا يجمد ، لان تطور الكون الدائم ، هو سير الى ما هو اعلى واسمى بدلالة قول الله تعالى : « **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا** » « **وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين** » « **وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق** » .

فسير التطور كما قلنا ، ليس سيرا اعمى ، بل هو مستنير ، ولكن ما ايسر ان ينحرف الانسان ، وان كان قابلا دائما للتطور نحو الافضل والاقوى والاعظم . ولكن لا يتيسر له الوصول الى ما هو اسمى الا بالاهتداء الى منهج القرآن فى الحياة ، وهو منهج يستدعى اللجوء الى القوة النفسية والروحية التى تلتزم ضبط النفس ، وصبرا على التقشف ، وسهرا فى وجه عوادى التحلل والهلاك . فعقيدة التطور هى عقيدة الاحياء الاقوياء الظافرين .

فسير التاريخ ، وتطور الانسان ، يختلف تماما عن سيره عند شبنجلر ، الذى يقول ، كما جاء فى كتابه

الدكتور عبد الرحمن بدوى « لا تنخدع بهذه الامال المعسولة ، آمال السلام الدائم والطمأنينة الهادئة ، فان الحياة كفاح ، ولا تعرف غير الكفاح ، والانسان حيوان مفترس ، ولا يمكن الا أن يكون كذلك ، وما هؤلاء الدعاة الا منافقون خبيثون فقدوا انيابهم ، ونزعت منهم اظفارهم ، فحقدوا على من لها مالكون » .

فالحياة عند الاسلام ، كفاح كما يقول شبنجلر وكفاح دائم : « **يأيها الانسان أنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه** » « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض** » والمسلمون أشداء على الكفار ، محمد رسول والذين معه أشداء على الكفار ، ولكن هؤلاء الاشداء ، ليسوا فقط « رحماء بينهم » ، بل « **تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا** ! » .

فالانسان حيوان مفترس حقا ، يأكل لحم أخيه ميتا وحيا ، وهو « قتور » و « كفور » **وأنه « ليطغى أن راه استغنى »** « **وانه لحب الخير لشديد** » « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة** » هذه كلها حقائق يقررها القرآن ويعلنها ، ويؤكد ، ويبدأ القول فيها ويعيد ، ولكن ما أن ينقلب الانسان الى مسلم ومؤمن ، حتى تراه قد استحال الى مخلوق جديد ، يكره العنف ، الا مضطرا ، ويستعمل السلاح حتى تسود كلمة الحق ، فان اسلم المعاندون فاخوان المسلمين وشركائهم فى الخير والشر ، يقتسمون معهم لقمة العيش ، وشربة الماء ، ولا يتفاضلون الا بالتقوى والعمل الصالح .

ويحذر شبنجلر الناس من وهم ان الحضارات حلقات متصلة ، فى سلسلة محكمة الاواصر هذه تفضى الى تلك ، درجات فى سلم الرقى ، والانسان بفضل هذه السلسله الوثيقه الحلقات ، ينتقل حتما من خير الى خير أعظم منه ، ومن سلام الى سلام أكثر استتبابا ، واعظم انتشارا . ففى تاريخ الانسانية نكسات وردات عودة الى الجاهلية والشرك ، ولقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المسلمين ، بأن الاسلام سيعود غريبا كما بدأ ، وأنه سيأتى عهد يكون فيه القابض على دينه ، كالقابض على الجمر ، كما قال ، يوشك أن تتداعى عليكم الامم من كل أفق تداعى الاكلة الى قصعتها » قيل : يا رسول الله امن قلة منا نحن يومئذ ؟ قال ، لا ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، يجعل الوهن فى قلوبكم ، وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت » .

فالمسلمون انفسهم ، سيدال عليهم ، سيضعف شأنهم ، ويزول سلطانهم ، وتغلبهم أمم غيرهم ، لانهم سيصبحون كغثاء السيل ، يتطاير فى الهواء لادنى هبة ، وقد قال الله تعالى : « **فأما الزبد فيذهب جفاء** » ، فتطور الانسان فى القريب ، ليس تطورا مضمونا ، فى كل زمان ، وعند كل قوم ، بل لابد لاستهدافه الغاية التى رسمها الله للانسان ، بأنه لم يخلق السموات والارض الا بالحق ، وأنه تعالى لم يخلقهما باطلا ، الا ان يكون المسلم حريصا على الحق ، ملتزما اياه والحق ، معناه الصدق والشجاعة ، والصراحة وانكار الذات ، وفى جملة ملتزم ما قاله الله تعالى : « **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم أجر غير ممنون** »

وبعد ، فليس التطور ، انفلاتا من سنن الله ، التى لن تجد لها تحويلا ولا تبديلا فالتطور هو فى اطار من ثبات القواعد الكبرى التى اقام الله تعالى اكوانه على اساسها ، فالتطور نفسه ، وان كان تغييرا وحركة ، الا انه سنة ثابتة ، وسير الاحداث المتدافعة ، وان بدا محموما وعنيفا ، كالسيل العرم ، الا أنه محكوم ، لا يجرى اعتباطا ، ولا يكتسح فى وجهه قوانين الجاذبية والحرارة وغيرهما من قوانين هذا الكون ، المضطردة ، ولا قوانين الله التى تحكم مخلوقة الاسمى : الانسان . ونعنى بها التقوى والعمل الصالح ، ودفع الاذى ، والتعاون من أجل الخير ، اى العمل من أجل انسان أرقى وأعظم ، واكبر حظا من العلم ومن السعادة .

العلم فى القرآن

وجهاً لوجه

سليمان وجنوده أمام نملة !

يقول سبحانه وتعالى فى سورة النمل « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكا من قولها وقال : رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »

صدق الله العظيم

الدكتور أحمد حسنين القفل

اسمع وتسمع ايها القارىء الكريم عن الجيوش الحديثة وما زودت به من أحدث ما توصل اليه علم الانسان من اجهزة الدمار وادوات التخريب ومن أشياء تقشعر منها الابدان ويشيب من هولها الولدان فيسمع عن القنابل الذرية والاجهزة الالكترونية والصواريخ بأنواعها وتباين اغراضها وعن الدبابات على اختلاف صورها وعن الطائرات والقاذفات والعربات المصفحة وما الى ذلك من معدات واسلحة متنوعة ومتباينة ،ونتساءل : هل سخر الله الانسان عقله وميزه به على سائر مخلوقاته ليخترع به هذه الادوات المدمرة وليكون وسيلة للاضرار وجلب النكبات ؟ أم سخر الله للانسان عقله ليكون وسيلة لجلب النفع ودرء الضر ومسلحا لكل خير ؟ عجبا لهذا الانسان ! وهبه الله العقل ويسره له ليكون نعمة مباركة وخيرا سابقا ولكنه يجنح به وينحرف ليسخره للشر وجلب النقم . وصدق الله :

- **أن الانسان ليطغى ان رآه استغنى**
- **أن الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد**
- **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين .**

ومع اننا ننظر الى مثل هذه الجيوش الحديثة المزودة بأعتى الاسلحة وأمضاها واقواها نظرة تعجب واستغراب الا انها لو قورنت بمثل جيش سليمان المسخر للخير وللنفع ودفع الضرر لما كان هناك وجه للمقارنة لشدة المفارقة وبعد الشقة بين هذا وذاك !!

١ - فقائد هذا الجيش هو سيدنا سليمان ابن سيدنا داود وهما من قال الله فيهما : « **ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين** » وقائد أهداه الله علما وفضله على كثير من عباده المؤمنين وهو مقر بنعمة الله ودائم الحمد له سبحانه ، قائد هذا وسيرته وتلك شيمته وذاك مبلغ ايمانه ، لا يمكن أن يذله الله بالقهر ولا أن يمكن منه أعداءه وحزب الله دائما هم الغالبون . ولقد زاد الله هذا القائد على فضل حتى جعله ينطق بمقال القرآن الكريم فيقول« **قال : يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ان هذا لهو الفضل المبين** » والولد الصالح - سليمان - والاب الصالح - داود - قد حباهما الله فضلا بلا حدود ونعما بلا قيود فالحق سبحانه بشأنهما يقول « **ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد ، أن أعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا ، انى بما تعملون بصير . ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور** » .

ذلك الفضل من الله ، الوالد الصالح يسبح ويحمد ، فتستجيب الجبال والطيور لتردد تسبيحه

وتمهيده ؟ والحديد ذو البأس الشديد له يلين باذن ربه أما الابن القائد فقد سخر الله له من الامكانات ما سوف نفصله فيما بعد وحسبه شهادة ربه فيه **« ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب »** .

٢ ـ أما جنود هذا القائد الذين يتكون منهم جيشه وما حبا الله هذا الجيش من امكانات وقدرات تجل عن الوصف وتزيد على الحصر فانى أضع بين يدى القارىء الكريم لمحة عنها ، والمقام هنا يستدعى التلميح الذى نستقيه من كتاب الله ومن كتب التفسير أما الواقع الصريح فقد لا تدركه الافهام « **وما يعلم** جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر » .

علم الله القائد سليمان منطق الطير وجعل الطيور على اختلافها من أجناده ، وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء اذا ما اراد البركة وعاصفة اذا شاء التدمير وجعله مسيطرا ومهيمنا على الجن مردتها وشياطينها يعملون له ما يشاء وملكه الصافنات الجياد ، هذا بالاضافة الى اجناده من البشر .

١ ـ والطيور مخلوقات يسرت فى الغالب لتملك زمام الجو فهى تركب متن الريح تسبح فيه دون عوائق **« أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن أنه بكل شىء بصير »** ـ **« ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله ، ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون »** . والطيور أنواع شتى منها القوى الكاسر ومنها الضعيف المثابر ولكل انواع بيئاتها ومهاجرها « **وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم** » ومن الطيور أنواع أوابد لا تغادر الاقطار التى تسكنها عادة ومنها القواطع أو المهاجرة وهذه منها ما يقطع المسافات الشاسعة دون توقف الا لماما فهى تبذ بذلك الطائرات التى يلزم أن تزود بالوقود على فترات قصيرة بل ان الطيور أكفأ من الطائرات اذ منها ما يطير على صفحات الماء الشاسعة كالمحيطات وهى خالية من المعالم والعلاقات ومع ذلك فهى لا تضل طريقها ولا تخطىء وجهتها ، والطائرات تستعين على معرفة الاتجاه بالبوصلة والاجهزة التى تتزود بها أما الطيور فان صفاتها التشريحية لا تبرز جهازا خصص لاداء هذه المهمة ومن ثم فيعتقد العلماء بوجود حاسة سادسة الطير ـ لا توجد فى الانسان ـ يستطيع بها الطير أن يحدد مكانه واتجاهه بطريقة سليمة وصحيحة والعلم لا يعرف لهذه الحاسة كنها ومن الطيور أنواع كثيرة تدرك أوقات النهار وأوقات الليل دون استخدام للساعات الزمنية التى يلجأ اليها البشر ، والكثيرون يعلمون أن الديكة تصيح فجرا وعصرا وفى أوقات تكاد تكون مضبوطة ويتخيل العلماء وجود « ساعات كيماوية » فى الطيور ، يقولونها بالسنتهم ولا تدركها تجاربهم فهى مجرد افتراض . ولقد سمعت أيها القارىء الكريم عن « الحمام الزاجل » وقيامه بدور ساعى البريد وخدمته ابان الحرب . وبعض الطيور المنزلية تعمل « كخفير الدرك » فذكر الاوز فى بيوت الريف حارس أمين ؟ ينبه صاحبه عند أى طرق لبابه وكأنه « جرس كهربائى » يصيح عند دق الباب . أليس كذلك ؟

ولك أيها القارىء الكريم بعد ذلك أن تتصور قائدا يعرف أسرار هذه المخلوقات من الطيور ويدرك لغتها ويفهم منطقها ويحاسبها ثوابا وعقابا الا ترى أنها تيسر له كثيرا من الامور الصعبة فتحل له كثيرا من المشاكل المعوقة بل انها قد تاتى له بالمعجزات . ولنا فى قصته مع الهدهد دليل :

● « **وتفقد الطير فقال مالى لا ارى الهدهد أم كان من الغائبين . لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين** ـ » الى آخر القصة التى تسجلها سورة **النمل** .

وللقارىء الكريم أن يتوقف طويلا ليتأمل ؟!

● سليمان القائد العظيم الذى آتاه الله حكما وعلما يخاطبه هدهد من أجناده فيقول له بلا مواربة ولا رياء ولا لف ولا دوران « **أحطت بما لم تحط به** » . الا ترى فى ذلك احترام « التخصصات » وهى صفة ان كانت تلزم فى كل النواحى فهى فى حالة الجيوش الزم . ثم الا تلمح من هذه العبارة عدم ممالأة المرءوس للرئيس ؟ فلكل وظيفته ولكل عمله ، ولكل علمه .

● تفانى الهدهد فى اداء مهمته الاستطلاعية على اكمل وجه ، فهو لم يغب ليلهو ويلعب وانما ليؤدى عملا وخدمة .

● معاملة القائد للجندى بالحزم ـ الضبط والربط بلغتنا الحديثة ـ لكى تنفذ الاوامر بكل حذافيرها وعلى ما يرام . تأمل قول سليمان « **لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه** » ويشتم من ذلك أن غياب الهدهد كان أمرا اذا يستحق عليه الاعدام كما تقضى قوانين الجيوش فى حالة الحرب . لكن الجندى ـ الهدهد ـ قد أتى بالمبرر المطلوب « **سلطان مبين** » ثم برهن على صدقه عمليا فحمل كتاب القائد الى « بلقيس » . وهذا كله يضفى على الحوادث معنى « الجدية » اللازمة بين القواد وجنودهم حتى يتهيأ لهم كسب المعارك وتحقيق الاهداف .

● ان الهدهد قد ادرك بفطرته التى فطر الله المخلوقات عليها وهى أن السجود لا يكون الا لله

وحده ودون غيره ؟ ومن ثم ؟ فان « جريمة بلقيس وقومها » كانت أنهم يسجدون للشمس من دون الله ، وتيقن الهدهد أن هذا الانحراف انما هو من عمل الشيطان وتزيينه لاعمال الشر .

هذا وفى التفاسير « أن الهدهد كان دليل سليمان الى الماء ذلك لانه يستطيع أن يدرك وجوده على عمق من سطح الارض » وتشير التجارب العلمية الى أن بعض الطيور يمكنها أن ترى على عمق يتفاوت بتفاوت نوع الطير داخل القشرة الارضية وخاصة الطيور الجارحة أى المفترسة - وهى بذلك تستطيع أن تدرك مثلا وجود ديدان فى داخل الطبقة السطحية للتربة .

أما لغة الطير التى تعبر بها داخل النوع أو بين نوع وآخر فسيكون مجالها مقال آخر ان شاء الله وما نريد تقريره هنا هو أن الانسان اذا كان صوته ينشأ عن احبال صوتية تستتر فى حنجرة له أعلى القصبة الهوائية فان للطيور حنجرة اخرى سفلية أقرب الى الرئتين وهى مصدر للاصوات المختلفة فيها . وفى التفاسير ما يسجل ان سلميان عليه السلام كان يفسر لغة كل نوع من الطيور لاصحابه أو يترجم لهم مقالة كل نوع منها ومن الطيور التى جاء اسمها فى هذا الصدد ، البلبل - الهدهد - الورشان - الفاختة - الطاووس - الصرد - الطيطوى - الخطاف - الحمامة - القمرى - الغراب - الحداة - القطاة - الببغاء - البازى - الدراج -« ومن شاء أن يعرف ماذا قال كل نوع فليرجع الى تفسير الطبرى »

٢ - والريح حين تسخر للقائد سليمان ، تجرى بأمره ، وتكون اداة طيعة له ، لا يمكن أن تدانيها قوة أخرى حين البطش .. والحقيقة أن الرياح قد تكون اداة نكير وتعكير ، وقد تكون وسيلة للنماء والخير والبركة . فالاعاصير والزوابع والعواصف قد تدمر المنشآت وتقضى على عباد وبلاد وضروع وزروع وقد تتعدى بأضرارها وتخريبها ما تجره أعتى القنابل الذرية فى الحرب العصرية . وقد تمشى الرياح رخاء الى أرض مباركة تحمل معها السحب وتنزل المطر الى حيث تساق الارزاق ويحدث النماء « **وفى السماء رزقكم وما توعدون** » . هذا وتحمل الرياح الطير والطيارات فى جو السماء وما كان لها بدونه أن تطير ، كما تسير الرياح السفن والفلك فى البحار والانهار وقد تكون فى هذه الحالات هادئة طيعة وقد تكون متغيرة مدمرة .

وعلماء الطبيعة والارصاد الجوية يعرفون لماذا تتحرك الرياح والى أين تسير ، ويستطيعون تسجيل اتجاهها وقوتها وذلك وفق قوانين طبيعية ومناخية معروفة لكن أحدا من العلماء لا يعرف ولا يستطيع أن يتحكم على نطاق واسع فى مسارات الرياح ولا فى قوتها ، ومن ثم ، فان أحدا من البشر لا يستطيع ان يملك زمامها ولا يقتدر على توجيهها ، ولو كان ذلك ممكنا بوسائل علمية لأمكن للانسان أن يتفادى كثيرا من الكوارث الناشئة عن الاعاصير والزوابع فور تنبؤه بها « **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء** » .

وللقارىء الكريم أن يتأمل المعانى السابقة فى قول الحق تبارك وتعالى :

ا - فالرياح العاتية المدمرة يقول الحق بشأنها سواء فى البر والبحر :

● « واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا . أفامنتم أن يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا . أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » .

● « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم . تدمر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين » .

● « وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم - ما تذر من شىء اتت عليه الا جعلته كالرميم » .

● « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية » .

● « وأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى وهم لا ينصرون » .

● « كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر - انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر . تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر ، فكيف كان عذابى ونذر » .

ب - وقد تسير الرياح رخاء مبشرات تحمل الخير فى طياتها البركة والرزق معها :

● « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » .

● « **وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين** » .

● « **الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون . وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شيء قدير** » .

● « **والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور** » .

أرأيت ايها القارىء الكريم مقدار ما تفعل الريح « حربا وسلما » وكيف ان فى تسخيره لسليمان لتعمل له ما يشاء باذن ربه هو فى حد ذاته اتاحة امكانات له ما اتيحت لغيره ولن تتاح لاحد من بعده لانه دعا الله فقال « **رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب** » ومن ثم كانت امكاناته فى جيشه التى لا يستطيع أى « خبير حربى » ان يحددها او حتى أن يحصرها . فقد سخرت له الرياح العاصفة القاصفة الهوجاء المدمرة كما سخرت له الريح تجرى رخاء حيث يريد . والله يعلم أن نبيه سوف لا يدفعه بطر ولا غرور الى ارتكاب آثام وذنوب فهو الى الخير مدفوع والى نعيم العباد مشدود .

وسلوك الناس ازاء الريح الطيبة والريح العاصفة المدمرة قد يكون مثيرا للاشفاق والدهشة فقد يغتر الكثيرون بالامان فيلبسون ثياب البطر وفرحه الظفر متناسين نعمة الله التى لا يذكرونها الا اذا صادفتهم المشاكل ووقعوا فى المحاذير من شرور انفسهم . ويصور الحق تبارك وتعالى هذا التبدل والتحول من حال الى حال على نحو مدهش وعجيب فيقول سبحانه :

« **هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق . يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون** » .

٣ ـ اما الجن فى جيش سليمان فقد كانوا أطوع له من بنانه يسخرهم متى شاء وانى شاء فيما يشاء ويعاقب منهم الاشقياء ويتأيد ذلك فى قوله تعالى :

● **والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب .**

■ **ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور !** .

● **ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين .**

ومن اجناد سليمان من الجن مردة ويتضح ذلك جليا فى قصة نقل عرش « بلقيس » **حينما عرض** سليمان على الملا من قوم ايهم يأتيه بهذا العرش ، وهنا يتصدى للقيام بهذه المهمة عفريت من الجن يتعهد الله تعالى على لسان نبيه :

● **قال : يا أيها الملا أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين .**

ولقد تنفست الجن الصعداء يوم قضى الله على سليمان بالموت ، فقد كان هذا الحادث بالنسبة لهم تحريرا من عذاب اليم حبسوا عليه وسخروا من أجله . تأمل قول الله تعالى بشأن انتهاء أجل سليمان :

« **فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين** » .

ودابة الارض هنا هى حشرات من مفصليات الارجل تعرف بالنمل الابيض أو الارضة . وهى حشرات متوسطة الحجم او صغيرة تعيش معيشة اجتماعيه تتميز باختلاف اشكالها ومظاهرها وفى المستعمرة منها أفراد ذات أجنحة واخرى تغيب فيها الاجنحه أو تكون قصيرة . والنمل الابيض ليس هو النمل العادى المعروف ، فالاول حشرات رخوة الجسم يغلب فيها اللون الباهت وأجنحتها ـ حين توجد ـ تكون متماثلة حجما « مساحة » والبطن عريض ولا يوجد بينه وبين الصدر خصر . وفى مستعمرة للنمل الابيض توجد ملكة وملوك وعلى عاملات وجنود . وتعيش أفراد النمل الابيض فى الاماكن الرطبة تحت الارض أو تعيش فوقها فى أماكن خاصة ، ومنها الانواع التى تهاجم الاخشاب فتتلفها اتلافا شديدا حتى أنها قد تغزو القرى فتتلف البيوت التى يضطر ساكنوها الى مغادرتها حرصا على حياتهم من سقوطها عليهم .

للمقال بقية فى العدد القادم

قضايا فكرية فى فهم العربية

القرائن

لا ريب فى أن المتصدى للفكر العربى - وهو الذى تساعدت القرائح عليه ، وترافدت الهمم اليه - يجد عسرا فى تناول أى جانب من جوانب الدرس فما أن يبدأ موضوعا حتى يجد نفسه مكدود الذهن مشتت الخاطر ، مضطرب الرؤية قد أخذه الدهش والتوى عليه الكلام تحيق به غوامض أقرب الى المعميات ، لا يدرى لنفسه منها مخرجا ، ولا الى اكتناهها من سبيل ، ويحاول تسويغا تارة يشوبه التظنن ترجيحا وتتكافأ لديه الادلة ثالثة .

الدكتور محمد بدرى عبد الجليل

وما ذاك الا لان ما يصل الينا ليس موضوعا ، ولكنه معالجة موضوع او احساس به وتصور له ، والنسبة بينهما هى البذور الملقاة تموت زهراتها فى وقت لتزهر فى وقت اخر ، وهى التى يهيم بها اناس ويعتنقونها بينما يصدف عنها آخرون ويمقتونها ، وكيفما كان الامر فهى رؤية قد نفهمها أو لا نفهمها قد نفهمها فهما بالغا فننفعل بها ونهش لها ونفيد منها أو قريبا مما اريد لها فيكون تويصلا اذ نجد ما لاجله كانت ، او مغايرا لما اريد لها فيكون رأى لك لم يكن اليه من سبيل لو لم نتعرف على ما قيل ، وقد يستبهم أمرها فنتمرد عليها أو نرفضها ، أو توحى لنا بشىء آخر مما يعرف بتداعى المعانى ، وقد لا يكون هناك شىء من ذلك بما هو هدف فيكون الفن للفن أو ما الى ذلك مما يموج به العصر .

لكن من المقطوع به أن هناك خدمة من التأليف ضرب الذكر صفحا عما يكون فيه من اغراض حقيقية أو محتملة أو متوهمة ، فقد تكون معالجة الموضوع غاية دينية او هدفا سياسيا او مرمى آخر ، وقد لا يكون شيئا من ذلك وانما استجابة لدافع لم يبد لنا فلم يسهل علينا تعليله او رده الى أسبابه الاولى اذ هى ضاربة بأطناب فى العلاقات الاجتماعية متشعبة ، ولما قد يكون من عنوان ليس فيه اى دليل على ما ادرج تحته .

ومن ثم فاننا حين نقرأ فى كتب التفسير مثلا نجدها تختلف فيما بينها فى التركيز على جانب دون آخر ولكنها متفقة فى انها تعليمية ، أما التفسير بالمعنى الاصطلاحى فما نكاد نجد له ذكرا ، ودليلنا على هذا أنه هناك احالات على الفقه فى كثير من المظان ، أما هى ففيها النحو والصرف والبلاغة والقصص والاسباب والمنطق وما الى ذلك مما هو صناعى ، هى تطبيقات للعلوم المحافظة والتى تخدم التفسير ولكنها شىء آخر غير التفسير .

وطبيعة الدرس تحمل الاختلافات « فليس لك بد اذن من ان تفرق بين نوعين من أنواع المعرفة احدهما يأتى من المشاهدة المباشرة ويتأكد بالتجربة المتكررة ، والاخر يأتى من طريق النقل والرواية » وهذه الروايات مسرفة فى المفارقات لانه ليس الى تجريدها من سبيل لذا فهى : « لا تصل اليك خالصة من كل شائبة ، مبرأة من كل اثر لهؤلاء الذين تناقلوها ، وللظروف التى أحاطت بهم حين تناقلوها ، ولحظوظهم المختلفة من الدقة فى النقل والصدق فى الروايه ، ومن حسن الفهم وصواب الحكم وبراعة التصوير والتعبير » .

واللفظة ليست واحدة تحمل معنى غفلا نصت عليه المعاجم ، أو هى محدودة بمعان فيها تلتمس تعنى واحدا منها أو اكثر فى أسلوب ما وفق تركيب معين لدى كاتب او آخر ، ولكنها مواضعات لها تاريخ ، واصوات لها ظروف فهناك كثير من العوامل المتداخلة تعطى للكلمة فى وقت ما تسلبه اياها فى وقت آخر ، والحياة متطورة واللغة مواكبة لها متفاعلة معها تتطور بتطورها لتشاكل أسلوبها فلا يكون التجافى ولا النفور ، والزمن بالدلالة يتباعد ، والحرق ينسع فلم يكن بد من فروق كان من أسبابها تغير البيئات بما حوته من اجناس تباينت وثقافات تعددت تتصل بكل الاصول والملابسات التى أتيحت للغة وهى عميقة الجذور مترامية الاطراف عريقة الاستخدام قوية منذ معرفتنا بها وهو عهد غير بعيد ، يتشكل فيها التعبير ويتلون بما اعتوره من ظروف وخلع عليه من ملابسات بما هو ماضى المتلاغين بها والمستعملين لها وسبب الاختلاف فى المفهوم اللغوى وما يترتب عليه .

اذن فلم يكن بد من تحديد أسس وركائز لفهم الدرس اللغوى وتوجيهه ، ولقد بين الغزالى ٥٠٥ من الهجره فى الفصل الذى عقده عن طريق فهم المراد من

الخطاب أنه « ان كان نصا لا يحتمل كفى معرفة اللغة ، وان تطرق اليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة الا بانضمام قرينة الى اللفظ والقرينة اما لفظ مكشوف كقوله تعالى : « واتوا حقه يوم حصاده » والحق هو العشر ، واما احالة على دليل العقل كقوله تعالى : « والسموات مطويات بيمينه » ، وقوله عليه السلام : «قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن»، واما قرائن أحوال من اشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين ، يختص بدركها المشاهد لها فينقلها المشاهدون من الصحابة الى التابعين بألفاظ صريحة او مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر حتى توجب علما ضروريا بفهم المراد ، أو توجب ظنا ، وكل ما ليس له عبارة موضوعة فى اللغة فتتعين فيه القرائن » .

وعلينا ان نتلمس هذه القرائن بما هى امور تشير الى المطلوب ثم بما هى محسنات أو مقبحات مهتدين بما قالوه وما يبنى عليه بعدا من حديث ...

أردنا بها ضوابط ترد اليها ما لها ، وتنفى عنها ما ليس منها .

وهى قرائن ، واسباب تأويل صوارف ، للغة منهج وللمجتمع سلوك ، يتسق القول فى بيانها اذا ما تحدثنا تطبيقا :

تقرر انه على الانسان ان يسأل بما يقع الجواب منه موقعا لائقا وذا ما يسمونه الاسلوب الحكيم وجههم القرآن اليه ، ولفتهم عما سواه ، ولقد سألوا عن الاهلة وسمى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم وما ارادوا الى معرفة منفعتها وانما كانوا يودون لو عرفوا لم يبدو دقيقا كالخيط ثم يمتلىء شيئا فشيئا حتى يصير بدرا ، ثم يعود كالعرجون القديم ؟ وقد رد القرآن بانها « **مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون** ، ١٨٩م البقرة ٢ ، ويستدل الشاطبى بأن تتمة الاية بيان وتعليل ، وهذا الرجل يسأل النبى صلى الله عليه وسلم « **متى الساعة ؟** » **قال : وماذا أعددت لها ؟** .

وفحصا للايات القرآنية التى تضمنت أسئلة القوم ثم طريقة الرد التى اتبعت ، تكشف عن شىء هام فقد وجد :

١ ـ « **يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج** » ١٨٩ م البقرة ٢ .

٢ ـ « **يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين** » ٢١٥ م البقرة ٢ .

٣ ـ « **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** » ٢١٧ م البقرة ٢ .

٤ ـ « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير** » ٢١٩ م البقرة ٢ .

٥ ـ « **ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير** » ٢٢٠ م البقرة ٢ .

٦ ـ « **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى** » ٢٢٢ م البقرة ٢ .

٧ ـ « **يسألونك ماذا أحل لهم قل احل لكم الطيبات** » ٤ م المائدة ٥ .

وقد تجد الردود قد صدرت بكلمة قل ، ولم يكن جل هذى الاجابات سوى صرف لها ، ورد على ماكان ينبغى ان يكون ، وما كلمة قل سوى كشف عن حكم القرآن على هذه الاسئلة كما ونوعا مشاكلة ...

ولذلك حينما كان السؤال فى موضعه ويحتاج للاجابة حقا فيما يمس طبيعة الانسان عبدا والصلة بينه وبين الله ربا تغير عرض السؤال ولون الرد جميعا .

ذلك قوله تعالى : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب** » ١٨٦ م البقرة .

ولم يكن عرض السؤال بهذا الفعل المضارع المصدر ، وانما كان بالفعل الماضى الدال على أصالة وتمكنه من النفس البشرية الدال على المطالبة بتجديد التصور البشرى العاجز بما هو عبودية .

ولم يكن الرد بقل اذ النفوس متشوقة الى المعرفة الحقة ، واذ هو الغاء لتلك الوساطة وكشف عن ان الصلة مباشرة بين العبودية بما هو معبود وغنى يهرع اليه ويتوكل عليه وأنه ساعتها تكون المناجاة والمناداة سواء .

أما الاسئلة التى من النوع الاول فقد وجدنا أوامر بالحد منها « **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم** » ١٠١ المائدة ٥ والرسول صلى

الله عليه وسلم يبين أن كثيرا من هذه الأسئلة فيه من طلب التحديد ما قد يستتبع من التضييق على السائلين ما لا تحمد عقباه ، واستشهد بتجربة دينية سابقة : « **دعونى ما تركتم انما أهلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم** » وعقب مرة بأنه لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، بل كانت هناك مواطن أمر فيها المؤمنين بالامتناع عن الحديث : « **اذا ذكر القدر فأمسكوا** » ، وحذر من لو فان عاقبتها وخيمة ، وكانت سبيل الصحابة مما يترجمه مسلك الشيخين من جمع القران . وما نجده لدى على بن أبى طالب رادا على سائل سأله عن معضلة بقوله : « **سل تفقها ولا تسأل تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم ، وان العالم المتعنت شبيه بالجاهل** » .

ولم يقف ذلك عند حد السؤال والاغراق فى الاستفسار وانما جاوزه لكل ما يصدر عنه الانسان لغة اذ ورد كثير مما يؤمر به من التحفظ فى الكلام ، قال صلى الله عليه وسلم : « **ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ماكان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه ، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ماكان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه الى يوم يلقاه** » .

وان للكلام وقعا اذ « **رب قول أنفذ من صول** » حذر منه صلى الله عليه وسلم حينما خاضت الالسن فى سكران حد ما نعا اياهم منه بقوله « **لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم** » ويبدو أن هذا فى حاجة الى مراس ، فكان نصه فيما يخالف من الناس : « **من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه ، ما بين لحييه وما بين رجليه ما بين لحييه وما بين رجليه** » .

ومضى الخلف على طريق السلف احتياطا وحذرا بالغى الدقة من امتناع عن التفسير اذ انه اعلام بمراد المتكلم ، واعراض عن الفتيا وبعاد عن التأليف ، والامام مالك رحمه الله يضع الموطأ فى أربعين سنة اعدادا نحوا من عشرة آلاف حديث أو اربعة آلاف حديث أو أكثر فى رواية فلم يزل يبطر فيه يخلصها عاما عاما بقدر ما يرى انه اصلح للمسلمين وامثل فى الدين . الى ان وصل الى ما هو عليه بين أيدينا ألف حديث ونيف ، وهى دقة كانت تسمية الكتاب - وهو نتاج روايات أهل المدينة - آية من آياتها ، كاشفة عند الباحث عن هذا الاجماع معلنة عن هذه المواطأة ، وهو لون من الحرص محمود ظهر فى مناحى الدرس وليس أدل على ذلك من محاولة النحاة صون الكتاب على ما أسرفوا فى تأصيله من أصول وامعنوا فى تقعيد من قواعد .

ومن هنا كان للتحرج بعامة والسكوت بخاصة دلالته التى لا يغنى الكلام غناءها .

واذا كان من المقرر الا ينسب لساكت قول لكن السكوت فى معرض الحاجة بيان ، « والاجسام الخرس الصامتة ، ناطقة من جهة الدلالة ومعربة من جهة صحة الشهادة » هى وسائل بيان .

ان وقف الشادية بين « سامعه وستامعه » وبين « غرامك غرامك » انما هو بيان لا تمكن العبارة منه وليس من الترخص فى القول أو الاداء ، والوقوف فى القرآن الكريم أفعمت بالحديث عنه كتب القراءات ويمكن أن يقال فى بعض ما قيل أنه من الضرورات صدد بيت أمرىء القيس :

فاليوم اشرب غير مستحقب
اثما من الله ولا واغل

وتحدث الاصوليون عن السكوت دلالة فذكروا أن « موضوع القياس طلب أحكام الفروع المسكوت عنها من الاصول المنصوصة بالعلل المستنبطة من معانيها ليلحق كل فرع بأصله » وان كانت دلالته غير لفظية بيد أنها تلحق باللفظية فى ثبوت الاحكام بها وقسموها اقساما منها ما يلزم عند مذكور مسكوت عنه كما فى قوله تعالى : « **فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث** » .

فانه يلزم من ذلك أن يكون نصيب الاب الثلثين وهو مسكوت عنه ، منها دلالة حال الساكت الذى وظيفته البيان كدلالة سكوت النبى صلى الله عليه وسلم على جواز ما يحصل أمامه وهو ما يعرف بالتقرير ومنه سكوت البكر بما هو ايذان واعلام ، ومنها اعتبار سكوت الساكت كالنطق تماما لدفع التغرير مثل كدلالة سكوت الولى أو الوصى ، عند تصرف المحجور عليه على رضاه بهذا التصرف دفعا للتغرير بمن يعاملونه ، ومنها دلالة السكوت على تمييز العدد المتعارف حذفه كقولهم مائة ودرهم أى مائة درهم ودرهم .

والسكوت من الله تعالى ليس عن نسيان أو اهمال انما هو مراد ، وعلى هذا قال المحدثون « بأن العقود التى تتطلبها مباشرة الاعمال المصرفيه يمكن استحداثها طالما لا تتعارض مع الاصول والقواعد الشرعية وكان تقسيمهم للتحريم لما هو وسائل ولماهومقاصد .

غاية الامر أن هذا السكوت ليس هملا وانما هو أمر مراد ولذلك أجازوا سكوت العالم عند جواب السائل والمستفتى اذا كانت المسألة لا تعرف أو كانت مما لا حاجة بالناس اليها أو كانت مما يخشى منها الفتنة أو سوء التأويل .

لا غرو أن يكون استقرار هذا المبدأ ، وتمكن هذه القرينة سببا فى حل مشكلات . . لقد روى لنا صاحب طبقات الشافعية انه «كان من الاسباب فى رفع الفتنة أن الواثق أتى بشيخ مقيد :

فقال له ابن ابى داود : ياشيخ ما تقول فى القرآن ؟ أمخلوق هو ؟

فقال له الشيخ : لم تنصفنى المسألة : أنا أسألك قبل الجواب ، هذا الذى تقوله يا ابن ابى داود من خلق القرآن شىء عمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم او جهلوه قال : بل سكتوا .

فقال : هل دعوا اليه الناس كما دعوتهم انت أو سكتوا ؟

قال : بل سكتوا » .

قال : فهلا وسعك ما وسعهم من السكوت ؟ » .

ولذلك رأى الامام ابن الجوزى ٥٩٧ هـ السكوت عن ضرب من التفسير وان كان اللفظ محتملا له وامتنع عن اثبات كثير من تفسيرات الصوفية المخالفة للحقيقة ، مقررا : « ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيرا فرأيت أن الزمان يضيع فى كتابة شىء بين الكفر والخطأ والهذيان » .

وقرر السيوطى أن هذا وأمثاله ارشاد من هؤلاء الائمة وتعليم لنا أن نسكت عن التلفظ بمثل ذلك تأدبا ، ولهذا سكت فى مثل هذا الكتاب وفى سائر المؤلفات التى ألفتها فى هذه المسألة عن التصريح بحكاية قول الفرقة الرابعة .

ومن ثم كان السكوت غرضا يسعى اليه ، ويقصد لدلالات يجد فيها العلماء حديثا ، ويعولون عليه للناس تصريفا ويتخذ منها الادباء منطلقا ويختلفون فيه تصويرا .

ونجد فيه تفسيرا لما قد يكون هناك من طمس أو اضراب عن بعض الكلام فى العلوم المتحدث فيها .

وهذا ما فات ابن هشام رحمه الله ٧٦١ هـ الذى عقد كتابه شذور الذهب لغرض « تدريب الطالب وتعريفه السلوك الى أمثال هذه المطالب النحوية ، ومن ثم فما كان اغناه واغنانا عن هذه النقول التى رواها عن احمد بن عبد الحليم بن تيمية ٧٢٨ هـ وغيره اذ أن جاز لكليهما فى معرض الجدل فما يجوز له مقتولا على عائشة او عثمان رضى الله عنهما .

وهذا ما فات الحافظ ابن كثير ٧٧٤ هـ فطفق يورد أخبارا فى تفسير قراءة فى قوله تعالى : « ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » ١١٩ م البقرة ٢ أقل مايقال فيها ان صاحبها خاطب ليل » .

وهذا ما فات الدكتور طه حسين ١٣٩٢ هـ نقلا عن طبقات ابن سعد ما سطره فى كتابه « على هامش السيرة وقررته وزارة التربية والتعليم على طلاب المرحلة الثانوية اذ أن هذا ـ جدلا ـ لو كان من الحقائق ما جاز نقله فليست كل الحقائق تقال ولا نرمى أحدا بضعف الامانة ولكن نقول بضعف الدراية » .

وندعو الى ضرورة صيحة عثمانية انجازا لتفسير اما يتنزه عن غفلة المخلصين بله دس الكائدين ويتجافى عن تكرار المسرفين بله افتراء المفترين ترفقا بعقول شبيبة عليهم الدنيا مقبلة ، وترفقا بعواطف شيبة عنهم الحياة مدبرة .

ولعله لهذا السبب حذف الامام محمد عبده كلامه عن موضوع خلق القرآن معللا ذلك بأنه جرى على طريق السلف وكان هذا ما جرى عليه الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه « فى رحاب الكون » اذ يقرر : « ولا يلزمنا شىء من تلك المنكرات والمحذورات » ملتزما بالعرف الدينى والجو القرآنى

والى لقاء مع قرينة أخرى » .

السيرة في ضوء القرآن الكريم

منهج الاسلام فى تكوين المجتمع منهج ربانى متفرد، يستمد أصول مبادئه وخطوات حركته من القرآن الكريم: ويتضح هذا المنهج وضوحا كاملا من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أنه شرع فى تكوين مجتمعه منذ الخطوات الاولى للعهد المكى، أى أنه بدأ بالاعداد له قبل قيامه فعلا بالمدينة بثلاثة عشر عاما، فمكث طوال هذا العهد فى تكوين جماعة مؤمنة وصبر نفسه معها يربيها وفق منهج القرآن التربوى حتى أصبحت ترجمة عملية لمبادىء القرآن الكريم وقيمه وخلقه فى واقع الحياة حتى اذا تمت الهجرة الى المدينة المنورة كانت تلك الجماعة هى الاساس المؤمن الذى أقيم عليه المجتمع.

الأستاذ محمد شديد

لم يبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم فى العهد المكى بتغيير اوضاع المجتمع المكى، انما بالدعوة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وضم من يستجيب له الى جماعته المؤمنة لياخذ نصيبه من التربية، فلم يتوفر على مقاومة اوجه الفساد المتفشية فى ذلك المجتمع الوثنى وجنب جماعته المؤمنة كل اسباب الصدام مع قريش التى كانت تقاوم الدعوة وتعذب المؤمنين وأمرها بالصبر والاحتمال وكف الايدى المنفرة، أى أنه بدأ بالتغيير فى داخل النفس، وكان هدفه الاول فى هذا العهد هو اعداد الدعائم المؤمنة الصلبة التى سوف يقيم عليها مجتمعه الجديد حين يقوم.

منهج واضح الخصائص والخطوات والسمات، تتجلى فيه قيمة التربية فى رسالة الاسلام، كما يتضح منه أن المجتمع المسلم لا يمكن أن يقوم الا على أساس قاعدة مؤمنة مرت بمرحلة تربوية كافية، وبالتالى تبرز منه قيمة الانسان المؤمن وأنه هو الاساس الاول الذى يقام عليه المجتمع.

ان المتامل فى حياة المجتمع المسلم الاول فى المدينة ليعجب حين يرى القمة السامقة التى بلغها فى كل نواحى الحياة، فكيف امكن للرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ بناس من البشر التقطهم من مجتمع جاهلى متخلف الى تلك القمة الرفيعة، كانما اقام فى داخل كل واحد منهم حارسا على نفسه، ورقيبا على عمله وسلوكه، وقوة تدفعه دائما الى السمو: وحاجزا يحول بينه وبين الهبوط والانحراف.

المنهج والقيادة، المبادىء والمربى، القرآن الكريم وسيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، اذا توفرا حققا المعجزة فى كل جيل وفى كل مكان.

والمنهج الاسلامى فى اقامة المجتمع يرتبط بمنهجه فى تطبيق مبادئه برباط وثيق، ذلك أن الاسلام يعتمد فى هذا التطبيق على دعامتين اساسيتين: سلطان الايمان وسلطة التشريع، فلا يمكن فى ميزان الاسلام أن تطبق مبادئه وتقام حدوده بغير ايمان، اعتمادا على التشريع والعقاب وحدهما، فان القوانين مهما بلغت شدتها، والعقاب مهما بلغت قسوته لا يمكن أن يطهر المجتمع بغير الضمير المؤمن الذى يستشعر رقابة الله.

ومن هنا سار القرآن الكريم شوطا تربويا طويلا مع الجماعة المؤمنة وصولا الى مجتمع السماحة والبذل والتكافل والمودة، وقبل أن ينزل بفريضة الزكاة.

وهناك نوعان من المجتمعات، مجتمع يقوم على الاثرة والشح والتكالب فى جمع المال واستغلال حالات الضعف والحاجة والاضطرار، وهو المجتمع

الذى يقوم نظامه الاقتصادى على أساس الربا ، وهو نظام يجعل المال دولة بين الاغنياء ، ويؤدى الى الحقد والعداء ، ويخلق طبقة من أصحاب رؤوس الاموال يمتصون دماء الفقراء ويعتمدون فى تنمية أموالهم على هذه الوسيلة وحدها ، فيشيع بينهم الترف والبطالة على حساب الفقراء والمساكين بغير عمل ولا جهد ، وذلك ما يحرمه الاسلام تحريما قاطعا ، ويقيم مجتمعه على السماحة والتكافل والمودة والبر والانفاق فى سبيل الله ، وقد فاضل القرآن الكريم بين النظامين والاتجاهين والمجتمعين فى آية واحدة من سورة الروم :

« وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » . [الروم : ٣٩] .

والاية الكريمة مكية نزلت فى العهد المكى قبل الهجرة وقبلقيام المجتمع والدولة فى المدينة وقبل تطبيق فريضة الزكاة ، وهذا لا يعنى بطبيعة الحال ان القرآن الكريم كان يعد الجماعة المؤمنة اعدادا تربويا لمجتمع التكافل والانفاق فى سبيل الله .

وسورة البقرة هى أول ما أنزل من القرآن الكريم فى العهد المدنى ، وقد عالجت موضوع الانفاق علاجا تربويا يتفق مع عهد المجتمع واكتمال التطبيق ، وقد جاءت آياتها التى عالجت هذا الموضوع فى ثنايا السورة متصلة بغيرها من آيات العقيدة والفرائض والتصور الربانى للوجود ، مما يؤكد ويعمق فى قلب المؤمن ان الانفاق فى سبيل الله ليس منفصلا عن الايمان ولا عن فرائض الاسلام .

تناولت السورة موضوع الانفاق فى سلسلة من الايات بدات ببيان الربح المضاعف الذى يناله المنفق ، ثم بيان شرط الانفاق المقبول ، فهو فى سبيل الله خالصا لوجهه الكريم بعيدا عن الرياء والسمعة ، بعيدا عن المن والاذى :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا اذى لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . [٢٦١ ـ ٢٦٢] .

والنفس البشرية متعددة المسارب كثيرة الادواء ، والشح ليس هو الداء الوحيد ، فقد تبرأ النفس من داء الشح لتقع فى داء الرياء ، وهو شر من الشح لانه فى حقيقته عبودية للهوى ، والقرآن الكريم يهدف الى تحرير النفس من كل عبودية لغير الله ، فضلا عما فى الرياء من ايذاء لمشاعر الفقير وافساد للمجتمع ، ومن

هنا فان القرآن فضل الكلمة الطيبة والمعاملة الكريمة على الصدقة التى يشوبها الرياء وما ينجم عنه من ايذاء لمشاعر الفقير :

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى ، والله غنى حليم » . [البقرة ٢٦٣] .

ثم تستمر السورة فى تأكيد هذه الحقيقة بضرب الامثال ، فتضرب للانفاق الذى يخالطه التعالى على الفقراء ، وايذاؤهم بالمن عليهم ، فذلك انفاق باطل ، بل هو دليل على عدم الايمان بالله واليوم الاخر ، مثله كمثل صخرة عليها طبقة خفيفة من التراب يظنها الرائى أرضا طيبة صالحة للانبات فاذا أصابها وابل من المطر كشف تلك الطبقة الخفيفة من التراب وظهرت الصخرة الصماء على حقيقتها ، لا تصلح لزرع ولا انبات ، وكذلك نفس المرائى سرعان ما تبدو على حقيقتها بالانفاق ، فاذا هى خالية من الخير بعيدة عن الايمان .

أما النفس التى تبذل الخير خالصا لوجه الله ، فمثلها كمثل جنة عالية اذا أصابها المطر الغزير آتت أكلها ضعفين ، وكذلك اذا أصابها المطر القليل ، مثلها كمثل النفس المؤمنة تفيض بالخير وتنفق فى سبيل الله فى كل الحالات :

« يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين » .

« ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير » . [البقرة : ٢٦٤ ـ ٢٦٥] .

مثلان الصورتين متقابلتين لنمطين من القلوب ، صورة قلب كالصخر لا يؤمن بالله واليوم الاخر ، اذا أنفق ماله فانما ينفقه رئاء الناس ، فهو كالحجر الصلد الذى يغطيه تراب يستر صلادته ، فلا يفيد من المطر وهو سبب الحياة ، انما يكشف المطر عن حقيقته ، فيزيح ما عليه من تراب فتظهر قساوته وجدبه ، فاذا به صلد لا يقبل ماء ولا يجود بزرع ولا يصلح لنماء ، كذلك القلب المرائى لا ينتفع بشىء مما ينفقه بباعث الرياء .

وصورة مقابلة ، هى صورة القلب العامر بالايمان ، خلصت نيته وصلحت سريرته فهو ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله ، ينفق عن ثقة نابعة من ايمانه

عميقة الجذور فى نفسه ، كالجنة الخصبة العالية فاذا جاءها المطر أحياها ففاضت بالخير والنماء .

ومن الايحاءات التى تشع بها الصورتان ، ان الحب الخالى من الايمان الذى ينفق ماله رياء ، قلب ميت وان بدت عليه مظاهر الحياة ، أما الحب المؤمن فهو القلب الحى ، يفيض بالخير والبر ، ويزداد حياة وايمانا بالانفاق فى سبيل الله .

الرياء داء مهلك للنفس والمجتمع ، وهو فى ميزان القران اشراك بالله ، والمن عمل خسيس مبعثه حب الاستعلاء الكاذب والرغبة فى اذلال الفقير ، فان القران يحرص على تطهير القلوب المؤمنة منهما تطهيرا كاملا ، فالانفاق ليس مجرد سد حاجة الفقير ، انما هو اولا تزكيه وتطهير لقلب المؤمن المعطى ، قياما بحق الفقراء الذى فرضه الله لهم فى ماله ، وتوثيقا لصلته بهم قياما بحق الاخوة فى الله ، ليقوم المجتمع على اساس التكافل النابع من القلب ابتغاء مرضاة الله ، لا حبا فى مديح الناس أو المن على الفقراء . والرياء والمن يذهبان بهذه المشاعر ويحيلان الانفاق أذى بليغا ، اذى بالمعطى وأذى بالاخذ على السواء ، وأذى بالمجتمع لما يثيره من أحقاد .

ومن هنا تستمر السورة مؤكدة نهاية الرياء والمن والاذى ، مصورة كيف تمحق آثار الصدقة محقا ، جنة وارفة الظلال ، أنفق فيها صاحبها جهده ، حتى اذا امتد به العمر وأوفى على الموت . وبه اطفال صغار يحرص على أن يخلفها لهم ، فاذا باعصار فيه نار ياتى على الجنة وما فيها ، فيفقدها أحوج ما يكون اليها فى كبرته ، وأحوج ما يكون اليها صغاره من بعده :

« أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها أعصار فيه نار فاحترقت : كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون » . « البقرة ٢٦٦ » .

والله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، فلا يقبل من الاعمال الا ما كان طيب النية طيب الاداء ، ولا يقبل من المال الا ما كان طيب الكسب طيب الجوهر ، فلا يقبل المال الخبيث الذى جاء من كسب حرام ، ولا الدون الذى يأنف أن يأخذه من سواه :

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد » . [البقرة : ٢٦٧] .

وتتعقب السورة بعد ذلك مداخل الشيطان فى النفس ، من وسوسته لها عندما تهم بالانفاق أن يخوفها الفقر والفاقة ، ويأمرها بالامساك والاثرة ، وهى خواطر سوء تلم بكل نفس ، لا يقاومها ولا يتغلب عليها الا الايمان والثقة بما عند الله :

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء : والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » . [البقرة : ٢٦٨] .

ثم تبين السورة طريقة الصدقة ، فلتكن سرا أو جهرا ، ولتكن نفقة او نذرا ، فالله تعالى يعلم نية صاحبها ، وأن كان أفضل الصدقات عند الله هى صدقة السر ، الصدقة الخفية ، التى لا يطلع عليها الا الله ، وهى هنا بطبيعة الحال الصدقة التى تعطى مباشرة للفقير ، لا الزكاة التى تدفع لبيت المال :

« وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ، ان تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير » . [البقرة : ٢٧٠ ـ ٢٧١] .

ثم نقلة انسانية هائلة ، حيث يتسامى القرآن الكريم بنفوس الجماعة المسلمة الى أفق السماحة الانسانية الكبرى ، فيقرر حق الفقراء فى المال دون النظر الى عقيدتهم او سلوكهم ، ويدعو الى اعطائهم من المال مثل سواهم ، حتى لا يحرم احد فى المجتمع من حق العيش الكريم ، بصرف النظر عن عقيدته وعن سلوكه ، والعقاب والتقويم وسائل اخرى غير التضييق فى العيش والحرمان من ضرورات الحياة ، اما جزاء المنفقين فهو محفوظ عند الله مادام الانفاق خالصا لوجهه الكريم :

« ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلانفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » . [البقرة : ٢٧٢] .

ويجىء ختام هذه المجموعة من الايات بنص عام شامل لكل طرائق الانفاق ولكل منفق فى سبيل الله :

« الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ، سرا وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . [البقرة : ٢٧٤] .

وبهذا تكون سورة البقرة قد أتمت دستورا كاملا للصدقات ، يبين نوعها وطريقتها وآدابها والمشاعر النفسية التى يجب أن تصاحبها ، بأسلوب تربوى معجز ، يعمق الايمان ، وينمى مشاعر الخير ، ويطهر القلب من الشح والاثرة والرياء .

القرآن والأنبياء

الأستاذ محيي الدين عبد السلام البتاجي

تعرضنا فى الجزء الاول من هذا الحديث لمن ذكر فى القرآن من الانبياء : وتحدثنا عمن لم يذكر منهم ، وأشرنا الى السبب فى ذلك . ثم تعرضنا بعد ذلك لترتيبهم من حيث الزكر مكانا وزمانا ، وفى الموضع تفرقا واجتماعا ، ثم الى التصادق الكلى بين الشرائع المؤكدة لوحدة المنبع ، وللاراء التى أثيرت للتفريق بين النبى والرسول : ثم تناولنا المعجزة بالتعريف وقسمناها الى مادية ومعنوية ، وأوضحنا الفرق بين كل ، ثم ثنينا بذكر الشروط الهامة التى تصاحب النبوة .

ـ ٢ ـ

واليوم نتناول موضوعا يتعلق بالانبياء والرسل الداعين الى الحق مبشرين ومنذرين ، وهو وثيق الصلة بأقوام هؤلاء الرسل ، ذلك أنه ما من مجتمع ـ منذ كانت الحياة البشرية على الارض ـ الا وفيه الضعيف والقوى ، يقول تعالى : « **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ،لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك ،انى اخاف الله رب العالمين** » ٢٧ ـ ٢٨ المائدة . فهذه الايات تؤكد لنا وجود هذا التمييز بين الناس منذ فجر الحياة . كما يوجد الفقير والغنى والاول يمثل التواضع والرضى ، والاخر يمثل الاستعلاء والاعتزاز بما فى يديه وهو ما يشير اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : « **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ، وفجرنا خلالهما نهرا : وكان له ثمر ، فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا ، قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا : لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا ، ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله**» ٣٢ ـ ٣٨ من الكهف .

ومن الثابت أيضا أنه لم يكن تبعا لنبى أول دعوته الا من هؤلاء الضعفاء الفقراء أهل التواضع والرضى ، ولم يكن معاد الا من أولئك أهل القوة والجاه والغنى المتكبرين العتاه ، يحدثنا بذلك التاريخ ، ويحدثنا بذلك القرآن الكريم أيضا ، فان هرقل ملك الروم سأل أبا سفيان عن أتباع رسول العرب أهم من الاشراف أم من الضعفاء فلما أخبره أنهم من الضعفاء ، قال : وهم أتباع الانبياء واعتبر ذلك من دلائل نبوته .

وذلك يرجع ـ فيما نظن ـ الى نوازع الاثرة التى تتحكم فى تصرفات هؤلاء الاقوياء التى يواجهون بها دعوات الانبياء لاصلاح حال البشر ، والذى لا شك فيه ان حرمان طائفة من البشر فى أى مجتمع من حق الحياة الكريمة انما مرده الى استئثار طائفة أخرى بهذا الحق وحرمان غيرها منه ، فضلا عما يولده هذا الاستئثار فى النفوس من كبر زائف يحول بين الطائفة الطاغية وبين القبول بأن تكون تبعا لداعية الخير المنبىء عن الحق .

والقرآن الكريم فى تعرضه لاخبار الانبياء مع أقوامهم يشير الى ذلك فى أكثر من موضع وفى أخبار نوح عليه السلام مع قومه يقول تعالى :« **ولقد أرسلنا نوحا الى قومه أنى لكم نذير مبين ، أن لا تعبدوا الا الله ، انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا : وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين** » ٢٥ـ٢٧ هود .

أرأيت من الذى يعارض الدعوة ، انهم الملا من قومه » انهم طغاة الدنيا ، واهل الجاه والسلطان فيها ، وهل رأيت من الذين اتبعوا وآمنوا ووجدوا الخلاص والمخرج مما هم فيه ، انهم ضعاف الناس وفقراؤهم ممن ذمهم الملا من قومه بأنهم الاراذل وما هم بذلك .

ثم انظر الى حوار نوح عليه السلام مع ذلك الملا

دفاعا عن الحق ؟ حق هؤلاء الفقراء الضعفاء فى الحياة ، وما وصم به هذا الملا من الجهل والبلادة ، فى ذلك الحجاج الذى يمتزج فيه نور اليقين بالرفق واللين بالمنطق العقلى المبين : « **قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينه من ربى ، وأتانى رحمة من عنده ، فعميت عليكم ، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ، وياقوم لا أسالكم عليه مالا ، ان أجرى الا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ، انهم ملاقوا ربهم ، ولكنى أراكم قوما تجهلون ، وياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ، ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم** الغيب ولا أقول انى ملك ، **ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما فى انفسهم : انى اذا لمن الظالمين » ٢٨ ـ ٣١ هود .**

وفى اخبار موسى مع قومه نفس الصوره يقول تعالى : « **وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ، ويذرك والهتك ، قال سنقتل ابناءهم ، ونستحيى نساءهم ، وانا فوقهم قاهرون . قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ماجئتنا ، قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون ، ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » ١٢٧ ـ ١٣٠ من الاعراف .**

والملا هنا من قوم فرعون يناوئون الدعوة بأنفسهم ، ويستعينون فى هذا براسهم فرعون ، ويحرضون على اهل الضعف من المؤمنين اتباع موسى ، وها هو راى الملا يصرح بايدائهم وقهرهم وتقتيل ابنائهم ويجار المؤمنون الى نبيهم ، فلا يجد أمامه الا دعوتهم الى الصبر حتى يقضى الله أمره الذى فيه نجاتهم وهلاك هؤلاء الملا المتكبرين ، ونفس الطائفتين احدهما باغية ظالمه معتزه باثمها وسلطانها ، يقابلها أخرى مؤمنة لا تملك حيال هذا الطغيان الا الصبر وانتظار امر الله الذى فيه مخرجها .

واذا ما تركنا نوحا وموسى وانتقلنا الى خبر قوم هود عليه السلام نجد نفس المشهد يتكرر بنفس الصوره فمجتمعه ينقسم حيال دعوته أيضا الى طائفتين لكل مميزات الطوائف السابقة التى ورد ذكرها عند غيره من أقوام الانبياء يقول تعالى :

« **والى عاد اخاهم هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون ، قال الملا الذين كفروا من قومه ، أنا لنراك فى سفاهة ، وانا لنظنك من الكاذبين : قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح امين » الاعراف .**

وأيضا هنا الملا من قومه ، والعالون منهم يردون دعوته ، ويكذبونه مهما نصح ، ويتهمونه بالسفاهة عدوا بغير حق ويعادونه ومن اتبعه ، فيحق عليهم غضب الله ، وينفذ فيهم ما انذرهم هود به ، قال تعالى : « **فانجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا ، وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين »** « ٧٢ » من الاعراف .

الامر الذى يؤكد أن تلك العصبة المؤمنة قد تعرضت مع نبيها للعذاب والايذاء ، فضلا عن المعارضة والتكذيب ، فأنجاها الله ، وأوقع العذاب بذلك الملا من الكافرين .

وانظر معى الى ذلك الحوار الرائع الذى تديره آيات الكتاب المبين مع قوم صالح عليه السلام بين الطائفتين فى ختام لها أروع بعد دعوة منه ، واباء واستكبار وتكذيب منهم رغم المعجزه المادية المؤيدة لنبوته وصدق دعوته ، يقول تعالى ، « **والى ثمود اخاهم صالحا : قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره : قد جاءتكم بينه من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آيه ، فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم** ٧٣ الاعراف . ثم يقول : « **قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه : قالوا انا بما ارسل به مؤمنون »** الاعراف . وهنا ايضا تلك الطائفة المستكبرة العاتيه تسأل مستنكرة متعالية عن حقيقة نبوه صالح عليه السلام رغم الاية الماديه التى بين ايديهم تنطق بالحق واليقين ، فياتيها جواب الطائفة المؤمنه قاطعه ، بل نحن بما جاء به مؤمنون .

ومع محمد صلوات الله وسلامه عليه ، كان الملا من قريش حربا عليه يكيدون له ، ويتامرون عليه ، يدبرون لقتله ، قتلة تفرق دمه بين القبائل فلا تقدر بنو هاشم على التصدى لها متجمعه ثم يحرجونه من بلده هو وصحبه من تلك الطائفه المستضعفه التى امنت بدعوته لاول امره خفيه وهم يترقبون .

ان هذه الطائفة من اهل البغى تجمع بينهما خصائص موحدة اذ تخضع فى مقاومتها للرسل ومن آمن بهم لعاملين يوجهان تفكيرها ويتسلطان عليها :

الاول : ما استقر فى نفوسها من التعالى والتكبر وحب السيادة واصرارها على ان تكون متبوعه لا تابعه لغيرها ، ولو كان غيرها يحمل اليها مشعل الهدى والنجاة مما هى فيه .

الثانى : انها كانت تخشى على المكانة الاجتماعية التى حققتها فى ظل باطلها من الزوال ، وقد تحققت لها من خلال استغلالها للطائفه الضعيفه التى لا تملك من اسباب الجاه مالا أو رجالا تقف به حيال هذا الاستغلال .

ولما كان للحق فى مواجهة الظلم اغلب ، ولما كان الحق سبحانه ناصره مهما طال الزمن ، فقد كانت العاقبه دائما للمرسلين وأتباعهم الامر الذى يقرره منزل القرآن الكريم حيث يقول :

« **ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » القصص ويقول :**

« **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين : انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون » الصافات .**

ويقول : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » غافر .

وللحديث بقية

خصائص الحوار القرآني

ان خصائص القرآن الكريم ناطقة باعجازه ، وقد صورنا دلالة الحوار فيه بأسلوبه الفريد ، وأدائه العجيب من حيث الوصول الى المراد من دون افتعال ولم يعهد فى لغة العرب حوار على الصورة البديعة التى جاءت فى سورة «ابراهيم» بقوله تعالى : « وبرزوا لله جميعا ، فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء . قالوا : لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص » .

● الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر ●

- ٢ -

ـ ان فى « البروز » ظهورا بعد خفاء ، ولقد كان الضالون يخفون ما فى نفوسهم من الاضاليل حاسبين ان عالم السر والنجوى لن يطلع عليها ، فقوله تعالى: «**وبرزوا لله جميعا**» أى : وضحوا امام نفوسهم بعد ان اخفوا حقيقتها بجهالتهم وعتمة بصائرهم ، الى ان انجلت عن أرواحهم غشاوات الاوهام ، وبدت على فطرتها تتلقى وعيدها فى هذا الموقف العظيم الذى به ظهور الحقيقة واقعة لا شك فيها حتى عبر عنها المولى ـ عز وجل ـ بصيغة الماضى فى قوله : «**وبرزوا**» ايذانا بأن البعث ثابت لا محاله ، وفيه اكتفاء عن اقامة الدليل الذى أنكروه فى مواطن كثيرة من الكتاب المجيد .

● قال « الفخر الرازى » : ان قوله : « **وبرزوا لله جميعا** » هو المراد من قوله : « **يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولاناصر** » وذلك لان البواطن تظهر فى ذلك اليوم والاحوال الكامنة تنكشف ، فاذا كانوا من السعداء برزوا للحاكم الحكيم بصفاتهم القدسية ، واحوالهم العلوية ، ووجوههم المشرقة ، وأرواحهم الصافية المستنيرة فيتجلى لها نور الجلال .... » ثم يقول : « وان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف العظمة ومنازل الكبرياء ذليلين مهينين خاشعين واقفين فى مذلة الفضيحة والمهانة . » ● . اهـ .

واتجاه الامام الرازى فيه اطلاق البروز للمطيعين والعصاة لكن الحوار قائم على أساس المحاسبة بين الضالين الاقوياء والواقعين فى اضلال الضعفاء لتسجيل الحسرة ، والندم والهوان على الجميع بدليل قوله تعالى « **فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا** » ونسبة الضعف اليهم تعطى معنى الانقياد الاعمى من دون استعمال الفكر ، والتأمل والبصر وهى القوى التى اودعها الله ليسير الانسان على ضوئها لكن التابعين لم يلحظوا سوى تغرير المتبوعين ، ولم تبعد التبعية عنهم العقوبة ، لانهم لم يستعملوا القدرات الممنوحة ، واغفلوا الفطرة التى فطرهم الله عليها ، وآثروا ما فى الدنيا على نعيم الاخرة بعد الطاعة وتنفيذ أوامر الله ـ عز وجل ـ

● ويجىء الاستفهام المعجز وهو جار على السنة الضعفاء فى قوله تعالى :

« **فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء** » ؟ والتعبير بالغناء فى هذا المقام دون الدفع أو المنع فيه دليل خداع الضالين باستمالة من أضلوهم فى ضعفهم مظهرين ان فى متابعتهم غنية ـ وقوله : **من شىء بعد** « من عذاب الله » لتسجيل قلة حيلة الذين استكبروا عن القيام بأقل جهد يحول دون نزول أدنى قدر من العذاب .

ولما كان المستكبرون فى موضع الخزى ارادوا التنصل من المخدوعين عند الموقف الرهيب مما يدل على الجبن ، وقلة الحيلة والهوان ، فحكى الخالق القوى المتين عنهم قولهم « **قالوا : لو هدانا الله لهديناكم** » وهو اعتذار واه لا قيمة له أمام الحق المبين ، وفيه مغالطة واضحة ، لانهم فى حياتهم كانوا يعتقدون اعتقادا جازما انهم على صواب ، وان ما يدعوهم اليه الرسول غير واقع فى حال من الاحوال؟ وطالما تعجبوا « ائنا لفى خلق جديد ائنا لمبعوثون »؟ فكيف يتعللون بالمغالطة والتناسى والعلة فى قلوبهم ؟!

● ويتجلى فى هذا الحوار ما يفاد من ان كل عبد منوط بعمله«**ولا تزر وازرةوزر اخرى**» «**كل امرىء بما كسب رهين** » ثم يأتى الاعتراف الصريح بعد فوات الاوان على لسان المستكبرين : « **سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص** » فشدة الخوف او حبس

الالم فى الصدور لايدفع أيهما العذاب المحيط بهم لان وعيد الله لا يتخلف فما منه مهرب ..

وفى هذا القول ايماءة الى ان اصحاب الارادة الضعيفه ينبغى ان تكون لديهم القدرة على دفع ايهامهم والتغرير بهم ، بل الاعتماد — بعد الله — على قدراتهم التى يهتدوا بها الطريق الرشيد على حسب ما يلهمهم الله الى الخير والرشاد — اما اراده الله لعبده عدم التوفيق فأمر لا يمكن اعتباره الا على ان علم الله — جل شانه — متصل ازلا بالسلوك الذى يخون لعبده الحياه لانه لم يتركه منقادا لاهوائه بل عصمه بالدين والعقل !

● ويجىء الحوار بين « الشيطان » الذى وسوس فى صدور اتباعه حتى اطاعوه ، فابعدهم عن طريق الهدى ، وأسلمهم الى الردى فى قوله تعالى : « **وقال الشيطان لما قضى الامر : ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا انفسكم . ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى . انى كفرت بما أشركتمون من قبل . أن الظالمين لهم عذاب اليم** » .

لقد أقسم الخارج على الطاعة منذ أخرج من الجنة لعينا مطرودا يتحدى خالقه بالاضلال والامنية الخادبة ، والاغواء مع تزيين العصيان الذى تحفه مغريات النفوس الضعيفة ويوم القيامة يرى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة لخلف العهد ، والضلال ، والبهتان ثم يكون الحكم الفصل لدى احكم الحاكمين من حيث ينال كل جزاء عمله ، وقد استقر اصحاب اليمين مبشرين بالجنة واهل الشمال منذرين بالنار ، ويكون هذا هو الامر الذى قضى الله به — وخص « الشيطان » باسمه لانه راس الشياطين ومسماه ثابت منذ الحوار الذى وقع بينه وبين ربه ، فذكره زجر له وتذكير باعلان عصيانه وطرده من دار النعيم انه يقول — ساخرا ممن قذف وسوسته فى صدورهم : « **ان الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فاخلفتكم** » — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اذا جمع الله الخلق وقضى بينهم يقول الكافر قد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا** » ما هو الا ابليس الذى أضلنا وحين يأتونه يسالونه . يقول قولته التى جهر فيها مظهرا الاعتراف بالبعث والحساب تصد اغاظة متابعيه ، وقد تخلى عنهم بعد أن تركوا السعادات الاخروية ، وتعلقوا بمظاهر الدنيا الفانية : « **وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** »

وفى القول الموجز « **ووعدتكم فاخلفتكم** » قصة طويلة جمعت كل مغريات ابليس التى أضلتهم عن ذكر الله وعمل الصالحات ، ووعده أن ليست هناك جنة ولا نار ولا حشر او حساب الى ان تحقق الامر الواقع فسخر منهم مدعيا أن قدرته محدودة فى وسوسته ؟ وكان فى مقدورهم أن يغلقوا قلوبهم دونها بعد أن تنفتح عقولهم لرؤية مشاهد الكون الدالة على صدق وعد الخالق عز وجل ولما كان الامر يتطلب المراجعة فيما يلقيه الشيطان بصدور أتباعه ألقى التبعة عليهم والملامة من حيث استجابوا لتزيينه **فلا تلومونى ولوموا انفسكم** » ، فقد دعوت ووسوست وتركت لكم الخيار فى تنفيذ وسوستى مع أنكم سمعتم ما أتى به النبى من دلائل لكنكم صممتم عن الحق واتبعتم الباطل ، فحقت عليكم كلمة العذاب الاليم !

وقد أمعن ابليس فى التحدى عند حواره « وماكان لى عليكم من سلطان » كأنه يشير الى قول المولى عز وجل : « **ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين** » ، فسجل عليهم الغواية بالوهم ، والخيال ، والشهوة ولولاها ما استجابوا **اليه** واطاعوه — ومن هنا كانت الاستعاذة من الشيطان الرجيم فى مواقف الاغواء تصرفه وتحيل بينه وبين المتقين الابرار .

● ذكر الامام الرازى كلاما يحيا مع المنطق فى هذا المقام فيقول ما ملخصه : « ان أعضاء الانسان صالحة للفعل والترك والاقدام والاحجام فما لم يحصل فى القلب ميل كان فى الارادة الحازمة والارادة تحصل عند حصول علم أو اعتقاد أو ظن الى أن يحدث الميل الجازم فتصير القدرة معه موحية للفعل فليس للشيطان مدخل ● » اهـ ، وكلامه يدفع اعتذار العبد أن ابليس أغواه واضله مع ان العبد منح القدره على الدفع بعقله .. فأين عقله ؟!

● ويعود الشيطان ، فيغلق امام متابعيه باب الامل فى المخلص مما هم فيه ، لان أصواتهم المستغيثة به ذاهبة مع الهواء « **ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى** » ، قال ابن عباس — رضى الله عنهما ، يريد — يعنى الشيطان — « ما أنا بمغيثكم ولا منقذكم » — ونقول : ان نفى الامر عنه وعنهم فيه اقرار بالعجز بعد أن زين لهم فى الدنيا قدرته على النفع ، وتبصيره بالاصلح حتى سلب قدراتهم فى التعرف على ما ينبغى أن يكونوا عليه — ويجىء « التعريض » بضعف ارادتهم « **انى كفرت بما اشركتمون من قبل** » لانه يسجل عدم اعترافه بهم بما نسبوه اليه من اضلالهم ، فهو يتبرأ منهم بعد انكاره عليهم عدم طاعة ربهم ، وبهذا — كله — يتبين ما يريد المولى — عز وجل — اثباته لعباده عن حقيقة الشيطان فى حواره ..

انه ١ — ضال مضل مبين ٢ — مخادع مراوغ — ٣ — كاذب ظالم — ٤ — قريب من الشر ٥ — ناقم على الاخيار — وكل هذا منطو تحت الحوار البديع فى

البقية ص ٦٨

الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم

اشارة وتمهيد

الدكتور محمد كمال جعفر

ينزع الكتاب فى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم منازع شتى ، وتسيطر عليهم عوامل جمة تدفعهم للوصول بكتاباتهم الى غايات محددة . ولا عجب أن تكون شخصية نبينا صلوات الله عليه مصدرا فيضا يوحى بالكثير من الخواطر ، ويمد بالعديد من الافكار والمشاعر ، فلم تصادف لدنيا شخصية أثرى وأعمر من هذه الشخصية التى أبرزها الله آية لرحمته ولطفه بالخلق اجمعين .

-١-

والواقع انه قد تخلف لنا تراث ضخم من الادب الرفيع ، والفكر الدقيق يصوغ فيه عطره صلى الله عليه وسلم ، دبجته أقلام واعية ، ونفثته قلوب مخلصة مفعمة بالحب والاجلال له صلوات الله عليه منذ شرف هذه الارض الى أن لحق بالرفيق الاعلى . فقد رأت هذه الاقلام بحق ان خلاصة المكارم قد تجمعت فيه شابا ، حيث كان شبابه مقدمة طبيعية لمصطفائه ، كما تجمعت فيه رجلا نبيا وتجسيدا حيا لصفات الكمال التى رسمها القرآن .

لقد تجلت فيه هذه الكمالات أقدس ما تكون ، وأسمى ما يؤمل لها فى انسان ، بحيث كان صلى الله عليه وسلم المرآة المجلوة التى عكست من صفات الحمد أقصى ما سمحت به الطاقة البشرية ، وما أعان عليه التأييد والستر الالهى .

ولاجدال فى ان أهم نقطه تحول فى المجال الاخلاقى تحققت على التمام والكمال بخاتم النبوة هى ربط الفضائل الاخلاقية الانسانية بالاخلاق الالهيه ، لان ذلك استتبع تحولا جوهريا فى المقاييس الاخلاقية ذاتها حيث برزت قيمه البواعث والنيات والدوافع ، وسمت على الاعمال فى حد ذاتها .

والتاريخ يحدثنا بأن المسلمين الصادقين قد بذلوا جهودا فائقة فى سبيل تمثل هذه المكارم متأسين بالرائد الامثل صلوات الله عليه ـ هذا الرائد الذى جمع فى أعطافه بين طرفين متباعدين حقا ، يعسر ، بل يستحيل على أى كائن مهما بلغ من القوة النفسية أن يجمع بينهما : جمع بين **جلال القرب** المشار اليه فى قوله تعالى « **ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى** »

وبين **جمال التواضع** والرحمة المشار اليه فى قوله صلوات الله عليه « **انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد** »

لقد كان هذان الطرفان يتناوبانه ليؤديا به ما أريد له من بسط الدعوة واعلاء كلمة الحق ، وسيادة قانون السماء .

ان اى مفكر منصف فى الشرق او فى الغرب لا يسعه الا الاقرار بأن الفتره التى سعدت فيها الارض بالوجود المحمدى بعد الرسالة كانت أخصب فترة للبناء الاخلاقى المدعم الكامل على مستوى الفرد ، وعلى مستوى الجماعة . ولقد اثبت هذا البناء حصانه عديمه المثال بقدر ما خاض من صراع مع الشر والباطل ، وخرج مظفرا فى كل معاركه المتصلة بالحقوق والواجبات ، أو العهود والمواثيق ، أو الدماء والحرمات ، أو الافكار والمعتقدات .

ولا يسع المحلل لهذه الفترة الا أن يعترف بأن قوة هذا البناء وايجابيته انما كانت تنبع من كونه بناء حيا لم يقم على مجرد الوصف والشرح والتحليل للفضائل الخلقية ، وانما قام ـ فى الاهم ـ على التجربة والتطبيق الحى لمقتضيات ما رسمه القرآن فى خطوط

عريضة وما أبداه صلوات الله عليه بحاله ومقاله فى تفصيل وايضاح حى ملموس .

كل ما سبق ذكره أمر معروف ولا مشاحة فيه ، وانما يهمنى فى هذا المقال أن أشير الى شىء خطير لمحت نظرى ، ودفعنى دفعا الى الكتابة فى هذا الموضوع معبرا عن وجهة نظرى ازاء هذا الاتجاه الذى بدأ يذيع تذرعا بتقدم العلم ، وضروره السير على هديه ومقتضياته . واصحاب هذا الاتجاه مختلفون : فمنهم المخلص الذى يزعم ـ فى صدق ـ أن أى تعليل علمى لاية ظاهرة من ظواهر الدين او ظواهر النبوة ، أو سمة من سمات الرسول صلوات الله عليه انما يكسب الدعوة ذاتها ، والدين نفسه ظهيرا ونصيرا ويجعله سهل التقبل لدى المسلمين وغير المسلمين على السواء .

ولكن هناك ايضا من أصحاب هذا الاتجاه من يهدف الى تضييق دائرة الدين والنبوة يحصرهما بحدود الرسوم العقلية التقليدية ، بحيث كل جوانبها ومسائلها الى أمور مفهومة معقولة بحث يؤدى ذلك فى النهاية الى ان يكون الدين او تكون النبوة مجرد تميز عقلى ملحوظ ، وعبقرية خاصة يمكن استيعابها وتعقلها . وفى سبيل ذلك يجب أن يترك ما لا قبل للعقل بفهمه ، أو للعلم بشرحه وتحليله .

ولا نسرف اذا قلنا أن هذا الفريق الاخير يقصد فى الحقيقة الى احالة الدين ، واحالة شخصية الرسول بالذات الى مجموعة تنتمى الى النظم الفكرية المعقولة ، ليتهيا السبيل بعد ذلك الى الحكم بأن الدين والنبوة لا يخرجان عن كونهما نظاما عقليا انسانيا .

والعجيب فى الامر أن الفريق المخلص لا يدرك أبعاد أهداف هذا الفريق الاخر ، والادهى من ذلك أن هذا الفريق المخلص يكاد يردد بعض عبارات الفريق الاخر ويهاجم فى سبيل ذلك ما يسميه تبعا « بالعقلية الغيبية » . اى العقلية التى تسلم بالمغيبات التى لا تقع تحت حس ، أو برهان عقلى واضح . ولا يدرى هذا الفريق المخلص أنه قد قامت فى الغرب محاولات متتابعة لابداع **دين عقلى** يستوحى حاجات الناس ومطالبهم ، ويتناسب مع مقتضيات تطورهم . والفت فى ذلك كتب متعددة وتأسست مذاهب ومدارس عديدة ، ولكنها جميعا باءت بالفشل لقصورها عن أن تستوعب مكونات الدين الحق المنزل من عند الله . كما سنبين بعد قليل .

ان هذا الاتجاه ـ الذى يزعم أصحابه انه اتجاه عقلى ـ يعمد الى أى عنصر من عناصر الدين ، أو السيرة النبوية المطهرة ، فيسلط عليها عقله الخاص ـ وقد أعد هذا العقل اعدادا خاصا وملىء بالافكار المسبقة بحيث يمكننا ان نطلق عليه « العقل التحكمى » ـ نقول يعمد الى كل ذلك ، فما وجده خاضعا لمطالب هذا العقل الخاص المحدود التحكمى ، اقره وصدقه وسلم به ، وما وجده متجاوزا لحدود عقله ، كذبه ونفاه وهاجم القائلين به ، وعزا تأخر المسلمين الى القول بمثله ، وما الى ذلك من توائم الاتهامات التى لا تخلو منها كتابات هؤلاء .. مع أن السبب فى تخلف المسلمين حاليا أمر واضح لكل نزيه .

وقد يكون لهؤلاء بعض العذر لو انهم كانوا يكتبون للغرب بالنسبة للدين أو النبوة فيه ، حيث يعج التراث هناك بما لا سبيل للعقل المرن المتسع المدرب الى تقبله ، اما ان يكتب هؤلاء عن عناصر شخصية محمد صلى الله عليه وسلم أو عن بعض الجوانب الدينية بهذه الروح فذلك ما لا سبيل الى قبوله أو السكوت عليه .

ان المسلم يرتكب خطأ جسيما واثما كبيرا فى حق دينه وفى حق نبيه اذا كذب شيئا عنهما أو هاجمه لمجرد انه لم يتضح لذهنه المحدود سره أو معناه .. سواء كان ذلك يتعلق بأصول الدين أو معجزات الرسول او بعض تعاليمه ومجالى سيرته .

ولايضاح ذلك نبادر أولا باعلان أن الوصف « بالعقلية الغيبية » لا نفهمه نحن على أنه وصف ذم كما اراد له مذيعوه أن يكون . أنه على العكس مما ارادوا ـ شهادة فعلية باتساع افق المسلم وانفساح معرفته ، وتفتح قلبه . اهتداء بسعة علم الله واحاطته وشمول قدرته . والمسلم عبد لسيد واحد أحد فلابد ان تظهر عليه بعض آثار سيده الحقيقى .

ان هذا الوصف لا يصلح ان يكون اتهاما كما قصد الى ذلك مطلقوه وانه ليذكرنا باتهام مشابه للعقلية العربية الاسلامية صدر من بعض المستشرقين بأنها عقلية جزئية تحليلية لا تحسن التركيب والاستطلاع والكشف عن النظم العامة ، واليوم ينادون بأن العقلية العلمية يجب ان تكون عقلية تحليلية فى المقام الاول . وليس هنا مجال الرد على مثل هذا الاتهام فقد رددنا عليه فى مناسبات أخرى ، ولكن ينبغى أن نشير هنا الى أنه لا تزعجنا هذه الاتهامات مطلقا بل نرى أن العقلية الغيبية عقلية موسوعية اضحت اهلا للانفساح والانطلاق ، جديرة بأن تستوعب بمعاونة نور القلب ما يتجاوز الحدود التقليدية التى ما رسمت تط لادراك المغيبات أو الاسرار الالهية .

ولا غرو أن تتصدر أطول سورة فى القرآن بهذا الرمز الغامض « الم » متبوعا بقوله تعالى « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ..** » .

ولو تأنى اصحاب هذا الاتجاه المضاد [للعقلية الغيبية] كما يطلقون ، لبصرهم الله بأبعاد هذا الموقف الذى يشير اليه القرآن مجملا فى بعض المواضع ، ومفصلا فى مواقع أخرى . ولو شئنا لخضنا بهم لجج القرآن لنضع ايديهم على ما لا يحصى من درر الدقائق والاسرار التى يقف أمامها العقل متلقيا متعلما مستهديا مسترشدا ، لا مشرفا مهيمنا معاندا ، ولكن ذلك يخرج بالمقال عن حيزه المقدر له من هذه الصفحات ، ولعل مناسبة أخرى تمكننا من ذلك .

وحسبنا فى هذه العجالة أن نوضح لهؤلاء أنه ينبغى التفريق الحاسم بين أن يكون الشىء مناقضا

لمقتضيات الضرورة العقلية » وأن يكون مجاوزا للحدود التقليدية للمعرفة العقلية .

ان الشىء اذا كان مناقضا لمقتضيات الضرورة العقلية صار باطلا وهنا يجب انكاره ، أما اذا تجوز الحدود المرسومة ولم يصطدم بأية ضرورة عقلية ، فليس عندئذ فى العقل شاهد واحد على بطلانه . وغاية ما لعقل ان يقول فيه « انه لا يتبين مسالكه أو لا يفهمه ، كما لا يملك رفضه » لانه مطالب فى الحالتين – حال القبول وحال الرفض – بالمعرفة الشمولية لهذا الشىء ، وادراك برهان هذا ، او برهان ذاك .

ان على هؤلاء الناقمين على ما يدعى « العقلية الغيبية » ان يعلموا أن العلم الحديث – الذى يجلونه بلا حدود – يتبنى نفسه نوعا من ثمار العقلية الغيبية فى خطوات سيره قبل وصوله الى نظرية أو قانون عام كما يتجلى ذلك فى بعض الفروض العلمية التى تأسست على محض الخيال ، والتى كانت آنذاك نوعا من الرجم بالغيب ، ولم تحظ بالقبول والاحترام الا بعد أن كشفت التجارب عن صدقها ونفعها .

لقد صرح كثير من علماء الطبيعة والكيمياء والفلك والنفس فى كل من انجلترا وفرنسا والمانيا بان الريادة العلمية انما تتمثل بحق فى حرية اطلاق خيال العالم ، مجاوزا بذلك حدود معطيات الحس او التجربة الجزئية حتى وان بدا هذا الانطلاق فى عصره اغراقا وايغالا فى دنيا اللا تعقل .

ونحن ندرك الان أن كثيرا من المخترعات العلمية الحديثة لم تكن الا مجرد فروض ضاربة فى أعماق الخيال ، ووصفت قبل تحققها احيانا بأنها ضرب من الهوس والجنون ، ولا ندرى ماذا يكون وقع هذه المخترعات على الاسلاف اذا قدر لهم ان يروها فى عصرنا بعقليتهم الماضية .

ان الخطير فى الامر حقا هو أن كثيرا من هؤلاء الذين يصمون المعبرين عن اعجابهم وحبهم واخذهم بعناصر الدين والنبوة وما يتضمنه من معجزات بانهم ذوو عقلية غيبية كثيرا من هؤلاء قد تأثروا بما كتبه بعض العلماء التجريبيين المحدثين عن الدين أو عن النبوة ، ظنا منهم ان هؤلاء العلماء انما يكتبون منطلقين من أرض صلبة ، هى حقائقهم العلمية التى كشفوا عنها ، والتى نراها نحن الان رأى العين وننتفع باثارها . وهذا ظن باطل ، وقع فيه بعض العلماء أنفسهم حين تناسوا حدودهم العلمية فاطلقوا ألسنتهم واقلامهم من مواقف غير علمية بالمرة ، اذ ان علمهم محدود بحدود متطلبات معاملهم وتجاربهم المتصلة بتخصصاتهم الجزئية الدقيقة .

انهم لا يملكون حتى مجرد الحديث عن ميدان العلم جملة من منطلق علمى ، وذلك لان قاعدة العلم عندهم تفرض عليهم التخصص الجزئى الدقيق اذا أرادوا أن يصلوا من بحوثهم الى شىء يقينى . ومن أجل ذلك تركوا لفلاسفة العلم ان يعالجوا هذا الجانب الشمولى بالنسبة للعلوم جملة .

وخلاصة ذلك أن مواكبة العلم بالسير على نهجه لا تكون بتطبيقه على ما ليس من شأنه ان يكون مجالا للتطبيق ، وان كتابة العلماء عما هو خارج عن نطاق تخصصهم انما هى كتابة عادية لا تستمد سندا علميا ، ولا تكتسب تأييدا من البراهين العلمية ، ولا ينبغى للمفكر المسلم النزيه أن يضفى عليها ما ليست أهلا له من أضواء الشخصية العلمية ، لانها عارية عن ذلك تماما .

واذا كان ذلك كذلك ، لم يكن للمسلم المثقف أن يهرع فى بلاهة الى تطبيق منهج علمى وضعه أهله لعلم مخصوص . ولغاية محددة على قضايا دينه ، او جوانب شخصية نبيه ، متجاهلا العنصر السماوى الغيبى الذى يتمثل فى نظرنا لب الدين وجوهره ، ولب الشخصية المحمدية وجوهرها .

ولا ينبغى أن يفهم من ذلك أننا نحظر على الكاتب تناول جوانب الشخصية المحمدية من زوايا انسانية بحتة ، مطبقا فى ذلك مناهج انسانية معروفة فلذلك فائدته التى لا تجحد ، ولكننا نحظر أن يفهم من معالجة هذه الجوانب المختلفة أننا استوعبنا حقيقة الدين او حقيقة النبوة .

حقا يطيب للدارس أن يرى فى رسول الله جوانب البطولة والتميز ، فيجد مثلا فيه القائد المحارب الذى يعد العدة ، وينظم الجيوش ويدير أمور الحرب بروعة تستحوذ على الافئدة ، ولكننى لا أرى انه له الحق فى ادعاء انه بذلك قد كشف عن عبقرية يمكن وضعها بين او فوق العبقريات السياسية أو الحربية فى التاريخ .

ان هذا الادعاء بقدر ما يحاول القاء الضوء على الجانب الانسانى انما يخفى نور الله الذى منه تستمد كافة الاضواء .

وليعلم المثقف المسلم أن العلم الحديث يسقط الانسان من حسابه تماما ، حتى أنه اذا عالج بعض الجوانب المتصلة به ، فانما يعالجها معالجته لاية ظاهرة طبيعية اخرى . ولكن الله جل جلاله لا يسقط الانسان من حسابه ، بل هو يخبرنا بانه خلق كل شىء من أجله ، وهذا منزع لا يستطيع العلم – مهما أوتى من اسباب الكشف وسبر الغور – أن يدركه أو حتى ان يحدس به . ومن ثم كان على المسلم أن يضع العلم الحديث فى موضعه الصحيح ، من حيث الانتفاع باثاره فى تطويع الطبيعة وتذليلها وتطويع الحياة الارضية ، وليعلم أن العلم بمعداته الهائلة انما يدور فى فلك « ظاهرة الحياة الدنيا » .

وإذا حكم عقله فى نزاهة ، محققا انسجاما شخصيا فى فكره ووجدانه وسلوكه ادرك على الفور اتساع نطاق دينه ، بحيث لا يظهر كشف علمى الا فى الاطار الذى أشار اليه هذا الدين الحنيف ، وليعلم ...ك أنه بالعلم ذاته - دون تدخل آراء العلماء الشخصية - يكتسب الدين نصيرا لا عدوا ، وتابعا لا رائدا .

ان الزاد الذى خلفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ممثلا فى القرآن والسنة زاد لا نفاد له ، ولا حصر له ، فليس زادا للفكر وحده أو الوجدان وحده أو السلوك وحده ، وانما هو زاد مركز مكتمل يقتات عليه الفكر والوجدان والسلوك وتشرق به الروح مؤدية بذلك الى تكوين شخصية انسانية لا تتصف بالكمال فحسب ، بل شخصية تبرر سجود أشرف الكائنات الملائكة واستخلاف الله لها .

وانه لعقم روحى وجدب فكرى أن يقلب المسلم فى هذا الزاد دون أن ينبه الى روائع كنوزه ، ودون أن يربط بمواضع حيويته الدافقة ومجالاته السامقة ، وبخاصة فى شخصية نبيه صلى الله عليه وسلم .

ومن هذا المنطلق نرجو الله أن ييسر لنا الوقت والجهد لتناول بعض الجوانب الروحية العميقة ، المغذية لكل قلب سليم فى رحمة الله العامة الممثلة فى محمد صلى الله عليه وسلم . وأنا اذ نرد هذا المعين لنأمل لأمتنا أن تعب وتمتلىء ، مدخرة بذلك طاقة خلاقة بناءة فى شتى ميادين الحياة ، واصلة حاضرها بماضى خير أمة أخرجت للناس (*)

بقية مقال « خصائص الحوار »

وجازته وبلاغته واتساق اسلوبه على ضرب لم يعرف فى لغة العرب كما تلنا صدر الكلام .

ويجىء التذييل - آخر الآية - كأنه جواب عن سؤال مضمونه : وما جزاء الظالمين ؟ فيقول - العزيز الحكيم - : « **ان الظالمين لهم عذاب أليم** » والتعبير بالظلم فى هذا المقام يتناول الشيطان الذى ألقى بوسوسته مزينا العصيان ، ثم ظلمه بالتخلى عن أتباعه ، ويتناول ظلم الاتباع أنفسهم بتصديقه حتى اختصوا بعذاب على صورة مؤلمة .

• • •

ان الحوار القرآنى فيه مضامين ما جاء فى الكتاب الحكيم من توجيهات تبصر ذوى البصائر النيرة حتى يضعوا حجبا تحول بينهم وبين الشيطان فتصرفهم عما يريد بالهام الله الذى يتولى الصالحين .

أما الحوار بين أصحاب النار وأصحاب الجنة وتصوير ما يدل عليه ، فله مقال آت بعون الله وترشيده وتوفيقه .

من صور التربية القرآنية

قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له . وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

الأستاذ محمود محمد عمارة

حين يدرك الانسان أن بسط الرزق وقبضه ظاهرتان مردودتان الى مشيئة الله وحده .. فانه يوفر على نفسه هموم العيش .. ويرتاح الذهن المكدود من الجرى وراء ثروة وهمية .. لا يملك من الاسباب ما يمكنه منها ..

وما دام القدر الاعلى هو الذى يتكفل بهذا الرزق سعة وضيقا .. فلتقف بالانسان أطماعه عند الحد الذى انتهت اليه طاقاته .. ويبقى له فقط سعيه المتاح فى مناكب الارض .. استجابة لامر الله الذى خلقه .. واستعمره فى الارض ليضرب فى جنباتها .. والنتيجة دائما على الله ..

وكثير من الناس يتعبون أنفسهم حين يحاولون الوصول الى حكمة الله فى غنى فرد .. وفقر آخر.

بيد ان الوصول الى تلك الحكمة صعب المنال .. وغايه بعيدة المدى .. يحاول فيها المخلوق الهزيل أن يحيط علما بحكمة الخالق سبحانه !

والجدير به هنا أن يتلمس حكم الله لا حكمته سبحانه . ليمكن بعد ذلك ان يتخذ الموقف العملى اللازم لتجديد سير الحياة .. وتحقيق وجوده كانسان يجب عليه ان يضيف من وجوده الى مجتمعه .. والحكم هنا هو :

ان الله وحده قد تكفل بالرزق .. فلا تشغل نفسك بمقداره ..

ولكن ما يجب ان تشغل نفسك به هو كم انفقت من مالك مهما كان ضئيلا .. وكم لبنة وضعتها فى هذا البناء الكبير الذى تعيش فى ظله ؟

ان الحق تبارك وتعالى يقف بالواجدين والفاقدين جميعا أمام الاية الكريمة .. ثم يهيب بهم أن ينفقوا .. فتلك هى القضية .. بعيدا عن كل ثرثرة حول ثروات الاخرين على نحو ينسيهم واجبهم فى الانفاق ! فماذا يجد الفقراء فيها .

« وما انفقتم من شىء فهو يخلفه .. »

قد يمسك الانسان يده عن الانفاق لانه لا يملك سوى « قرش »زهيد .. فيرتدبه الحياء ! حين يدرك المبالغ الضخمة التى يتبرع بها الكبار ؟!

ولكنه سبحانه وتعالى بهذه الاية الكريمة يحبب اليه الانفاق .. ولو كان عند درجة الصفر ..

فما انفقت من شىء .. من شىء .. مهما كان ضئيلا فهو مقبول منك ..

لان النية الصادقة فى قلبك تصبح رقما صحيحا ..

يقف الصفر الذى تصدقت به الى جانبه فاذا هو شىء مذكور .. وقد يكون القرش الزهيد تكميلا لتذكرة قطار تعود بالغريب الى دياره ..

وربما تم بها ثمن كشف طبيب .. فيطمئن الخاطر الواجف .. بل ربما كان المبلغ المتصدق به فرصة تتيحها لمثلك من الفقراء أن يعطى منه لاخر .. فتعينه بذلك على أن يأخذ مكانه ليصير صاحب يد عليا .. فيتذوق مثلك معنى الاعطاء !

ومن ناحية أخرى .. فالاسلام يرحب .. بل ويفسح الطريق أمام كل بادرة خير تدعو الى البذل ..

انك حين تعزم على البذل .. فان معنى ذلك أن نية الخير تتحرك فى كيانك .

وحينئذ فيجب الامساك بها .. ووصلها بالواقع قبل أن ترتد حسيرة الى الداخل فينكسر خاطرها .. ثم تموت دوافع الخير فى الصدور لانها لم تمكن من تحقيق ذاتها فى دنيا الواقع ..

فاذا ما انتقلنا من الفاقدين الى الواجدين :

رأينا بعض الاغنياء قد يكفون أيديهم فلا ينفقون حذر نقص المال ..

ذلك بأنه يقيم حياته على أساس من لغة الارقام .. وحساب الجمع والطرح .. وحينئذ فان تصدقه بمائة مثلا سوف يرد ألفا يملكها الى تسعمائة !!

ولكن الحق تبارك وتعالى يبين له أن هناك مقياسا آخر للربح والنماء .. فوق ما تعارف عليه الناس :

ان ما يبدو فى نظرك نقصا سوف يخلفه الله تعالى ..

هو - تعالى - يخلفه .. طبق حكمته سبحانه التى تشيع البركة فيما بقى فلا تنفقه الا فى مصارف الخير والنماء .. الى حد يعود ما أنفقته الى ثروتك مرة أخرى .. وعليه مزيد من رضوان الله وتوفيقه ..

ان الانسان الغنى يتعب نفسه كثيرا حين تجرى به اوهامه وراء ثروة جسمها خياله .. ناسيا ان الثروة ابتداء وانتهاء بيد الله عز وجل ..

وحين يدرك ذلك فان قبضته سوف تخف على ثروته لينساب بعضها الى مجتمعه .. ومادام سبحانه هو وحده الذى يخلف ويعوض .. فلنطاطىء الرأس أمام قدرة الاله التى تزيد فى الخلق ما تشاء .. على نحو لا نكلف انفسنا تحليله .. ولكنه الرضا بما قسم الله .. ليكون شغلنا بعد ذلك هو قضية الانفاق .. بعيدا عن هموم الارزاق .

من هدى القرآن الكريم

الدكتور أحمد عمر هاشم

ان اعظم ما يقف عليه المسلم فى القرآن حديث القرآن عن نفسه ، وما اروع حديث القرآن عن القرآن ، انه حديث الصدق فى اسمى درجاته وحديث الطهر فى انقى صوره ، لانه مصون عن كل المؤثرات ، محفوظ من التبديل والتغيير قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد اقسم الله تعالى على ذلك ، فقال : « فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين » .

وقد ضرب الله الامثلة على عظمة القرآن ، وانه لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله ، قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ».

هذا وان القرآن الكريم لهو اجل النعم واولها ولذا صدر القرآن به حديثه من النعم الوفيرة ، وذكره قبل نعمة الخلق وغيرها فقال : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان .. » .

وحين سأل الامام على كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المخرج من الفتن ؟ حين سمعه يقول : ستكون فتن .. فاجابه الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : « كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله من ابتغى الهدى فى غيره اضله الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ، ولا تتشعب معه الاراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الاتقياء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا : « انا سمعنا قرآنا عجبا » من علم علمه سبق ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به اجر ، ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم » .

واذا تبين لنا مما سبق عظمة القرآن ومنزلته التى تمثلت :

اولا : فى الهداية ليتبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ، قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم » .

وقال : « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه » . وقال : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم » .

كما بين القرآن نتيجة من أعرض عن القرآن فى قوله : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

ثانيا : فى الاعجاز ، وما تمثل فى القرآن من كونه معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، جاء به فى وقت اكتملت فيه كل ملامح القوى البلاغية ووسط قوم ملكوا زمام الفصاحة والبيان ، فجاءهم بمعجزة من نوع ما برعوا فيه فعجزوا عن الاتيان بمثله ، قال تعالى :

« وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » .

بل ان التحدى كان للانس وللجن معا فكان عجز الانس والجن عن الاتيان بمثله واضحا قال تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وفيما رواه البخارى ومسلم — عن ابى هريرة — قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ما من الانبياء نبى الا اعطى من الايات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى اتيته وحيا اوحاه الله الى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة » .

ولقد حفظ الله كتابه فى القديم وفى الحديث ، من بين يديه ومن خلفه « وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

وقد حاول بعض المعاندين ان يثيروا حول القرآن الكريم بعض الشبهه وان يقولوا تنزلت به الشياطين ، فرد الله تعالى عليهم بقوله :

« وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون » أما تنزل الشياطين فلا يكون الا على أهل الافك والكذب والزور : « قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم » .

ولما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر ، فزعم اعداء الدين أن جبرا هذا هو الذى يعلم الرسول اغلب ما ياتى به وحاولوا ترويج تلك الفرية فنزل قوله تعالى : « ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين » .

بل انهم تخبطوا فى ضلالات كثيرة ، وأثاروا حول القرآن شبها عديدة لايثبتون على حال ، ولا يهدأ لهم بال شأن كل متحد غمرة يقولون عنه : أنه خلط من اخلاط الاحلام ، وأخرى يقولون عنه : انه افتراه ، واخرى : بل هو شاعر. « بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون » .

وعندما فكر الرسول صلى الله عليه وسلم فى الالتقاء بوفود العرب والقبائل فى موسم الحج يدعوهم الى الله ، اجتمع بعض المعاندين من قريش الى الوليد بن المغيرة يتشاورون ، وقالوا : ماذا عسى ان يقال فى شأن محمد للعرب القادمين الى موسم الحج ، حتى لايختلف بعضهم على بعض ويكذب بعضهم بعضا ، واقترح بعضهم ان يقولوا : ان محمدا كاهن ، فرد الوليد هذا الراى : ان ليس ما يقول محمد بزمزمة الكاهن — اى الكلام الخفى — ولا بسجعه واقترح آخرون ان يزعموا ان محمدا مجنون ، فرد الوليد هذا الراى بانه لا تبدو عليه لهذا الزعم ظاهرة . واقترح غيرهم ان يتهموا محمدا بالسحر ، فرد الوليد

بأن محمدا لا ينفث فى العقد ولا ياتى من عمل السحرة شيئا . وبعد حوار اقترح الوليد عليهم ان يقولوا للحاج من العرب ان هذا الرجل ساحر البيان وان ما يقوله سحر يفرق به بين المرء وابيه ، وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ا هـ [حياة محمد، لهيكل] .

وفى صدد بيان تلك الفرى التى افتراها اعداء الاسلام يتحدث القرآن الكريم عنها ، ويفندها ويبددها فى قول الله تعالى :

« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم » .. الخ الايات .

جاءت هذه الايات الكريمة لتقرر قضية الوحى الالهى فى اجل صورها واسماها ، وهى آيات الله البينات التى اشتمل عليها القرآن الكريم ، وقد عالجت هذه الايات ذلك الموضوع الهام المتعلق بامر الوحى ، بعد ان تصدت الايات السابقة لها من صدر سورة « الاحقاف الى تقرير عقيدة التوحيد عن طريق بيان ما انزل الله من كتاب ، وما خلق من السموات والارض وما بينهما ، وكتاب الكون المفتوح بما فيه من شواهد العظمة الالهية والقدرة القوية شاهد على صدق الكتاب المنزل الذى يهدى للتى هى اقوم ، وكلاهما يتضافران فى بيان اوضح الادلة على وحدانية الله تعالى .. ومن عجب بعد كل هذا الوضوح ان يعرض الذين كفروا عن تلك الحقيقة الواضحة التى لا لبس فيها ولا غموض « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون » .

ثم اخذت الايات بعد ذلك تطرح تساؤلاتها القوية والحجج المفحمة ، وتتحدى من يعبدون احدا غير الله ، وتبين عجز الجميع ان يخلقوا شيئا : « ارونى ماذا خلقوا من الارض » ؟ !

ان نهايتهم ونهاية ما عبدوا فى الدنيا عجز ومهانة .

واما نهايتهم فى الاخرة فهى وقوع العداوة بينهم بين معبوديهم وتبرؤهم منهم وكفرهم بهم : « واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » .

وهكذا ابطلت الايات السابقة عقيدة الشرك واثبتت قضية التوحيد فى جلاء ووضوح ..

بعد هذا اخذت الايات فى اثبات قضية الوحى الالهى فبينت كيف جاء القرآن وحيا جليا وآيات بينات ، ومع هذا فانهم لايملكون أمام اعجاز القرآن الا أن يقولوا :

« هذا سحر مبين »

ثم بينت ما آل اليه أمرهم من التخبط والتضارب فيقولون : افتراه ، وهنا يبرز القرآن هذه الفرية الاخرى لا فى صورة الخبر بل على صورة الاستفهام لان هذا لا ينبغى ان يقول به عاقل ، ومن المستبعد ان ينطق به انسان ومعه عقله : « ام يقولون افتراه » ؟ !

وهنا تاتى الاجابة امرا من عند الله تعالى يتضمن استبعاد تلك الفرية على طريق التدرج معهم حتى ياتى عليها من القواعد ، فعلى فرض ما ادعيتم فهل يكون مفترى من اجل ان تؤمنوا ؟

وماذا يجدى ايمانكم لو آخذنى ربى ؟

« قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا » .

ولكن الحقيقة واضحة ، ويعلم الله ما تندفعون فيه من طعون زائفة وكفى به شهيدا على صدق ما جئت به وعلى افتراء ما تطاولتم به « هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم » .

وفى وسط هذا الجو الخانق لديهم، ومع هذا الحوار الشديد يكشف القرآن عن اسرار الرحمة الالهية ، ويشعرهم بحكم الله عليهم رغم تلك الجرائم والافتراءات فيقول :

« وهو الغفور الرحيم » . فقد تتداركهم هداية الله فيهديهم ، وقد يثوبون الى رشدهم فيرحمهم .

وبعد مناقشة المشركين فى ضوء تلك الايات البينات وبيان انها حق اخذت فى مناقشتهم عن طريق من أنزل عليه القرآن وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو لا يختص نفسه بشىء ولا يصدر فى أمر الا عن وحى الله ، ان قلبه واثق من ربه فلا يمد عينيه الى سر ما من الاسرار وانه ليس اول رسول جاء برسالة ربه فقد سبقه من قبل الرسل « قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الى وما انا الا نذير مبين

اما ما اشارت اليه الاية « وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم » فالمراد به ما لم يكن عليه من وظائف النبوة كالحوادث والوقائع الدنيوية ، اما ما يحدث فى الاخرة من ثواب وعقاب او غير ذلك فان علم مثل هذا من شئون النبوة ووظائفها ، ولذا ختمت الاية الكريمة بما يبين انذار الرسول صلى الله عليه وسلم بعقاب الله تعالى :

« وما انا الا نذير مبين » .

كما اخذت الايات بعد ذلك فى اثبات صدق القرآن عن طريق أحد بنى اسرائيل ، كواحد من جنس المعاندين .

انه استدل على صدق الايات من نفس القرآن ، ثم استدل على صدقها عن طريق من أنزل عليه القرآن وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم استدل على صدقها ايضا عن طريق واحد من نوع المعاندين وجنسهم وهو : « عبد الله بن سلام » .

لما سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب ، وتامله فتحقق انه النبى المنتظر ، فقال له : انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى : ما اول اشراط الساعة ؟ وما اول طعام ياكله أهل الجنة : والولد ينزع الى ابيه او الى امه ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب ، واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته ، فقال : اشهد انك رسول الله حقا ، فقام ، ثم قال : يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامى قبل ان تسالهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام : اى رجل عبد الله فيكم ؟ فقالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن علمنا، قال : ارايتم ان اسلم عبد الله ؟ قالوا اعاذه الله من ذلك ، فخرج اليهم عبد الله فقال : اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا : شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، قال : هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر،

قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل : « قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين » .

ورحم الله البوصيرى اذ يقول :

آيات حق من الرحمن محكمة
قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهى تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن ارم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين اذ جاءت ولم تدم
ما حوربت قط الا عاد من حرب
اعدى الاعادى اليها ملقى السلم

نفعنا الله تعالى بالقرآن الكريم ووفقنا الى العمل به انه سميع مجيب .

أسلوب القرآن

فى الدعوة إلى الإحسان

الأستاذ أحمد أحمد أبوطه

يقول الله سبحانه وتعالى : (انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) الاحسان جميل ، وأجمل منه أن يصدر عن طيب خاطر وسماحة وأريحية تجود به النفس عن عقيدة فى الخير وحب للانسانية ..

والبر نبيل وانبل منه أن يكون مورده صافيا نقيا . وصاحبه خيرا تقيا ، بعيدا عن المعاصى تكدره والرياء يعكره .. يقول الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : (ان الله طيب يحب الطيب)

والقرآن الكريم يحث على البر والاحسان بعبارات تهز النفوس وتحرك الوجدان وبأسلوب يحفز القلوب ويثير الهمم فتنبسط الاكف فى سهولة ويسر ، وتمتد الايدى بالعطاء فى غبطة وسرور (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

فتارة يأتى القرآن بالعبارة مقرونة ببيان الحكمة وجزيل الثواب ، وتارة بالاسلوب يصحبه الاغراء وبالغ التأثير . وطورا بلطف القول ولينه وآونة بزاجر من العقاب وصارمه حتى تتشرب بالبذل النفوس وتطبع على السخاء النفوس .

يقول سبحانه وتعالى : (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم) ويقول : (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون) صدق الله العظيم .

صدر الله سبحانه وتعالى الاية بالطف أنواع الخطاب وهو الاستفهام المتضمن معنى الطلب ، وهو أبلغ فى الطلب من صيغة الامر . وسمى ذلك الانفاق قرضا حسنا . حثا للنفوس وبعثا لها على البذل. لان الباذل متى علم أن ماله سيعود اليه طوعت له نفسه وسهل عليه اخراجه . فان علم ان المستقرض ملىء وفى محسن ، يعطى الجزيل ، كان ذلك أبلغ فى طيب فعله وسماحة نفسه .

فان علم أن المستقرض ينمى له ماله حتى يصير أضعاف ما بذله ، كان بالقرض أسمح . فان علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجرا آخر من غير جنس القرض وهو الاجر العظيم والعطاء الكريم ، فانه لا يتخلف عن قرضه الا لافة فى نفسه ، من البخل والشح وعدم الثقة بالضمان وذلك من ضعف الايمان .

وحيث جاء القرض فى القرآن قيده بكونه حسنا وذلك يقتضى أمورا ثلاثة :

اولها : ان يكون من طيب ماله لا من رديئه وخبيثه .

ثانيها : أن يخرجه طيبة به نفسه ، راضية عند بذله ابتغاء مرضاة ربه .

ثالثها : أن لا يمن به ولا يؤذى .. يقول الله سبحانه وتعالى : (**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**) .

ما أجمل هذا الاسلوب القرآنى البديع .

يجعل الله البذل بمثابة الاقراض له ، وانما المحتاج الذى يقترض .. والله هو الغنى عن العالمين الذى له ملك السموات والارض وما بينهما . ومع ذلك يأتى الاسلوب فى هذه الصورة نيابة عن الفقراء والمحتاجين ودفاعا عن المساكين والبائسين ترغيبا للمؤمنين المحسنين فى الانفاق والاحسان .

والتعبير عن الانفاق فى البر الذى يشعر عادة بحاجة المستقرض الى المقرض جدير بأن يملك قلب المؤمن ويستولى على شعوره ويستغرق وجدانه ، ثم يختم الله سبحانه الاية بما يذكر الغنى بأنه عرضة لحاجة تصيبه وفقر ينزل به ، فيقول جل ثناؤه : (**والله يقبض ويبسط**) فلو شاء يغنى فقيرا ويفقر غنيا ، ثم قال تعالى : (**واليه ترجعون**) فى ذلك من الوعد والوعيد ما يجعل البذل واجبا يعاقب على تركه وفرضا يثاب على أدائه .

بهذا الاسلوب وأمثاله يطلب الله عز وجل الى عباده المؤمنين الانفاق فى سبيل البر والسخاء فى سوق الاحسان .. (**قصة أصحاب الجنة**) .

على ان القرآن الكريم يعلم ان النفوس كلها ليست كريمة فى عنصرها ، تقبل على الخير المقرون بالثواب وليست كلها نقية فى معدنها لتستجيب الى نداء المعروف المشفوع بجميل الجزاء بل لابد من الانذار والتهديد وآثارة غريزة الخوف وحب البقاء ، فعرض لذلك صورة من صور العذاب المهين ، وقص علينا قصة الجاحدين الذين سلبهم الله عز وجل نعمتهم جزاء قسوتهم على البائسين واصرارهم على حرمان المساكين ، وهى قصة أصحاب الجنة . وهم قوم كانت لهم أرض ذات نخيل وزروع وبستان مثمر وجنة ناضرة .. كان صاحب الجنة ومالكها قبل أصحابها هؤلاء . قد جعل فى ثمارها نصيبا مفروضا للمساكين الذين يعيشون معه فى قريته ، فكان بذلك يكسب ثناءهم ويكف يدهم عن العدوان هذا الى قيامه بالشكر الواجب عليه لرب العزة واهب الغنى على ما أنعم به عليه من الرزق الطيب والعيش الهنىء . ولا جرم أن هذه وسيلة الى دوام النعمة واستمرارها وتحصينها من منغص يكدرها ويقضى بسرعة زوالها ..

اما خلفاء هذا المحسن الذى استجاب لنداء ربه فانهم لم يطيقوا أن يجعلوا للمساكين حظا فى جنتهم ولم يفعلوا ماكان يفعله سلفهم ، بل رأوا ذلك مضيقا لرزقهم مقللا من نصيبهم ..

وغفلوا عن ان زكاة المال تطهره وتزيد فى نمائه ، فهم من أجل ذلك عقدوا النية والعزم على حرمان أولئك المساكين ، وذلك بأن يبادروا الى جنى ثمار هذه الجنة وذلك البستان فى وقت السحر . حيث يكون أولئك المساكين مستغرقين فى نومهم ، وطن أصحاب الجنة نفوسهم على ذلك . غير حاسبين حسابا للاقدار وتصاريفها ، وحكمة الله العلى القدير وأعاجيبها ، فذهبوا الى مضاجعهم وهم ينوون التبكير لتنفيذ خطتهم ..

واذا طائف من ربك طاف ليلا على جنتهم فأفسدها .

فلما أفاقوا من نومهم وساروا الى جنتهم شاعرين من أنفسهم بالقدرة على تنفيذ مؤامراتهم . وما علموا أن الله الذى لم يشكروا نعمته ولم يرحموا عياله من ورائهم محيط وعلى احباط كيدهم قدير .

ولما وصلوا الى الجنة أبصروها وقد احترقت ثمارها وأفسدت أشجارها ، لا نبت فيها ولا ثمر ، ادركوا أن ذلك انتقام من الله سبحانه لسوء نيتهم ، وعقاب لهم على فساد طويتهم ، فأقروا عند ذلك بذنوبهم ورجعوا الى الصواب فى تنزيه خالقهم .

يقول الله سبحانه وتعالى على لسانهم : (**قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون. قالوا ياويلنا انا كنا طاغين. عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون**) .

هكذا يدعو الله عز وجل عباده الى الاحسان والانفاق فى سبيله ، وهكذا يكون الهدف الذى يرمى اليه الدين من أسلوب حثه على البر والدعوة الى الاحسان. هو تربية للعاطفة الخلقية التى تجعل المرء يسر اذا فعل الحسن ،أورأى من يفعله ، ويحزن اذا فعل القبيح أو رأى من يفعله .

روى مسلم عن جرير بن عبد الله قال : **جاء ناس من الاعراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الصوف . فرأى سوء حالهم ، قد أصابتهم حاجة. فحث الناس على الصدقة. فابطأوا عنه حتى رؤى ذلك فى وجهه . ثم أن جاء رجل من الانصار بصرة من فضة ، ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا حتى عرف السرور فى وجهه . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : من سن فى الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئا . ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئا .**

وبعد ، فسعادة المجتمع متوقفة على حب الخير والمسارعة الى البر عن عقيدة خالصة لوجه الله سبحانه وابتغاء مرضاته ..

وأحسنوا أن الله يحب المحسنين ...

الذكر

فى القرآن الكريم

الدكتور السيد رزق الطويل

مقدمة : سبق لنا حديث عن تناول القرآن لظاهرة النسيان ، اذ وقفنا امام هذه الظاهرة الانسانية ، وتتبعنا موقف القرآن منها ، وعرضه لها فى اطارها الانسانى ، وفى تقويمها الاسلامى .

والحديث عن معنى من المعانى يسوق الى الحديث عن مقابله ، وتناول المعانى المتقابلة يزيدها وضوحا ، ويكسبها فى النفوس بلاغا ، وبضدها تتميز الاشياء ، فلنعد مرة اخرى الى مائدة الرحمن وفى رحاب كتابه العزيز لنعيش لحظات مع الفاظ الذكر كما عشناها مع الفاظ النسيان .

وقد وردت الفاظ الذكر فى القرآن فى نحو مائتى سورة ، مختلفة الاشتقاق ، والوضع الاعرابى ، ونوع الضمائر الملحقة بها ، وفى التجرد والزيادة .

وقد رأيت أن الصيغة الثلاثية [ذكر] ومشتقاتها مختلفة تستعمل فى معان معينة بينما الصيغ المزيدة تستخدم استخداما آخر .

فالذكر صورة حاضرة ماثلة فى الذهن والتذكر استحضارها بعد النسيان ، والتذكير حفز الغير على ذلك الاستحضار والذكرى هى باعث الذكر .

وحديثنا فى هذا المقال سنقصره على الذكر ، ومايشتق من مادته من صيغ ثلاثية ، وأما التذكر والتذكير والذكرى فسنرجى بحثها لمقال آخر ان شاء الله

الصور اللفظية التى جاء بها الذكر .

وردت الصيغة الثلاثية للذكر فى عدة صور متباينة ، وفى معان متنوعة .

● جاء بالصيغة الفعلية [ذكر — يذكر — أذكر] مرادا به الحديث .

● وجاء بالصيغة الاسمية مرادا به الشأن أو الشرف .

● وجاء بالصيغة الاسمية مرادا به العلم .

● وبنفس الصيغة مرادا به الكتاب المنزل أو الرسول .

● وتناوله القرآن بالصيغة الفعلية واقعا على لفظ الجلالة ، وبالصيغة الاسمية مضافا اليها مثل : ذكروا الله — اذكروا الله — ذكر الله .

● وبنفس الصيغتين واقعا على لفظ الرب ، أو مضافا اليه .

● وبالصيغة الفعلية واقعا على اسم الله تعالى :

والذكر فى الحالات الثلاث الاولى يدخل فى دائرة الاستعمال اللغوى فحسب ، وفى الحالات الاربع الاخيرة مقصور على العبودية والارتباط الوثيق بالله .

الذكر بمعنى الحديث .

تناول الانسان بلسانه لامر من الامور : اخراج له عن دائرة النسيان الى عالم الشهود ، وقد ورد الذكر بهذا المعنى فى ستة مواطن ، منها ما فيه تكريم ، ومنها ما فيه تحقير .

فقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الاصنام التى ضل بها قومه ، وقالوا عنه كما حكى القرآن [**اهذا الذى يذكر آلهتكم ؟**] الانبياء .

وذكر ابراهيم الاصنام التى ضلت بها شيعته ، وقالوا عنه كما حكى القرآن : [**قالوا : سمعنا فتى يذكرهم، يقال له : ابراهيم**] الانبياء .

وطلب يوسف من رفيقه فى السجن أن يذكره عند الملك [**وقال للذى ظن انه ناج منهما : أذكرنى عند ربك**] يوسف . وظل يعقوب يذكره كثيرا فى غيبته حتى لامه فى اشفاق أو اشفق عليه فى لوم بنوه الاخرون [**قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف ، حتى تكون حرضا ، او تكون من الهالكين**] .

وأذا تحدث القرآن من الجهاد ، ودعا الى القتال فزعت قلوب المنافقين ، وزاغت ابصارهم [**فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت**] محمد ..

والانسان قبل أن يوجد لم يكن شيئا فيتحدث عنه ، فهو كما قال الله [**لم يكن شيئا مذكورا**] الانسان ..

الذكر بمعنى الشأن أو الشرف :

وقد امتن الله على نبيه برفعة الشأن وعلو القدر ، ونباهة الذكر فقال : [**ورفعنا لك ذكرك**] الشرح . كما شرف العرب برسالة الاسلام فيهم ، ونزول القرآن بلغتهم [**لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم ، افلا تعقلون ؟**] الانبياء .

الذكر بمعنى العلم ..

والعلم أصول وقواعد مستحضرة فى أذهان البشر يواجهون بها تشكيلات الحياة والوجود ، والعالمون بها هم أقدر الناس على بذل العون لغيرهم ممن لا يعلمون

ولذا كان توجيه الكتاب الحكيم لغير العالمين أن يسألوا العلماء الذاكرين لهذه الاصول ، يقول تعالى : [**فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**] النحل .. الانبياء ..

ووعد النبى عليه الصلاة والسلام — أن يمد قومه بشىء من العلم عن ذى القرنين ، وقد أعطاه الله شيئا من ذلك [**ويسالونك عن ذى القرنين ، قل : سأتلو عليكم منه ذكرا**] الكهف .

وطلب الرجل الصالح من موسى عليه السلام أن يلوذ بالصمت حتى يذكر له فيما بعد شيئا من علم ذلك [**قال : فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا**] الكهف .

ومن اهداف عروبة اللسان القرآنى أن يقود قلوب العرب فى رفق الى الخوف من بارئها العظيم ، ويمنحها العلم به [**وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا**] طه ، ويعلل الضالون لانحرافهم عن منهج الاخلاص بافتقادهم شيئا من العلم الذى هدى به السابقون ، أو من التجارب التى مروا بها ، وهو استنتاج دقيق منهم لكن بعد فوات الاوان [**لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين**] الصافات .

الذكر بمعنى الكتاب المنزل أو الرسول

الكتاب المنزل مبادىء قويمة ، وشرائع مستقيمة ، ونصح رشيد ، وتوجيه سديد ، ولا عجب فهو كتاب رب العالمين الذى خلقهم ، ويعلم ما يصلحهم ويسددهم ، وعلى قدر بشريتهم شرع لهم من الدين ما وصى به رسله جميعا . [**الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**]

والكتاب المنزل ذكر لانه يضع أمام ذاكرة البشر هذه المبادىء التى تحكم الحياة ، وتقود السلوك ، انه ذكر حكيم ، وذكرى للمؤمنين .

وقد جاء الذكر بهذا المعنى فى نحو واحد وثلاثين موضعا من القرآن الكريم من هذه المواضع ما كان الذكر فيه بمثابة العلم على القرآن [**وقالوا : يأيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون**] الحجر .. [**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**] الحجر .. [**وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم**] النحل [**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون**] الانبياء [**أفنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين**] الزخرف ..

وفى معنى الاية الاخيرة : أنهملكم فنحرمكم من هدى الكتاب لتجاوزكم حد الاعتدال ..

وتتساءل قريش فى استنكار كيف ينزل هذا الذكر على محمد من بينهم [**أأنزل عليه الذكر من بيننا ، بل هم فى شك من ذكرى ؟**] ص .. [**أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر**] القمر وقد يترك القرآن ببيانه المعجز آثارا فى القوم تبدو فى قلوبهم حقدا ، وفى أعينهم زيغا وغيظا [**وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون**] القلم .

وتسمية القرآن ذكرا فيه معنى الاسمية والوصفية على السواء ، غير أنه فى بعض المواضع تغلب الاسمية ، وفى مواضع أخرى تغلب الوصفية .

فالقرآن من أبرز صفاته أنه ذكر ، وأن رسالته هى الذكر [**ان هو الا ذكر وقرآن مبين**] يس ويقول تعالى : [**ص والقرآن ذى الذكر**] ص .. [**ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم**] آل عمران . فهو ليس ذكر فحسب ، وانما هو ذكر محكم يصيب كبد الحقيقة ، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويقتحم القلب فيصيب الشغاف ، قال تعالى : [**ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله**] الزمر ..

وهو ذكر مبارك ، تسمو به حياة الناس، وينمو فى طريق الخير مجتمعهم : [**وهذا ذكر مبارك انزلناه**] الانبياء .

ورسالة الذكر فى القرآن تعم الوجود كله ، ففى أكثر من آية يقول رب العالمين عن كتابه ، [**ان هو الا ذكر للعالمين**] يوسف ، ص ، التكوير ، الانعام [**وما هو الا ذكر للعالمين**] القلم ، ومع عموميتها تخص العرب بذواتهم يقول تعالى ممتنا على النبى وقومه : [**وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**] الزخرف .. كما يقول : [**وقد آتيناك من لدنا ذكرا**] طه . والتعبير «بلدنا» فيه اكبار لهذا الذكر أى اكبار ، ولذا ينتقد القرآن انصرافهم عنه ، واعراضهم عن هديه : [**اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم**] ؟ الاعراف [**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون**] الانبياء [**وهم بذكر الرحمن هم كافرون**] الانبياء [**ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز**] فصلت .

واكبر خطأ يتورط فيه البشر أن يستبد بهم الغى فلا ينتفعون بحكمة هذا الذكر

وهذا هو الكافر يلوم قرين السوء الذى أغواه : [**لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى**] الفرقان .. كما يقول المعبودون من دون الله يتبرءون أمام ربهم من ضلال عابديهم : [**ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا**] الفرقان.

والذى يتبع الذكر ، ويهتدى بآثاره هو الذى يستجيب للنذير ، ويؤثر فيه التبشير [**انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب**] يس ..

واروع ما فى الذكر القرآنى وكله رائع — انه يحوى خلاصة التجربة البشرية يقول رب العالمين ، [**هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ، بل اكثرهم لا يعلمون**] الانبياء .

وقد سمى القرآن الرسول ذكرا ، لانه يحمل الذكر للبشرية ، ويثير ذاكرتها نحو الاتجاه الى المبادىء السماوية [**قد انزل الله اليكم ذكرا . رسولا يتلو عليكم آيات الله**] الطلاق .

وفى قسم رب العالمين بملائكته ، وهم العباد المكرمون يشير الى جانب من فضلهم ، وانهم يتلون الذكر ، ويلقونه على رسل الله وانبيائه ، يقول تعالى : [**فالتاليات ذكرا**] الصافات ، [**فالملقيات ذكرا**] المرسلات .

ذكر الله .

وهو أرفع مستوى تسمو اليه عقيدة الايمان ، لانه يعنى استحضار عظمة الذات الالهية ، والاحساس بها فى كل موطن ، وفى كل موقف ، ومن هنا يكون الذكر جنة للمؤمن ، وملاذا لقلبه فلا تعصف به الاهواء ، وحصنا حصينا لايمانه ، فلا يزيغ به شرك أو رياء .

وهذه هى ثمرته : طمأنينة فى القلب [**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . الا بذكر الله تطمئن القلوب**] الرعد .

والاسوة بالنبى منهج كريم ، لكن الذى يعرف قيمة القدوة ، ويحرص عليها من كان رجاؤه فى الله وفى ثوابه وذكر الله يملأ جوانب نفسه [**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ،وذكر الله كثيرا**] الاحزاب ..

والذكر صفة للمتقين ، لانه باعث التقوى ووسيلتها : [**والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم**] آل عمران [**ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**] الاعراف ..

والذكر سمة تحكم مسلك العقلاء ..

[**ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض**] آل عمران ..

وذكر العقلاء لله — كما تشير الاية .. تأمل وتدبر ، واستحضار لعظمة الذات ، وليس مجرد ترديد لعبارات باللسان ، والقلب عنها فى شغل كبير .

والذكر صفة المؤمنين :

فاذا تحدث القرآن عن الشعراء بأنهم يهيمون فى أودية الغى ، فمنهم من نأى عن ذلك ، فنبذ تقاليد الجاهلية ، ومقاييسها الفاسدة ، واتجه الى قيم أمثل تصلح الحياة والنفوس ، وهؤلاء شعراء المؤمنين ، أو مؤمنو الشعراء ،

وأبرز صفاتهم الذكر الكثير لله ، والانتصار لدينه ، يقول تعالى : [والشعراء يتبعهم الغاوون . الم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا] الشعراء ..

ولكون الذكر صفة للمؤمنين ، وسمة للايمان وجدنا هذه النداءات فى القرآن الكريم : [ياأيها الذين آمنوا اذكرو الله ذكرا كثيرا] الاحزاب [ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله] الانفال .. ذلك لان الذكر أعظم سلاح يرفع من معنوية المجاهد عندما يشتد البأس وتحمر الحدق . [انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم] الانفال [وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم] الحج [الم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله] الحديد . واستجابة القلب لذكر الله وتاثره به دليل على صدق الايمان ، وقوة سلطانه على نفس الانسان .

وكما ان الذكر سلاح فعال فى ميدان القتال هو ايضا سلاح مؤثر فى معترك الحياة ، يقول تعالى : [فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون] الجمعة ..

وفى المواقف الصعبة نرى فى الذكر تثبيتا للذاكرين ، وبه وصى الله موسى وهارون ، وهما ذاهبان لمواجهة فرعون [اذهب انت واخوك باياتى ولا تنيا فى ذكرى] طـه ..

والذكر عبادة ، والعبادة ذكر .. فمعنى العبادة لا يتحقق الا به ، وهى فى الوقت نفسه وسيلة اليه واسلوب له فالصلاة ذكر ، والذكر من أعظم ثمراتها [ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر] العنكبوت [واقم الصلاة لذكرى] طـه [واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات . ذلك ذكرى للذاكرين] هود ..

وفى تناول الصلاة ذكر ، وفى اعقابها ذكر [فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم] النساء [يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله] الجمعة ..

وهو الزم سلوك لعبادة الحج ، ولذا نرى الذكر مطلوبا من الحجيج فى كل منسك [فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم] البقرة [فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله] البقرة [واذكروا الله فى أيام معدودات] البقرة ..

تحذير وارشاد

الاعراض عن الذكر بادرة خطيرة تزعزع بنيان العقيدة ، ومن هنا نرى فى القرآن تحذيرا من اللهو الشاغل عنه ومن كل داعية الى البعد عن هديه .. فالذين لا يذكرون هم المنافقون أو الكافرون ، وكفى !! [يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا] النساء [وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا . الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا] الكهف ..

والذين لا يؤمنون بالاخرة لا يرتاحون الى الذكر الخالص لله « واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة] الزمر .

والويل لهؤلاء واولئك [فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله] الزمر ..

وفى هذه الايات تحذير من اللهو الصارف ، أو اتباع من ضل وانحرف [ياأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله] المنافقون [ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه] الكهف ، [فاعرض عمن تولى عن ذكرنا » النجم ، [فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكرى] المؤمنون ..

والشيطان اكبر صارف للانسان عن الذكر ، بل هو الذى ينمى كل الصوارف [انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة] المائدة ، [استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله] المجادلة ..

أما المؤمنون الصادقون فهم الذين لا تؤثر فيهم هذه الصوارف كما وصفهم ربهم : [رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله] النور ..

ذكر اسم الله ..

وفى نحو اربعة عشر موضعا من الكتاب العزيز ورد الذكر أو مشتقاته واقعا على « اسم الله » وتتميز هذه المواضع بانها عبادات ذات رسوم وحدود ، وان المعنى فيها الاهلال باسم الله ، لانه فى هذه المواطن دليل الانصياع ، وبرهان الاذعان للخالق العظيم

فالاهلال بذكر اسم الله لازم فى الصلاة [وذكر اسم ربه فصلى] ـ الاعلى [ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه] البقرة [وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا] الحج [فى بيوت اذن الله ان ترفع ، ويذكر فيها اسمه] ـ النور وفى الحج [ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام] ـ الحج [ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله] ـ الحج

وعند الذكاة [الذبح] يتحتم الذكر [فكلوا مما ذكر اسم الله عليه] ـ الانعام [فاذكروا اسم الله عليها صواف] ـ الحج [ومالكم الا تاكلوا مماذكر اسم الله عليه] ـ الانعام

ويحرم ماذبح بدون ذكر ، او ذكر عليه غير اسم الله [ولاتاكلوا ممالم يذكر اسم الله عليه] ـ الانعام [وانعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه] ـ الانعام .

وعند وقوع الصيد فى قبضة الحيوان المعلم [فكلوا مما امسكن عليكم ، واذكروا اسم الله عليه] ـ المائدة .

وذكر اسم الله شعار ينبغى للمؤمن ان يرفعه فى كل حين [واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا] ـ المزمل [واذكر اسم ربك بكرة واصيلا] ـ الانسان . واذكر ربك

وورد الذكر بمشتقاته واقعا على لفظ الرب فى ثمانية مواضع ، وهذه المواضع فيها معنى التربية والامتنان ، والفضل والانعام ، وهذه ظاهرة تعبيرية واضحة فى كل مقام يذكر فيه القرآن لفظ الرب، حيث يكون الاشعار بالتربية الزم من الاشعار بالعبودية ، ولان ادراك معنى التربية ـ اذا صدق ـ يوصل الى العبودية الخالصة .

وهذه الايات تؤكد صحة هذاالاستنتاج [واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ، ولوا على ادبارهم نفورا] ـ الاسراء [ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه] ـ الزخرف ، ويقول تعالى لعبده زكريا : [واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار] ـ آل عمران

ويقول تعالى : [واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة] ـ الاعراف . [واذكر ربك اذا نسيت] ـ الكهف وعن يوسف يقول تعالى : [فانساه الشيطان ذكر ربه] ـ يوسف ، وعن داود يقول تعالى : [انى احببت حب الخير عن ذكر ربى] ـ ص ، وفى تأنيب الكافرين الجاحدين يقول تعالى : [بل هم عن ذكر ربهم معرضون] ـ الانبياء .

وهذه منزلة الذاكرين : يعدهم الله من بين حملة القيم ، واصحاب المثل السامية كالمسلمين والمؤمنين فيقول تعالى [والذاكرين الله كثيرا والذاكرات] ـ الاحزاب ، كما يعدهم الله بأن يذكرهم كما ذكروه [فاذكرونى اذكركم] ـ البقرة وذكر الله لعبده تكريم اى تكريم .

والغافلون عن ذكر الله : ينتظرهم شقاء الدنيا وبلاؤها ، وعذاب الاخرة ونكالها ، فمن يعتم عن ذكر ربه يبسرله شيطانا يوغل به فى غيه [ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين] ـ الزخرف ، وفى الاخرة يصف لنا القرآن عذابه فيقول : [ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا] ـ الجن

وفى هذه الاية تصوير لتعاسته وشقائه فى الدارين [ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى] ـ طه . نسأل الله العافية .

والى اللقاء مع التذكر والذكرى فى الكتاب العزيز .

التشريع الإسلامى

الإعجاز العلمى للسنة النبوية

الرسول صلى الله عليه وسلم سبق علم النفس الحديث

الدكتور عبد الرزاق نوفل

استحدث العلم اخيرا فرعا منه يختص بدراسة نفس الانسان بعد أن ثبت ما للنفس من أهمية فى حياة الانسان .. الوظيفية .. والصحية .. بل وبعد أن قرر العلماء أن النفس هى الجزء الاهم فى الانسان ، فهى التى تؤثر فى كل حالاته خيرا أو شرا .. صحة أو مرضا .. قوة أو ضعفا .. ولم يصل العلم الا فى السنين الاخيرة الى أن من أهم ما يصيب الانسان من الناحية النفسية هو احساسه بفقدان ثقته فى نفسه .. ومن ثم يصاب بالعجز التام عن الخلق والابداع .. فى مجال عمله .. أو فيما اختص فيه أو أعد لدراساته والتدريب عليه ..

وبتوالى افتقاد الانسان لثقته فى نفسه ، فانه يصاب بأشد حالات الانطواء والانعزال .. فيفقده المجتمع عضوا عاملا فيه .. نافعا له .. ويصبح وكأنه لا أثر له فى مجتمعه .. ولا تأثير يرجى منه فى رهطة .. حتى اذا اجبر على الانخراط والسلوك فى المجتمع .. فانه لا يتصرف عن قصد .. ولا يعمل لهدف .. ولا يشارك برأى .. ومن الحقائق التى ركز العلماء عليها .. وكرروا القول بها .. تزايد هذه الحالات فى الاجيال الاخيرة تزايدا مستمرا .. وتفاقم امرها تفاقما خطيرا .

ويحاول علماء النفس دراسة سبل وقاية الانسان منها .. فقد تكون الوقاية منها أيسر من علاجها .. حيث لا تتعدى طرق العلاج .. محاولات الوقوف على اسباب فقد الانسان ثقته بنفسه واقناعه بانهائها والتحلل منها .

الا أن المتدبر للسنة المطهرة النبوية .. والدارس للاحاديث الشريفة المحمدية . يجد أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حرص على سلامة المسلم وقوة المجتمع الاسلامى قد سبق علم النفس الحديث بما أوصى به وقاية للانسان من فقدانه ثقته بنفسه . بل وعلاجه منها اذا ما أصيب بها فيقول صلى الله عليه وسلم :

« لا تكونوا أمعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا أن لا تظلموا » .

والامعة : هو من فقد ثقته بنفسه .. اذ يشعر بأنه لا رأى عنده .. ولا وزن له .. ولا خير يرجى منه .. لذلك فهو يسير مع الناس كيفما ساروا . ويتصرف مثلهم كيف تصرفوا .. لا يسأل نفسه ولا يسألهم هل يحسنون فيما يتصرفون فيكون معهم عن اقتناع ورغبة . أم هل يظلمون فيما يرتكبون فيمتنع عنهم عن قصد وعمد . ولا شك ان هذا الامعة هو شر ما يصيب المجتمع .. لا سيما اذا زاد عددهم وان اصابة الانسان بهذا الاحساس . لهو أسوأ ما يعترض الانسان فى حياته . وان انخراط الانسان فى مجتمعه والمشاركة فيه برأيه .. ومناقشة آراء غيره .. تحول بينه وبين أى فقدان لثقته بنفسه . اذ يصبح ايجابيا فى رهطه . ذو حركة .. وصاحب رأى . ويحس احساسا عميقا بوجوده . فلا خوف عليه من شبهة الانعزال عن نفسه أو الناس ومن ثم لا سبيل الى فقدانه ثقته بنفسه . وما أوصى به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر أنجع علاج ان لم يكن هو العلاج الاوحد لمن أصيب بهذه الحالة . وهو السبيل الايجابى للوقاية من هذا الشر الخطير .

واقل من اصابة الانسان بفقده الثقة بنفسه . احساسه برتابة الحياة وتوالى استمرارها تباعا على نفس الاسلوب .. والقدر والنمط .. فتتكاسل طاقته ويحس بضآلة نفسه . وقلة قدراته .. فيصاب بقدر ما من الرغبة فى الانطواء والانعزال .. حرصا منه على استمرراه فيما قد اعتاده من رتابة . ولذلك فان آخر ما وصل اليه علم النفس الحديث هو ما أوصى به من أن يخرج الانسان عن المألوف . كسرا لرتابة الحياة .. وقاية مما قد يصيبه به .. وعملا على

البقية صفحة [٨٣]

كلمات الله

الكلمات جمع كلمة . وهى فى اللغة ، تطلق على الجمله المفيدة ، كقوله تعالى « كلا انها كلمة هو قائلها » اشارة الى قول الكافر يوم القيامة ، بعد أن يأتيه الموت ويعاين العذاب « رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت »من سورة المؤمنين

وكقوله صلى الله عليه وسلم [أفضل كلمة قالها شاعر .. كلمة لبيد :

الا كل شىء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل]

وتطلق الكلمة فى اصطلاح علماء العربية ، على القول المفرد . وهى ثلاثة أنواع : اسم ، وفعل ، وحرف .

فالاسم : هو كل مفرد دال على معنى مستقل به : مع عدم دلالته على زمن ، سواء أكان علما كمحمد وفاطمة ، أو اسم جنس كحيوان وانسان ، أو اسما موصولا كالذى والتى : أو اسم اشارة كهذا وهذه ، أو ضميرا كهو وهى ، أو غير ذلك من الاسماء ..

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى

والفعل هو كل مفرد دال على معنى مستقل به ، مع دلالته على زمن . ويكون ماضيا . كقوله تعالى « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة » من الاية ٢٥ من سورة التوبه . ومضارعا ، كقوله تعالى « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » من الاية ٧ من سورة محمد عليه الصلاة والسلام . وأمرا ، كقوله تعالى « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » الايه ٢٨٦ من سورة البقرة ..

والحرف ، هو المفرد الذى لا يستقل بالمفهومية .. مثل كان واخواتها . وكحرف العطف مثل الواو كالفاء وكحروف الجر مثل الى وعلى . وغيرها .

فهذه كلها كلمات فى اصطلاح علماء القواعد العربية .

وتطلق كلمات الله ، على القرآن الكريم . فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، وهو كلماته ، وهو آياته البينات المنزلة من لدن الحق تبارك وتعالى ، على خاتم الانبياء وسيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه .

وقوله تعالى « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته » وفى قراءة « وتمت كلمات ربك » بالجمع .. الاية ١١٥ من سورة الانعام . المراد بالكلمة هنا ، وبالكلمات على القراءة الثانية . هو القرآن الكريم . فهو كلام الله ، وكلمة الله ، وكلمات الله .

وقد اشتمل على أخبار الماضين ، وعلى الشرائع والاحكام ، وعلى الاوامر والنواهى . وعلى كل ما هو كائن الى يوم القيامة .. ولذلك قال سبحانه « وتمت كلمة ربك » أى تم ذلك كله حقا وصدقا . فيما أخبر به عز وجل . وفيما وعد وأوعد وعدلا . فيما حكم به . ومعنى « لا مبدل لكلماته » .. أى لا مغير لقضائه ، ولا راد لحكمه ، ولا خلف لما وعد به .

فكلماته سبحانه وتعالى ، مصونة عن التغيير والتبديل ، وعن التحريف ، باقية الى أن تقوم الساعة . ويفنى كل حى . ولذلك يقول فى آية أخرى « انا نحن نزلنا الذكر – أى القرآن – وانا له لحافظون » الاية ٩ من سورة الحجر ..

فالله سبحانه وتعالى تفضل على الامة المحمدية بانزال القرآن الكريم معجزة باقية . وتفضل بحفظه وصيانته من التغيير والتبديل والتحريف ومن الزيادة والنقصان .. وهذه نعمة كبرى من الحق تبارك وتعالى ، وخاصة اختص بها ذلك الكتاب العزيز ، بخلاف سائر الكتب المنزلة على الانبياء . فقد حل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ..

وقوله تعالى « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا » الاية ١٣٧ من سورة الاعراف ..

المراد بالكلمة هنا ، وعده سبحانه وتعالى لهم بالنصر على عدوهم فرعون . والتمكين لهم فى

الارض . فقد تم ذلك ، وأنجز الله عز وجل وعده ، واهلك عدوهم فرعون وجنده . وذلك بسبب صبرهم على دين الله الحق ، الذى جاءهم به موسى عليه الصلاة والسلام . وصبرهم على ايذاء فرعون وقومه لهم .. فقد كانوا يقتلون أبناءهم ، ويستبقون بناتهم للخدمة ..

يقول سبحانه وتعالى فى تعداد بعض نعمه التى انعم بها على بنى اسرائيل وعلى اسلافهم « **واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ، واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون** » الايتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة البقرة .

وكلمة [فرعون] علم على كل من كان ملكا على مصر .

فهذا الوعد الكريم الطيب من الله تعالى لبنى اسرائيل بالنصر والتمكين فى الارض كان بسبب صبرهم على الايمان بالدين الحق . وعلى ايذاء فرعون وقومه ..

وهذا دليل على أن الصبر له فضل عظيم .. يقول صلى الله عليه وسلم [**الصبر نصف الايمان**] ..

ولكن بنى اسرائيل بعد ذلك ، طغوا وبغوا وعتوا وضلوا ، حيث قالوا لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام ، حين رأوا قوما يعكفون على عبادة الاصنام « **اجعل لنا الها كما لهم آلهة** » وتناسوا نعم الله تعالى عليهم وتكريمه لهم . فقال لهم موسى عليه الصلاة والسلام « **انكم قوم تجهلون** » من الاية ١٣٨ من سورة الاعراف ..

وهكذا كان بنو اسرائيل دائما يجحدون نعم الله تعالى ، ويتمردون على الانبياء ، ويقتلونهم ، ويعيثون فسادا فى الارض ..

وقوله تعالى « **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم** » الاية ٣٧ من سورة البقرة ..

المراد بالكلمات هنا ، كلمات التوبة والانابة والدعاء والاستغفار وهى قول آدم عليه الصلاة والسلام ، وزوجه حواء رضى الله عنها .. « **ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** » الاية ٢٣ من سورة الاعراف .

● ● ●

والمراد بكلمات الله تعالى فى هذا المقال .. آيات الله تعالى الكونية ، الدالة على وجوده سبحانه ووحدانيته وقدرته وعظمته وجلاله .. وهى كل ما فى هذا الكون العظيم ، المترامى الاطراف ، مما خلقه الحق تبارك وتعالى : فى السموات وفى الارض ، من انسان ، وملائكة ، وجن ، وحيوان ، وهواء ، وماء ونار ونور ، وزروع واشجار ، وفواكه وثمار .. وشمس وقمر ، وكواكب ونجوم . وعوالم علوية وسفلية . وحياة وموت . وحب وبغض . ومعارف وعلوم . الى غير ذلك مما لا يحصيه الا الله تبارك وتعالى .

فكل شىء خلقه الله تعالى ، آية من آياته ، وكلمة من كلماته . وهى تدل على وجوده سبحانه وعلى عظمته وقدرته ووحدانيته .

وهذه المخلوقات كلها تسبح بحمد الله تعالى . وتنطق بشكره .. كما قال جل ذكره « **تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شىء الا يسبح بحمده** » من الاية ٤٤ من سورة الاسراء ..

ونطلق كلمة الله على كلمة [كن] كلمة التكوين والايجاد . يقول سبحانه « **انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** » الاية ٨٢ من سورة يس ..

وعيسى عليه الصلاة والسلام كلمة الله . اى اثر كلمة الله . كلمة [كن] فكان انسانا بشرا من غير أب . يقول جل وعلا « **انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه** » ، من الاية ١٧١ من سورة النساء .

فالله تبارك وتعالى خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بارادته . فهو آية من آياته ، وكلمة من كلماته . ألقاها الى مريم ، أى أوصلها اليها . وروح منه . أى روح مخلوقة بقدرته . كسائر الارواح التى خلقها سبحانه

روى البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [**من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله ، وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، والجنة والنار حق . أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل**] .

وآدم عليه الصلاة والسلام ، كلمة من كلمات الله ، وآية من آياته . خلقه من غير أب ولا أم . كما خلق عيسى عليه الصلاة والسلام من غير أب . ولذلك يقول سبحانه « **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** » الاية ٥٩ من سورة آل عمران ..

[والله] علم على الذات العلية ، وهو الاله العظيم . والرب الكريم .. وهو الواجب الوجود وحده سبحانه – كان ولا شىء معه . وهو القديم الازلى . الاول بلا بداية ، الباقى السرمدى . الاخر بلا نهاية ، الظاهر فى كل شىء من مخلوقاته . الباطن الذى لا تدركه الابصار . ولا تحيط به الافكار . وهو سبحانه يدرك كل شىء . ويحيط بكل أمر . وهو اللطيف الخبير .

وهو الحنان المنان ، الرحيم الرحمن « **وسعت رحمته كل شىء** » وهو العزيز القاهر « **لا يعجزه شىء فى الارض ولا فى السماء** » وهو المؤمن . يبعث الامن والطمأنينة فى نفوس المؤمنين . فلا أمن الا به ، ولا أمان الا منه سبحانه ..

وهو القيوم ، القائم بتدبير السموات والارضين وما فيهما على أحسن وجه وأتمه وأحكمه ..

وهو الخالق لكل شيء . القادر على كل شيء . قدرة لا حد لها . المريد ارادة مطلقة . الواحد الاحد . الفرد الصمد . الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد « **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** » يسمع دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء . على الصخرة الصماء . ويبصر ما تحت الثرى ويعلم السر واخفى « يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور » . « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم » ..

وما احسن قول القائل . مناجيا الحق تبارك وتعالى طالبا منه سبحانه المغفرة من ذنوبه : —

يا من يرى مد البعوض جناحه
فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها
والمخ فى تلك العظام النحل

وهو سبحانه الغنى . الذى يفتقر اليه كل من عداه . بيده ملكوت السموات والارض . وفى حوزته خزائن الخير كله . لا يتصرف فيها الا هو وحده . فهو يعطى من يشاء . ويمنع من يشاء ...

وهو المعز المذل . يعز من يشاء . ويذل من يشاء ..

وهو المحيى المميت . أحيانا من العدم . وقدر المقادير كلها من القدم . وهو يميت كل حى فى وقته المعلوم . وقدره المحتوم « **اذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون** » .

وهو جل وعلا « **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** » فالخلائق كلهم مسئولون بين يديه . يحاسب كل انسان على ما قدمت يداه . ويجازى كل امرىء على عمله « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » كل ذلك بعدله وحكمته . وخبرته وارادته . جل جلاله . وتعالت ذاته . وتقدست أسماؤه . وتباركت صفاته . لا يحيط به مكان . ولا يتعلق به زمان ..

وهو وحده الذى يعرف قدر نفسه . وحقيقة ذاته . وهو الذى يحصى الثناء على نفسه المقدسة . والخلائق كلهم عاجزون عن ذلك . حتى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو أعرف العارفين به عز وجل . يقول فى مناجاته لربه [**سبحانك لا نحصى ثناء عليك . كما أثنيت أنت على نفسك**] ..

فسبحانه سبحانه .. اليه المرجع واليه المآب . واليه المنتهى . واليه المصير ..

يحيط بها الا هو سبحانه . لذلك بلغت من العظمة والكثرة حدا لا يمكن لبشر أن يدركه . ولا لمخلوق أن يتصوره ..

ولقد حدثنا المولى عز وجل عنها فى كتابه الكريم . حديثا رائعا . يثير النفوس ويهز القلوب ويحرك الافئدة . فقال سبحانه . وهو أصدق القائلين : —

« **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا**] الاية ١٠٩ من سورة الكهف ..

وقال جل جلاله أيضا :

« **ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم** » الاية ٢٧ من سورة لقمان الحكيم رحمه الله .

فما أجدرنا أيها القارىء الكريم ، ان نقرأ هاتين الايتين الكريمتين . وان نكرر قراءتهما . بكل اعزاز وتقدير . واجلال وتوقير . وخشوع وخضوع . وأن نتدبرهما ونمعن النظر فيهما ، بعين البصيرة النافذة . المؤمنة بالله . المقرة بوحدانيته وعظمته وجلاله . محاولين تفهمهما . وادراك ما فيهما من معان وحقائق : —

ونحن بمعونة الله تعالى نتكلم عليهما بايجاز فنقول وبالله التوفيق :

فالاية الاولى . أمر من الله تبارك وتعالى للنبى صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس .. ما تضمنته الاية الكريمة ..

والاية الثانية اخبار من الله تبارك وتعالى بما تضمنته الاية الكريمة . ولفظ [أل] فى قوله تعالى « البحر » فى الايتين .. عند علماء اللغة لجنس . فتشمل سائر بحار الدنيا ..

ومعلوم أن البحار تغمر ثلاثة أرباع سطح الكرة الارضية .. وهذا أمر ثابت بالمشاهدة الحسية ..

« ونفد » فى الايتين أيضا . يعنى فرغ وانتهى ..

« والمداد » هو الحبر المعروف . الذى يكتب به ..

« وكلمات الله » هى آياته الدالة على وجوده وقدرته وعظمته .. وهى كل شيء خلقه الله تبارك

وتعالى .. فى ملكوته .. مما لا يحصى عدده الا هو عز وجل وكما أسلفنا ..

« والاقلام » جمع قلم . وهو الاداة المعروفة التى يتعلم بها الناس . ويكتبون بها المعارف والعلوم وأسماء كل شيء ..

وقد ذكره الحق تبارك وتعالى فى أول كلام أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى سورة [اقرأ] حيث قال جل ذكره « **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم** » ..

فالله جل جلاله .. يقول فى هاتين الايتين الكريمتين صراحة وبكل وضوح . ان كلماته وآياته ومخلوقاته التى خلقها . قد بلغت من العظمة والكثرة حدا كبيرا . بحيث اذا اردنا حصرها . وجعلنا البحار كلها مدادا أى حبرا . وجعلنا الاشجار كلها الموجودة فى سائر أنحاء الدنيا اقلاما .. وكتبنا بهذه الاقلام من ذلك الحبر لفنيت الاقلام . ونفد الحبر وفرغ قبل أن تنتهى آيات الله وكلماته . حتى ولو جئنا بمثل هذا الحبر حبرا آخر [كما فى الاية الاولى] .. أو بسبعة أمثاله [كما فى الاية الثانية] ...

فانظر يا أخى الى هذه العظمة ... والى ذلك السمو والجلال !

ولقد ذيل المولى سبحانه وتعالى .. الاية الثانية بقوله « **ان الله عزيز حكيم** » لبيان أنه سبحانه « عزيز » لا يعجزه شيء « حكيم » لا يغيب عن علمه وحكمته شيء ... فلا تنفد كلماته . ولا تنتهى آياته ...

وكلما تأملنا ذلك وتدبرناه وكلما حاولنا تصوره وادراكه وكلما تبين لنا فى وضوح وجلاء عجزنا التام عن هذا الادراك .. كلما اقتربنا من الادراك ..

فنحن عاجزون عجزا تاما عن حصر كلمات الله وآياته .. والوقوف على حقائقها . فما بالنا يا أخى بمعرفة حقيقة ذات الله المقدسة ؟؟ فهى لا شك . فوق ادراك العقول والافهام ...

وصدق الشاعر حيث يقول : —

العجز عن درك الادراك ادراك

والبحث عن كنه ذات الله اشراك

ولقد أمرت الشريعة الاسلامية بالنظر فى آيات الله تعالى وكلماته . والتفكر فى مخلوقاته سبحانه ومصنوعاته ..

يقول جل ذكره « **قل انظروا ماذا فى السموات والارض** » من الاية ١٠١ من سورة يونس عليه الصلاة والسلام ...

فهذا أمر صريح من الحق تبارك وتعالى للنبى صلى الله عليه وسلم بأن يأمر الناس بالنظر والتدبر فيما خلقه الله تعالى فى السموات والارضين . من الايات الدالة على وجوده وقدرته وعظمته .

ويقول سبحانه أيضا « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » الايه ٢١ من سورة الذاريات .

فهذا حث من الله عز وجل لعباده . أن يتدبروا ويتفكروا فى أنفسهم وفى تكوين هذه الانفس وكثرة اجزائها . وفى وظيفة كل جزء وفى ابداع صنعها ...

وصدق الله حيث يقول « **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم** » الاية ٤ من سورة التين ..

واننا لو عرضنا للانسان واردنا ان نحصى عدد أجزائه .. من عظام ولحم ودم وجلد وعروق وشعر ومفاصل وأظافر . وما يحويه من مسام . ومن غدد صماء وغير صماء . وما يشتمل عليه ذلك الجسم العجيب التكوين من دقائق وآلات . وبحثنا عن وظيفة كل جزء منه لعجزنا عن ذلك ..

فالانسان كلمة من كلمات الله . وآية من آياته وهو مشتمل على كلمات كثيرة من كلماته . وآيات عظيمة من آياته ..

بل ان عين الانسان وحدها . آية كبرى من آيات الله تعالى وهى مكونة من آيات عدة . يعجز المرء عن حصرها . وحصر دقائقها .. ومعرفة وظيفة كل جزء من اجزائها ...

والقرآن الكريم .. تحدث عن الكثير من كلمات الله تعالى وآيات . ودعا الى النظر فيها والتدبر فى أمرها . وبين أن التفكر فيها نعمة من نعم الله تعالى . على عباده المؤمنين ...

وهدد اولئك الجاحدين .. المتكبرين عن عبادته .. المنكرين لعظمته .. بأنه سيصرفهم عن نعمة التفكر فى

وكلمات الله تعالى . لا يعلم عددها الا الله . ولا آياته . فالنظر فى مصنوعاته بقوله عز وجل « **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** » الاية ١٤٦ من سورة الاعراف ..

فهذه الاية الكريمة صريحة فى أن الحق تبارك وتعالى يبين على سبيل التهديد والزجر أنه سيعاقب أولئك المتكبرين عن عبادته سبحانه بصرفهم عن النظر فى آياته الكونية ودلائل قدرته وأنهم اذا رأوا أى آية من آياته فلن يؤمنوا بها بسبب تكبرهم .. وظلام قلوبهم . وانصرافهم عن الحق . وأنهم اذا رأوا سبيل الخير والرشاد فانهم ينصرفون عنه . ولا يتخذونه طريقا لهم يسلكونه . اما اذا رأوا سبيل الغى والغش والضلال فانهم يقبلون عليه ويتخذونه سبيلا لهم وطريقا يسلكونه ويسيرون فيه .. وذلك كله بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى .. وكلماته الرائعة وغفلتهم عنها . وعدم تدبرهم فيها ..

ويقول صلى الله عليه وسلم [**تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله**] **ويقول أيضا** [**تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة**] . ويقول [بينما رجل مستلق على ظهره اذ نظر الى السماء والنجوم . فقال أشهد أن لك ربا وخالقا . فغفر الله له] ..

نسأل الله تبارك وتعالى ان يملا قلوبنا بنور التدبر فى كلماته وأن يغمر أفئدتنا بالايمان والنظر فى مصنوعاته وأن يمتعنا بمشاهدة روائع مخلوقاته .. وأن يجعلنا دائما مقرين بوحدانيته معترفين بواسع فضله واحسانه مهتدين بهديه ورضوانه .. سالكين طريقه المستقيم . مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وأن ينصرنا على أعدائنا .. انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير ..

بقية مقال « الاعجاز العلمى للسنة النبوية »

التحرر من النظام اليومى المستمر . ولا يصل العلم بكل ما أوصى به . الى ما يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمره الكريم لاتباعه واهل دينه فى حديثه الشريف :

[**اغزوا تغنموا .. وصوموا تصحوا .. وسافروا تستغنوا**] ..

ومما لا شك ان هذا الحديث ايمان يدعو دعوة ايجابية الى كسر رتابة الحياة تماما فى كل أمور الانسان وفى مختلف نواحيه .. فبدلا من الحياة الناعمة اللينة الرتيبة يطلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانسان أن يجاهد ويجتهد .. فيخرج للغزو .. بكل أنواعه . وصوره .. والغزو لا يقتصر على الحرب والقتال .. وانما يشمل .. غزو كل ميادين العمل والتجارة والعلم . حيث يجب أن يخرج الانسان اليها عاملا . مجاهدا .. راغبا فى الفوز بما يرجو . ويأمر الحديث الشريف بأن يخرج الانسان من رتابة الاكل اليومى الى الصوم حيث يغير من مواعيد وشكل طعامه .. وطالب كذلك بأن يخرج الانسان من انطوائيته وعزلته فيسافر ويرحل .. وحبب الى الاستجابة لذلك . بما بشر به من يستمعون ويستجيبون اليه بالغنى والصحة والسعادة .. وهذا لا شك هو ما يحرص عليه كل انسان ...

هذا هو بعض علم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الامى .. الذى لم يكن يقرأ ولا يكتب ولم يكن فى زمان قوله .. اى اثر من مثل هذا العلم .. فى أى مكان .. ويظل العلم يجهل ما يقول به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أربعة عشر قرنا من الزمان .. حتى يقرر حاليا أن الرسول بما علمه به ربه سبحانه وتعالى . قد سبق العلم الحديث بعشرات المئات من السنين .. صلى الله عليه وسلم ... آمين ...

الله ... والعقل

ان تصور أى شىء فوق قدرة العقل البشرى غير موجود خطأ بلا شك .. فان يطير الانسان ويصل الى القمر ويتحدث فيسمعه العالم كله كانت فوق قدرة العقل البشرى . ولكن امكانياتها كانت موجودة فى الكون ، منذ خلقه الله ..

الأستاذ أحمد زين

الانسان يجعل عقله دائما هو الميزان لكل ما يحدث وهذا مطلوب فى أمور الحياة اليومية ، ولكن هناك أشياء قد تكون فوق قدرة العقل أن يفهمها أو يفسرها .. على الاقل فى المرحلة الحالية من تاريخ البشر وقد تأتى الايام بعد ذلك فتكشف السر ..

والكون بخصائصه كلها ومواده الاولية وقوانينه هو كما خلقه الله وكل ما استطاعت البشرية أن تفعله هى أن تكشف هذه الخصائص وتستخدمها .. فالهواء كان ممكنا أن يحمل الطائرات منذ فجر التاريخ لو اكتشف الانسان خصائص الهواء وعرف نظرية الطيران .. والاثير من خصائصه حمل الاصوات عبر الدنيا ..

ان الانسان لم يصنع غلافا جويا للارض ليطير فيه ولم يصنع موجات الاثير ولكنه اكتشفها واستخدمها .. ولم يصنع الكهرباء ولكنه اكتشفها واستخدمها ..

معنى ذلك انها كانت موجودة منذ ملايين السنين موجودة على الارض .. ولكن لو قلت للانسان الاول أنه فى الارض مايحملك فى الهواء . ويطير بك ... هل كان عقله يقبله ؟ .. لقد كان هذا فوق قدرة عقله فى هذا الوقت .. ولكنه كان موجودا ..

ونحن فى الطريق الى الله يجب أن نفرق بين شيئين أساسيين نحن فى طريق طويل لا يمكن أن نوفيه حقه مهما سرنا فيه ولكنه طريق له معالم خاصة فكلما سرنا فيه ازددنا راحة وامتلأت نفوسنا بالسكينة وامتلأت قلوبنا بحب الله ومهما زدنا فى السير فنحن نزداد شوقا ونزداد شفقة ونزداد قربا ونزداد ايمانا وتزداد قلوبنا سكينة

تملأنا العزة .. عزة الايمان والقوة قوة العقيدة التى تصل الى القلب . وفى الطريق الى الله علينا ان نفرق بين شيئين أساسيين ان الطريق الى الله لا يقبل ماهو ضد العقل .. ولكنه يقبل ويؤمن بما هو فوق العقل ويؤمن انه قاصر على أن يفهم الكثير والكثير جدا مما يدور فى الكون .

واعتقد أن هذه النقط محتاجه الى تفسير بسيط حتى لا تختلط معانيها علينا فيضيع منها المعنى الحقيقى لهذه الكلمات .

ما هو ضد العقل مثلا ، ان نقول ان هذا الكون بنظامه البديع الدقيق الذى لا يختل ثانية هذه الكرة الارضية المعلقة فى الفضاء تدور حول نفسها .. هذا النظام الكونى الذى لا تضعه الا قوة خارقة اذا قلنا ان هذا كله وجد هكذا فهذا ضد العقل ولا يمكن ان نقبله .

فوق قدرة العقل

يأتى بعد ذلك ماهو فوق قدرات العقل البشرى .. والعقل يتطور مع الزمن وتزيد قدراته بمعنى ان ماكان فوق قدرة العقل البشرى منذ مئات السنين مثلا اصبح الان حقيقة فى قدرة العقل البشرى فلو قلت للانسان الذى عاش منذ مائة سنة انك ستطير فى الهواء لما صدقك .. ذلك أنه فوق قدرة عقله البشرى فى ذلك الوقت اما الان فانه بمنتهى البساطة يذهب الى اى مطار ويركب الطائرة ويطير حول العالم دون أن يحس بأية دهشة .. واذا كنت قد قلت لانسان منذ مائتى سنه انك تستطيع بجهاز صغير ان تسمع انسانا يتحدث فى آخر الدنيا لما استطاع ان يدرك هذا ابدا لانه فوق طاقة عقله البشرى فى ذلك الوقت ولكن أى طفل الان يستطيع أن يدير جهاز الراديو فيسمع محطات اذاعات العالم كله وهى تتكلم واذا أخبرت انسانا منذ مائة عام أنه سيمكنه ان يدير جهازا صغيرا فيرى رجلا يمشى فوق القمر لنظر اليك باستغراب عجيب ولا تهمك بالجنون ذلك أن ماتقوله له فوق عقله وادراكه فى هذه الفترة من الزمن ولكن كل فرد منا رأى الانسان وهو يمشى ويتنقل فوق القمر ...

لماذا أعطانا الله ؟

وأستطيع أن أمضى فى هذا بلا نهاية ... اذن ما هو فوق العقل موجود فعلا وان كنا لا نستطيع أن

« البقية ص ٩٣ »

مفاهيم ومبادئ في الاقتصاد الإسلامي

المال والنقود

تكلمنا في العدد ٣٣ ربيع الثاني ١٣٩٥ هـ - أبريل ١٩٧٥ م عن مفهوم المال المتقوم وتقسيمه الى نقود وعروض، وتقسيم العروض الى عروض تجارة معدة لبيع وعروض قنية غير معدة للبيع . وتكلمنا عن مفهوم النقود ووظائفها وأنها في الاقتصاد الاسلامي مال تام حكما وبالقوة وعن حتمية تزاوج النقود مع عنصر أو أكثر من عناصر الانتاج كشرط أساسي لنموها بالفعل . وناقشنا مفهوم الاكتناز على المستوى الفردي والفرق بينه وبين الادخار في الفقه الاسلامي . واستكمالا للبحث نعرض بعض صعوبات محاربة الاكتناز وتعبئة المدخرات في الدول النامية وكيف يتغلب عليها الإسلام .

الدكتور شوقي اسماعيل شحاتة

بعض صعوبات محاربة الاكتناز وتعبئة المدخرات الصغيرة في الدول النامية :

يقول ... ها نسون في العمل على ابطال عادة الاكتناز وتنشيط الادخار وتعبئة المدخرات الصغيرة . وقد يقال أحيانا ان في متناول الحكومة وسيلة أسهل لتعبئة المدخرات الصغيرة وتتلخص - كما يرى البعض - في استيلاء الحكومات على المكتنزات وقد تبلغ في جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا والشرق الاوسط ما يقرب من ١٠ في المائة من الدخول القومية . واذا انطلقت هذه المكتنزات من مكامنها ، وانفقت في فترة خمسة أعوام فانها قد تسهم في تكوين رأس المال سنويا بما يبلغ ٢ في المائة من الدخول القومية ، **ولكن العيب الواضح في هذه المكتنزات هو صعوبة تحديد مكانها وصعوبة الاستيلاء عليها .**

الاسلام يتغلب على تلك الصعوبات في محاربة الاكتناز بمخاطبه ضمائر الكانزين وتوعدهم واعتبار الاكتناز صد عن سبيل الله :

ان الصعوبات التي تكتنف تحديد مكان المكنزات والاستيلاء عليها يتغلب عليها الاسلام بالنهى في تعاليمه عن الاكتناز واعتباره صدا عن سبيل الله وقد توعد الله الكانزين بالعذاب الاليم في الاخرة ليذوقوا جزاء ما كنزوا لانفسهم وجزاء صدهم عن سبيل الله واضرارهم بالناس وتعطيلهم للوظائف الاساسية للنقود . وهكذا فان الاسلام بمخاطبة الضمير الانساني ومن خلال عقيدة الجزاء والثواب والعقاب من الله سبحانه وتعالى يستأصل شأفة الاكتناز ليرسى في النفوس مبدأ الانفاق في سبيل الله ، والادخار اعدادا لسبيل الله ، واستثمار المال ومداومة استثماره . وكل انفاق في غير معصية على استهلاك وعلى الاستثمار هو انفاق في سبيل الله .

وقد كان عمر بن الخطاب - **أبو المالية والاقتصاد الاسلامي - ينصح المسلمين بالادخار من عطائهم واستثماره** فقد روى خالد بن عرفطه القدرى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال له ، « **فلو أنه اذا خرج عطاء أحد هؤلاء ابتاع منه غنما فجعلها بسوادهم فاذا خرج عطاؤه ثانية ابتاع الرأس والرأسين فجعله فيها فان بقى أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه** وانى لاعم بنصيحتى من طوقنى الله امره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات غاشا لرعيته لم يرح ريح الجنة » . ها هو عمر بن الخطاب رضى اله عنه يوجهما فضل عن الحاجة لا للاكتناز بل للادخار والاستثمار ومداومة الاستثمار .

ابن خلدون ومفهوم الاكتناز وانكماش التيار النقدى على المستوى الحكومي :

يقدم ابن خلدون مفهوما للاكتناز وحبس المال على المستوى الحكومى فيقول : **فاذا احتجن السلطان الاموال أو الجبايات أو فقدت فلم يصرفها في مصارفها قل حينئذ ما بأيدى الحاشية والحامية وانقطع أيضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم**

وقلت نفقاتهم جملة وهو معظم السواد ونفقاتهم أكثر مادة للاسواق مما سواهم فيقع الكساد حينئذ فى الاسواق وتضعف الارباح فى المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج والجبايه انما تكون من الاعتماد والمعاملات ونفاق - رواج - الاسواق وطلب الناس للفوائد والارباح ، ووبال ذلك عائد على الدوله بالنقص لقلة اموال السلطان حينئذ بقلة الخراج . فان الدولة كما قلناه هى السوق الاعظم أم الاسواق كلها واصلها ومادتها فى الدخل والخرج فان كسدت وقلت مصارفها فاجدر بما بعدها من الاسواق أن يلحقها مثل ذلك واشد منه .

وايضا فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعيه سنه الله فى عباده .

وقد أورد ابن خلدون نص الكتاب المشهور الذى كتبه طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المامون الرقه ومصر وما بينهما عهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه فى دولته وسلطانه . ومما كتبه فى هذا الكتاب ما نحن بصدده :

« واعلم أن الاموال اذا كنزت وادخرت فى الخزائن لا تنمو واذا كانت فى صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاذية عنهم نمت وزكت وصلحت به العامه وترتبت به الولايه وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة .

فليكن كنز خزائنك تفريق الاموال فى عمارة الاسلام وأهله وفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم واوف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم ومعايشهم فانك اذا فعلت قرت النعمة لك واستوجب المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على جباية أموال رعيتك وخراجك أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أساس لطاعتك .

وانما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل الله وفى سبيل حقه .

وأعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمى أهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيمهم فخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ونفذه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم اودهم . وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة لاهله توسعة ومتعة موزعة بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف أمرا فيه شطط .

واعرف ما تجمع عما لك من الاموال وما ينفقون مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم » .

وهكذا يقرر ابن خلدون وغيره منذ أكثر من ستة قرون أن المال تردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم وهو ما يقرره اساتذة وعلماء الاقتصاد من وجود تيار نقدى متدفق من الافراد الى الدولة ومن الدولة الى الافراد وأن توسيع أو انكماش التيار النقدي يمكن أن ينشأ فى أى نقطة من الدورة النقدية . ويحذر ابن خلدون وغيره الحاكم من الاثار السيئة الوبيلة التى ترتب على حبس الايرادات العامة وأموال الدولة فى خزائنها ويؤكدون اهمية الانفاق الحكومى فى شتى صوره وآثاره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية » .

الوظيفه الاقتصاديه لمصارف الزكاة فى دعم الدورة النقديه وتوسيع التيار النقدى

من المقرر ان هناك تياران : تيار سلعى وتيار نقدى يسيران فى اتجاهين متضادين ويكمل أحدهما الاخر . وتتمثل الدورة النقدية فى أن الافراد يحصلون على دخل نقدى ويتقاضون نقودا من المنشات مقابل عرضهم لخدمات وعوامل الانتاج المختلفة . ثم يقوم الافراد بدورهم باستخدام هذا الدخل النقدى لمواجهة الانفاق على الاستهلاك وشراء السلع الاستهلاكية مما يغذى المنشات بدخل نقدى من عمليات البيع لتبدأ الدورة النقدية من جديد وهكذا .

والاصل فى المسلم ان يعمل ويكتسب ويسهم بكسبه النصيب فى الدورة النقديه وفى تغذية تيارها النقدى . والاسلام يعتبر العمل عنصرا أساسيا من عناصر الانتاج بل ويجعل العمل ضربا من العبادة . وقد يكون المسلم قويا قادرا على الاكتساب الا انه - كما يقول ابو عبيده « فى كتاب الاموال » قد يكون مجدودا عن الرزق محارفا وهو فى ذلك مجتهد فى السعى على عياله حتى يعجزه الطلب فاذا كانت هذه حاله فان له حينئذ حقا فى أموال المسلمين يقول الله تبارك وتعالى « وفى اموالهم حق للسائل والمحروم » . وبعبارة أخرى قد يكون قويا قادرا على الاكتساب ولكنه يعانى من البطالة الاجبارية .

ولذلك تسد مصارف الزكاة للفقراء والمساكين الثغرة بين الدخل والانفاق على الاستهلاك العائلى لعديمى أو محدودى الدخل فى شكل مال نقدى يستخدمونه للانفاق على الاستهلاك العائلى وشراء ما يحتاجون من السلع والخدمات التى يرغبون فيها ، او بتقديم الزكاة فى شكل عينى لاستخدامها مباشرة فى اشباع رغباتهم . والعبرة فى الاداء النقدى أو العينى بأيهما أيسر وأسهل وأكثر ملاءمة فى كل زمان ومكان . يقول أبو عبيدة [كتاب الاموال ص ٤٢٧] « انا قد وجدنا السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنه قد يجب الحق فى المال ثم يحول الى غيره مما يكون اعطاؤه أيسر على معطيه فى الاصل » . وروى سحنون عن الامام مالك المدونة الكبرى ج ٢ ص ٩١ قوله « ان من كره الاداء النقدى للزكاة فذلك مخافة أن فى بعض من يدفع الزكاة من يكره ذلك الاداء النقدى وان كان البعض الاخر قد لا يرى به بأسا » . ويقول ابن رشد بداية المجتهد ج ١ ص ٢٤٢ : « والحنفية تقول انما خصت بالذكر أعيان الاموال تسهيلا على أرباب الاموال » .

ومصرف الغارمين - وهم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم - يمد من ركبه الدين - فى غير معصية - فى مصالح نفسه أو فى مصلحة عامة بالمال النقدى اذا أحاط الدين بما له ولم يف ما عنده بدينه . وقد يكون الغارم

تاجرا لزمته ديون تجارية وهو يحسن تدبير تجارته .
يقول الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : « وان الاسلام يجعل الديون العادلة تؤدى من بين مال الزكاة قد سبق الشرائع الانسانية كلها سبقا بعيدا وخصوصا الشرائع التى عاصرت نشأته وحسبك أن تعلم أن القانون الرومانى فى بعض ادواره كان يسوغ للدائن أن يسترق المدين أما شريعة اللطيف الخبير فقد جعلت دين المعسر تؤديه الدولة عنه » ويقول : « ويصح بالقياس على ذلك أن يقرض من مال الزكاة القرض الحسن لانه اذا كانت الديون العادلة تؤدى من الزكاة فأولى أن تعطى منها القروض لترد الى بيت المال » .

أما مصرف « فى سبيل الله » فاذا قصرنا مفهومه على الصرف على القتال والجهاد فى سبيل الله واعداد وتجهيز الجيوش والقوات المسلحة فهو الانفاق العسكرى وهو انفاق على الاستهلاك من سلع وخدمات . واذا توسعنا فى مفهومه على أنه الصرف فيما يعم كل مصالح المسلمين فهو الانفاق فى جميع وجوه الخير والنفع والمصلحة العامة وهو أيضا انفاق على الاستهلاك من سلع وخدمات .

وبصفة عامة فان مصارف الزكاة تؤدى الى زيادة الانفاق الكلى على الاستهلاك سواء على الاستهلاك الفردى والعائلى او على الانفاق العسكرى الحكومى مما يتولد عنه طلب فقد يؤدى الى زيادة حجم التوظف . وتلك التعديلات بالزيادة فى الانفاق الكلى على الاستهلاك التى تؤدى اليها مصارف الزكاة ذات أهمية فى تحقيق مستوى أعلى من التوظف فى الاقتصاد القومى يعمل على تحقيق زيادة فى الاستثمار بالاضافة الى أن مصارف الزكاه تعمل على دعم الدورة النقدية وتوسيع التيار النقدى .

وتجدر الاشارة الى انه لما كان القرض الحسن — وهو قرض بدون فوائد — يجوز تقديمه من مال الزكاة كما اسلفنا فان بيت مال الزكاة يلعب بذلك دورا هاما كمؤسسة للقرض الحسن فى زيادة حجم الاموال النقدية المتاحة للاقراض فى قروض اجتماعية أو فى قروض انتاجية كما يعمل على دعم الائتمان .

وفضلا عن مصارف الزكاة توجد مصارف الكفارات كالكفارة فى الحج والكفارة فى الصيام وكفارة حلف اليمين وكفارة الصيد فى الاحرام . وتوجد مصارف النذور . وغير ذلك من الحقوق الواجبة الثابتة فى المال فى محيط الاسرة والتكافل الاسرى كالانفاق على الوالدين فى حالة العجز عن الكسب . وهى كلها روافد تمد تيار الانفاق على الاستهلاك العائلى يضاف الى ذلك الانفاق الاختيارى على سبيل التطوع والندب .

وهكذا فان مصارف الزكاة تؤدى وظيفة اقتصادية هامه بما تتيحه من دخل نقدى للافراد عديمى الدخل ومحدودى الدخل وما تمدهم به من قوة شرائية للانفاق على الاستهلاك ولا شك أن ذلك يعمل على دعم الدورة النقدية وعلى تحقيق تناسب ملائم بين التيار السلعى والتيار النقدى .

وقد بينا فى مقالنا السابق أن النماء والتنمية يتحقق بالاستثمار لا بكنز المال وحبسه ولذلك كانت التنميه اعدادا لسبيل الله وقوة ، كما بينا أن المال المزكى وهو مال نام — يمر فى كل حول بعملية أو عمليات استثمارية ليكون اخراج زكاته من نمائه لا من رأس المال حتى لا تأكله الزكاة . **ولا شك فى أن زكاة المال وزكاة النقود تؤدى وظيفة اقتصادية هامة فى الاستثمار والتنمية وفى اتاحة السيولة النقدية والتمويل الداخلى للمشروعات الاقتصادية** وهذا اجمال له تفصيل باذن الله .

وننتقل الى الكلام عن « وحدة النقود » . فى الفكر الاسلامى الاقتصادى وهى الدينار الشرعى والدرهم الشرعى .

مفهوم الدينار الشرعى والدرهم الشرعى كوحدة نقديه حسابية شرعية .

لم تكن للعرب فى الجاهلية نقود مضروبة باسمهم بل كانوا يعتمدون فى تعاملهم على نقود الروم وفارس .

يقول البلاذرى : كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكه فى الجاهليه وترد عليهم دراهم الفرس **فكانوا لا يتبايعون الا على انها تبر** — ما كان غير مضروب — وكان المثقال عندهم معروف الوزن وزنه واحد وعشرين قيراطا وثلاثة ارباع ووزن العشرة دراهم سبعة مثاقيل . **وكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهما وتزن الذهب بوزن تسميه دينارا** فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة من أوزان الدنانير .

ويقول المقريزى : ويسمى المثقال من الفضة درهما ومن الذهب دينارا ولم يكن شىء من ذلك يتعامل به أهل مكة فى الجاهلية وكانوا يتبايعون **بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم هى الرطل والاوقية والنص والنواة والدرهم الطبرى والدرهم البغلى والجوراقى والدانق** . وكان الدينار يسمى لوزنه دينارا وانما هو تبر ، والمثقال زنة اثنتين وعشرين قيراطا الا حبة وهو أيضا بزنة اثنتين وسبعين حبة شعير **وقيل أن المثقال منذ وضع لم يختلف فى جاهلية أو اسلام ووزنه ستة آلاف حبة خردل .**

ويقول ابن خلدون [مقدمة ابن خلدون طبعة سنة ١٩٣٠ ص ٢١٨ : « وكانوا — أى العرب — **يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم يردونها فى معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم** » .

ويقول : « جاء الاسلام وكان الدينار والدرهم مختلفا السكة فى المقدار والموازين بالافاق والامصار، وسائر الاعمال والشرع قد تعرض لذكرهما وعلق كثيرا من الاحكام بهما فى الزكاة والانكحة والحدود وغيرهما **فلابد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين فى تقدير تجرى عليهما احكامه دون غير الشرعى منهما !** ويقول :

« فاعلم أن الاجماع منعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين أن الدرهم الشرعى هو الذى تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب والاوقية منه اربعون درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار. وزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذى هو سبعة اعشاره خمسون حبة وخمسا حبة . وهذه المقادير كلها ثابتة بالاجماع . والبعض وهو ثمانية دوانق فجعلوا الشرعى بينهم وهو سنه دوانق . وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك أو اجماع الناس بعد عليه كما ذكرناه ذكره الخطام فى كتاب معالم السنن والماوردى فى الاحكام السلطانية وانكره المحققون المتأخرون لما يلزم عليه ان يكون الدينار والدرهم الشرعيان مجهولين فى عهد الصحابة ومن بعدهم . مع تعلق الحقوق الشرعية بهما فى الزكاة والانكحة والحدود وغيرها كما ذكرناه .

والحق أنهما كانا معلومى المقدار فى ذلك العصر لجريان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق .

وكان مقدارهما غير مشخص فى الخارج وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعى على المقدار فى مقدارهما وزنتهما حتى استفحل الاسلام وعظمت الدوله ودعت الحال الى تشخيصهما فى المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير وقارن ذلك أيام عبد الملك فشخص مقدارهما وعينهما فى الخارج كما هو فى الذهن . ونقش عليها السكه باسمه وتاريخه أثر الشهادتين الايمانيين وطرح نقود الجاهلية رأسا حتى خلصت ونقش عليهما سكته وتلاشى وجودها فهذا هو الحق الذى لا محيد عنه ».

ويستطرد ابن خلدون قائلا :

ومن بعد ذلك وقع اختيار السكة فى الدول على مخالفه المقدار الشرعى فى الدينار والدرهم واختلفت فى الاقطار والافاق ورجع الناس الى تصور مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان فى الصدر الاول . وصار أهل كل أفق يستخرجون الحقوق الشرعيه من سكتهم بمعرفة النسبة التى بينها وبين مقاديرها الشرعية .

واما وزن الدينار اثنتين وسبعون حبة من الشعير الوسط فهو الذى نقله المحققون وعليه الاجماع . وحدلك تعلم ان الاوقية الشرعيه ليست هى المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحددة ذهنا لا اختلاف فيها والله خلق كل شىء فقدره تقديرا » .

مما تقدم ومنذ فجر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين فقد تحددت وحدتان نقديتان حسابيتان تعرفان بالدينار الشرعى والدرهم الشرعى ذلك أن التكامل كان يجرى بالنقدين من الذهب والفضة فكان الدينار الشرعى وحدة نقدية حسابية أساسها الذهب وكان الدرهم الشرعى وحدة نقدية حسابية أساسها الفضة . وهذا النظام يعرف بالنظام المرتبط بمعدنين أو بنظام المعدنين .

تعريف ابن خلدون للدينار الشرعى كوحدة نقدية حسابية شرعية :

وقد عرف ابن خلدون الدينار الشرعى والدرهم الشرعى كوحدة نقدية حسابيه تعريفا واضحا محددا فقال أنه هو المقدار الشرعى المعين المعلوم الوزن والمقدار فى الذهن غير المشخص فى الخارج .

ويحدثنا بأن أول من شخص مقدارهما وعينهما فى الخارج كما هو فى الذهن هو عبد الملك بن مروان . ثم وقع اختيار الاقطار والافاق على مخالفه القدر الشرعى ورجع الناس الى تصور مقاديرهما الشرعيه ذهنا واستخراج الحقوق الشرعية من سكتهم - أى نقودهم المسكوكة - بمعرفة النسبة بينها وبين المقدار الشرعى .

وبعبارة أخرى فانه فى عهد عبد الملك بن مروان كانت العملات النقدية المسكوكة والمتداولة مساويه فى منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا . واكثر وزنها وعيارها لمحتوى الوحدة النقدية الحسابية ثم اصبحت العملات النقدية المسكوكة والمتداولة تخالف فى وزنها وعيارها محتوى الوحدة النقدية الحسابية الشرعيه. فرجع الناس لاستخراج الحقوق الشرعية المتعلقه بالنقود الى مقارنتها بالوحدة النقدية الحسابية الشرعية ومعرفة النسبة بينهما .

احصاء شهرى لكمية النقود المسكوكة :

يحدثنا البلاذرى [النقود العربية لانستاس الكرملى ص ١٤] فيقول :

« فاتخذ الحجاج دار ضرب وجمع فيها الطباعين فكان يضرب المال للسلطان مما تجمع له من التبر وخلاصة الزيوف والسذتوقة ثم أذن للتجار وغيرهم فى أن تضرب لهم الاوراق .

أى أن حرية سك النقود كانت مكفولة .

ويقول المقريزى :

وبعث عبد الملك بالسكة الى الحجاج فسيرها الحجاج الى الافاق لتضرب الدراهم بها . وتقدم الى الامصار كلها أن تكتب اليه فى كل شهر بما يجمع قبلهم من المال كى يحصيه عندهم وأن تضرب الدراهم فى الافاق على السكة الاسلامية وتحمل اليه اولا فأولا » .

وللحديث ان شاء الله بقية عن محتوى الدينار الشرعى والدرهم الشرعى ونسبة التداول بينهما وما يساويه الدينار الشرعى بالعملات الحالية المختلفة الى غير ذلك ».

الاقتصاد

ومنزلته فى الإسلام

فضيلة الشيخ الطنطاوى أحمد عمر

الدين الاسلامى دين الفطرة الخالصة فهو رحيق مصفى أصولا وفروعا وفضائل وآدابا دين صالح لكل زمان ومكان الى أن يرث الله الارض ومن عليها استوعب ضروب الاصلاح وانتظم الوان النفع لم يترك بابا للخير الذى يعود على الانسانية جمعاء الا طرقه ولا سبيلا للنفع العام الا سلكه التقت فى ساحته جميع المكارم واجتمعت فى تعاليمه السمحة كل الفضائل فكان أنفس درة وانصع لؤلؤة وأكرم منحة وأجمل هدية من رب السماء الى أهل الارض ولما كان الاقتصاد من دعائم الحياة المشرقة السعيدة ومن أسس المعيشة الراضية المرضية به تصير الحياة روضة غناء مثمرة وبدونه تصبح نارا موقدة ولما كان الاقتصاد كذلك من ركائز الحياة الامنة المطمئنة فقد حث على الاخذ به ودعى الى التمسك باهدابه والتجمل بحلله السندسية القشيبة منذ أربعة عشر قرنا قبل أن يظهر علم الاقتصاد وقبل أن تظهر على لوحة الوجود رجاله .

فها هو القرآن الكريم كتاب الاسلام الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والذى لا يزال بكرا لا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه يحث على الاقتصاد ويرغب فيه ويمتدح المتمسكين به السالكين طريقه كما يذم الذين لم يرتدوا جلبابه ولم يتجملوا بحلته وسماهم اخوان الشياطين وجنود السوء واعتبرهم ميكروب فساد ينخر فى عظام المجتمع ويمزق اوصاله . ها هو الكتاب الشريف لم يغادر كبيرة ولا صغيرة فيها صلاح المجتمع والفرد الا أمر بها وحذر من تركها ففتح الله به قلوبا غلفا وأعينا عميا وآذانا صما فأبرأ الافئدة من مرضها وداوى علة العيون وازال عنها غشاوتها فأبصرت الحق من الباطل وميزت الرشد من الغى هدى الله به من الضلالة وأغنى به من العيلة ، فيه تفصيل كل شىء ففى الكثير من آياته الكريمة ترى نور الاقتصاد ينبعث من بين سطورها ومن خلال كلماتها معبرة أصدق تعبير عن فضل الاقتصاد ومزيته وأنه يأخذ بيد صاحبه الى ذروة العز وقمة المجد كما تفصح عن ذم الاسراف الذى يقود صاحبه الى الدرك الاسفل ويجعله ملوما محسورا .

استمع الى الله تعالى وهو يقول فى محكم التنزيل « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** ! قال ابن كثير فى تفسيرها لقد جمع الله الطب كله فى نصف آيه « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » وقال ابن عباس فى تفسيرها كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال صلى الله عليه وسلم « **كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير مخيلة ولا**

سرف » وقال « **ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان فاعلا لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ان من المسرف أن تأكل كل ما اشتهيت** » وهكذا نرى أن الاية الكريمة والاحاديث النبوية التى تدور حولها مقصدهما واحد وهو الدعوة الى الاقتصاد وذم الاسراف .

ثم استمع الى الله تعالى وهو يقول فى أقدس كتاب نزل من السماء « **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا أن المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** » . قال الامام ابن كثير فى تفسيرها لما أمر الله تعالى بالانفاق نهى عن الاسراف فيه ، بل يكون وسطا كما قال فى الاية الاخرى « **والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » . ثم قال تعالى منفرا عن التبذير والاسراف « **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** » أى أشباههم فى ذلك . عن أنس بن مالك قال : **اتى رجل من بنى تميم الى رسول الله فقال يارسول الله انى ذو مال كثير وذو أهل وولد** « **وحاضره** » اى قرابة فاخبرنى كيف انفق وكيف **اصنع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تخرج زكاة مالك فانها طهرة تطهرك وصل أقربائك وتعرف حق السائل والجار والمسكين . فقال الرجل للرسول : أقلل لى فى الارشاد . فقال صلى الله عليه وسلم : آت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . فقال الرجل حسبى يارسول الله وقوله تعالى « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »** أى فى التبذير والسفه وترك طاعة الله تعالى وارتكاب معصيته . واستمع الى الله تعالى يقول « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** » . قال الامام ابن كثير فى تفسيرها يقول الله تعالى آمرا بالاقتصاد فى العيش ذاما للبخل ناهيا عن السرف « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك** » أى لا تكن بخيلا منوعا لا تعطى أحدا شيئا كما قالت اليهود عليهم لعنة الله يد الله مغلولة ، أى نسبوه الى البخل تعالى وتقديس الكريم الوهاب غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا وقوله « **ولا تبسطها كل البسط** » أى لاتسرف فى الانفاق فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك أو تخرج دخلك كله فتقعد ملوما محسورا أى ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شىء تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التى عجزت عن السير ، فوقفت ضعفا وعجزا . وقال الزمخشرى فى كشافه تفسيرا لهذه الاية الكريمة ، التبذير تفريق المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف . كانت العرب فى الجاهلية تنحر ابلها وتبذ رأموالها فى الفخر والسمعة وتذكر ذلك فى أشعارها ، فأمر الله تعالى بالنفقة فى وجوهها وقد أنفق بعضهم نفقة فى خير فأكثر ، فقال له صاحبه لا خير فى السرف . وعن عبد الله بن عمرو ان مر رسول الله بسعد وهو يتوضأ فقال : **ما هذا السرف ياسعد . فقال أو فى الوضوء سرف يارسول الله . قال نعم وأن كنت على نهر جار . وقال ما عال من اقتصد وقال ما أحسن القصد فى الغنى وما أحسن القصد فى الفقر وما أحسن القصد فى العبادة .**

« **أخوان الشيطان** » امثالهم فى الشر وهى غاية الذمة لانه لا شر من الشيطان وهم اخوانهم و صدقاؤهم حيث يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط** » هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وامر بالاقتصاد الذى هو امر بين الاسراف والتقتير « **فتقعد ملوما محسورا** » أى فتصير ملوما عند الله تعالى لان المسرف غير مرضى عنده كما تصير ملوما عند الناس فيقول المحتاج اعطى فلانا وحرمنى ويقول الغنى ما يحسن تدبير امر المعيشة ويصير ملوما كذلك عند نفسه اذا احتاج فيندم على ما فعل « **محسورا** » منقطعا بك لا شىء عندك . عن جابر بينما رسول الله جالس اذ اتاه صبى فقال ان أمى تستكسيك درعا فقال **من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى أمه فقالت له اذهب فقل له أن امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فاذن بلال للصلاة وانتظروا فلم يخرج الرسول للصلاة فنزلت الاية الكريمة . ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذى الخزائن فى يده واما العبيد فعليهم أن يقتصدوا وهكذا نرى هذه الاية الكريمة كسابقتها تدعو الى الاقتصاد وتحث عليه وترغب فيه بأبلغ عبارة وأكدها فقد أفصحت عنه بصوره بيانية رائعة . واستمع الى الله تعالى حيث يقول فى كتابه الحكيم « ومما رزقناهم ينفقون »** قال الامام الزمخشرى فى تفسيرها أدخل الله تعالى من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف المنهى عنه .

وقال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيرها . المسألة العاشرة فى قوله تعالى « **ومما رزقناهم ينفقون فوائد أحدها أدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف المنهى عنه وقال الاستاذ محمد عبده فى تفسيرها « ومما رزقناهم ينفقون »** الرزق فى اللغة النصيب والعطاء ويطلق على الحسى والمعنوى كالمال والولد والعلم والتقوى ويخص بأمور المعاش بقرينة حاليه أو مقاليه وقال علماء اهل السنة الرزق ما ينتفع به حلالا او حراما وخصه المعتزلة بالحلال فقط وقوله تعالى « **ومما رزقناهم** » يدل على ان النفقة المشروعة تكون بعض ما يملك الانسان لا كل ما يملك فهى ركن من أركان الاقتصاد . وهكذا ترى هذه الاية الكريمة تشير الى الاقتصاد فى الانفاق حتى يكون الانسان فى انفاقه وسطا بين التقتير والتبذير المنهى عنهما لذا قال صلوات الله وسلامه عليه حاثا على الاقتصاد مرغبا فيه .

الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة . وما هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب الصحابى الملهم واحد

الذين تخرجوا فى مدرسة محمد بن عبد الله وانتهل من معين الاسلام الصافى وارتوى من عذب حياضه وتغذى بلبانه حتى اختلط بلحمه ودمه ها هو الفاروق عمر يطبق آيات الاقتصاد عمليا طبقها أولا على نفسه وذوى قرابته وطبقها ثانيا على المجتمع الاسلامى شرقا وغربا وضرب أروع الامثلة فى الاستجابة لهذه الايات من كتاب الله تعالى التى تهدف الى الاقتصاد وتدعو اليه بأساليب مختلفة اقتضيتها بلاغة القرآن وفصاحته وحسن نظمه . لقد طبق عمر أول ما طبق آيات الاقتصاد على نفسه وأهله فقد أخرج ابن سعد عن أبى قيس قال كنا جلوس بباب عمر فمرت جارية فقالوا سريه أمير المؤمنين فقال عمر ردا عليهم ما هى لامير المؤمنين بسرية ولا تحل له انها من مال الله تعالى فقلنا فماذا يحل له من مال الله تعالى قال انه لا يحل لعمر الا حلتين حلة فى الصيف واخرى فى الشتاء وما أحج به واعتمر وقوتى وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم . وحج عاما فكان جملة ما أنفق فى الحج ستة عشر دينارا ومع ذلك قال أسرفنا وكان يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقعة ويطوف بالاسواق على عاتقه الدرة يؤدب الناس ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه فى منازل الناس لينتفعوا به وقال أنس رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميصه . وقال أبو عثمان الضهرى رأيت على عمر ازارا مرقعا . وجىء له ذات يوم بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلها وقال هذا اسراف كل واحد منهما ادم وقال ذات يوم لابنه عاصم وهو يأكل لحما كفى بالمرء اسرافا أن يأكل كل ما يشتهى وطلب منه أهله ذات يوم شيئا من الحلوى اشتهته أنفسهم فقال لهم من أين لنا ثمنه فقالوا عندنا الثمن فقال لهم عمر من أين جاءكم قالوا كنا نوفر كل يوم من عطائنا شيئا حتى اجتمع لنا الثمن فقال عمر رضى الله عنه لزاما على عمر أن ينقص من عطائكم اليومى القدر الذى توفرونه حتى لا تلحقنا مذمة المسرفين .

وقد شرع للدولة منذ أربعة عشر قرنا تشريعات اقتصادية تحمل الناس على الاقتصاد فى النفقة وعدم الاسراف فيها فأصدر تشريعا يقضى بمنع بيع اللحم واكلها يومين متتاليين فى الاسبوع لما رأى من قلة المواشى واقبال الناس على أكل اللحوم وكان يذهب خفية الى مجزرة ابن الزبير بالمدينة ولم يكن ثمة غيرها فان رأى أحدا خرج على هذا المنع ضربه بالدرة وقال له قولته المشهورة التى تهدف الى الاقتصاد وعدم الاسراف « هلا طويت بطنك يومين » كما انه كذلك رأى بنافذ بصيرته أن يحدد أسعار بعض السلع منعا للاحتكار والاضرار بالناس وأجبر المحتكرين للسلع أن يبيعوا سلعهم بثمن المثل لا غير وحق لعمران يفعل ذلك . فقد قال صلى الله عليه وسلم من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة وقد طلب عمر من عماله بمختلف جهات الدولة أن يحضروا اليه ومعهم كل أموالهم ففعلوا فأخذ منهم نصفها وأبقى لهم النصف الاخر فعل ذلك رغبة منه فى حملهم على الاقتصاد وعدم التبذير . وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز أعدل خلفاء بنى أمية حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك فقال عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الحسنة بين سيئتين ثم تلا قول الله تعالى « **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » وهكذا نرى أن فضيلة الاقتصاد دعى اليها كتاب الله وسنة رسوله وفعل الصحابة كما دعت اليها حكومات العصر الحاضر ونادت بها منظمة الغذاء العالمى تلافيا للمجاعة التى تهدد العالم ويخيفه شبحها فاذا تفيأنا ظلال ديننا واستنشقنا عبيره ونهلنا من مناهله العذبة ونفذنا تعاليمه السمحة وسرنا فى الطريق المستقيم الذى رسمه لنا فاستمسكنا بعروة الاقتصاد الوثقى وجعلناه نصيب أعيننا وفى بؤرة شعورنا لم تظهر على مسرح الحياة أية شكوى من ارتفاع أسعار بعض السلع لان ذلك الارتفاع ما هو الا نتيجة لكثرة الطلب وقلة العرض فاذا صحت نيتنا وقويت عزائمنا واقتصدنا فى شراء هذه السلع قل الطلب وبالتالى انخفضت الاسعار من غير التجاء الى اتخاذ اجراءات واصدار قرارات فعلى كل مواطن مخلص لوطنه محب لتحريره وتخليصه من براثن العدو الجاثم على صدره أن يحاول جاهدا الاقتصاد فى معيشته حتى يحقق هذا الهدف النبيل وذاك المقصد الاسمى الذى حث عليه القرآن الكريم ورغبت فيه السنة النبوية الشريفة من منذ أربعة عشر قرنا خصوصا فى هذه الايام العصيبة فان معركتنا مع العدو الغادر تتطلب المزيد من المال فالمال لا شك عصب الحرب وقوامها وسبيل النصر والظفر والجهاد كما يكون بالنفس يكون بالمال فلنقتصد فى معيشتنا كما أمرنا ديننا ونقدم الباقى الذى نوفره لجيشنا يستعن به على قهر العدو واجلائه عن أرض الوطن فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا فقد غزا . فاذا دعت حكومتنا الرشيدة الى ضغط الانفاق والاكتفاء بالضروريات فانها بذلك تستجيب لصوت الاسلام وتلبى نداء القرآن وتعمل على تحقيق هدف من أهداف ديننا القويم فاننا اذا حملنا لواء الاقتصاد وأعددنا أنفسنا اعدادا كاملا وأخذنا فى أسباب النصر العادية أمدنا الله تعالى جنده فيلتقى الاعداد بالامداد فيتم لنا النصر الكامل بعون الله تعالى والله يتولى الصالحين ويهدينا لاقوم طريق .

من توجيهات النبوة

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

روى الحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عليك باليأس مما فى أيدى الناس ، وأياك والطمع فانه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع ، واياك وما يعتذر منه » .

صلوات الله وسلامه عليك سيدى يا رسول الله ، فلقد بعثت متمما لمكارم الاخلاق مهذبا للنفوس ، مربيا للارواح ، مرسيا أرسخ قواعد الرقى الخلقى والاجتماعى فى مجتمع بنى الانسان ولقد اخرجت من مدرستك العليا رجالا سادوا الدنيا ، فسلست لهم قيادها ، وأرخت لهم عنانها بعد ان رفعوا فوق هامتها راية الحق واقاموا فى جوانبها قواعد العدل ، وضربوا أروع الامثله فى الانتصار على النفس والاستعلاء فوق شهوات البدن ، والاستمساك بكل ما لقنتهم اياه من مثل عليا ، وأخلاق فضلى . كانت منهاجا لحياتهم ، وقانونا لسلوكهم فعاشوا بها أعزاء كرماء .ولا زالوا فى تاريخ الانسانية أعزاء كرماء .

وهذه تعاليمك وتوجيهاتك يا رسول الله لازالت ولاتزال بين اتباعك يتوارثونها جيلا بعد جيل الى ان يرث الله الارض ومن عليها لاتزال بيننا نورا يهدى طريقنا ، ويسدد خطانا ويربى أرواحنا ويهيىء لحياتنا كلها أسباب العزة والسيادة، ولا غرو فانها تعاليم من قبس النبوة ، ومستقاة من نبع الرسالة ، وهى جديرة بأن ترفع أربابها الى النبل والفضل ، لا يشاركهم فى هذا شعب ولا تدانيهم فيه أمة . حقا فانت تقول فى توجيهاتك هذه « عليك باليأس مما فى ايدى الناس » وهذه دعوة الى عفه النفس وترغيب لها فى القناعه ، والانصراف عما فى ايدى الناس ، أى لا تعلق امنت بما وهب الله لغيرك ولا تمدن عينيك الى ما متع الله به سواك وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس وأزهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس ، حقا انك ان زهدت ما فى أيدى الناس أحبك الناس ، لانك لم تنازعهم شيئا احبوه ، ولم تخاصمهم فيما ملكوه .

قال الحسن بن على رضى الله عنهما - لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دينارهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وابغضوه - والعفة هى الغنى الذى لا يفنى والقناعة هى الكنز الذى لا ينفذ قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه - ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس - والواقع أن كثرة المال مع شراهة النفس فقر وذل ، وان قلة المال مع قناعة النفس غنى وعز - قال بعض الحكماء - من لم يرض باليسير فهو أسير - ومن كلام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : استغن عمن شئت تكن نظيره ، وتفضل على من شئت تكن أميره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره .

ثانى توجيهاتك يا رسول الله - واياك والطمع فانه الفقر الحاضر - فى هذا دعوة الى

الرضا بما رزق الله والرضا آية الايمان وعنوان اليقين قال الرسول صلوات الله عليه « **أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه** » وقال فى دعاء له « **اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا** » وفى هذا أيضا مقاومة الطمع والجشع – فان الطامع فى لهفة دائمة – وقلق لا ينتهى لذا هو لا يستطيع الاستمتاع بما وهبه الله من مال ، لانه يريد ان يستزيد مالا ولا يريد أن ينتقص ومن أجل هذا فهو فى حرمان وفقر . وفوق هذا فان الطمع يغرى بفعل المحرم فيبعث على الغش والخديعة ويستبيح [illegible] من المال كل رذيلة فلا يتورع ان يكذب ويسرق ، ويحلف باطلا ويخدع وأن تجف عاطفته فلا يبر أبا ولا أما ولا يصل رحما – وأن يقسو قلبه فيحتكر القوت والناس اليه محتاجون – والرسول يقول « **من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه** » ويقول « **من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقذفه فى جهنم رأسه أسفله** » .

ثالث توجيهاتك يا رسول الله « **وصل صلاتك وأنت مودع** » هذا دعوة الى قصر الامل فى الدنيا وقصر الامل فى الدنيا يدعو الى التطلع للاخرة دائما ويحمل على التفكير فيها والاستعداد لها طمعا فى النجاة من أهوالها . ولا شك أن طول الامل فى الدنيا يورث الغفلة ويصرف النفس عن العمل للاخرة – لذا قال الرسول لابن عمر رضى الله عنهما « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** ! وكان ابن عمر يقول « اذا أصبحت فلا تنتظر المساء واذا امسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك » .

وعلم الرسول أن اسامة بن زيد اشترى سلعة لاجل شهر فقال « **ألا تعجبون لاسامة المشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل والذى نفسى ما طرفت عيناى الا ظننت أن جفنى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ، ولا رفعت طرفى وظننت أنى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت أنى لا أستسيغها حتى أغص بها من الموت – يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم فى الموتى** » .

رابع توجيهاتك يا رسول الله « **واياك وما يعتذر منه** » هذه دعوة الى مراقبة السلوك ومحاسبة الانسان لنفسه فى القول والعمل حتى لا يتورط فى خطأ يقوده الى الاعتذار فينال ذلك من انسانيته ويقلل من كرامته ويسمه فى أذهان الناس بالنقص والتهافت وسوء التدبير . والذى يعتذر له صور ينهى عنها القرآن فى كثير من آياته وبين ما ينبغى للانسان عمله قبل الشروع فى ذلك تفاديا للنتائج الضارة وهذه احدى صور القرآن « **يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » صلوات الله وسلامه عليك سيدى يا رسول الله مربيا وهاديا وصلوات الله عليك معلما ومرشدا . وصلوات الله عليك داعيا الى الحق والى صراط مستقيم ولقد صدق الله اذ يقول واصفا لك « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** »

والله ولى التوفيق

بقية مقال « الله . . والعقل »

ندركه . ولقد اثبت الزمن الذى نمر به والتاريخ الذى نعيشه ان مافوق العقل موجود بدليل أن العقل البشرى فى ارتقائه يصل الى أشياء كانت فوق العقل خلال السنوات التى سبقت وما نعيش فيه الان وتراه اعيننا وتتقبله عقولنا ببساطة شديدة انما كان فوق قدرة العقل البشرى تماما منذ مئات السنين .

اذن فهناك أشياء كثيرة هى فوق قدرة العقل البشرى لا تستطيع أن تصل اليها . ولكنها موجودة فعلا واذا كان الله سبحانه وتعالى وهو منبع العلم كله والحيه كلها قد أعطانا فى الحياة مثلا لما هو موجود وما كان فعلا فوق العقل البشرى فى وقت من الاوقات فانه لم يعطنا هذا العلم الا لحكمة وحكمة الله سبحانه وتعالى هى اننا اذا تدبرنا فسنجد الدليل فى الحياة الدنيا على أن ما فوق طاقة العقل البشرى موجود فعلا وثابت الوجود : والعلم كله من عند الله « سبحانك لا علم لنا الا ماعلمتنا » .

والله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء قدراته بلا حدود ومنه يأتى كل شىء واليه يعود كل شىء .

ولقد خلق الله كل شىء فى هذه الدنيا وخلق ما يشغله العصفور الصغير الذى نسمعه فى الساعات الاولى من الصباح . هل يعرف بالتحديد أين سيذهب ولا ماذا سيفعل ؟ .. ولكن الله سبحانه وتعالى خلق له ما يشغله حتى يعود الى عشه وقت الغروب فماذا فعل طوال النهار .. وكيف قضى وقته بالتحديد ؟ . والطير الذى نراه فى السماء هل نعلم أين يذهب ؟ والنملة حتى الدودة التى خلقها الله وخلق لها ما يشغلها . تجدها طوال النهار مشغولة . فى ماذا .. لها ما يشغلها . كل انسان غارق فى شىء .. وكل مخلوق غارق فى شىء .

هذه مقدمة صغيرة فى الطريق الطويل الذى لم أسر فيه الا خطوات فقط .. طريق النور والامل .. الطريق الى الله .

أزمة الضمير أمام المال

> لا تنال السعادة فى الدنيا الا بثلاث وسائل : فضائل نفسية كالعلم وحسن الخلق ، وفضائل بدنية كالصحة والسلامة ، وفضائل خارجة كالمركز والمكانة والمال . وأعزها وأكرمها وأعلاها الفضائل النفسية تليها الفضائل البدنية ثم تتلوهما فى سلم التفضيل الفضائل الخارجة وهى أقل الفضائل وأدناها المال لانه خادم لغيره ولا خادم له ، ومراد لغيره ولا يراد لذاته .

الأستاذ عبد العظيم منصور

ومع هذا فالمال هو المدخل العريض لعز الدنيا وزينتها وطيباتها للافراد والاسر والجماعات والدول ، كما أنه الطريق السهل للافساد العريض فى الارض وتدنيس المثل العليا والقيم الاخلاقية للافراد وللاسر والجماعات والدول اذا لم يوجه وجهته ولم يسلك به مالكوه طريق الحق القويم بأن يؤخذ بحق ويوضع فى حق ويمنع من باطل ، التزاما بمواقع الحقوق ومقاديرها .. وعلى ذلك فان من ملك المال فهو على خطر عظيم ، كما هو على حظ عظيم ، ان اكتسبه من حرام وأضاف اليه من حرام وأنفقه فى حرام فقد ضل سعيه وخاب قصده وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، ومن اكتسبه من حلال ونماه واضاف اليه من حلال وأنفقه فى حلال فقد فاز بعز الدنيا وسعادة الاخرة ..

وكما ان حيازة المال وامتلاكه قوة ، فان فقده ذلة وضعف وهوان فان من حرم منه فقد حرم من متاع الحياة . وان كان هناك شىء فوق الحياة فالصحة ، وان كان شىء مثلها فالغنى وان كان هناك شىء فوق الموت فالمرض ، وان كان شىء مثله فالفقر ، فالاغنياء سكارى الا من عصمة الله ، والفقراء موتى الا من أغناه الله بكرامة النفس وعز القناعة . ولهذا كان أكثر الشر مع أكثر الاغنياء وأكثر الفقراء ، لطغيان الغنى عندما يشكل دورا عدوانيا ومذلة الفقر عندما يسلب فضائل النفس الانسانية فيبعثها على التورط فى الشبهات والتفريط فى الحرمات ..

وجماع ما أريد ان أعرضه عن المال أنه مثل حية فيها سم وترياق ، فنوائده ترياقه ، وغوائله سمومه ، فمن عرف فوائده وغوائله أمكنه أن يستكثر من خيره وان يحترز من شره . فالمال بحق نوع من القدرة بل هو بحق من أعلى القدرات ان حرك داعية الحق والخير مرة فانه يحرك دواعى الشر والفجور والمعاصى مرات عندما يقتحم حائزه ومالكه الشبهات ويخوض فى الحرام والمرءاة والمداهنة والكذب والنفاق ويغرق فى الوحل والطين وسائر الرذائل الخلقية وهو يجمع المال ويلتمس جمعه من كل طريق وطلبه من كل سبيل ولو عن طريق الخيانة والسرقة والرشوة والربا والاختلاس وغير ذلك من طرق عديدة كلها غير مشروعة وغير أخلاقية لا تليق بكرامة النفس الانسانية .

وتلك هى صورة من صور أزمة الضمير التى تشكل خطرا داهما على الافراد والاسر والجماعات والدول .

ومن هنا فان الضرب بقسوة على أيدى العابثين بأموال المسلمين وفى وقت فيه أموال المسلمين أقل من أن تفى وتضمن حياة حرة كريمة لاحاد المسلمين يعتبر من أفضل ما يمكن أن يقدمه كل حاكم مسلم ومن أقوى الاسباب لاستقامة امور المسلمين واستقرار حقوقهم ليتفرغوا لاقامة دينهم وممارسة دنياهم متحررين من الخوف على لقمة العيش ، مطمئنين الى العدل دون أن تزعجهم متطلبات الحياة ، أو يستفزهم طلبها الى الوقوع فيما حرمه الله اضطرارا منهم تحت ضغوطها وعنفوانها الامر الذى تسقط معه حرمة المال وما يجره ذلك من شرور وما يخلفه من مصائب وخطوب لا على الافراد وحدهم بل على مستقبل الامم والشعوب ..

لهذا نرى النبى صلى الله عليه وسلم يحاسب الولاة على الاعمال والاموال حسابا عسيرا حماية لاموال المسلمين وحماية لانفس الولاة من الشره والطمع واستغلال المناصب فى جمع الثروة وتركيزها فى أيديهم ، وقد فعل ذلك النبى صلى الله عليه وسلم

مع عامل له استغل منصبه ووظيفته فى جمع مال له اراد ان يحتجنه لنفسه وقصة ذلك انه عليه السلام استعمل رجلا يدعى « ابن اللتبية » على صدقات بنى سليم فجاء هذا الرجل للنبى عليه السلام يقول : هذا لكم ، وهذا أهدى الى . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه بما هو أهل له وخطب فى المسلمين فقال : ما بال العامل نبعثه فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدى الى ، افلا جلس فى بيت أبيه وبيت أمه فينظر هل يهدى اليه أم لا ؟ والذى نفس محمد بيده ، لا يأتى احد منهم بشئ الا جاء به على رقبته يوم القيامة ، ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، او شاة تيعر ، ثم رفع عليه السلام يديه حتى رأى المسلمون عفرة ابطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت » .

وعلى هذا فكل ما أفاده الوالى من مال سوى مرتبه واجره فللحاكم أخذه واسترداده للمسلمين والمحاسبة المسيرة عظة وعبرة .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا ولى أحدا على عمل من أعمال المسلمين أحصى عليه ماله مع بدء التوليه لينظر ماذا عساه أن يزيد هذا المال . ولقد شاطر عمر رضى الله عنه العمال أموالهم ولم يقدر على غير ما ازدادوه بعد الولاية ، فشاطر أبا هريرة رضى الله عنه كما شاطر أبا موسى رضوان الله عليه .

وفى قصة عمر رضى الله عنه مع احد عماله ويدعى معن بن زائده عظة لكل من اراد أن يقيم الدول ويبنى قواعد النظام على أساس من الحق والعدل .

فقد انتقش معن بن زائدة على خاتم الخلافة فاصاب به مالا من خراج الكوفة فارسل عمر رضى الله عنه الى المغيرة بن شعبة بكتاب مع رسول وأمر المغيره ان يطيع الرسول – رسول عمر – وينفذ ما جاء بالكتاب . فلما صلى المغيرة العصر ، واخذ الناس مجالسهم ، خرج المغيره ومعه رسول عمر فاشرأب الناس – تطلعوا – ينظرون اليه حتى وقف على معن بن زائدة ، ثم قال المغيرة لرسول عمر ومبعوثه : ان أمير المؤمنين امرنى أن أطيع أمرك فيه ، فمرنى بما شئت ، فأمر رسول عمر المغيرة وسجن معن بن زائدة . ولكن معن بن زائدة استطاع أن يسافر الى عمر رضى الله عنه وهو يوقظ المتهجدين لصلاه الصبح ومعه درته . فلما صلى عمر الصبح أمر المسلمين ان يلتزم كل واحد منهم مكانه ليعرض عليهم قضيه معن بن زائده وليستخرج الراى منهم . فأشار احد المسلمين بقطع يده لانها أصابت مالا من أموال المسلمين . وأشار آخر بصلبه . واخيرا طلب عمر الرأى من على رضى الله عنهما فقال على : ياأمير المؤمنين ، رجل كذب كذبة عقوبته فى بشره . فضربه عمر ضربا شديدا وحبسه ، فمكث فى الحبس ما شاء الله ، ثم وسط قرشيا يكلم عمر أن يخلى سبيله . فلما كان من عمر الا أن استحضره من السجن وأعاد ضربه ثم رده الى السجن . فما كان من معن بن زائدة الا أن أرسل الى كل صديق له بعدم ذكره عند عمر ، ولبث فى السجن ماشاء الله الى أن استدعاه عمر فقاسمه ماله واخلى سبيله . ولقد اتسع تطبيق حق الدولة فى استرداد أموال الجماعة المسلمة من أيدى المعتدين على هذا المال فى عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . فلما تم استخلافه جمع رؤوس الناس وأكابرهم وقال لهم : ان « فدك » كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضعها حيث أراه الله . ثم وليها ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فسلكا طريق النبى عليه السلام . ثم ان مروان اقطعها – وزعها – فحصل لى منها نصيب ، ووهبنى الوليد وسلمان نصيبيهما ، ولم يكن من مالى شئ أرده أغلى منها ، وقد رددتها فى بيت المال على ما كانت عليه فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيئس الناس عند ذلك من المظالم ، ثم أمر بأموال جماعة من بنى أمية فردها الى بيت المال وسماها أموال المظالم .

وكان لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر ابن عبد العزيز « حلى » أمر لها بها أبوها ، فلما ولى الخلافة عمر قال لها : اختارى اما أن تردى حليك الى بيت المال ، واما أن تأذنى لى فى فراقك ، فانى أكره أن أكون انا وانت وهى – الحلى – فى بيت واحد . قالت رضى الله عنها : لا بل أختارك عليها وعلى أضعافها . فامر بها فحملت حتى وضعت فى بيت مال المسلمين . فلما مات عمر بن عبد العزيز وتم استخلاف يزيد قال لفاطمة : ان شئت رددت الحلى اليك . قالت : لا والله لا أطيب بها نفسا فى حياته ، وأرجع فيها بعد موته .

ولا عجب ان كان استعمال هذا الحق واليقظة الواعية المستمرة من الخليفة عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة واسترداده من أيدى بنى أمية ما ترتب على مظالم السنين التى سبقته وحفظ أموال المسلمين من أن تمتد اليها ايدى العابثين أن فضلت أموال المسلمين عن حاجتهم . ويروى الرواة عن رجل من الانصار قال : كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن وهو بالعراق يقول له : أخرج للناس أعطياتهم . فكتب اليه عبد الحميد : أنى قد اخرجت للناس أعطياتهم وقد بقى فى بيت المسلمين مال . فكتب اليه عمر : انظر كل من أدان فى غير سفه ولا سرف فاقض عنه . فكتب اليه عبد الحميد : أنى قد قضيت عنهم ، وبقى فى بيت مال المسلمين مال فكتب اليه عمر : أن انظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه وأصدق عنه . فكتب اليه عبد الحميد : أنى قد زوجت كل من وجدت وقد بقى فى بيت مال المسلمين مال . فكتب اليه عمر : بعد مخرج هذا ان انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما

يقوى به على أرضه فانا لا نريدهم – المال – لعام ولا لعامين .

ولاشك ان حق الدولة على المال الخاص ممثلا فى استرداد ما تم الحصول عليه دون وجه حق يعتبر من الحقوق التى تفرض عليها يقظة دائمة مستمرة على تصرفات وسلوك كل من تولى أمرا من أمور المسلمين وخصوصا تلك الولايات المتصلة بالمال لان النفس البشرية هى النفس البشرية يتصل بها ويتفاعل معها عوامل كثيرة تدفعها الى كسب المال من كل طريق والتماسه من كل سبيل وذلك صريح اللؤم ومحض الدناءة . ولقد كانت الولايات واستغلالها أحد العوامل الحاسمة التى ساهمت فى الاخلال بالتوازن الاقتصادى وما جره ذلك من خيبة أمل اجتماعى أصيبت به الشعوب الاسلامية عبر القرون والاجيال

لكل ما سبقت الاشارة اليه فان مقتضيات أمن الجماعات الاسلامية على أموالها وباعتبار تلك الاموال حق من حقوق الله الخالصة يتطلب ما يلى وخصوصا ونحن نعيش وقتا تتصارع فيه مجتمعات الارض كلها على أن تمكن لنفسها ماديا ، وتعيش أيضا وقتا يتميز بالمكر والخداع ازاء الدول الاسلامية لتمنعها من الظهور مرة أخرى على مسرح الحياة لتتسلم الراية وتمسك بالزمام والقيادة بالنسبة لامم الارض وشعوبها .

أولا : أن يضرب كل مسئول على مختلف المستويات القدوة من نفسه فلا يغش ولا يخون ولا يرتشى ولا يتملكه الطمع والجشع لا يتطلع الى ما ليس له حق فيه ليكون أسوة حسنة وقدوة صالحة لغيره ولمن هم دونه فى المركز والوظيفة والمكانة فيقف الجميع عند خطهم ونصيبهم وما قسمه الله لهم فى عفة وأنفة طيبة بذلك نفوسهم ، قانعة بذلك قلوبهم .

وما أجمل ما قاله على بن أبى طالب لعمر بن الخطاب « **انك عففت فعفت رعيتك ولو رتعت لرتعت** » . وقدم صهر لعمر رضى الله عنه ، فطلب من عمر أن يعطيه من بيت المال ، فانتهره عمر رضى الله عنه وقال : أردت أن ألقى الله ملكا خائنا ؟ . وما اعظم ما قاله عمر رضى الله عنه للمسلمين . وهو يحدد سياسته بالنسبة للمال : الا وانى ما وجدت صلاح هذا المال الا بثلاث : **أن يؤخذ بحق ، وأن يعطى فى حق ، وأن يمنع من باطل . الا وانى فى مالكم كولى اليتيم ان استغنيت استعففت ، وان افتقرت أكلت بالمعروف كترمم البهيمة الاعرابية .**

٢ – وثانى مقتضيات المحافظة على أموال المسلمين هو استكفاء الامناء وتقليد النصحاء على أموال المسلمين حتى تكون الاموال بالامانة محفوظة وبالعفة محاطة ومصونة .

٣ – وثالث الاعتبارات التى يجب الاخذ بها حفاظا على المال واشعارا بقداسته وحرمته هو المحاسبة على كل اعتداء يقع عليه مهما تواضع حجمه وقل قدره ، لان التفريط فى المحاسبة على القليل يغرى بالتطلع الى السطو على الكثير وخصوصا فى وقت خبا فيه سلطان الضمير فلم يعد يتابع التصرفات ويسيطر على السلوك والاتجاهات .

٤ – ورابع ما يجب الاحتياط له واليقظة الدائمة حياله ، هو اليقظة الدائمة المستمرة تجاه التجمعات البشرية التى تحاول أن تنظم مصالحها غير المشروعة بطريقة أو بأخرى تضفى عليها صفة الشرعية وهى فى جوهرها وصميمها وحقيقتها تمثل صورة من أخطر صور الاعتداء على أموال المسلمين يتعين الاحتياط لها والحذر منها . وبهذه الطرائق وأمثالها نكون قد احطنا المال بضمانات المحافظة عليه وكف الايدى من الامتداد اليه ، مادامت الضمائر قد تعفنت والارواح قد تأسنت ، والنفوس قد ضعفت ، والعقول قد غشيتها غاشية من الجهل والظلم والطغيان ان استطاع أصحابها أن يفلتوا من عقاب الدنيا فلن يفلتوا فى يوم يعرضون فيه على الله وصحائف أعمالهم لا تغادر صغيرة ولا كبيرة ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا .

من وحى المدينة

لحظات مع الأوابين

أولئك هم الذين سموا بحياتهم عن دنيا الاحلام وخداع مغرياتها بعد أن واتتهم قوارع القرآن ونداء الحق [يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » وبعد أن اوفاهم وعد الله على أثر مازين للناس فى الحياة فى قوله : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرةمن الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله] فهزتهم القوارع ، وشدهم وعد الله الى المآب اليه يطلبون فى رحاب رضوانه نعيم أرواحهم ، وعاشوا دنياهم مع دموع الانابة وصالح الاعمال حيث كانت تهاجر أرواحهم من صالحة الى صالحة ومن فلاح الى فلاح ، فهم بين الطيبات تغدو قلوبهم وتروح ، وهم بين الاسحار تقرحت ركبهم وجباههم من طول السجود ، وقد أرسلوا أرواحهم تخفق فى ملكوت الله ، وتنتفض مشاعرها كلما أدركت جلال قدرته فتخشع لجلال من ليس فوق جلاله جلال ، ومن تتلاشى كل قدرة عند قدرته .

الدكتور محمد محمد خليفة

وما أكثر الاوابين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعيهم ممن داسوا كل متاع تألق التماعه فى الدنيا .

وما أكثر ما غذيت سيرتهم بقصص زهدهم فعشنا معها نتساءل : أيكون هؤلاء من طينة البشر ؟ هؤلاء كأنما خلقوا من نورانية لا تعرف الطين بل تنفى كل شائبة تربطها بالارض التى تعيش عليها ، فهم فى سمو دائم عن عوالم الارض ، وهم غرباء عنها لا تربطهم بها الا محاريبهم التى رابطت فيها أرواحهم فتتخذ منها الاسباب التى تصلهم بالله .

فاذا استعرضنا سيرة عبد الله بن عمر أخذنا العجب حينما نسمعه يتحدث عن نفسه ليقدم للمتكالبين على الدنيا درسا فيقول : ما وضعت لبنة على لبنة ولا غرست نخلة منذ توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه خاف ان يستمتع الطيبات من الحياة فيناديه الحق يوم القيامة : « **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها**] ، ولم يكن عبد الله الفقير الذى لا يملك شيئا ، ولكنه كان التاجر الذى تغدق عليه تجارته المال الكثير ، ولكنه كان الجواد الذى لا يستقر فى داره مال ، فلم يكد يمسى حتى تنطلق أمواله الى اليتامى يأسو بها جراح نفوسهم ، والى المحتاجين لترد عنهم غوائل المسغبة ، وكأنى بصوت أيوب بن وائل مازال يرن فى أسواق المدينة حيث علم ان ابن عمر جاءه أربعة آلاف درهم ففرقها ليلا على الفقراء ثم رآه فى الصباح وهو يشترى لدابته علفا دينا ، فطاف أيوب فى أسواق المدينة ينادى :

يا معشر التجار ، ما تصنعون بالدنيا وهذا ابن عمر تأتيه آلاف الدراهم فيوزعها ثم يصبح فيستدين علفا لراحلته .

أليس هذا بموقف غريب لرجل يتصدق ليلا بآلاف الدراهم ولا يبقى ما يشترى به علفا لراحلته ؟

قد نراه كذلك ، ولكنه ليس بالغريب على من يقدم لاخرته ، وينسى دنياه ودنيا بيته ولا يكون ذلك غير ابن عمر الاواب

حقا كان ابن عمر من الاوابين أقوياء الايمان الذين اذا مرت بهم آيات الله خروا سجدا وبكوا خوفا من وعيد الله فقد سمع ابن عمر قارئا يتلو قوله تعالى : « **فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا** » .

فطال بكاؤه حتى بل الدمع لحيته وهو يتصور موقف العصاة يوم القيامة وهم يودون أن يواريهم

التراب فبطن الارض خير لهم من موقف الحساب العسير ، انها دموع الاشفاق على أولئك العصاة ، بل انها دموع الخوف من الله

«***»

ويهزنا من ذلك الماضى البعيد صيحة أواب آخر ترن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترى من ذلك الصائح ؟ وفيمن يصيح «

انه الثائر الاواب أبو ذر يصيح فى خليفة المسلمين عثمان بن عفان : لا حاجة لى فى دنياكم

وذلك بعد حوار بينه وبين الخليفة حين واتته الانباء بأخطار المشايعين لاراء أبى ذر فى الحواضر الاسلامية تلك الاراء التى لا تخرج عن أنها ثورة على دنيا المال والسلطان ومتاع الحياة .

وكأنا بالخليفة وقد أراد أن يحدد اقامته فى المدينة تغدو عليه اللقاح وتروح بالخير ، فصاح فى وجه الخليفة : لا حاجة لى فى دنياكم .

انه لا يريد دنيا الناس التى تلتمع زهراتها فتفتن القلوب ولكنه يريد أن يتوارى فى منأى بعيد عن كل فتنة ومن ثم آثر المقام فى الربذة حتى كان فيها مثواه وقد عاش حياته لا يملك غير ثوب واحد فاذا أبلى استحدث آخر .

وقد عرضوا عليه امارة العراق فهتف فيهم :

لا . والله لن تميلوا على بدنياكم أبدا وكيف يرضى بالامارة الثائر على كل سلطان وجاه ؟ لانه يرى المال فتنة والجاه فتنة والسلطان فتنة فكيف يسلم نفسه لاحابيل الفتن وهو الذى عاش حربا عليها وعلى شياطينها .

وأى زاهد ذلك الذى يعيش حين أخذت الغنائم تتدفق على المسلمين من فتوحاتهم فتن الكثير بالمال وأثرى الكثير من الفقراء ، وبقى هو وحده بين المسلمين شامخا على الدنيا يدوس كل نعيم فيها ؟

ذلك هو أبو ذر الذى يبشر المفتونين بالدنيا فيهتف فى كل مجتمع يراه وفى الاسواق حيث يكون وحين يواجه الولاة أو الحكام أو العمال :

[بشر الكانزين الذين يكنزون الذهب والفضة بمكاو من نار تكوى بها جباههم ووجوههم يوم القيامة]

ذلك هو الاواب الى الله أبو ذر الذى وهب حياته كلها للعبادة والجهاد فلم يكن بين حياته الاسلامية لحظة يركن فيها الى ما يعيش فيه الناس من لذائذ الحياة .

فاذا قلبنا تاريخ الورعين برزت صفحات أبى ذر تعلن ورعه .

واذا بحثنا فى غمار الصادقين عن الصديق الذى يأتسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته طالعنا موكب أبى ذر الذى لا يخشى فى الله لومة لائم ، وسواء لديه كان اللائم الخليفة أو رجل من عامة الناس .

واذا تطلعنا الى المحاريب نسألها عن الاوابين رأينا بينها أبا ذر الاواب .

«***»

فليتنا نؤوب الى الله عسانا نستظل يوم القيامة بمواكب الاوابين ، وليتنا نلقى فى الاسحار عن كواهلنا أثقال الخمول ونهب الى الله نتعلق بما يصل أرواحنا به لعل فى ذلك ما يقربنا من رحاب الاوابين ، وليتنا نعيش مع سيرتهم وأعمالهم عساها تخلق من كل جامح مفتون أوابا يعيش مع الله ويسلم وجهه دائما الى الله .

أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

علم الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن الامة الاسلامية ستضطر الى مجاورة غيرهم من اهل الاديان الاخرى ومعاملتهم ، والسيادة على كثير منهم ، فاقتضت حكمته ان يجعل لهذه الحالة من الحياة الاجتماعية أصولا يأخذ بها المسلمون حيالهم ، فوضع لذلك أصلا عاما فقال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » أى لا ينهاكم الله أن تعاملوا بالحسنى الاجانب عن دينكم ، الذين لم يقاتلوكم بقصد اخراجكم من دينكم ، واجلائكم عن دياركم وأن تعدلوا فى معاملتهم ، ان الله يحب العادلين .

فضيلة الشيخ رجب العايدى

هذا اصل لم تعهده البشرية قبل الاسلام ، فقد كان اهل كل دين يعتبرون الخارج عنه عدوا مهدور الدم ، فكانوا اذا وقع فى ايديهم استعبدوه أو قتلوه ، وقد ظلت الامة الرومانية ، وهى التى خلفها المسلمون فى الملك ، طوال عهد سلطانها لا تسمح لاجنبى أن يدخل أو كان تحت حماية رجل من كبرائهم ، فلما جاء الاسلام تغيرت الحال فجأة ، واصبح للاجانب الحمايه والرعاية اللتان لكل فرد من المسلمين ، فكان يتنقل سائحهم وتاجرهم فى البلاد آمنا على نفسه وماله ، واعتبر ذلك من أكبر الاسباب فى دخول عشرات الملايين من الاجانب فى الاسلام بدون دعوة غير ما يرونه من مبادىء الانسانية الحقة فى ظل الدولة الاسلامية .

ان الاسلام الذى كتب له أن يرث الاديان كافة وضع للدعوة اليه منطقا دينيا تجلت فيه مبادئه الانسانية تجليا كان أثره فى نشره وتحبيب الامم فيه فائقا كل أثر أثمره العسف والايغال فى الوحشية من دعاة الملل السابقة .

فأول أساس وضعه فى هذا الصدد قوله تعالى : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** » فأمر أن تكون الدعوة بالحكمة ، وهى العدل والعلم والحلم وكل كلام سديد موافق للحق ، فان لم تغن الحكمة وتقمص المدعو روح العناد والجمود عومل بالموعظة الحسنة ، لان حاله يكون أدعى اليها فى ذلك الوقت فان لم تجده الموعظة الحسنة ، فبالجدل وقرع الحجة بالحجة ولكن بالطريقة التى هى أحسن الطرق فى المحافظة على آداب البحث ومراعاة كرامة الخصم .

وقد شفع الاسلام أساس الدعوة بأصول من صميم العلم الاجتماعى والنفسى تجعل سلوك جادة الحكمة فيها أمرا محتما ، حرصا على أهله أن تستحيل فيهم الصفات المحمودة من الغيرة والحماس ومحبة الاقناع الى رعونات نفسية ليست من الاسلام فى شىء .

من تلك الاصول العلمية ما كشفه تعالى لانصار ملته من أن اختلاف الناس فى مذاهبهم هو مقتضى اختلافهم فى مدارك عقولهم ، وأن الله لو شاء أن يجعلهم أمة واحدة من طريق الخلقة لفعل ، فقال « **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم** » .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يألم كثيرا مما يرى عليه الناس من الجمود على تقاليدهم ، والمقام على موروثاتهم ، وتشددهم فى مطالبته بآية تظل أعناقهم لها خاضعين ، وقد علم الله أن ذلك كان منهم معاندة للحق ، لا طلبا للدليل ، فأنزل الله على رسوله قوله « **فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** » ، وقوله « **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء** » وقوله « **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون** » ، وقوله « **فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب** » .

حاط الله الدعوة الاسلامية بهذه الاصول العالية من العلم حتى لا تتقمص غيرة الدعاة روحا من الاكراه والمخاشنة تجردهم من الصفات الكريمة التى أمر كل مسلم أن يتحلى بها ، ويأخذ نفسه بأدبها ليقوم على حد وسط بين الطرفين ، فلا التقصير المعيب فى نشر الحقيقة ولا التطرف الشائن فى التحمس لها ، فأمر أهله اذا دفعتهم الضرورة لخوض غمراتها أن يعلنوا عدوهم بها « **فانبذ اليهم على سواء** » فاذا حمى الوطيس أوجب عليهم ألا يسرفوا فى القتل تشفيا من العدو ، والا يجهزوا على جريح ، ولا ان يقتلوا من يستسلم ، ولو علموا أنه يحتال بذلك على نجاته من القتل ، ولا أن يقتلوا الخدم الذين يكونون مع الجيوش ولا يباشرون القتال فاذا أمكنهم الله ممن عدوهم فليس لهم أن يتبعوا مهزوما ، واذا أسروا عددا من عدوهم أوجب عليهم الاسلام انيحسنوا مثواهم ،وان يعطلوا عليهم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام « **أوصيكم بالاسرى خيرا** » فكان الرجل من المسلمين اذا لم يجد خبزا يكفيه ويكفى أسرته اكتفى هو بالتمر وآثر هم على نفسه بالخبز .

فاذا دخلوا بلاد عدوهم حرم عليهم الدين قتل الشيوخ والزمنى ورجال الدين والنساء والاطفال ونهاهم عن التمثيل بأعدى أعدائهم ، وعن احراق مزارعهم ومنازلهم .

فهل عهد فى تاريخ النوع الانسانى مثل هذه السيرة الكريمة والمبادىء الرحيمة حتى فى المواطن التى يذهل فيها الانسان عن نفسه وولده ؟

ان أوروبا التى تفخر بعلومها ومدنيتها لم تصل بعد فى حروبها الى هذه المنزلة العالية من المبادىء الانسانية فبعد الذى رأيناه من الجوائح التى أنزلها المتحاربون بالوادعين من الاهلين فى الحربين العالميتين فقد أسقطوا عليهم من الجو وابلا من النار أحرقتهم احراقا ، وهدمت دورهم فوق رءوسهم وما حادث قنبلة [هورشيما] التى أفنت مدينة بأكملها ليس ببعيد عن الاذهان .

فاذا كان المتمدنون أنفسهم لا يزالون يفتنون فى ازهاق نفوس غير المحاربين الى هذا الحد ، وقد بلغ العلم فيهم الى مدى بعيد ، ووصلت المدنية عندهم الى ما لم تبلغه فى عهد من عهود الانسانية ، افلا يكون من أكبر الايات أن يسبق الاسلام مجموع البشرية فى هذا النظام الحكيم الرحيم بالانسانية ، وأن ينجح فى حمل أهله وهم قريبون من عهد الجاهلية على احترامه والعمل به حتى أصبحوا مضرب الامثال فى الرفق بالبشرية ولم يكن المسلمون فى عهد السلم بأقل رعاية لمبادىء الانسانية منهم فى وقت الحرب فقد شهد التاريخ حتى الذى كتبته الاجانب عن هذا الدين بأن المسلمين قد عاشوا مع المخالفين لهم فى الدين على أكمل حال من الصفاء والمودة ، وساووهم بأنفسهم فى حسن الجوار ، وفى التقاضى أمام المحاكم ، وتركوهم وشأنهم فى الاختلاف على معابدهم وقساوستهم ورهابينهم ، وحموا أموالهم وأعراضهم . حتى حملت هذه المعاملة بعض الامم على أن سلموا لهم بلادهم ليحكموها مؤثرين اياهم على أبناء ملتهم ، طمعا فى العيش فى ظلهم آمنين على أنفسهم واموالهم وأعراضهم ، ومستنيمين الى عدالة حكومتهم .

كان المسلمون يراعون ما هو أخص من مبادىء العدل والمساواة مع الاجانب عن دينهم وهو التودد اليهم والبر بهم وقد بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بوضع أساس هذا العهد الانسانى ، فكان يزورهم فى دورهم ، ويعود مرضاهم ويحضر ولائمهم ومآتمهم ، وزاد فأباح مصاهرتهم ،والمصاهرة هى غاية ما يتوقع من روابط الالفة بين الطوائف ، وأمر أن من كانت له امرأة منهم ألا يكرهها على ترك دينها ، وألا يسىء اليها من ناحيته وأن يدع لها كل الحرية فى اقامة شعائره ، والا يمنعها من الذهاب الى كنيستها لاداء ما تعتقده واجبا عليها من الصلاة .

وفوق هذا فقد أمر فى مجال البر والصدقة ألا يفرق بين المسلم وغيره فقال عليه الصلاة والسلام « **تصدقوا على أهل الاديان كلها** »

وقد راعى أصحابه هذه الاوامر فقاموا بها خير قيام ، قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال له يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مرارا فقلت له كم تقول هذا ؟ فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أن سيورثه .

وروى أن أحد اليهود شكا عليا الى عمر رضى الله عنهما ، فلما مثل أبو الحسن أمام عمر قال له : اجلس يا أبا الحسن ، فظهر عليه أثر الغضب فقال له الفاروق أغضبت من أجل أن سويت بينك وبين اليهودى فأجابه على قائلا لا : ولكنى غضبت من انك رفعتنى عنه بتكنيتك اياى ولم تكنه فهذا وأمثاله فى أول عهد أمة كانت جاهلية بالامس لا يعتبر عظيما فحسب ولكنه يعتبر عجيبا مدهشا آية فى العدل والاحسان والمواساة .

ان أعمق فلسفة فى الارض تعجز عن تقليل هذا الانقلاب الفجائى فى أخلاق أمة بالاسباب العادية ولو كان هذا الانقلاب نتيجته رفع مستوى انسانيتها الى الحد الذى كانت عليه لدى الامم المتمدنة فى ذلك العهد لاعتبر عجيبا مدهشا فما ظنك وقد كانت نتيجته رفع مستواها الى درجة لم تصل اليها أرقى الامم فى هذا العهد بعد أن بلغ العلم والفلسفة فيها الى المدى الذى وصلا اليه اليوم ؟ لا جرم أن هذا الانقلاب الخلقى يجب حسبانه من معجزات الاسلام التى لا تحصى والتى كلما ارتقى العلم اكتشف العقل من اطوارها عجبا « **سأريكم آياتى فلا تستعجلون** »

أحكام البيع فى الإسلام :

الخيار أقسامه وأحكامه

الدكتور محمد عبد المنعم خميس

تكلمنا فى المبحث الاول عن عقد البيع — مفهومه وأركانه . ثم تناولنا فى نفس المبحث شروط صحة عقد البيع فى كل من القانون والشريعة الاسلامية . وبينا أن الشريعة تعتبر طهارة الشىء المبيع شرطا أساسيا لصحة البيع . وسنتناول فى هذا المبحث مناقشة « الخيار فى البيع » من وجهة نظر الشريعة الاسلامية

يقصد بالخيار فى البيع أن يكون لكل من المتعاقدين — البائع والمشترى — حق امضاء البيع أو انهائه — وتفرق الشريعة الاسلامية بين نوعين من الخيار ..

الاول : خيار ترو . ويعنى النظر والتامل فى ابرام البيع او عدم ابرامه .

الثانى — خيار نقيصة — ويعنى ما كان موجبه وجود نقص فى المبيع من عيب او استحقاق .

— ٢ —

وخيار التروى هو بيع موقوفعلى امضاء من له الخيار من مشتر أو بائع أو غيرهما كالوكلاء والاولياء ولا ينعقد بالمجلس — مجلس البيع — انما يتوقع فى المستقبل . والكلام فى امضاء البيع او عدم امضائه يكون لمن جعل له الخيار دون غيره من المتبايعين كان يعلق البيع على رضا الغير فان الكلام يكون لمن علق امضاؤه على رضاه — كبعته لك واشتريته منك بكذا ان رضى فلان وهذا بخلاف المشورة كبعته او اشتريته بكذا على مشورة فلان فلمن علق البيع على المشوره من المتبايعين الاستبداد بالامضاء والرد بالبيع دون من علقت المشورة عليه .

والفرق بين الحالتين ان من علق الامر على اختيار غيره او رضاه قد أعرض عن نفسه بالمرة — ومن علق على المشورة فقد جعل لنفسه ما يقوى نظره فله أن يستقل بنفسه .

مدة الخيار : تختلف مدة الخيار باختلاف المبيع بين الطرفين بقول أحدهما وقبول الاخر . ومنتهى زمن الخيار فى العقار — وهو الارض وما يتصل بها من بناء أو شجر ستة وثلاثون يوما . ولا يجوز فى مدة الخيار أن يسكن الدار المشتراة بلا أجر ويفسد العقد ان اشترط السكنى فى صلب العقد لانه شرط يناقض المقصود من البيع اذ لا يجوز التصرف فى المبيع الا اذا دخل فى ملك مشتريه ويترتب على ذلك أنه تجوز السكنى فى مدة الخيار مطلقا اذا كانت بأجرة كثيرة كانت أو يسيرة سواء لاختبارها او لغير اختبارها شرطها أم لم يشترطها الراغب فى شرائها فان سكنها لغير اختبارها بلا اذن فانه يعتبر متعديا وتلزمه الاجرة . وتسرى هذه القاعدة على لبس الثوب واستعمال الدواب .

ومنتهى زمن الاختيار فى العروض كالثياب والدواب وغيرها خمسة أيام. فاذا كان الاختيار فى الدواب لغير الركوب فان شرط ركوبها بالبلد يومان لا أكثر . وشرط ركوبها خارج البلد البريدان [وقت حمل البريد من البلد الى خارجه والعودة] ويفسد بعدها الخيار — كما يفسد الخيار اذا كان لمده بعيدة أو مجهولة كأن يقول الى أن تمطر السماء أو الى أن يقدم زيد وكان أمر قدومه غير معلوم — او مشاورة شخص بعيد لا يقدم الا بعد انتهاء مدة الخيار .

ويفسد بيع الخيار اذا وقع بشرط النقد للثمن للتردد بين السلفية والثمنية وان لم ينقد بالفعل بخلاف التطوع به بعد العقد . ويمنع النقد مطقا بشرط وبغير شرط ولا يختص المنع بها .

والملك للمبيع بالخيار فى زمانه سواء كان لاحد المتبايعين او لاجنبى للبائع والضمان منه . فالغلة وأرش الجناية على المبيع بالخيار للبائع بخلاف الولد والصوف فهما للمشترى اذا تم الشراء لانهما كجزء من المبيع ولو قبضه المشترى وادعى ضياعه زمن الخيار ضمن ما يغاب عليه كالرهن الا ببينة تشهد بضياعه بلا تفريط من المشترى فلا يضمن وحلف فى

غير ما يغاب عليه كالحيوان حيث اتهمه البائع — لقد ضاع — وما فرط الا أن يظهر كذب المشترى فى دعواه الضياع كان يقول لقد ضاع يوم كذا فتشهد البينة على رؤيته عنده بعد ذلك اليوم أو تشهد عليه بأنه أكله أو أتلفه أو باعه فانه يضمن ولا يقبل منه يمين . واذا أنكل عند توجيه اليمين عليه غرم ثم بين ما يغرمه للبائع . وهو يختلف باختلاف الاحوال والاغلب ان يضمن المشترى للبائع اذا ادعى ضياعه — ما يغاب عليه وما لا يغاب عليه — اذا ظهر كذبه أو نكلا لاكثر من الثمن الذى وقع به البيع والقيمة — هذا ان كان الخيار للبائع . اما أن كان الخيار للمشترى فانه يغرم الثمن الذى وقع به البيع — وان كان الخيار لكل من البائع والمشترى غلب جانب البائع فيما يظهر لان الملك له فلو اشترى شخص أحد سلعتين كثوبين وقبضهما من البائع ليختار واحد منهما ويرد الاخر فادعى ضياعهما معا ضمن واحدا منهما فقط لانه فى الاخر أمين لا ضمان عليه فيه بالثمن الذى وقع به البيع سواء كان فيما يختاره بخيار أو بدون خيار .

انتقال الخيار — واذا مات من له الخيار او أفلس انتقل الخيار لوارث له ليس معه غريم أو معه غريم ولم يحط الدين بحال الميت . وينتقل لغريم ان أحاط دينه بمال الميت وحينئذ فلا كلام لوارث مع الغريم المذكور . ولو مات المشترى وتعدد ورثته فليس لهم الا أن يأخذوا ويردوا جميعا وليس لهم التبعيض والقياس اذا اختلفوا فأجاز البعض ورد البعض رد الجميع أى جميع ورثة المشترى بالخيار ان رد بعضهم فيجبر المجيز على الرد مع من رد . لما فى التبعيض من ضرر الشركة . فكما ان من ورثوا الخيار عنه ليس له رد بعض السلعة وقبول بعضها للضرر بالبايع فكذلك هم ليس لبعضهم القبول .

ولبعضهم الرد اذا لم يرض البائع بذلك لضرر الشركة فالحق الوارث بالمشترى فى عدم جواز التبعيض والجبر على الرد بجامع الضرر فى كل وليس للمجيز أخذ مناب من رد اذا لم يرض البائع

وفى خيار النقيصة فان الخيار للمشترى ان كان لظهور عيب فى المبيع يخالف شروط فى العقد . وكذلك يكون الخيار للمشترى لوجود نقص فى المبيع عقارا كان أو عرضا أو عينا فله الرد أن أخل بالذات أو بالثمن أو بالتصرف المعادى . هذا اذا كان المبيع غائبا أما بيع الصفة والرؤية المتقدمة فلا يجوز فيها الرد . كذلك لا رد لعيب زال عند المشترى قبل الحكم برده سواء زال قبل القيام به او بعده وقبل الحكم بالرد .

هذا تلخيص موجز عن الخيار واحكامه فى البيع عرضناه فى تعميم دون الخوض فى تفصيلات قد يستغرق عرضها أكثر من مجلد . والله ولى التوفيق .

من أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها

فضيلة الشيخ محمد خاطر

لقد ذهب فقهاء المالكية الى ان كل طلاق على مال يسمى خلعا وهم فى ذلك قد اتفقوا مع ماذهب اليه فقهاء الشافعية . الا ان فقهاء المالكية يزيدون على ذلك انهم يعدون من الخلع أيضا . الطلاق بلفظ الخلع أو مافى معناه ولو كان بغير عوض . ومن ذلك يبين أن الخلع عند فقهاء المالكية قد يكون نظير عوض وهو الكثير الغالب وقد يكون بلا عوض اذا كان بلفظ الخلع أو ما يدل على معناه كالمباراة والمفاداة والصلح . ويقع به فى الحالين طلاق بائن وهم لا يفرقون بين فرقة بلفظ الخلع من غير بدل وفرقة أخرى فيها الطلاق بائنا من حيث الحكم .

أما فقهاء الحنابلة فقد رويت كتب المذهب أن الخلع عندهم فرقة فى نظير عوض بالفاظ معينة مخصوصة ولذا لا يكون الخلع عندهم الا بعوض — وهذه رواية عن الامام أحمد رواها عنه مهنا — ولو قال الزوج لزوجته اخلعى نفسك فقالت خلعت نفسى لم يكن خلعا الا ان يكون نظير عوض فان نوى الزوج بذلك طلاقا كان طلاقا لانه يصلح كناية عن الطلاق وان لم ينو لم يكن شيئا . كما روى أيضا عن الامام أحمد رواية اخرى رواها عنه ابنه عبد الله تفيد أن الخلع قد يكون بلا عوض — فقد روى عبد الله . قلت لابى : — رجل **علقت به زوجته تقول اخلعنى فقال خلعتك فقال اذا** اراد ان **يتزوج بها جدد نكاحا جديدا وتكون عنده على** ثنتين ومعنى ذلك انه يقع به طلاق بائن . وبناء على هذه الرواية يكون راى الحنابلة كرأى المالكية الا أن الحنابله لا يجعلون الطلاق على مال خلعا مادامت الفرقة بلفظ الطلاق بل يجعلونها طلاقا على مال .

وفقهاء الظاهرية يقولون ان كل فرقة فى نظير مال خلع فلا يختص الخلع عندهم بلفظ من مادة خلع . وكذلك فقهاء الزيدية يقولون ان كل فرقة نظير مال باى لفظ كان هى خلع .

أما فقهاء الشيعة الجعفرية : فيقولون أن الخلع يكون بلفظ الخلع أو المباراة ولا يكون الا نظير عوض

فى الطلاق

انتهينا فى الحديث السابق عند بيان رأى فقهاء الحنفية فى تعريف الخلع وكذلك فقهاء الشافعية وقد وعدنا أن نعرض فى حديثنا هذا لباقى أقوال الفقهاء وتعريفاتهم للخلع واحكامه بالتفصيل مع بيان حكمة التشريع فى ذلك وما يحل أخذه من بدل الخلع ـ واليك البيان : ـ

هذا والخلع مشروع لما جاء بالكتاب الكريم والسنة المطهرة .

أما الكتاب فقول الله تعالى فى سورة البقرة « **الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون** » .

فقد بين الله سبحانه وتعالى فى الاية الكريمة ان الطلاق مرتان وان كل مرة تستتبع الامساك بالمعروف ويكون ذلك بالمراجعة فى العدة ـ أو التسريح باحسان وذلك بترك المراجعة الى ان تنتهى العدة ـ لما بين ذلك ذكر ان الطلاق لا يجوز أن يؤخذ فى مقابلته شىء مما ذكر اعطاه الزوج لزوجته الا فى حال واحدة وهى ما اذا خاف الزوجان الا يقيما حدود الله والا يستقيم بينهما أمر الزوجية على وفق ماشرعه الله وأراده من شرعه . ففى هذه الحالة لا جناح على الزوجين فيما تفتدى به الزوجة من مال يأخذه الزوج منها نظير تطليقها وخلاصها مما كانت ترتبط به من روابط الزوجية ـ والفرقة فى هذه الحالة تسمى خلعا أو اختلاعا .

أما السنة فقد روى البخارى والنسائى عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الاسلام : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم . وزيد فى بعض الروايات « فردت عليه الحديقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقبل الحديقة وطلقها تطليقة :

وفى رواية أنها قالت يارسول الله انى لا أعتب على ثابت فى دين ولا خلق ولكنى لا أطيقه بغضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم وزيد فى بعض الروايات فردت عليه الحديقة وأمره ففارقها . وجاء فى رواية أخرى ماأعيب على ثابت فى دين ولا خلق ـ

وفى رواية عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس اختلفت من زوجها فأمرها النبى صلى الله عليه وسلم أن تعتد ـ ومعنى قول امرأة ثابت . ولكنى أكره الكفر فى الاسلام اى أكره كفر العشير وما يجب له من حقوق وأنا مسلمة ـ ولقد فصل العلماء ما أخذ من الحديث برواياته المتعددة من أحكام وقالوا أن هذا أول خلع حدث فى الاسلام ـ وقد حدث قبله فى الجاهلية ما يروى ان عامر بن الظرب زوج ابنته من ابن أخيه عامر بن الحارث ابن الظرب فلما دخلت عليه نفرت منه فشكاها الى ابيها فقال لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك وقد خلعتها منك بما أعطيتها فكان البدل فى هذين الخلعين ما أعطاه الزوج لزوجته .

ومن ذلك يرى أن الخلع مشروع بالكتاب والسنة واجماع العلماء على ذلك فيما عدا المزنى الذى يقول أنه لا يحل للزوج أن يأخذ من زوجته شيئا نظير فراقها وسنبين دليله والرد عليه مع ايضاح آراء الفقهاء فى بدل الخلع ومتى يحل أخذه ديانة ، والنظرة اليه من ناحية القضاء هذا ولقد أوضحنا فى بيان مشروعية الخلع ماجاء بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة فى ذلك فاذا حصل شقاق بين الزوجين وخافا الا يقيما حدود الله وأدى شقاقهما الى اتفاقهما .فاذا حصل شقاق بين الزوجين وخافا الا يقيما حدود الله وأدى شقاقهما الى اتفاقهما على الخلع نظير مبلغ معين تدفعه الزوجة لزوجها فان الزوجة تلزم قضاء بدفع المبلغ الذى التزمت دفعه اليه . سواء كان سبب الشقاق بين الزوجين من جانب الزوج أو من جانب الزوجة أو من جانبهما معا وسواء كان بدل الخلع الذى اتفقا عليه مساويا للمهر أو أقل منه أو أكثر لان

« البقيـة ص ١٠٥ »

الكسب الحرام في التشريع الاسلامي

المستشار جمال الدين محمد محمود

ورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم « أفضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل بيده » ويجمع هذا الحديث على ايجاز العبارة بيان طرق الكسب التي يقرها الشرع الاسلامي ، ذلك أن الشرع لا يجيز أن ينمو رأس المال بذاته دون عمل أو جهد مطلقا كما هو الحال في الكسب الربوي ، وانما يجوز نماء المال حين يختلط بالعمل والجهد الانساني كما في التجارة ، فيكون الكسب حلالا لصاحبه حين ينشأ عن رأس المال والجهد والعمل الانساني فيه ، ويكون حلالا أيضا اذا كان ناشئا عن عمل فحسب ، ولا يكاد الشرع الاسلامي يسمح بكسب حلال دون عمل أو جهد مطلقا الا في أحوال محدودة يفرضها الواقع كانتقال المال من المورث الى أقرب الناس اليه ، أو يكون وصول المال الى يد من يكسبه دون مقابل محققا لحاجة انسانية ومظهرا من مظاهر البر والتواصل والتراحم ، ومثال ذلك الهبة والوصية والصدقة وسائر العطايا التي تمثل هذه المعاني والقيم الرفيعة وتنفع الواهب والموهوب له في الدنيا والاخرة .

واذا جاء الكسب المادي أو المعنوي للانسان نتيجة تجارة غير مشروعة أو عمل غير مشروع كان كسبا حراما لا يحل لصاحبه ولا يجوز أن ينتفع به ، بل هو في نظر الشرع خسران مبين ونقص لا زيادة في المال ، ومآل الكسب الحرام الى النار مع صاحبه بل هو في النار جزء من صاحبه فقد ورد في الحديث الشريف « **أيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به** » ، كما نعى القرآن الكريم على بني أسرائيل أكلهم السحت وهو المال الحرام .

وقد دان الشرع الاسلامي الكسب الحرام كله ، وجاء في ذلك أكثر شمولا من القوانين الوضعية ، وأدق مقياسا في النظر الى الكسب ذاته وصفته بغض النظر عمن يحقق هذا الكسب تاجرا أو موظفا أو زارعا أو قائما بخدمة عامة ، فكل شخص يستطيع أن يبتغي الكسب الحلال أيا كان عمله ، وكل انسان يجوز عليه ان يستهدف كسبا حراما ، والعبرة في الواقع بالكسب ذاته . هل حصل عليه الشخص من طريق أجاز الشرع أم احتال على الشرع والناس حتى تحصل عليه .

في التجارة يعد كسبا غير مشروع كل ما يحصل عليه التاجر نتيجة غش في كمية السلعة أو في صفاتها أو في ثمنها ، فالتاجر الغاش ليس من جماعة المسلمين وقد ورد في الحديث الشريف « من غشنا فليس منا » وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أدخل يده في طعام فوجده مبلولا حتى يزيد وزنه أو كيله ، وحرم الاسلام كذلك الاحتكار فقال صلوات الله عليه وسلامه « **المحتكر ملعون** » وقال « **لا يحتكر الا خاطيء** » وتوعد الرسول صلى الله عليه وسلم المحتكر بأشد العذاب في الدنيا والاخرة - وبريء من المحتكر الذي يمنع عن الناس ما يحتاجون اليه حتى يغليه عليهم في السعر اذا اشتدت الحاجة اليه ، ومنع الاسلام بيع المضطر وشرائه - وهو الشخص الذي يكون في حالة تضطره الى البيع فيفرط في الثمن الذي يبيع به أو يكون في حالة تضطره الى الشراء فيفرط عليه البائع في الثمن استغلالا لحاله والكسب الذي يحصل عليه التاجر الغاش أو المحتكر أو المستغل لحاجة المشتري الشديدة أو التاجر الذي يسير في تجارته على خلاف النظم التي تضعها الدولة لحفظ مصالح المستهلكين من الناس يكون كسبا حراما ، فالشرع الاسلامي يجيز لولي الامر أن يضع قيودا في مزاولة التجارة في سلع بذاتها من حيث الثمن كالتسعير ، أو من حيث الكمية التي يباح للتاجر بيعها ، أو من حيث طريقة توزيعها ، فاذا قصد المشرع بهذه القيود أن يحقق حاجة الناس

الى سلعة ضرورية بثمن معقول أو يضع نظاما عادلا حتى يحصل عليها الناس جميعا ، كان التاجر الذى يخالف هذه النظم حتى يحصل على كسب حرام عاصيا ، ويجوز عقابه كما يجوز ان يرد ما يحصل عليه زائدا على حقه الى من سلبه منه وقد ورد ذلك فى بحث هذه المعاملات والاثار التى تترتب عليها . ويستوى فى الكسب الحرام أن يحصل عليه التاجر أو الصانع او الزارع ، أو يكون من يحصل عليه فردا ام شركة – ويستوى ان يكون الحصول على الكسب غير المشروع من فرد من آحاد الناس أو شخص يمثل جهة عامة :

أما فى خصوص الوظيفة العامة فقد اشترط الاسلام فيمن يتولى أمور الناس الاهليه والثقة – وحرم على الموظف او من يكلف بخدمة عامة للمسلمين ان يستغل وظيفته لدى الناس أو يستفيد منها تحت اى اسم كانت هذه الاستفادة ، وقد لعن الرسول صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى فى الحديث الشريف ، كما حرم الاسلام أشد التحريم الاستيلاء على جزء ولو قليل من المال العام المملوك لجماعة المسلمين ومن ذلك الغنيمة قبل ان تقسم على مستحقيها ، كما حرم اسراف الموظف فى استخدام المال العام ارضاء لنفسه على حساب الناس .

واذا كان الكسب الحرام معصية يجوز عقاب فاعلها بأية عقوبة مناسبة يراها ولى الامر فانه يجب فوق ذلك رد الكسب غير المشروع الى من سلب منه ظلما كالمشترى او صاحب الحاجة الذى اضطر لدفع الرشوة الى موظف او مكلف بخدمة الناس ، وعدا ما تقدم فقد أباح الاسلام أن يصادر الحاكم جزءا من مال من يستغل وظيفته ويثرى على حسابها اذا تمكنت الشبهة فى هذا المال وقام الدليل على ارتباط الغنى والثروة بالوظيفة أو العمل العام ، وتمكن الشبهة فى المال معيار قانونى يغلق الباب امام الذين يثرون على حساب الوظيفه العامه ثم يدافعون عن انفسهم بمزاولة الخطر فى التجاره والزراعة وتكاثر ثروتهم بسبب ذلك والله يعلم أن كثره المال وتكاثر الثروه لم يكن بمواتاة الخطر وانما بظلم الناس واستغلال حاجتهم الى سلعه يفتقدونها او خدمه يرجونها ممن يملك تقديمها . وأخيرا فان المقام يقصر عن بيان فضل التشريع الاسلامى فى مجال القضاء على ظاهرة الكسب الحرام ، وليتنا نأخذ بالمفهوم الاسلامى لهذا الكسب وطرق القضاء عليه بالعقوبة والمصادره ، ويكفى أن هذا المفهوم الصحيح يستجيب لرغبة الناس جميعا فى مد نطاق القانون الى كل كسب حرام يتأتى من تجارة أو زراعة أو صناعة أو يأتى عن طريق الوظيفه العامة .

والله يهدى الى الحق والى طريق مستقيم .

بقية مقال « من أحكام الشريعة وآدابها »

الزوج لم يرض باسقاط حقه وازالة قيد الزواج الصحيح الا فى نظير استحقاقه لبدل الخلع . هذا من جهه القضاء .

اما من جهة الديانة . فان كان الزوج هو السبب فى الشقاق وكان نافرا من معاشرته لها ويريد مفارقتها فلا يطيب له أن يأخذ شيئا من زوجته فى نظير طلاقه لها . فلو اخذ بدل الخلع منها فى هذه الحالة كان ماأخذه منها كسبا خبيثا يجب عليه أن يتبرع به لقوله تعالى : « **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا** » « ٢٠، ٢١ من سوره النساء » فقد نهى الله سبحانه وتعالى الازواج عن ان يأخذوا شيئا من المهر عند ارادتهم تطليق زوجة وتزوج أخرى – وقد تأكد هذا النهى بالاستفهام الانكارى التوبيخى لاسترداد المهر من الزوج، وهو قوله تعالى « **أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وآخذن منكم ميثاقا غليظا** » .

هذا ويقول صاحب البحر أن أخذ البدل فى هذه الحاله حرام قطعا بنص الاية ولا يمكن ان يتخذ لذلك اى عذر او تبرير فلا يقال ان المراه بذلت بدل الخلع برضاها بل هى مكرهة على دفع البدل لتتخلص من هذه الزوجية التى ثبت ان الاساءة فيها من جانب الزوج واذا قلنا أنه يحل للزوج فى هذه الحالة أن يأخذ ما التزمت به الزوجة من بدل اضرارا وكرها .

اما اذا كانت الزوجة هى سبب الشقاق وان الاساءه والنفور من جانبها لكراهيتها للزوج وبغضها له فسنبين فى المقال التالى ان شاء الله حكم أخذ بدل الخلع فى هذه الحالة اذا كان اكثر من المهر الذى أخذته الزوجه . وآراء الفقهاء فى ذلك والتكييف الفقهى للخلع وباقى أبحاثه .

الإمام أحمد بن حنبل
بين الفقه والحديث

ـ ٢ ـ

فى مقالنا السابق انتهينا الى أن الامام أحمد بن حنبل لم يكن محدثا فقط كما زعم البعض ، وانما كان محدثا وفقيها الا أنه — رضوان الله عليه — كان فى فقهه متبعا غير مبتدع وكان لاتباعه لايجيب فى فتيا الا بحديث أو أثر ، فقد كان علمه بأحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — وآثار السلف واسعا مستفيضا ، وثروته من علم الرواية لا حد لها .

كذلك كان اذا سئل أفتى بما عنده من حديث أو أثر ، ولم ينفرد باجتهاد الا فى القليل النادر حتى أنه كان كثيرا مايستأنس برأى امام سابق حرصا منه على الاتباع وخوفا من الاغراب فى استعمال الرأى .

الدكتور عبدالعزيز محمد عزام

ولقد عبر عن ذلك ابن القيم بقوله : « ومن تامل فتاويه وفتاوى الصحابة رأى مطابقة كل منهما على الاخرى ، ورأى الجميع كأنها تخرج من مشكاة واحدة حتى ان الصحابة اذا اختلفوا على قولين جاء عنه فى المسالة روايتان » .

ولهذا فان الفقه الحنبلى فى حقيقته اثر او كالاثر أو بالاحرى فقه ابن حنبل ، فهو لايفترض الوقائع ليقدم لها الحلول ، فلا يفعل فعل أبى حنيفة من الافراط فى تقدير المسائل استعداداً للبلاء قبل نزوله ، بل كان يقتدى بالسلف فلا يفتى الا فيما يقع لان الافتاء بالرأى لايصار اليه الا عند الضرورة ولا ضرورة ما دامت المسالة لم تقع وتلك هى نزعة الفقه الحنبلى .

والحقيقة التى لاجدال فيها أن الفقه الفرضى أو التقديرى الذى لم يقل فيه بفرض مسائل غير متوقعة له مزاياه وآثاره فى تنمية الفقه واتساعه ولذلك فان فقهاء المذهب الحنبلى قد سلكوا فيما بعد مسلك غيرهم من الفقهاء ولكن لم يتجاوزوا حد الاعتدال ولم يكن فيما ذهبوا اليه فى الفقه لفرضى افراط أو غلو .

وقد حكى عن كثير من السلف انه كان لايتكلم فيما لم يقع ، وكان بعض السلف اذا سئل الرجل عن مسالة قال : هل كان ذلك اى هل وقع ذلك ؟ فان قال : نعم تكلف له الجواب ، والا قال : دعنا فى عافية .

وتفصيل ذلك ، انه اذا كان فى المسالة نص من كتاب الله أو سنة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أو أثر عن الصحابة لم يكره الكلام فيها ؛ وان لم يكن فيها نص ولا أثر ، فان كانت بعيدة الوقوع لم يستحب له الكلام فيها ، وان كان وقوعها غير نادر ولا مستبعد وغرض السائل الاحاطة بعلمها ليكون منها على بصيرة اذا وقعت استحب له الجواب بما علم لاسيما ان كان السائل يتفقه بذلك ويعتبر بها وبنظائرها ، ويفرع عليها . فحيث كانت مصلحة الجواب راجحة كان هو الاولى .

[راجع اعلام الموقعين لابن القيم جـ ٤ ص ٢٨٢ طبعة ١٩٦٦م بتحقيق عبدالرحمن الوكيل] .

وما ذلك الا لان الامام احمد كان يتعلق بالاثر ويفتى به ولايخرج فى فتاويه عن مأثور السلف ، ولذلك اتهم بالجمود والشدة وسرى هذا الاتهام منه الى فقهه فوصم الكثير من الناس مذهبه بانه لايتسع لمطالب العصر ولا يسعف الناس بما يحتاجون اليه لبعده عن دنيا الناس وملابسات الزمن .

والحقيقة غير ذلك ، فالفقه الحنبلى كان ولا يزال حيا قويا نضرا فيه جلال السلف وشدة تمسكه بالواقع ، فالامام احمد كان يعيش فى عالم السنة الرفيع بفكره وكيانه كله ، فاتسم فقهه بالورع فيما يتعلق بنفسه لانه كان يحاول ان يتحرج كتحرج النبى — صلى الله عليه وسلم — حتى وصفه احد معاصريه بانه سلفى تخلف به الزمن ، ذلك انه كان لايترخص فى دينه ولا يشفق على نفسه بل كان شديداً فى الدين . اما فيما يتعلق بالناس فان فقهه كان يتحلى بروح انسانية عالية بعيدة عن التعصب فقد سئل عن حبس أهل البدع فانكر ذلك خشية ان يكون لهم والدات وأولاد فكره ان يتعدى عقابهم الى الابرياء من ذويهم ممن ليس لهم ذنب او جريمة ، وبهذا فان الفقه الحنبلى يسابق انجازات الفقه المعاصر فى القوانين الوضعية .

ففى مجال العبادات نرى ان الفقه الحنبلى غنى بالنصوص والاثار : والعبادات بالطبع لاتقبل التطور ولايطرأ عليها زيادة أو نقص ، ولا مجال فيها لاستعمال الاقيسة لانها تعتمد على الوحى المتلو وغيره فلا يتصور فيها جمود . فاذا تجاوزنا ذلك الى المعاملات ، رأينا المذهب الحنبلى يتمسك فى التحريم أشد الاستمساك بما كان عليه السلف ، فلا يكون فى باب التعامل حظر ولا تأثيم الا بنص قاطع من كتاب أو سنة أو اثر ، فاذا لم يثبت ذلك فالامر على الاباحة أو هو فى حكم المعفو الذى لا اثم فيه .

ويقول ابن القيم فى ذلك مانصه :

« والاصل فى العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الامر ، والاصل فى العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم .

والفرق بينهما أن الله سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرعه على ألسنة رسله ، فان العبادة حقه على عباده ، وحقه الذى احقه هو ورضى به وشرعه .

وأما العقود والمعاملات فهى عفو حتى يحرمها ، ولهذا نعى الله سبحانه وتعالى على المشركين مخالفة هذين الاصلين وهو تحريم مالم يحرمه ، والتقرب بما لم يشرعه وهو سبحانه لو سكت عن اباحة ذلك وتحريمه لكان ذلك عفوا ، ولا يجوز الحكم بتحريمه وابطاله ، فان الحلال ما أحله الله ، والحرام ماحرمه ، وما سكت عنه فهو عفو . [اعلام الموقعين ج ١ ص ٣]

فكان لاستصحاب البراءة الاصلية واعتبار مالا دليل عليه من كتاب أو سنة طلبا أو منعا فى مرتبة المعفو ، رفق بالناس لان الاستمساك بالنص والاثر والتشديد فيهما كما كانا السبب فى تصعيب الاستنباط الفقهى كانا أيضا سببا فى تصعيب التحريم فكان باب المنع مضيقا كما كان باب الايجاب غير موسع ، وذلك ذلك تسهيل كبير على الناس فى باب التعامل .

ومن ثم فان فقه الامام أحمد يمتاز عن بقية المذاهب بانه أكثرها تصحيحا للشروط المقترنة بالعقد ، وبذلك فانه يعد هو المذهب الفريد الذى استطاع أن يمد المجتمعات الحديثة بالكثير من أنظمة التعامل وحرية التعاقد بما لانجد له نظيرا فى بقية المذاهب الاسلامية الاخرى ، وخاصة اذا استكملنا هذا المذهب بما اضافه اليه الامام ابن تيمية وابن القيم ، فان هذين الفقيهين من أكثر فقهاء المذهب أثرا فى تطوره .

والشروط المقترنة بالعقد فى الفقه الاسلامى كثيرة ومتنوعة ومنها على سبيل المثال شرط الاجل وشرط التعليق وشرط الاسقاط ، وشرط فى وجوده غرر وهناك شرط محرم وأخيرا هناك شرط يقترن بالعقد وهو الشرط الذى يضيف لمقتضى العقد ما هو أصل وليس فى وجوده غرر ولا هو محرم .

ومعلوم أن الشرع ضع أحكاما عامة لجميع العقود ، وأحكاما خاصة لكل نوع منها . غير أن هذه الاحكام وضعت فى الغالب تفسيرا لنية المتعاقدين ، فلذا جاز لهؤلاء اشتراط شروط معينة تتوقف على علاقاتهم وظروفهم ، غير أنه ينبغى لمراعات الشرط أن يكون جائزا لا فاسدا .

والشرط الجائز هو ما كان موافقا للشرع ، ويعتبر كذلك كل شرط من مقتضيات العقد كاشتراط قبض المبيع فى قبض الثمن فى عقد البيع او كل شرط ملائم للعقد كاشتراط الرهن تامينا لدفع الثمن ، أو كل شرط متعارف بين أهل البلد كاشتراط تسمير النعل عند شرائه .

وقد أورد ابن قدامة الحنبلى تقسيما للشروط فقال : والشروط تنقسم الى اربعة اقسام :

أحدها : ما هو من مقتضى العقد كاشتراط التسليم وخيار المجلس والتقابض فى الحال فهذا وجوده كعدمه لايفيد حكما ، ولا يؤثر فى العقد .

والثانى : تتعلق به مصلحة العاقدين كالاجل والخيار والرهن والضمين والشهادة واشتراط صفة مقصودة فى المبيع كالصناعة والكتابة ونحوها فهذا شرط جائز يلزم الوفاء به ، ولا نعلم فى صحة هذين القسمين خلافا .

والثالث : ما ليس من مقتضياته ، ولا من مصلحته ولا ينافى مقتضاه وهو نوعان :

أحدهما : اشتراط منفعة البائع فى المبيع والثانى : أن يشترط عقدا فى عقد .

والرابع : اشتراط مابينا فى مقتضى العقد [المغنى لابن قدامة ج ٤ ص ٢٨٥ مطبعة العاصمة] .

تلك هى أقسام الشروط على سبيل الاجمال فى المذهب الحنبلى والذى يعنينا منها هو معرفة اتجاهات المذهب فى الشرط الصحيح فى الشرط الفاسد . وهذا ما سنعرض له أن شاء الله تعالى . وبالله التوفيق .

كيفية التقرب الى الله

عن البراء بن عازب [رضى الله عنه] قال : « خرج النبى [صلى الله عليه وسلم] يوم أضحى ، وقال : ان أول نسكنا فى يومنا هذا ان نبدا بالصلاة ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك فقد وافق سنتنا ، ومن ذبح قبل ذلك فانما هو شىء عجله لاهله ، ليس من النسك فى شى ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ، وعندى جذعة هى خير من مسنة ؟ فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : اذبحها ، ولا تفى عن أحد بعدك » .

– أول نسكنا : أول عملنا الذى نتقرب به الى الله .

– الجذعة من المعز ما لها سنة . والمسنة : الثنية من المعز التى لها سنتان ، وكانت هذه الجذعة خيرا من المسنة لنفاستها وسمنها وغلو ثمنها .

– وفى قوله [صلوات الله عليه] : ولا تفى عن أحد بعدك دلالة على انها خصوصية لذلك الرجل لا تكون لغيره ، ولرسول الله [صلى الله عليه وسلم] أن يخص من شاء بما شاء من الاحكام [وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى] .

مكانة المعاملات في دين الله

الدكتور عبد الفتاح عاشور

الانسان اجتماعى بطبعه ــ هكذا خلقه الله ــ يحتاج الى الغذاء والكساء والمأوى ، وهى حاجات أساسية تتحكم فيه فيضطر من أجلها الى السعى وتحصيل الرزق والتعامل مع اخوته من بنى جنسه .

ونظرا لما تركب فى البشر من حب الحياة ــ فحب الحياة هو الخلود ــ يحاول الناس الازدياد من المال وجمعه من كل طريق فيكون التنافس والصراع ويكون المكر والدهاء ، ولا بد من عاصم يحمى الضعيف من كيد القوى ويحفظ العاجز من أهل الدهاء والحيلة ، وليس هناك من عاصم الا دين الله يربى النفوس ويروضها ويرغبها ويخوفها ويهديها الى الخير ويدلها على طريق الله الواضح المستقيم .

وهذا الترابط بين الدين والمعاملات قديم قدم الانسان ، وبدونه يحيا الناس كالوحوش فى الاكام ، بل ربما حفظ الوحش لفصيلته حق الحماية والنصرة ، لكن البشر يدفعهم طمع وحرص وشراهة فاذا بالعهود ممزقة الاوصال ، والاخوة الانسانية أمل يداعب النفوس ليس لها من واقع الحياة نصيب !!

ولهذا كانت الوصية الاولى من الله لادم وبنيه حين هبط هو وحواء من الجنة : « **فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ..** » وهذه الهداية الالهية تحيط بالمنهج العام للحياة فى اعتقاداته واخلاقه ومعاملاته ، الا أن المعاملات هى المحك الرئيسى الذى تبدو فيه قوة العقيده فى الله وعظمة الاخلاق المنبثقة من هذا الايمان ..

وهذه الصلة بين الدين والمعاملات نلمسها قديما فى دعوة نبى الله شعيب عليه السلام ، وذلك أن قومه فهموا بل توهموا انه لا صلة بين الدين والدنيا وان المعاملات أمور تنظمها المجتمعات بالطريقة التى تحلو لها وما الدين الا صلة روحية بين العبد وربه وليس هناك ما يدعو الى ارتباط هذا بذاك : « **قالوا : يا**

شعيب أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد » ولكنه يبين لهم الصلة الوثيقة بين الدنيا والاخرة .. بين معاملة الخالق ومعاملة المخلوق « قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى اراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقيه الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ .. » ويخوفهم المرة تلو المرة بعذاب الله ويذكرهم بمصائر من سبقهم ويطلب منهم التوبة والرجوع الى الله فيقول : « ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود .. » ولكنهم عموا عن الحق وأصروا على ادعائهم الباطل وما ارتفعوا الى هذا المستوى الراقى فعاشوا فى جهلهم وعنادهم ومكرهم الى أن حل بهم العذاب قال تعالى : « ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود » !!

وقصة شعيب التى تكررت فى أكثر من موضع من كتاب الله مثال للصلة الاكيدة بين المعاملة والايمان بالله ، فدعوته عليه السلام تأخذ خطين متلازمين الاول : الامر بعبادة الله وحده لا شريك له ، الثانى : المعاملة الحسنة والتى تمثلت فى الامر بايفاء الكيل والميزان ، وما حل بقوم شعيب عبرة لكل أمة تجعل حياتها فى جانب ومعرفتها بالله فى جانب آخر ..

لذلك اعتنى القرآن الكريم فى كثير من آياته بتأكيد هذه الصلة فتجده فى وصايا سورة الاسراء التى تبدأ بالوصية الاولى « لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » نجد قول الله تعالى « وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا »

وفى الوصايا العشر فى سورة الانعام قوله تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا » ثم أمر بعدالة المعاملة لارتباطها بالتوحيد المطلق لله وذلك اذ يقول : « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها » .

وفى سورة الرحمن : بعد أن بين آثار الرحمن ـ سبحانه ـ الشاهدة بوحدانيته وقدرته يقول : « والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان »

وسورة المطففين وما فيها من تخويف شديد لمن ساءت معاملته للناس دليل على الصلة المتينة بين المعاملة والدين وذلك اذ يقول : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

واذا كان هذا الوعيد لمن أنقص حبات من كيل او دراهم من وزن فان مدلوله أكبر وأعظم : اذ يشمل جوانب الحياة كلها وما فيها من معاملات . وتطفيف الكيل والانتقاص من الوزن دليل على مرض النفس وحاجتها الى العلاج ودليل على سوء الطوية والاجتراء على حدود الله ، ومن يجترىء على مثل هذا يجره الى ما هو أعظم منه فيعتدى على حرمات الله .. واذن فلا انفصال بين واقع الحياة ومعاملات البشر اليومية وبين كتاب الله ..

والمجتمع الذى انشأه الاسلام انشأه بعيدا كل البعد عن ملامح مجتمعات الارض قديمها وحديثها تلك التى فصلت بين عقيدتها وحياتها ، فقد أقام لاتباعه طريقا راشدا فى حياتهم وصلاتهم ومعاملاتهم كما حدد الصلة بين الخلق والخالق ، ولم يكن أمام دين الله غير هذا المنهج فى الحياة لانه يصنع للانسانية مجتمعا فريدا بعيدا عن المجتمعات الجاهلية بأوضارها واوزارها وعاداتها وتقاليدها . وهذا شان من رسالات السماء التى جاءت تقيم مجتمعات مطهره من مفاسد البشر ومهتدية بهداية الله .. فهذا موسى عليه السلام « كما يقول المرحوم العقاد » « يقود شعبا بغير دولة الى أرض يقيمون فيها حكما غير الحكم الذى خضعوا له فى موطنهم الذى تركوه من أرض الدولة المصرية فلم تكن رسالته رسالة عقيدة وحسب ولم يكن قيام العقيدة ميسورا بغير قيام القانون .. وجاء السيد المسيح مؤيدا لشرائع العهد القديم ولم يجىء مبطلا لها أو معطلا لاحكامها جاء متمما للناموس ولم يجىء مبطلا هادما للناموس .. قال تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »

واذا كانت هذه منزلة المعاملات من دين الله وكانت وثيقة الصلة بعقيدة المؤمنين واخلاقهم فان المنهج الذى انتهجه القرآن لم يدع أمرا يختص بالمعاملة الا أوضحه وأرسى قواعده وأقام بناءه الاجتماعى على هذا الاساس المتين .. وما أحوجنا الى تأكيد هذه الصلة وبث الحياة فى شرايينها لتعود لنا أسلوب عمل وعنوان حيوية وعنصر اقتدار فنحيا كما أراد الله للانسان أن يحيا يشعر أنه يتعامل مع اخوة له فى الانسانية يحدوهم الامل فى فضل الله ويدفعهم الخوف منه الى ابتغاء مرضاته والعمل على حسن معاملة الخلق فتلك وسيلة مرضاته ..

هذا وبالله التوفيق

القضاء في الإسلام

القضاء فى الاسلام عدالة لها قداستها ، وامانة لها نزاهتها ، وعبادة لها طهارتها ، وتنفيذ للاحكام يبعث فى النفس الثقة والاطمئنان ، وضرب على يد المنحرف حتى يفيء الى رشده ، ويقلع عن غيه ، ويكف عن ايذاء نفسه وايذاء غيره . قال تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله »

وقال عز من قائل :

« وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط »

وقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

انما اهلك الامم قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « موصيا الوالى — ابوموسى الاشعرى — آس بين الناس فى مجلسك وعدلك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك .. ولا يمنعك قضاءقضيته بالامس وراجعت فيه نفسك .. ان تسترجعه وتسترده — فان الحق قديم، وان الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل .

الأستاذ محمد النظامى

وقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بتولى القضاء بين المسلمين بنفسه ، وكان القرآن مصدر قضائه وهو القائل عليه السلام : « اذا جاء أمر لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه السنة فاجمعوا له العالمين من المؤمنين واجعلوه شورى بينكم » ثم تولى من بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه فكان يقضى بما فى كتاب الله ، وبما علمه من سنة رسول الله فان أشكل أمر سأل المسلمين ، ثم لما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية فىعهد عمر الفاروق عهد بالقضاء الى صفوة من صحابة رسول الله ، فعين أبا الدرداء على قضاء المدينة وهى يومئذ مقر الخلافة ، وعين شريح بن الحارث البصرى على قضاء البصره ، وعين أبا موسى الاشعرى على قضاء الكوفة وعين عثمان بن القيس بن ابى السهمى على قضاء مصر .

وذلك الامام على بن أبى طالب عندما عين الاشتر النخعى ولاية مصر قال له :

— اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك،وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، ممن لا تشرف نفسه على طمع ، ممن لا يزدهيه اطراء ، ولا يستميله اغراء ، ثم أكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له فى البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ، واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك لتأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك .

وقد كان القضاة يتخذون من المساجد أماكن للحكم ، وكانوا يتمسكون بروح العدل فى الحكم ومبدأ الحزم فى التنفيذ، مدفوعين الى ذلك بروح التقوى التى تحمل القاضى على تحرى الحق ، واقامة موازين العدل دون مجاملة أو محاباه ، والتى تجعل القاضى لايراقب فى تصرفاته أحدا غير الحكم العدل تبارك وتعالى قال سبحانه : « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « القضاة ثلاثة . قاض فى الجنة وقاضيان فى النار . قاض عمل بالحق فى قضائه فهو فى الجنة ، وقاض علم الحق فجار متعمدا فهو فى النار ، وقاض قضى بغير علم واستحيا أن يقول لا أعلم فهو فى النار .

يقول صلوات الله عليه : « يؤتى بالولاه يوم القيامة، فيقول الله عز وجل أنتم كنتم دعاة خليقتى وخزنة ملكى فى أرضى ، ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادى فوق الحد الذى أمرت به ؟ فيقول يارب لانهم عصوك وخالفوك ثم يقول لاحدهم : لم عاقبت عبادى أقل من الحد الذى أمرت به ؟ فيقول يارب انى رحمتهم ، فيقول تعالى كيف تكون أرحم منى ؟ خذوا الذى زاد والذى نقص واحشوا بهما زوايا جهنم .

وما أجمل نصيحة الحسن البصرى رضى الله عنه لابن هبيرة الوالى فقد استشاره ابن هبيرة قائلا :

— تأتينى كتب من الخليفة يزيد بن معاوية فيها من الاوامر مالم يأذن به الله فان نفذتها استحققت سخط الله ، وان لم أنفذها خشيت على دمى . فقال له : يا بن هبيرة : خفالله فى يزيد ، ولاتخف

يزيد فى الله ، ان الله ما نعك من يزيد ، وأن يزيد لا يمنعك من الله ، يا بن هبيره لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق .. فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى ، فما وافق كتاب الله فانفذه ، وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ، فان الله أولى بك من يزيد ، وكتاب الله أولى بك من كتاب يزيد فقال له ابن هبيرة : صدقت ورب العالمين .

ومن أعظم الامثلة على حزم القضاة ، وعدالتهم فى الاسلام ، ما ذكر من أن القاضى شريك بن عبيد الله قد شكت اليه امرأة من أنها عندما امتنعت عن بيع بستانها للامير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين المهدى أمر غلمانه فازالوا حدود بستانها ومعالمه — وخلطوه ببستانه : فارسل يستدعى الامير للحضور فى مجلس القضاء مع المراة — فارسل الامير رئيس الشرطة بالكوفة ليطلب منه العدول عن هذا فحبس رئيس الشرطة ، ولما علم الامير بذلك بعث بعض الوسطاء يعتبون على القاضى فقال لهم شريك : لماذا ترفع الامير عن الحضور الى مجلس الحكم ؟ هل نصب القضاء للفصل بين العامة فحسب ، أن العدالة لا تفرق بين أمير وصغير ، وانتم بتداخلكم فى أمر القضاء لابد أن يحل بكم جزاء . ثم أمر بحبسهم — فذهب الامير فى ركب من حراسه الى السجن وأخرج المسجونين عنوة .. فاعد القاضى نفسه للسفر الى بغداد للقاء الخليفة المهدى ليطلب اعفاءه من القضاء قائلا : والله ماطلبت من بنى العباس ولاية القضاء ، وانماهم الذين اكرهونا عليها — ولقد وعدونا ان نكون اعزة احرارا نتوخى العدل فى احكامنا ان تولينا القضاء — اما الان فلا سبيل الى البقاء فى مجلس الحكم مادمنا عاجزين عن أداء الامانة . فلحق به الامير واخذ يستعطفه فقال : الحل عندى أن يرد الى السجن جميع من أمرت بسجنهم فاضطر الامير الى اعادتهم الى السجن والى حضور مجلس القضاء مع المراة ، وحكم عليه شريك برد البستان ، واقامة الحدود والمعالم التى هدمت فنفذ الحكم .

وقد كان المسلمون الاوائل يتهيبون القضاء ويرغبون عنه اما تحرجا من مسئولياته وخوفا من عدم القيام بالتزاماته أو خوفا من أن يحملهم الولاة على اصدار أحكام لا تقوم على أساس من الحق والدين فاذا ما اصروا على تنفيذ العدالة تعرضوا لصعاب ومتاعب وقد يجبر أحدهم على قبوله اذا لم يوجد من هو أفضل منه .

يقول رسول الله صلوات الله عليه وسلامه : « من ولى القضاء فقد ذبح بدون سكين » « فقد يكون هذا الحديث مسوقا فى صورة تمثيل لحال القاضى الضعيف فى نزاهته حتى يلقى جزاءه فى الاخرة .. تمثل له باشد الناس عذابا فى الدار الدنيا وهو المذبوح بغير سكين أو لعل فى هذا الحديث اشارة الى ما يلقاه القاضى من عناء ومحاربة للاهواء تحريا للعدالة والانصاف .

وذلك سعيد بن عامر الجمحى دعاه أمير المؤمنين عمر وقال له : انى ساختارك قاضيا ، فقال لا تفتننى يا أمير المؤمنين ، فقال عمر والله لا أدعك ، قلدتموها لى وتتركونى ، وانفذه الى القضاء مكرها .

وذلك أبوجعفر المنصور عرض القضاء على أبى حنيفة فأبى وقال انه لا يصلح لهذا المنصب الا رجل يملك الحكم على أمير المؤمنين وقواده ، وأنا لا أملك ذلك — فتركه المأمون فترة — ثم عاد فاقسم عليه ان يقبل المنصب فاقسم أبو حنيفة ألا يقبله .. فلما قيل له يقسم أبوحنيفة وتقسم أنت قال : ان أمير المؤمنين أقدر منى على كفارة يمينه ولما هدده المنصور قال له أبو حنيفة : والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ، ولو هددتنى أن تغرقنى فى الفرات أو ان الى الحكم لاخترت أن أغرق ، ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ، ولا أصلح لذلك ..

ونقرأ أن الامير ابراهيم بن الاغلب وقع اختياره على عيسى بن مسكين احد الفقهاء بالقيروان لتولى القضاء فاحضره ، وقال له ما تقول فى رجل جمع خصال الخير أردت أن أوليه القضاء واجمع به شمل الامة فامتنع ، قال عيسى يلزم أن يلى . قال تمنع ، قال تجبره على ذلك بجلده ، قال قم فانت هو . قال ما أنا بالذى وصفت وتمنع ، فلما وجد أن الخليفة سينفذ الجلد حقا استجاب .

ولقد كان المسلمون الاوائل يتمسكون بالمبادىء .. يحترمون القانون عن عقيدة ورغبة ، وتمسك به لا عن رهبة وخوف . وكانوا يقولون للمفسد أن الصواب فى غير ما اتيت ، وكانوا يقولون للمخطىء ان الخير فى غير ما ارتايت ، لا يجاملون هذا ، ولا يخافون ذاك ولا يخشون فى الحق أحدا حتى ولو كثر اشياع الباطل ، وأوتوا زخرفا من القول ، وسعة من المال ، وكانوا أكثر عددا وعددا .

وذلك أحد علماء المسلمين كتب الى أحد أمراء مكة ناصحا : اعلم أن الحسنة فى نفسها حسنة وهى من بيت النبوة أحسن ، وأن السيئة فى نفسها سيئه ، وهى من بيت النبوه أسوأ .. وقد بلغنى انك أتيت ما يحمر له الوجه .. وسود الصحيفة فان وقفت عن حدك ، والا أغمدنا فيك سيف جدك والسلام .

وتلك قضية رفعت أمام قاضى قرطبة محمد بن بشير ، وكان أحد الخصمين فيها سعيد الخير عم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، واستشهد سعيد بالخليفة نفسه فقال له القاضى هذه الشهادة لا تقبل عندى ، ولما سئل عن سبب رده لشهادة الخليفة قال : أنه لابد من الاعذار فى الشهادة ، ومن الذى يجترىء على القدح فى شهادة الامير اذا قبلت ، ولو لم اعذر لبخست المشهود عليه حقه ، وقد حكم ابن بشير على الخليفة عبد الرحمن الناصر فى قضية رفعها عليه أحد الرعية ، وابلغ الخليفة الحكم مقرونا بالتهديد بالاستقالة اذا لم يبادر الى تنفيذ الحكم فنفذه .

وذلك برهان الدين بن الخطيب أحد قضاة مصر ، عارضه محب الدين ناظر الجيش فى الحكم فى قضية ، فقال لا أرضى أن أكون تحت الحجر ، وعزل نفسه ، ولما بلغ ذلك الملك الاشرف أحد يسترضيه حتى قبل العودة بشروط وما أجمل قول أبو عمر وعبد الرحمن الاوزاعى امام أهل الحديث بالشام ناصحا الخليفة المنصور : أعلم يا أمير المؤمنين ان السلطان أربعة : أمير يكلف نفسه ويكلف عماله فذلك له أجر المجاهد فى سبيل الله ، وصلاته يضاعف له أجرها ، وترفرف يد الله بالرحمة على رأسه وأمير يرتع ويرتع عماله ، فذاك يحمل أثقاله وأثقالهم مع أثقاله ، وأمير يكلف نفسه ويرتع عماله فذاك الذى باع آخرته بدنيا غيره ، وأمير يرتع ويرتع عماله فذلك شر الاكياس .

وقد ابتليت يا أمير المؤمنين بأمر عظيم عرض على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنه واشفقن منه واعيذك بالله أن يخيل اليك أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع من المخالفة عن أمره .. وقد علمت أنه قال لعمته صفية وابنته فاطمة رضى الله عنهما : استوهبا نفسيكما من الله انى لا أغنى عنكما من الله شيئا . وقد كان جدك الاكبر قد سأل رسول الله صلى الله امارة فقال له يا عم : نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها — اشفاقا على عمه من أن يلى أمرا فيجور أو يحيد عن سنته ..

هذه نصيحتى يا أمير المؤمنين ان قبلتها فلنفسك عملت ، وان رددتها فنفسك بخست .

أخبار اليوم

تقدم

أخبار اليوم

الأخبار

آخر ساعة

كتاب اليوم

الجريدة الأسبوعية الأولى في الشرق الأوسط

جريدة الرأي والفكر والخبر

كبرى المجلات المصورة في العالم العربي

خلاصة الفكر والمعارف والثقافات

إعلانات الأخبار

خبراء في الإعلان والخدمات الإعلانية
يحملون رسالتك إلى مائة مليون عربي

مطابع الأخبار

أحدث الآلات وأمهر الفنيين لطباعة
الألوان بالروتوغرافور والأوفست المسطح

توزيع الأخبار

أقوى جهاز لتوزيع الصحف
والمجلات والكتب المحلية والأجنبية

وكالة القاهرة للإعلان

حملات إعلانية - علاقات عامة - دراسة السوق
تليفزيون - إذاعة - سينما - نيون - مطبوعات
سلايد سكرين - بريد الأخبار

٦ شارع الصحافة القاهرة ت ٧٧٧٧٧/٧٧٨٦٠

التصوّف والفلسفة الإسلامية

الصوفية فى إلهامهم

كيف اتعظوا بالقرآن الكريم

تكلمنا فى مقال سابق عن السادة الصوفية العاملين بالكتاب والسنة وعرضنا ما قالوه فى تأويل سورة الفاتحة عن أدراك قوى وفهم سليم وذوق قويم ، وننقل فى هذا المقال بعض ما قالوه فى آيات قرآنية اجرى فينتفع السادة القراء بعلمهم النورانى الصادر عن العطاء الربانى الذى يخص الله به عباده المتقين ، وصدق سبحانه اذ يقول [وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون] .

يقول السادة الصوفية فى قوله تعالى [الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] :

ولاية الله للمؤمنين هى ولاية الرضا ، فهو سبحانه المتولى لهم ، بما سبق لهم من هدايته ، ودلالتهم على توحيده ، فاخرجهم من الظلمات الى النور ومن الكفر والضلالة والمعاصى والبدع الى الايمان وهو النور الذى أودعه الله فى قلوبهم ، وهو نور بصيرة اليقين الذى يستبصرون به التوحيد والطاعة فيما أمر به سبحانه أو نهى عنه [ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور] .

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

وفى قوله تعالى [**والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خلدون**] : الطاغوت هو الشيطان ، ورأس الطواغيت كلها النفس الامارة بالسوء ، ووصفها بانها أمارة اى شديدة الامرة ، فهى ليست آمرة بل أمارة ، ولذلك يحتاج المؤمن فى مقاومة هواها الى عزم مؤكد ، ونهى شديد ،وجهاد أكيد ، ونظر فى العواقب سديد ، وخوف من الله رشيد ، ومن خاف الله فى دنياه ، أمنه الله فى أخراه ، لانه تعالى لا يجمع على عبده خوفين ولا أمنين ، « **من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد** » .

وتتفاضل درجات المؤمنين فى صلتهم بالله تعالى على قدر جهادهم لانفسهم ، وقد أرشد الله عباده الى ذلك بقوله عز وجل [**ان أكرمكم عند الله أتقاكم**] أى أخوفكم منه ، واذا لاحظنا التعبير بأفعل التفضيل فى قوله تعالى [أكرمكم] وقوله تعالى [أتقاكم] رأينا بوضوح أن كرامة الله تكون للاتقى فالاتقى فهم درجات عند الله تتناسب مع درجات تقواهم .

وهؤلاء الاتقياء لا يخافون ربهم لاقتراف السيئات بل يخافونه سبحانه حتى مع فعل الطاعات ولنقرأ فى ذلك قوله تعالى[**ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لايشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون**] .

ويتناسب خوف المؤمن من ربه مع علمه بربه سبحانه ولذلك يقول عز وجل [**انما يخشى الله من عباده العلماء**] ،وقد قال احد الشيوخ لتلميذه : أو تعرف ربك ؟ فأجاب التلميذ قائلا : كيف أعبد من لا أعرف ، فقال الشيخ : أو تعرفه ثم تعصيه؟ ولما كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بربه كان أخوفهم منه وأتقاهم له سبحانه مع انه معصوم من الذنوب صغيرها وكبيرها . وقد وصف الله الملائكة الاطهار فقال تعالى [**يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**] .

وفى قوله تعالى [**ان كيد الشيطان كان ضعيفا**] يقول السادة الصوفية : ان أعداء الانسان التى تقطعه عن ربه أربعة: النفس والشيطان والدنيا والناس ، وفى ذلك يقول قائلهم :

انى بليت باربع يرموننى
بالنبل من قوس له توتير
ابليس والدنيا ونفسى والهوى
يارب أنت على الخلاص قدير

وهم يرشدوننا الى أن مجاهدة النفس تكون بمخالفة هواها وحملها على ما يثقل عليها فى مرضاة الله تعالى حتى تزتاض، وتستحلى الطاعات ، وتنفر من المخالفات لتصل الى مرضاة الله بعد أن تخافه وتخشاه كما علمنا بقوله الكريم [**واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى**] ومقام ربه أى وقوف العبد يوم القيامة فى محل الحساب ،وهو ما يحمل المؤمن على دوام المراقبة ، كما يجره الى دوام المحاسبة لنفسه ◘

ويقول الامام البوصيرى رضى الله عنه فى بردته المباركة :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحاذر ان توليه
ان الهوى ما تولى يصم أو يصم
من لى برد جماح من غوايتها
كما يرد جماح الخيل باللجم

وأنت تدرك من البيت الاخير أنها تحتاج الى جهاد أكبر لان جماح الخيل انما يرد بالحديد ذى البأس الشديد . ويقول السادة الصوفية : ان الاستقامة تقتضى منك أن تشهد الوقت قيامة ، فتتذكر قوله تعالى [**يوم يفر المرء من اخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه**] فما من ولى ولا عارف الا وهو فى دنياه يفر بقلبه من اخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، فيكون مع هؤلاء بجسمه ويفارقهم بقلبه، ولذلك يقولون فى وصف العارف : جسمه بين الخلق يسعى وقلبه فى الملكوت يرعى .

ويتعظ السادة الصوفية بقوله تعالى [**والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون**] فيقولون : أى الذين يحفظون الامانات التى عندهم للخلق ولا يخونون فيها وأمانات الله التى عندهم اعضاؤهم الظاهرة فلا يدنسونها بالخطايا ، والمعرفة التى فى قلوبهم أمانة عندهم من الله تعالى ، والفرائض واللوازم والتوحيد كل ذلك أمانات لله عز وجل .

ويقول الامام القشيرى ، رضى الله عنه ، فى لطائف الاشارات عند قوله تعالى [**انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا**] : أبين اباء اشفاق ، لا اباء استكبار واستعفين نعفنا عنهن وأعفاهن من حملها ، [**وحملها الانسان**] ، أى قبلها ، وما رعاها بنو الانسان حق رعايتها ، كل بقدره ، [**انه كان ظلوما جهولا**] اى بصعوبة حمل الامانة فى الحال، والعقوبة التى عليها فى المآل ،

وأضاف الامام القشيرى رضى الله عنه يقول :
ويقال : الامانة القيام بالواجبات ، أصولها وفروعها ،
ويقال : الامانة التوحيد عقدا ، وحفظ الحدود جهدا ،
ويقال : لما حمل آدم الامانة وأولاده قال تعالى [**وحملناهم فى البر والبحر**] وهل جزاء الاحسان الا الاحسان !

ويقال : حمل الانسان بالله لا بنفسه ، ويقال : ظلم نفسه حيث لم يشفق مما اشفقت منه السموات والارض ، والظلم وضع الشىء فى غير موضعه .

وفى قوله تعالى [**ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون**] يقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى لطائف الاشارات ، [**ثم استقاموا**] اى استقاموا فى الحال ثم استقاموا فى المآل ، فداموا على الايمان الى وقت خروجهم من الدنيا ، والاستقامة هى الثبات على شرائط الايمان بجملتها من غير اخلال بشىء من اقسامها . وهم على قسمين : مستقيم فى أصول التوحيد والمعرفة وهذه صفة جميع المؤمنين، ومستقيم فى المعرفة من غير عصيان ، وهؤلاء مختلفون ، فمنهم ومنهم ومنهم [أى هم درجات] .

[**وأبشروا بالجنة**] : الذين لهم البشارة هم كل من استقام فى التوحيد ولم يشرك ، فله الامان من الخلود فى النار ، لان من كان له أصل الاستقامة لايخلد فى النار ، أما من كان له كمال الاستقامة فانه يأمن من الوعيد من غير ان يلحقه سوء بحال ، ثم الاستقامة لهم على حسب أحوالهم ، فمستقيم فى عهده ، ومستقيم فى عقده ، ومستقيم فى جهده ، ومراعاة حده ، ومستقيم فى عقده ، وجهده ، وحده ، وحبه ، ووده، وهذا أتمهم .

ويقال : استقاموا على دوام الشهود ، وعلى انفراد القلب بالله .

ويقال استقاموا فى تصفية العقد ، ثم فى توفية العهد ، ثم فى صحة القصد ، بدوام الوجد ،

ويقال استقاموا بأقوالهم ، ثم بأعمالهم ، ثم بصفاء احوالهم ، فى وقتهم وفى مآلهم ،

ويقال : اقاموا على طاعته ، واستقاموا فى معرفته ، وهاموا فى محبته ، وقاموا بشرائط خدمته ،

[**ألا تخافوا ولا تحزنوا**] : انما يكون الخوف فى المستقبل من الوقت ، من حلول مكروه ، او فوات محبوب ، فالملائكة يبشرونهم بأن كل مطلوب لهم سيكون ، وكل محذور لهم لايكون ، أما الحزن فان من كان راضيا بما يجرى فلا حزن له فى عيشه ، والملائكة يبشرونهم بأنه لا حزن فى أحوالهم ، وانما هم فى الروح والراحة ،

[**وأبشروا بالجنة**] أى بحسن المآب وبما وعد الله من جميل الثواب ، ويمكن القول : لا تخافوا من العذاب ، ولا تحزنوا على ماخلفتم من الاسباب ، وأبشروا بحسن الثواب فى المآب ،

ويقال : لا تخافوا من عزل الولاية ، ولا تحزنوا على ما خلفتم من الجناية ، وأبشروا بحسن العناية فى البداية ،

ويقال : لا تخافوا مما اسلفتم ، ولا تحزنوا على ماخلفتم ، وأبشروا بالجنة التى لها تكلفتم ،

ويقال : لا تخافوا المذلة ، ولا تحزنوا عما أسلفتم من الزلة ، وأبشروا بدوام الوصلة ،

وفى قوله تعالى [**نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلا من غفور رحيم**] .

يقول الامام القشيرى رضى الله عنه :
الولاية من الله بمعنى المحبة ، وتكون بمعنى النصرة ، وهذا الخطاب يحتمل ان يكون حتى قبل الملائكة الذين تتنزل عليهم ، ويحتمل أن يكون ابتداء الخطاب من الله تعالى — والنصرة تصدر من المحبة ، فلو لم تكن المحبة الازلية لم تحصل النصرة فى الحال ،

ويقال : نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا بتحقيق المعرفة ، وفى الاخرة بتحصيل المغفرة .

ويقال : نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا بالعناية ، وفى الاخرة بحسن الكفاية ، وجميل الرعاية أو فى الحياة الدنيا بالمشاهدة، وفى الاخرة بالمعاينة ، أو فى الحياة الدنيا بالرضاء بالقضاء ، وفى الاخرة باللقاء فى دار البقاء ، أو فى الدنيا بالايمان وفى الاخرة بالغفران ، أو فى الحياة الدنيا بالمحبة ، وفى الاخرة بالقربة ،

[**ولكم فيها**] : أى فى الجنة [**ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون**] أى ما تريدون ، وتدعون الله ليعطيكم ،

[نزلا] اى فضلا وعطاء [من غفور رحيم] وفى ذلك مساغ لامال المذنبين ، لانهم هم الذين يحتاجون الى المغفرة ، ولولا رحمته تعالى لما وصلوا الى مغفرته .

وفى قوله تعالى [ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين] يقول الامام القشيرى رضى الله عنه ، اى لا احد احسن قولا منه ، ويكون المراد منه النبى صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون جميع الانبياء عليهم السلام ،

ويقال : هم المؤمنون ، ويقال هم الائمة الذين يدعون الناس الى الله ، ويقال هم المؤذنون ،

ويقال الداعى الى الله هو الذى يدعو الناس الى الاكتفاء بالله ، [وعمل صالحا] اى كما يدعو الخلق الى الله يأتى بما يدعوهم اليه ،

ويقال : هم الذين عرفوا طريق الله ، ثم سلكوا طريق الله، ثم دعوا الناس الى الله ،

[وقال اننى من المسلمين] : المسلمون لحكمه هم الراضون بقضائه وتقديره ،

وفى قوله تعالى [ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم] يقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى لطائف الاشارات :

اى ادفع بالخصلة التى هى أحسن السيئة بمعنى بالعفو وبالتسامح والصفح عن الذلة التى تقع عليك من عدوك .

[فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم] اى يشبه الولى الحميم ولم يصر صديقا مخلصا ، وذلك من حسن الادب مع الله ، لانك تحلم على عباده لاجله ، ومن جملة حسن الخلق فى الصحبة مع الخلق الا تنتقم لنفسك وان تعفو عن خصمك . ولا يصل احسن الدرجات الا من صبر على الشدائد .

اقول وفى ذلك قالوا :

اخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه
من نار غيظك واصفح ان جنى جان
فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به
والاخذ بالعفو أجلى ما جنى جان

وحكوا عن رجل منهم شتمه شاتم فسكت ولم يجبه بشىء ، فقال له الشاتم : اياك أعنى ، فقال المشتوم : وعنك أحلم .
وفى ذلك يقول سيدى العالم العارف الشيخ احمد الحلوانى طيب الله ثراه [والد سيدى وشيخى عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه] :

الا يا صاح الا يا صاح
هم الاخوان كالارواح
فكن دوما لهم نصاح
وفيهم دع كلام اللاح
وعاشرهم على ماكان
ولا تقل الجفا اسلم
ومنذا يا اخى يسلم

وهل هو وحده أجرم
لمك يا اخى اظلم
وانت بدات بالطغيان
اتهجره وقد خدمك
وسابق جوده كرمك
فرضنا انه ظلمك
أليس العفو قد لزمك
بنص الروح والقرآن

وفى قوله تعالى [واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم] يقول الامام القشيرى رضى الله عنه ناصحا لنا :

اذا اتصلت بقلبك نزغات الشيطان فبادر بذكر ربك ، وارجع اليه قبل اية خطوة ، فانك ان لم تخف اول هاجس من هواجس الشيطان ، صار فكرة ، ثم بعد ذلك يحصل العزم على ما يدعو اليه الشيطان ، فاذا لم تتدارك ذلك تجرى الزلة ، واذا لم تتدارك ذلك بحسن الرجعى صار قسقا ، وبتمادى الوقت تصبح فى خطر كل آفة . ولا يتخلص العبد من نزغات الشيطان الا بصدق الاستعانة ، وصدق الاستغاثة ، وبذلك ينجو من الشيطان ، وقد قال تعالى [ان عبادى ليس لك عليهم سلطان] فكلما ازداد العبد من تبريه من حوله وقوته وأخلص بين يدى الله تضرعه واستغاثته واستعاذته زاد الله فى حفظه ودفع الشيطان عنه .

وفى قوله تعالى [ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله] يقول السادة الصوفية ، المؤمنون يعبدون ربا واحدا فاتحدت محبتهم ، والكفار تعددت معبوداتهم فافترقت محبتهم ، لذلك كان الذين آمنوا بالله ووحدوه اشد حبا لله ، لانهم لا ينصرفون عن محبوبهم فى الشدة ولا فى الرخاء ، بخلاف الكفار فانهم يعبدون الاصنام فى وقت الرخاء ، فاذا نزل بهم البلاء التجأوا الى الله، كما خاطبهم سبحانه بقوله الكريم [ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون] .

والسادة العارفون يقولون : ان محبة الله تقوى وتضعف على قدر المعرفة ، فاذا قويت معرفة العبد لربه ، تمكنت محبته من قلبه ، وظهرت آثارها على الجوارح من الجد فى طاعته ، والحرص على مرضاته ، والتلذذ بمناجاته ، والرضا بقضائه والشوق الى لقائه ، والانس بذكره ، ومحبة كل ما يحب الله، وايثار الله على كل ما سواه .

ويقول سيدى الحارث المحاسبى رضى الله عنه : المحبة ميلك الى المحبوب بكليتك ، ثم ايثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقته سرا وجهرا ، ثم علمك بتقصيرك فى حقه .

ويقول سيدى وشيخى الشيخ على عقل رضى الله عنه واصفا تفانيه فى حب الله تعالى فيما نقلناه عنه من الهامه النورى :

اذا انت تهوى الله نلت مكانة
وان انت تهوى الناس نلت هوانا
ونحن قلوب طهر الله اصلها
ورب السما بالمكرمات كسانا
ولم نتكلم انما فاض حبنا
شهودا فارسلنا العلوم بيانا
وروحى تستغنى عن الناس باسمه
وقلبى تدانى بالهوى وتفانى
مددنا الايادى للمهيمن ذلة
فجاد علينا واستجاب ندانا

الا ايهـا اللاهى تجـرع كؤوسـنا
لتصبـح منـا ان تسـقيت سـقانا
وتعـرف عنـا ودنا وغرامنـا
وتدرك منـا علمنـا وهـدانا
تجلت لنـا الانوار من عالم البقـا
فهـامت بهـا أرواحنـا ونهـانا
فدينـا بهـا حبـا فطابت حياتنـا
راينا بهـا عنـد الفنـاء بقـانا

أرايت من البيت الاخير كيف أحب الله تعالى بكلياته وجزئياته وقلبه وقالبه حتى فنى فى الله فبقى بالله ، ويشرح رضى الله عنه حال المحبين ويرينا صفاتهم فى قول مرتجل نقلناه عنه فيقول:

انا محبـوه آثرنا الحيـاة له
فلا نلام على احيـاء تقـواه
ان كان حبى جنـونا بئسما زعمـوا
يارب زدنى جنـونا انت منحـاه
قالوا صف الحب لا تخطئـه فى صفة
ان كان وصفك بالحـق اتبعنـاه
فقلت صدق واخـلاص ومعـرفة
وأن تمـوت وأن المقصـد الله
وأن تعيـش مـع الرحمن منكسرا
وأن يكون لك البـارى هو الجـاه
وأن تسـير على الشرع الشريف ولا
تخـل بالحـكم أو تلعـب بمعنـاه
فـان تكن هـكذا كنت المحب فـان
قالوا ابتدعتم أجبنـا قد رضينـاه
ومن سـوى الله نرضـاه ونقصده
منذا يشـابه رب العـرش نهـواه

وهو يشـير – طيب الله ثراه – فى البيت الاخير الى قوله تعالى [**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**] وهو يوجهنـا الى وقف الحب على من ليس له مثيل ، لان حبه سبحانه حب يبقى ببقاء المحبوب ولا يفنى بفنـاء الحبيب لانه تعـالى يقـول [**وما عند الله خير وابقى**] كما يقول [**والله خير وابقى**] ويقول عز وجل [**ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون**] ومعنى قوله تعالى [وأخبتوا] اى سكنوا واطمأنوا أو خشعوا وخضعوا ، وقوله تعالى [**وعملوا الصالحات**] اشـار به سـبحانه الى أعمال الجوارح وقوله تعالى [**واخبتوا**] أشار به الى اعمال القلوب ، والمحبون يبذلون جهدهم فى مرضاة حبيبهم ببذل الهمة وصفاء النية ، وهم مع ذلك يخافون ربهم من فوقهم كما يخافه الملائكـة الاطهـار الذين لا يعصـون الله ما أمـرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وانما يعظم خوف المحب لربه على قدر علمه به ، وحرصـه على رضاه سـبحانه ، فهم بين الرجاء فى مقـام الجمال وبين الخوف فى مقام الجلال ، ويقول فى ذلك سـيدى وشيخى الشيخ على عقل نور الله مرقده ، الهاما وارتجالا :

يارب قلبى قـد غسلت مـن الورى
اذ ليـس غيرك ما حييت ببـالى
فاجعـل هـداك شريعتى وذريعتى
واجعـل شـهودك لى مسرة حـالى
ان مر بى عصف الزمـان وقصفـه
والله لسـت بمـا شـهدت ابالى
الحبـه واخـاف سـطوة غيره
هـذا وحقـك لا تعيـه خصـالى
روض المحبـة قـد شـهدت جمـاله
وجـلاله فثبـت فى أحـوالى

ويقول السادة الصوفية فى قوله تعالى [**والذين استجابوا لربهم**] أى فيما دعاهم اليه وما أمرهم به من فنون الطاعات ، فهؤلاء هم الذين لهم حسن الثواب ، وحميد المآب ، والمستجيب لربه هو الذى لا يبقى له نفس الا على موافقة رضاه سبحانه ، ولا تبقى منه بقية لنفسه .

وفى قوله تعالى [**رضى الله عنهم ورضوا عنه**] يقـول السادة الصوفية : كيف يرضى عنك وأنت لم ترض عنه اذا نزل بك قضاؤه فلم تصبر عليه ، ومن شأن المحب أن يرضى ما يأتيه من حبيبه ولو شق على نفسه ، وفى ذلك يقول سيدى الشـيخ على عقل فيما نقلناه عنه من الهامه الفورى رضى الله عنه :

رضـاء الفتى بالله يشرح صـدره
فلن يتأذى بالحـوادث والخطـب
وليس مقـالى طاعـة أتقى بهـا
ولكنـه التسليم للخـالق الرب
صعـاب الهـوى كلفتهـا وحملتهـا
وكنت انا المعـروف بالعـاشق الصب
وما لذتى الا التجـائى لوجهـكم
فوجهكمـو دون العـوالم لى قطبى
سهام الهـوى لم تثننى عن رحابكم
ولو اننى منهـا على مـركب صعب
وكيف أهـاب الصعب أو أرهب السرى
ومن نام لا يرقى الى مشـهد القـرب
ولمـا تدانينـا ولاحـت دياره
وقـد جذبتنـا نحـوها ايما جـذب
هتفـت بحبى دم لربك وحـده
واخـرج جميـع الكائنـات من القلب

.. وفى مناسبة قوله رضى الله عنه :

رضـاء الفتى بالله يشرح صـدره
فلن يتـأذى بالحـوادث والخطـب

أرى واجبا على نحوه ونحو الصالحين ونحو القارئين ان أذكر ما شهدته بنفسى من صبره الجميل حين فقد أكبر ابنائه المرحوم فتحى وكان طالبا بالازهر الشريف وكان فى الثامنة عشرة من عمره ، وقد مات فى المستشفى فذهبت عنـدما جاءنى خبر وفاته وقابلت سيدى الشيخ هنالك ، وصليت معه صلاة الجنازة وبعد أن سلم من الصلاة ، بسط يديه الى السـماء فسمعته يقـول : اللهم لا تؤاخذنا بما فى قلوبنا ، اللهم ثبته عند السؤال ، ولما دفنت الجثة قرأ سيدى الشـيخ سورة يس ، ثم صحبتـه الى منزل سيدى وشيخى الشيخ عبد السلام الحلوانى طيب الله ثراه ، وتناولنا طعام الغداء معـه ، وكان الاحتفـال بالمولد الحسينى قائما فحضر سيدى الشيخ على عقل الاحتفال وعلمنا وارشدنا وأنشدنا كعادته ، ثم سهرت معه الليل وصليت معه الفجـر فى المسـجد الحسينى ، وكنت حين أقرأ عن صبر السـادة الصوفية أتشكك فى وصف صبرهم وأراه فوق ما تحتمل البشرية الضعيفة بطبعها ، فاذا بى أرى عيانا صدق ما وصفوهم به فقد أضحكنا سيدى الشيخ على ليلتها بملحه المضحكة المعتادة وزاد عليها حتى خفت من شدة الضحك ان ينفجـر لى عرق فوضعت يدى ضاغطا على جنبى ، وعجبت حين اعترض احد الحاضرين على مضحكات الشيخ فأجابه الشيخ رضى الله عنه قائلا : لله ما أعطى ولله ما أخذ .

.. وعندما نقلت لسيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه ما وجدته من الصبر العجيب من سـيدى الشيخ على قال رضى الله عنه : انا والشيخ على تأتينا المصائب فلا تزحزح ، فقلت : لله رجال ، وتذكرت عند ذلك قول ذلك الرجـل الذى دخل على سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ليعزيه فى موت أبيه العباس بن عبد المطلب فقال له :

اصبر نكن بك صـابرين فانمـا
صبر الرعيـة بعـد صبر الرأس

خير من العباس اجرك بعده
والله خير منك للعباس

كما ذكرت قول أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه حين قال : ما من بلاء يصيبنى الا وارى لله على فيه أربع نعم : النعمة الاولى ان البلاء وقع فى دنياى ولم يقع فى دينى ، النعمة الثانية ان البلاء لم يقع اكثر مما وقع ، النعمة الثالثة ان الله صبرنى عليه فاحتملته ، النعمة الرابعة ان الله ادخر فى ثواب الصبر عليه .

ويروى السادة الصوفية ان الله تعالى أوحى الى سيدنا داود عليه السلام : « تخلق باخلاقى فانى أنا الصبور » وقد أثنى الله تعالى على سيدنا أيوب بالصبر فقال تعالى فى مدحه عليه السلام [**انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب**] .
ويقول سيدى الامام عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه :

لا الامر أمرى ولا التدبير تدبيرى
ولا الامور التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل بى
احاط بى علمه من قبل تصويرى

ويقول سيدى الامام على البيومى رضى الله عنه :

كل له ورد يكون وسيلة
لمعاشه ومعاذه ومعاده
وجعلت وردى فى الخروج عن السوى
واكون مع مولاى تحت مراده

ويقول السادة الصوفية فى حكمهم : كن مع الله كالهباء فى الهواء يحركه كيف شاء .

وقد مات ابن لمولانا الامام الحسين رضى الله عنه فلم ير الناس عليه الجزع الذى يصيب الاباء عند فقد الابناء ، فسألوه فى ذلك فقال ، وما أروع ما قال رضى الله عنه :

نحن أهل البيت نسأل الله فيعطينا ، فاذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا .

وصدق سبحانه وتعالى اذ يقول [**وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**] وقد كان امير المؤمنين عمر اذا قرأ هذه الاية قال رضى الله عنه : نعم العدلان والعلاوة ، ويقصد بالعدلين : الصلوات والرحمة ويقصد بالعلاوة : الاهتداء الى مرضاة الله سبحانه .

وعند قوله تعالى [**ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين**] يقول السادة الصوفية يعنى : فروا مما سوى الله الى الله ، وفروا من المعصية الى الطاعة ومن الجهل الى العلم ، ومن عذابه الى رحمته ، ومن سخطه الى رضوانه .

وكانت السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها تناجى ربها وتقول : الهى ، انى أحب الدنيا لاذكرك فيها ، واحب الاخرة لاراك فيها ، الهى كل ساعة تمر على لا يكون لسانى فيها رطبا بذكرك فهى مشؤومة ، الهى ، لا تجمع على أمرين فانى لا أطيقهما : الاحراق بالنار والفراق منك .

وتقول رضى الله عنها مرة أخرى :

ليس قصدى من الجنان نعيما
غير انى احبها لاراكا

وهى تشير بذلك الى قوله تعالى فى تشريف المتقين برؤيته القدسية فى الجنة بلا كيف ولا حصر [**وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة**] ويقول السادة الصوفية : ان فى الجنة قواما لو حجبهم عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار من النار ، ويؤيدهم فى فهمهم هذا ان الله تعالى عاقب أهل النار من الكفار بالحجاب عن رؤيته فقال تعالى فى شأنهم [**كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم**] فصار الحجاب عقابا لاهل النار والعياذ بالله ،

ويقول الامام القشيرى رضى الله عنه فى لطائف الاشارات : وكما انهم اليوم ممنوعون من معرفته فهم غدا ممنوعون من رؤيته ، ودليل الخطاب يوجب ان يكون المؤمنون يرونه غدا كما يعرفونه اليوم .

وعند قوله تعالى [**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**] يقول الامام القشيرى رضى الله عنه : لله عز الالوهية ، وللرسول عز النبوة ، وللمؤمنين عز الولاية ، وجميع ذلك لله ، فعزة القديم صفته ، وعز الرسول وعز المؤمنين له فعلا ومنة وفضلا ، فاذن لله العزة جميعا .

ويقال : كما أن عزة الله سبحانه لا زوال لها ، فعزة الانبياء بان لا عزل لهم ، وعزة المؤمنين بالا يبقى منهم مخلد فى النار .

ويقال : من كان ايمانه حقيقيا فلا زوال له .

ويقال : من تعزز بالله لم يلحقه تغير عن حاله بغير الله .

ويقال : لا عز الا فى طاعة الله ، ولا ذل الا فى معصية الله ، وما سوى هذا فلا أصل له .

ويقول سيدى الشيخ على عقل رضى الله عنه فى اعتزازه بالله تعالى وتمسكه به على الدوام فيما نقلناه عنه من الهامه النورى :

حب المهيمن باليقين روانى
والى الجلال شهوده أزجانى
اصبحت لا الوى عنانى للورى
مادمت بالبارى رفعت بيانى
عجزى عن الادراك ادراكى به
جل المقام فما يبين لسانى
فبحبه وبسره وبنوره
روح اليقين أظلنى وكسانى
ان حدثوا عنى فانى مغرم
متمسك بالواحد الديان
أسمو بروحى فى حماه وانتمى
فالعشق ناجى واليقين عيانى
ان كان حب الله ذنبى عندهم
هذا لعمرك بالمقام حبانى

.. وعن قوله تعالى [**يا أيها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون**] يقول الامام القشيرى رضى الله عنه : لا تضيعوا أمور دينكم بسبب أموالكم وأولادكم بل آثروا حق الله واشتغلوا به يكفكم أمور دنياكم وأولادكم ، فاذا كنت لله كان الله لك .

.. ويقال : حق الله مما الزمك القيام به ، وحقك ضمن لك القيام به ، فاشتغل بما كلفت به لا بما كفيت .

الا رضى الله عن أسلافنا الصالحين الذين فقهوا كتاب الله بقلوبهم فاستضاءوا بنوره واهتدوا بهديه ، فكانوا كما وصفهم الله تعالى [ومنهم سابق بالخيرات باذن الله] آمين .

في العيد الرابع لثورة التصحيح

ودولة العلم والإيمان

في الذكرى الرابعة لثورة التصحيح

الذين يعرفون الرئيس محمد أنور السادات عن قرب يعرفون عنه – منذ طفولته المبكرة – ايمانه القوى بالله ، ذلك الايمان الذى أنار له الطريق ، وهداه الى سواء السبيل ، ولقد أتيح لى وانا أدرس شخصية الرئيس محمد أنور السادات أن أقرأ الكثير مما كتبه انور السادات بقلمه المشرق ، الفياض ، الصادق عن تلك الطفولة : قرأت له – مثلا – مقالا ، فى جريدة الجمهورية ، التى أنشأها الرئيس أنور السادات وأشرف فترة من الزمن على تحريرها بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٥٤ تحت عنوان « قدسية الدين » وقد استهل أنور السادات مقاله ، الممتع بقوله : للدين قدسية ورهبة حتى فى نفوس الاشقياء : ساظل ما حييت أذكر كيف دخلت هذه الرهبة وتلك القدسية الى نفسى وأنا طفل صغير العب فى شوارع القرية » ثم يقول : عندما كنت أعود من الكتاب عصر كل يوم أحمل اللوح ، الصفيح والدواة الزجاجية والقلم البسط كانت تدور فى رأسى الخيالات والاحلام ، ففى تلك السن المبكرة يلذ الطفل ألا يحس فى انطلاق خياله بسد أو قيد فما بالك اذا كان هذا الانطلاق يندفع فى اجواء رهبانية مقدسة كان يحدثنا عنها « سيدنا » ، العريف حينما كان يفسر لنا بمنطقه البسيط الخفيف السور ، التى كان يمليها علينا ولا أزال اذكر قصة لنا عن سورة قريش « بسم الله الرحمن الرحيم : لايلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف « صدق الله العظيم » .

أنور السادات مؤسس دولة العلم والايمان

الأستاذ صبرى أبو المجد

ويقول أنور السادات : لا أزال اذكر سيدنا وهو يحكى لنا عن رحلة الشتاء والصيف : احداهما فى الجنوب والاخرى فى الشمال وفى كل رحلة يسير بنا مع القافلة وحاديها يردد اروع النغم واجمل الاراجيز ثم ينتقل بنا الى النار ، التى تجتمع حولها القافلة فى الليل يسمرون ، ويديرون طلى الحديث ويروون آخر ما جادت به قرائح الشعراء ، ثم ينتهى بالقافلة المطاف الى أسواق الشام ، وما فيها من خز وديباج ، وعطور ، ونفائس ما يقتنيه الرجال وما تجملبه الحور ويظل سيدنا يحكى ، ويحكى الى أن يقف بنا فجأة لكى يدعونا الى طاعة الله ليطعم جوعنا كما أطعم قريش ويؤمن حقوقنا كما أمن قريش : هذه هى الصورة التى تنطبع فى قلوب الملايين من سكان القرى فى بلدنا ، الطيب الوادع ، وتظل تكبر معنا حتى لو تركنا القرية الى المدينة كما حدث لى : ولا يمكن بحال من الاحوال ان ترتبط صورة الدين ، والايمان فى أعماقنا نحن أبناء هذا الشعب فى القرى ، والنجوع ، والكفور الا بشىء واحد ، هو الايمان ، الذى يملا نفوسنا ، رهبة وخشوعا لله .. » ويروى ، الذين عاصروا الرئيس محمد أنور السادات وقتئذ فى قريته ميت ابو الكوم ان محمد أنور السادات اتجه منذ ذلك التاريخ وجهة دينية خالصة : لقد كان أنور السادات

منذ أن بلغ السادسة من عمره كما يقول الشيخ عبد الحميد عيسى حريصا على أن يؤدى الصلاة فى وقتها وكان حريصا فى الوقت ذاته أن يحفظ من كتاب الله أكثر من غيره مما هو مطلوب منه وعندما بلغ الثامنة من عمره كان قد أتم حفظ أجزاء كثيرة من القرآن الكريم ، وفى المدارس الابتدائية والثانوية التى تلقى أنور السادات فيها التعليم ظل على وفائه ، وولائه للتربية الاسلامية الصحيحة التى تأثر بها ، ولم تستطع القاهرة أن تغير شيئا من الجو الروحى الذى كان يعيشه أنور السادات وفى الكلية الحربية برز التفكير الاسلامى الصحيح عند أنور السادات الذى تحول - فى تلك كلية الى شاب ثائر ، يفيض عاطفة وطنية ووعيا صادقا ، ويتخرج أنور السادات من الكلية الحربية ويصبح ضابطا من ضباط الجيش المصرى ، الذين أخذوا على عواتقهم تخليص الوطن من الاحتلال الاجنبى بعد أن آمنوا بأن الانجليز - هم كما قال أنور السادات أصل بلائنا كله ، وشهدت - كما قال أنور السادات « ثبات الشريف عهدا مقدسا ربط مجموعة صغيرة من الشباب الصغار لم يربطهم بعمل معين ، ولا بزمن محدد ولكن ربطهم بفكرة الحياة وبدأنا - كما قال أنور السادات .. نخطو الخطوة الاولى ».

ويتفرق ، الزملاء ، وتوشك أحلام الشباب أن تذوب وتتساقط كما تتساقط حبات الندى ، عالقة بزهرة أو تذوب فى شعاع الصباح ، ولكن الحلم لم يذب ، والفرقة لم تستطع أن تكون حاجزا بين هذه المجموعة فى أقسى الظروف .. وفهمنا - هكذا قال السادات - مع الايام هذا الدرس ، وهو أن الصداقة القوية ، عندما تقوم على نقاء وطهر ، وعندما تركز حول فكرة فانها قادرة على الحياة مثلما فرقت الحياة بين الاصدقاء ، بل هى أكثر من ذلك تستطيع وحدها صنع المعجزات » .

ويظل أنور السادات فى الجيش ينتقل من مكان الى مكان وينتقل معه ايمانه القوى بالله ، وعندما يقع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ويحاكم أنور السادات أمام مجلس عسكرى من بين أعضائه انجليزيان أحدهما اسمه جيكنز والاخر اسمه سميسون ، ويطرد أنور السادات من الجيش ويعتقل فى نفس اليوم ٨ أكتوبر ١٩٤٢ فى سجن الاجانب حينئذ يتولاه مستر هكمان فى الزنزانة رقم ٥ وينقل وبعض زملائه فى ديزل خاص الى المنيا ، ومن المنيا ، الى معتقل ماقوسة - على بعد أربعة كيلو مترات من المنيا ، ثم ينتقل الى معتقل الزيتون . ويستمر أنور السادات فى كفاحه البطولى مؤمنا بالله ، واثقا من نصره ، وفى قضية الاغتيالات السياسية ، التى سجن فيها أنور السادات ما يقرب من ثلاثين شهرا كان كتاب الله هو رفيقه فى سجنه .. ويقول الاستاذ زهير جرانة المحامى ، وهو يترافع عن أنور السادات فى تلك القضية : ان أنور السادات شخص صريح يواجه الامور دون لف ولا دوران ، فهو كالجندى يقابل الموت وجها لوجه ، ويشير زهير جرانة الى غضبة أنور السادات أمام المحكمة حين أراد النائب العام سحب ما قاله ممثل الاتهام فى مقدمة مرافعته خاصا بمهاجمة الانجليز وقول السادات أنه يفضل أن يشنق على ان يسمع النائب العام سحب هذه الكلمة ، وهو مصرى « ويقول زهير جرانة : ان من كانت هذه شيمته لا يتآمر ، ولا يدبر الجرائم فى الظلام . لقد أجمع الشهود ، وبعض المتهمين على أن أنور السادات يكره الانجليز ، ويريد تحرير مصر ، وهذه كلها رغبات وطنية .

ومن ذكريات أنور السادات عن أيام سجنه قوله تحت عنوان ٢٥ ديسمبر ١٩٤٦ : اليوم هو عيد ميلادى - لا أدرى ، لماذا تداعبنى خواطرى فى ابتهاج ونشوة فمنذ ثمانية وعشرين عاما حلت وفى مثل هذا اليوم كان مولدى فى تلك القرية الهادئة بالمنوفية : سأذكر دائما بيئتى القروية حيث تمتلىء النفوس بالايمان بالله وحيث يرجعون كل شىء الى الايمان بالله ، فهناك تعلمت أن الله حى فى كل شىء وأن العبرة بنقاء السريرة قبل العلانية . سأذكر محصول الثمانية والعشرين عاما ، الماضية بفخر ، واعتزاز وسأسير مرفوع الراس غير خاشٍ ، أن ساء فهمى ، أو يؤول قصدى ، اللهم حمدا وشكرا فأنت وحدك القوى المكين » أى ايمان بالله ، أقوى من ذلك الايمان ، أن تحمد الله وتشكره وأنت فى أصعب المواقف ، وأشدها حلكة وظلاما ، أن تتجه الى الله ، وحبل المشنقة يقترب من رقبتك كل يوم ، رويدا ، رويدا . ان ايمان أنور السادات بربه كان دائما هو القوه ، التى مكنته من اجتياز أصعب الظروف وادقها ، وهو الذى حما أنور السادات من كل ما كان يدبر ضده من مؤامرات ، لقد سبق أن قلت فى مثل هذه المناسبة - مناسبة ثورة التصحيح - « ثم يشترك أنور السادات فى صنع ثورة ١٩٥٢ ويصبح واحدا من ابرز قياداتها ويعمل فى كثير من المجالات مرة وزيرا ومرة سكرتيرا عاما للاتحاد القومى ، ومرة رئيسا للمؤتمر الاسلامى ، ومرة رئيسا لمجلس الامة ويصبح نائبا لرئيس الجمهورية ثم رئيسا للجمهورية والذين عرفوا أنور السادات حقيقة منذ مطلع شبابه الباكر ، الذين عرفوه تلميذا فى كتاب ميت أبو الكوم ، وطالبا فى مدرسة النحاسين الابتدائية وطالبا فى المدرسة الثانوية بالعباسية وطالبا فى الكلية الحربية ، والذين

عرفوه ضابطا من المع ضباط الجيش المصرى وفدائيا من اخلص وأصدق الفدائيين المصرين والذين عرفوه ثائرا وعضوا فى مجلس قيادة الثورة ووزيرا ، والدين عرفوه مسئولا . عن التنظيم السياسى فى مصر ، وعرفوه رئيسا لمجلس الامة ، ونائبا لرئيس الجمهورية ، ورئيسا للجمهورية كل أولئك الذين عرفوه طوال تلك الفترة الطويلة من الحياة يؤكدون ، ان انور السادات لم يتغير ، ولم يتبدل : هو هو فى بساطته ووضوحه ، وصراحته وهو فى ايمانه القوى بالله سبحانه وتعالى ، هو هو فى ثقته المطلقة بالشعب وبحتمية انتصاره على أعداء الحياة هو هو فى كل شىء .

لقد رأيت أنور السادات فى مكتبه أكثر من مرة ، فاذا هو لم يتغير ولم يتبدل نفس زميلنا انور السادات فى سجن مصر دور ٢ ، نفس زميلنا أنور السادات الصحفى . ويتساءل الكثيرون ، لماذا لم يتغير أنور السادات ولم يتبدل ؟ لماذا بقى كما هو ، لماذا لم تغيره السلطه ولم تبدله الرئاسة ؟ واقول ذلك سر قريتنا المصريه الطيبة ، ذلك السر الذى يلازم أبناء هذه القريه طيلة حياتهم حتى لو بعدوا عن القرية سنوات وسنوات ، ثم هو قبل ذلك كله سر الايمان بالله ، والثقه فى نصره ، ان قريتنا المصرية الطيبة تضفى على أبنائها نوعا من الثقة والايمان ، لا يمكن أن يتغير أو يتبدل بمرور الايام حتى ولو حاول بعض هؤلاء الابناء ذلك ، فانهم سرعان ما يجدون أنفسهم مشدودين ، رغما عنهم الى قريتهم المصرية الطيبة ، التى فيها ومثلها وعاداتها وتقاليدها .

اذكر كلمة الرئيس انور السادات قالها فى مجلس الشعب فى ٢ مايو ١٩٧٢ : احنا ما نقدرش نعيش من غير قيم ولا أخلاق ، لان الايمان فى ديننا ، عايز واحنا بنحط الدستور نرجع للقرية ، أصلنا ، ونعرف ان فيه عيب لان فى القرية علمونا لما نشانا ان فيه حاجه اسمها العيب . بنعرف كمان ان القريه بتبقى كلها روح واحدة لما بيحصل ميتم بيأجلوا الفرح عشان ما يسمعوش الزغاريد الناس التانيين ، وبنعرف ان يوم ما بيحتاج واحد علشان يحرث أرضه يقوم زميله بيودى بهايمه ومحراثه ويروح يشتغل وياه ويساعده عايز الدستور يفضل على كده مش للقرية لانى عايز ديفضل علشان مصر تبقى كلها قرية واحدة ، بهذا الشكل مافيش مكان للعيب ولا لتسيب القيم ، والوفاء ، لازم الوفاء » . وكل ذلك نابع عن الاسلام الصحيح ، وعن التعاون الذى يدعو اليه الاسلام الحنيف . ان قريتنا المصرية - كما يقول حقا الرئيس السادات - لا تعرف العيب ، لانها تعيش على هدى من الاسلام ونوره ، ولقد عاشت مصر كلها سنوات عرفت فيها العيب كله ! عاشت مصر - ماقبل ثورة التصحيح - فترة من الزمن تمكنت فيها مراكز القوى من السيطرة على كل صغيرة وكبيرة فى هذا البلد ، كانت القيم ، والمبادىء ، والمثل غريبة الى حد كبير ، فى مجتمعنا ، كان الاصل هو الفساد والاستثناء هو العمل الطيب .. كانت مراكز القوى تستهدف بحق ابعاد الشعب عن منابع ايمانه الحقيقى ، كانت تحرص باستمرار على ان تحول بينه ، وبين مبادىء الاسلام ، وكانت كل المؤسسات الدينية تحارب بكل عنف ، بينما كانت المؤسسات الاخرى التى تبتعد عن جوهر الدين تجد كل مساعدة ومعاونة .

ويطول بنا الحديث ، لو أننا رحنا نستعرض الظروف القاسية ، المريرة ، التى مرت بمصر ، قبل الخامس عشر من مايو ١٩٧١ فكلنا ما نزال نذكر جيدا تلك الظروف ، وحسبنا ، أن نشير هنا فى هذه العجالة السريعه الى التحذير الذى وجهه الرئيس أنور السادات فى احتفال ، الذى اقيم بمناسبة عيد العمال مايو ١٩٧١ حيث قال : ان الشعب هو صاحب ، هذا البلد وهو الذى سيخوض مع قواته المسلحة معركة حياته بكل مسئولياتها وما يفرضه من تضحيات واذن فليس من حق فرد او جماعه مهما كان هذا الفرد ، او تلك الجماعه ان تزعم لنفسها ، قدرة منفصلة عن قدرة هذا الشعب ، وان تدعى لنفسها موقفا ، تستطيع ان تفرض من خلال رايها على جموع الشعب او ان تتستر ، وراء شعارات أو مناورات تحاول ان تشكل خلالها مراكز قوة تفرض فيها وصايتها على الشعب ، ولكن مراكز القوى لم ترعوى ولم تتراجع ، عن تنفيذ مخططاتها فكان ان اسقط انور السادات والشعب تلك المراكز فى مثل هده الايام فى ١٥ مايو ١٩٧١ ومنذ ذلك التاريخ المشرق تأسست فى مصر ، دولة العلم والايمان تاسست تلك الدوله على اسس سليمة وقوية ومتينة فلقد حرص الرئيس أنور السادات فى كل خطوة من خطواته ، على ان يولى العلم ، والايمان معا أهمية بالغه فى بناء الدوله الجديده : اذكر حديثا للرئيس أنور السادات عندما التقى باعضاء الهيئة البرلمانية فى ٢٤ - ٥ - ٧١ قال فيه : ما اقدرش واحنا بنبنى الدوله الجديدة نبقى نخلى البناء مادى بس : بتكويننا بأرضنا بنشأتنا ، بكل ما على أرضنا هنا الايمان جزء من تكويننا ، فى بنائنا الايمان المستمد من أننا نؤمن بان الله موجود فى يده مقادير كل شىء وان كنا من صنعه ، ومهما يحدث ، ولكن علينا ان نتحمل وان نواجه مصير المؤمن .. والايمان اللى انا باعبر عنه يجب الا نفقد فى الدولة الجديدة هذا العنصر ، بل نطبق

أساسه وفى بيان للرئيس السادات وجهه الى الامة فى ٢٠ اغسطس ١٩٧١ : بدى أقول لكم ان احنا كل يوم الحمد لله احسن من اللى اليوم اللى قبله ، وكل يوم أقوى من اليوم اللى قبله بارادة الله سبحانه وتعالى ، وبارادة هذا الشعب وبصلابته وتصميمه . الحمد الله اللى جمع كلمتنا على الخير كنا اعداء فألف بين قلوبنا واصبحنا بنعمته أخوانا : ادعوكم يا أهلى واخوتى ، وابنائى وبناتى ، ياشعب مصر كله ، ادعوكم الى صمود أكثر والى صلابة أكثر ، واعدكم ان الله سبحانه وتعالى سينصرنا فى معركتنا وسننتصر مهما كانت التضحيات ، ومهما كان الثمن الذى سندفعه لاننا احرار ولاننا نصر أن تكون ارادتنا حرة ، ونابعة من داخلنا احنا مش نرض علينا من أى انسان ربنا يوفقكم ان شاء الله ».. ويقول الرئيس أنور السادات مرة أخرى وهو يخاطب الشعب فى اول مير ١٩٧٣ سوف تجىء باذن الله لحظة ندعى فيها جميعا الى حمل مسئوليه اقدارنا وأعرف اننا جميعا لم نتردد : أن هذا الوطن لم يعرف التردد فى حياته .. لم يعرف التردد فى التزامه القومى ، العربى ولم يعرف التردد فى التزامه ، التحريرى ولم يعرف التردد فى التزامه التقدمى ، ولم يعرف التردد أمام التضحية وأمام الفداء : لقد حمل مسئولياته عبر التجربه العربية الحربية بكل أهوالها ، وبايمان ، وحافظ على رسالته رغم الضربات ، العنيفة لم ييأس ولم يتراجع ، وهو اليوم يحمل اقداره ويتقدم واثقا بنفسه واثقا : فى مبادئه ، واثقا بالله ، ومتوكلا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله غالب أمره : وفى العاشر من رمضان تقدمت قواتنا المسلحة الباسلة فعبرت القناة وهى تردد « الله اكبر » « الله أكبر » وفى العاشر من رمضان نجحت قواتنا المسلحة فى تحطيم خط بارليف ، اقوى الحصون ، التى عرفها التاريخ . وكان الايمان يملأ قلب كل فرد من ابنائها لقد نجحت قواتنا المسلحة بالايمان بالله فى تحقيق اعظم نصر احرزه ، العرب فى القرون الخمسة الاخيرة وكان النصر المؤزر فى العاشر من رمضان بعيادة انور السادات هو أول نصر عظيم تحرزه دولة العلم والايمان ويمكننا القول انه لم تكن دنيا دولة العلم والايمان ما كتب لنا النصر على الاطلاق .

وقد وصف الرئيس محمد انور السادات معارك العاشر من رمضان واثارها على المستويات المصرية والعربية والدولية فقال : نحمد الله ، نحمد الله فقد اضاءت انوار الفجر الجديد على كل شبر من الارض العربية فجر للعرب الاحرار بعد ظلام طويل دامس ، فجر للانسان العربى الجديد ، بعد ليل طويل حالك ، فجر للارض التى اختارها الله سبحانه وتعالى للهداية والحكمه والرشاد ، فجر تتدعم فيه قلاع الحرية لتترك فيه كل دعاوى وأطماع الاقوياء : فجر الحب والبناء فلا مكان هنا بعد اليوم للحقد أو الضغينة أو البغضاء ، فجر لا ذل فيه ولا اذلال ولا ظلم ، ولا طمع ولا استغلال . فجر السيادة فيه للتحالف العظيم لقوى شعبنا العامل ، الارض لاصحابها ، والخير كل الخير لمن يزرع الخير ويرعى القيم ويحفظ الوفاء ، فجر يرفع فيه كل مواطن رأسه فى كبرياء ويحنى فيه الحاكم رأسه طاعة للشعب بعد أن أصبحت القيادة للشعب . فجر السلطان فيه للقانون وصيانة لكرامة الافراد وانصافا لكل مظلوم ، والاولوية فيه للوطن حبا ، وعملا ، وتفانيا وأداء : فجر للعاملين والجاهدين لكل من بذل قطرة دم أو حبة عرق من أجل أن يرتفع البناء الى السماء ، فجر نعوض فيه مع اخوة لنا ما ضاع من العرب من أمجاد ونرد فيه لامتنا العربية بالوحدة والتضامن مكانها العالى فى عالم لم يعد يعترف الا بالاقوياء . ولقد عرفنا جيدا ماذا يستطيع أن يفعل العرب باتحاد كلمتهم وكيف أن الخلاف والصراع بين العرب كان دائما طريقهم الى الهزيمة والبوار « **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب** » ..

والجدير بالذكر أن الرئيس أنور السادات قد أوضح فى العام الماضى — فى عيد العمال — معنى شعار دوله العلم والايمان فقال : لقد رفعت من اول يوم مارست فيه مسئوليتى كرئيس الجمهوريه شعار العلم والايمان اعتقادا بان العلم هو سلاحنا .. الذى لا نستطيع بغيره أن ندخل العصر أو أن نبنى مجتمع الرخاء والعدل ، وان الايمان هو مصدر الطاقة الهائلة الذى يمتلكها هذا الشعب الاصيل ، كما انه مصدر الهدايه له على طريقة المليء بالصعاب والتحديات والايمان الذى اعرفه ، ويعرفه هذا الشعب هو الايمان بالله وكتبه ورسله ، الايمان الذى يقيم الحق والعدل والخير والسلام ، الايمان السمح الذى يبنى به الناس ولا يهدمون ، ويجتمعون ولا يفرقون : الايمان الذى يرفع الويه الحب والاطمئنان ، لا الويه الحقد والتزمت والبغضاء لذلك كان علينا ونحن نرفع شعار الايمان ان نربى أجيالنا الشابة على قيمه الحقيقيه وأن نحذر كل الحذر ، من محاولاته استغلال هذا الايمان أن الانحراف به الانحراف الذى يهدد جوهره ويطمس نوره ويشوه جماله وجلاله .. وأذكر أن الرئيس السادات كان يتحدث عن احد المحاولات التافهة وهو يقول : هذه المحاولة الصبيانية مثال مؤسف لما يمكن أن تنتهى اليه عمليات الانحراف فى شرح جوهر الدين وحقيقته وعلاقته بالحياة وهذا يوضح ضخامة المسئولية

الملقاة على رجال الدين وأجهزة التربية والاعلام الديني ووسائل التفتيش العام ، وهى تباشر دورها فى تعريف اجيالنا فى دينها ، وفى اضاءة حياتها بقيمه الانسانية الرفيعة . اننى أعرف أن كل مجتمع فى كل زمان ومكان يعرف مثل هذه الظواهر ، المرضية من فئات هامشية من الافراد ، فئات لعلها تحتاج الى العلاج قبل العقاب أما الذين يعرضون الدين على الشباب عرضا مشبوها عن عمد وسوء نية فواجبنا جميعا ان نكشف تآمرهم وأن نردهم الى جحورهم مهما رفعوا من شعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ..»

وفى ١٤ مايو من العام الماضى تحدث الرئيس أنور السادات فى رسالته الى أعضاء مجلس الشعب فى ذكرى ثورة التصحيح ، كانت حركة التصحيح تستهدف اكثر من مجرد تنحية بعض الافراد ، اذ كانت تستهدف أساسا انهاء عهد الاجراءات الاستثنائية اعتمادا على قدرة الشعب على حماية مكتسباته وتصفية المعتقلات واقامة دولة تحوطها سيادة القانون وتقودها المؤسسات الدستورية بحيث تكون تلك المؤسسات ساحة لحركة الشعب وليست قيدا عليه وحين ننظر اليوم قليلا الى الوراء نجد أن الثقة فى الشعب كانت فى محلها فقد زال الخوف وعبرت شتى فئات الشعب عن نفسها فى تفاعل خصب ثم واجه الشعب بعد ذلك امتحان المعركة وهو متحرر ، من اى قيد أو وصاية أو ضغط ، بل لقد ثبت أن التصحيح الذى تم كان أحد منطلقات النصر فالنصر يمكن أن يحرزه شعب حر ، أكثر مما يحرزه شعب مقيد .

والجدير بالذكر ، أن الرئيس أنور السادات كان قد توجه الى الشعب فى ٢٠ مايو ١٩٧١ بقوله : يجب أن يستقيم بعد ذلك وضعنا ، ويجب أن يزداد عمقا ، وأن يزداد اندفاعا ، وأقولها للتاريخ ، ان عملية التصحيح ، التى قام بها الشعب فى ١٥ مايو - فى الاسبوع الماضى - لا تصنع زعامة جديدة لانور السادات ولا تعطى قيادة جديدة لانور السادات ولكن قيمتها الحقيقية أن تعطى القيادة والزعامة ويجب أن تعطى القيادة والزعامة لتحالف قوى الشعب العاملة .»

بقى أن نشير الى معنى الايمان ، كما أشارت اليه ورقة أكتوبر [ابريل ١٩٧٤] كان من أبرز صفات هذا الشعب دائما ، تمسكه بالايمان واعتزازه بالاصالة ، أما الايمان كما نفهمه اليوم فهو ذلك الايمان النقى ، الخالص ، البرىء من التعصب ، والمتطهر من تلك الشوائب التى علقت بجوهره فى عصور الاضمحلال البعيد عما ينسب اليه زورا من روح التواكل ، التى لا تعرف المسئولية والتعلق بالخرافات ويبقى دور ارادة الانسان وارادة المجتمع فى أن يواجه أمور حياته المتجددة مستعينا بما أودعه الله من عقل ، ميزه به عن سائر المخلوقات . وقد علمنا محمد رسول الله هذه المعانى فقال : « **مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع** » وليس الجهاد فى سبيل الله هو القتال وحده ، فقد قال لنا رسول الله تعالى : « **من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع** .. الخ » بل وعلمنا الجهاد بمعناه الاجتماعى العميق بقوله صلوات الله عليه : « **الساعى على الارملة والمسكين ، كالمجاهد فى سبيل الله** » وليس أخطر على الايمان فى معدنه الحقيقى من الذين يجعلونه نقيضا للعلم ، والبحث فالله عز وجل قد وضع طلب العلم ، فى شئون الجهاد فى سبيل الله وجعله قرينا للايمان حين قال سبحانه وتعالى : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » .

وتتحدث ورقة أكتوبر عن الاصالة فتقول ان التمسك بالاصالة لا يسد أمامنا باب التجديد ، وقد كان للمجددين دائما شأنهم الرفيع عبر تاريخ حضارتنا الطويل وحقنا فى التصرف فى أمور دنيانا وظروف أيامنا ليس أقل من حق أسلاف عظام لنا جددوا وابتكروا وتصرفوا فى أمور دنياهم وأحوال أيامهم ، أن التجديد الجذرى ليس بالضرورة يقطع الجذور عن التراث ، القوى والحضارى والروحى للشعب : وتقول ورقة أكتوبر ، اننا لابد أن نتمسك بقيمنا الروحية والاخلاقية فى مواجهة موجة الاستمتاع المادى ، التى تعرفها مجتمعات الاستهلاك الغنية لان تلك القيم هى من السمات الاصيلة لحضارتنا ولان المجتمعات التى تجاهلتها تعرف الصقاء النفسى وسط الوفرة المادية . انا نتمسك بقيم التكافل الاجتماعى وتماسك الاسرة وسيادة مشاعر المحبة ونبذ الاحقاد ، فقد كانت تلك القيم هى العاصم لهذا المجتمع فى أحلك الاوقات وهى السياج ضد نزعات الفردية المطلقة وانعدام المسئولية الاجتماعية التى تفكك المجتمع وتسلب الانسان مشاعر ما أحوجه اليها .»

ويقول الرئيس فى ورقة أكتوبر ، التى قدمها للشعب : **لقد كان هدفى** أن يكون شعار دولة العلم والايمان حقيقة **وليس مجرد كلمة** ، وكان جهدى أن نقيم دولة المؤسسات وأن يمارس المواطنون نشاطهم فى سياج من سيادة القانون ، ولم اتردد فى أن يتم التخلص من كافة الاجراءات الاستثنائية بالتدرج وأن تغلق كل المعتقلات أبوابها ، **بعدما يقرب من أربعين سنة من وجودها فى ظل** مختلف الظروف واننى واثق من أن الشعب **لن يسمح بفتحها من جديد فى يوم من**

الايام ، ومازال هدفى ألا تكتفى الدولة بتحرير كافة أبنائها ، عن طريق ازالة السدود والقيود بل أن تتقدم أيضا الى رعايتهم ، وحمايتهم بتوفير مظلة من الضمانات الاجتماعية الشاملة ، وتوسيع قاعدتها باستمرار حتى يأتى ذلك اليوم الذى يستظل فيه بظلها كل فرد ، اننا يجب أن نفهم الاشتراكية بالعقل ، والقلب معا ، ولذلك لا يجب ان ينقطع عن التفكير فى جماهيرنا الاكثر حرمانا وفى وسائل توفير أكرم سبل العيش ، والامان ، والتقدم لها ، فالامم تقاس بمستوى قاعدتها العريضة ، لا بمستوى قممها القليلة » .

ولعلى بتلك الخطوط ، العريضة قد أشرت الى بعض رءوس الموضوعات التى يجب علينا أن ندرسها بامعان ونحن نؤرخ لثورة التصحيح ، التى فجرها الشعب بقيادة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات فى ١٥ مايو ١٩٧١ . واذا كان الرئيس السادات قد رفع فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٠ عندما اختاره الشعب بالاجماع رئيسا وقائدا وزعيما شعار « **دولة العلم والايمان** » فى دوله العلم والايمان ، لم ترتفع قواعدها الا فى ١٥ مايو ١٩٧١ حيث أزيلت معاقل مراكز القوى ، وحيث اعيدت للشعب حريته وسلطته فأصبح كل فرد أمنا على نفسه وماله ورأيه وأهله .

اننا نظلم - حقا - ثورة التصحيح عندما نقول عنها أنها نجحت فى اسقاط مراكز القوى فقط ، ان **ثورة التصحيح فى ١٥ مايو** لم تسقط افرادا معينين بأسمائهم ، ووظائفهم ولكنها فى الحقيقة اسقطت أسلوبا فى ادارة الدولة كان من أردأ وافظع وأشنع الاساليب ، التى أدبرت بها دولة ما من دول العالم .. كما انها أى ثورة التصحيح أسقطت دولة قامت على البغى ، والظلم والعدوان ، كما لم تقم من قبل دوله أخرى . اننا لا يمكن أن نقيم حقيقة ثورة التصحيح كما يجب أن نقيم بالحق ، والعدل والقسطاس المستقيم الا ان تقارن مقارنة موضوعية بما كان يجرى فى مصر قبل ١٥ مايو ١٩٧١ وما جرى فى مصر بعد ذلك التاريخ . اننا لا يمكن أبدا - والكثير منا شهود عدول - كيف كان شبابنا ، أملنا وذخرنا يجبر على الابتعاد عن منابع دينه وقيمه ومثله العليا لكى يسهل فيما بعد افتراسه ، وتحويله الى شباب من نوع آخر ، لا يفكر فى بلده ولا يفكر فى دينه ، بل لا يفكر الا فيما يملى عليه من هنا ، ومن هناك . اننا لا يمكن أبدا أن ننسى ونحن نعمل فى حقول الاعلام كيف تحولت الصحافه والاذاعة والتليفزيون حقيقة لا مجازا الا ادوات لا تفكر فى مصلحة مصر ، ولا تعمل لمصلحة مصر ، بل تفكر وتعمل من أجل تحقيق اغراض شخصية بحتة ، لا علاقة لها بمصر ، من قريب ، أو من بعيد . اننا لا يمكن ابدا أن ننسى - مثلا - كيف كانت المطبوعات الدينية تحارب بكل صفوف المحاربة بينما الشعب مقبل عليها حريص على اقتنائها ، وكيف كانت المطبوعات الاخرى الشيوعية تجد كل تقدير وتشجيع .. حتى فى المسرح ، وفى السينما ، احتفت الى حد كبير القيم والمثل العليا وحلت محلها قيم ومثل اخرى تمجد الانتهازيه والوصولية ، والافكار الغريبه عن مجتمعنا التى لا تمتد جذورها ، ان كان لها جذور الا الى خارج مصر ، لذلك فاننا عندما نجد شبابنا اليوم وقد عاد الى مثله العليا بقوة وحماس ، نقول ان ذلك ثمرة من ثمار دولة العلم والايمان .. عندما نجد - مثلا - الازهر الشريف وقد اخذ يؤدى واجبه كما يجب أن يؤديه ، وفى نفس الحقل الذى أعد له منذ ألف عام ، نقول ان ذلك من ثمار دوله العلم والايمان ، عندما نجد المسجد وقد تمكن من اداء رسالته القويمة التى اداها المسجد فى الماضى ، عندما نجد المسجد فى طريقه لان يكون مركز اشعاع حضارى ومصدرا لتعليم القيم والمثل العليا نقول ان ذلك من ثمار دولة العلم والايمان ، وعندما نجد الامن والطمأنينة قد عادت الى كل نفس ، عندما نجد الخوف قد زال وبذور الشك قد اختفت ، عندما نجد الحزازات والاحقاد ، تتراجع ، عندما نجد كل فرد وقد أصبح آمنا على يومه وغده وعلى نفسه واهله ورأيه ، وماله عندما نجد سيادة القانون وقد أرسيت قواعدها ، وعندما نجد كلمة القضاء وقد عززت عندما نجد دولة المؤسسات قد اخذت تؤدى واجبها نقول ان ذلك كله من ثمار دولة العلم والايمان .. **انى لا أستطيع فى هذا البحث السريع التحدث عن كل ما خلفته دوله الايمان فينا وما صنعه فى كل جانب من جوانب حياتنا وحسبى اننى أشرت فقط الى رءوس موضوعات ندعو الله سبحانه وتعالى أن يمكننا من الكلام عنها بتفصيل فى اعداد قادمه وحسبنا القول فى هذه العجالة : ان دوله العلم والايمان التى بدأت تباشر مهامها فى مثل هذه الايام قد حققت فى أربع سنين لمصر وللاسلام ما لم يتحقق من قبل فى سنوات عديدة .**

وحدة العالم الإسلامي

وفتح قناة السويس

الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

اذا كان فتح قناة السويس لاستئناف الملاحة الدولية يعتبر عاملا هاما فى رخاء الامم تجاريا واقتصاديا ، فانه لا شك يعتبر عاملا أهم وأعظم بالنسبة للعالم الاسلامى ، فى دعم وحدته ، وترابط أجزائه ، وتكامل مصالحه ، والعودة بهذا العالم الممتد فى قلب الدنيا الى ما كان عليه فى القرون الاولى قوة دافعة محركة لها أثرها وتأثيرها فى كل ما يجرى من شئون على هذه الارض .

ذلك أن المصالح الاقتصادية والتجارية هى أهم مظاهر الحياة بين الامم الكبيرة والصغيرة فى العصر الحاضر ، وفى ميدان هذه المصالح تتدافع الامم وتتنازع ، أو تتقارب وتتعاون ، وكل ما يقع اليوم من حروب ، ويشب من ثورات وعدوان ، ويجرى من تدافع وتزاحم ، وما يحدث من تكتل وتحالف ، انما هو فى الحقيقة من أجل المصالح الاقتصادية والعمل على جلب هذه المصالح ، وعلى هذا الاساس ترسم الامم القوية خططها السياسية وتقرر علاقاتها بالامم الاخرى ، ولقد انتهى عهد الاستعمار القديم الذى كانت تعتمد فيه الامم القوية على الغزو والفتح ، واقامة القلاع والحصون والقواعد العسكريه وحشد الجيوش الذى يكلفها الاموال الطائلة ، وظهر نوع جديد من الاستعمار تعتمد فيه الامم القومية على قوة المال وقوة العلم . والسيطرة بالمال والعلم على المقدرات الاقتصادية للامم والشعوب . وهو استعمار اخطر وأشنع فى أهدافه من الاستعمار القديم ، لانه يستنفد ثروات الامم الضعيفة والنامية دون مقابل يذكر .

والعالم الاسلامى على امتداد رقعته فى آسيا وأفريقيا يشغل موقعا استراتيجيا فى قلب العالم المعمور ، وهو بهذا الموقع يتسلط على جميع المداخل والمخارج التى تربطه بقارات الدنيا وأمم العالم ، ثم هو فى موقعه غنى بالانتاج الوفير من المواد الخام والحاصلات المتنوعة ، ولقد عاش العالم الاسلامى

بحكم ترابطه الجغرافى والدينى طوال القرون الماضية وهو وحدة اقتصادية لها قوتها وتأثيرها فى العالم كله ، ولقد كان البحر الاحمر او البحيرة الاسلامية كما كانوا يسمونه من قبل عاملا طبيعيا هاما فى تمكين هذه الوحدة والقوة ، لانه اقرب طريق يربط بين الامم الاسلاميه فى آسيا وافريقيا .

وحسبك ان تضع خريطه العالم الاسلامى تحت نظرك . وان تضع اصبعك على السويس وخليجها ، ثم تمضى على امواج البحر الاحمر جنوبا فأنت سائر بين امم اسلاميه تربطها روابط الدين والجنس والمصالح من الجانبين ، وانك لتخرج من بحر عدن الى الشاطىء الشرقى لافريقيا وعن يمينك ويسارك بلاد اسلاميه ، ثم تمضى فى المحيط الهندى حيث تجد شبه القارة الهنديه وتجد أقرب طريق الى الهند والملايو وباكستان واندونيسيا الى آخر ما يترامى من آفاق العالم الاسلامى فى آسيا .

كان هذا قبل ان يتصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط بواسطة ذلك الشريان الحيوى الذى نسميه قناة السويس ، فان هذه القناة خرجت بالعالم الاسلامى من الدائرة المغلقة فى البحر الاحمر الى « أوربا » وأمم الغرب ، اى انها جعلت من البحر الاحمر طريقا يجمع بين القارات الثلاث : آسيا ، وافريقيا ، وأوربا ، وكان العالم الاسلامى هو المركز لهذه الدنيا كلها ، والموقع الذى تلتقى عنده الامال لجميع أمم الارض .

لهذا كان البحر الاحمر هدفا اساسيا من أهداف الاستعمار ، ومثار تزاحم بين الدول الاوربية للاستيلاء على قواعده واتخاذه طريقا الى التغلغل فى القارة الافريقيه وتمزيق أوصالها ، الى تمزيق الدول الاسلامية منها ، واقتسامها غنائم بين الدول الاوربية الاستعمارية ، ثم اتخاذ هذا البحر طريقا لاستعمار الشرق الاقصى ونهب ما فى تلك البلاد من مغانم وخيرات ، ونحن نذكر أن انجلترا قد استعمرت بلادنا اكثر من سبعين عاما وكانت حجتها فى ذلك أنها تريد ان تحافظ على طريقها الى الهند . وكانت مصر هى الدوله التى تحملت كل العناء فى مدافعة الاستعمار عن البحر الاحمر حتى يبقى بحر العرب والمسلمين ، رباطا بين أقطارهم ، وطريقا لتجارتهم ، وبابا يصلون منه الى العالم .

بدأت هذه الخطة الاستعمارية منذ الحروب الصليبيه الاولى ، فبعد أن استولى الصليبيون على بيت المقدس ، وأقاموا قواعدهم فى موانىء عكا وحيفا وصور وصيدا على البحر الابيض جعلوا من خططهم الاستيلاء على البحر الاحمر ، فخرج البرنس أرناط صاحب الكرك فى أسطول من العقبة وسار فى البحر الاحمر حتى عدن وهو يعبث فى البلاد فسادا وينتهك حرمات البلاد والعباد على الشاطئين ، وأسرع البطل صلاح الدين وأرسل أسطولا بقيادة الحاجب لؤلؤ فحطم الاسطول الصليبى وقضى على جيش أرناط وطهر منطقة البحر الاحمر من شره وفساده .

وبعد انتهاء الحرب الصليبية فى الاندلس جاء البرتغاليون وكان هدفهم الاول الاستيلاء على البحر الاحمر ، أى الاستيلاء على طريق التجارة العالمية ، واستعمار الدول الاسلامية ، وخرجت القوات المصرية وحاربت البرتغاليين فى مياه الهند ، ولما حاول البرتغاليون الاستيلاء على عدن واتخاذها قاعدة للتغلغل فى افريقيا ارسل السلطان الغورى قوة بحرية ضخمة فهزمت البرتغاليين وطردتهم من عدن .

وبعد أن حفرت قناة السويس ، واتصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط بوساطة ذلك الشريان المائى تدافعت الدول الاوربية الاستعمارية للاستيلاء على شواطىء البحر الاحمر وقواعده ، وكانت الدولة العثمانية هى صاحبة السيادة فى العالم الاسلامى ولكنها لم تكن قادرة على مواجهة الجحافل الاستعمارية ومقاومة الخطط الاستعمارية ، وكان أن عملت بريطانيا على أخراج مصر من مناطق البحر الاحمر ثم استولت على عدن وعلى عدد من المواقع الهامة ، كما استولت فرنسا على سواحل الصومال عند تاجورة وجيبوتى ، وأخذت ايطاليا نصيبا هى الاخرى فاستولت على مصوع ارتيريا ، ثم الحبشة فيما بعد ، وصارت القارة الافريقية كلها والدول الاسلامية فيها وفى آسيا نهبا مقسما بين هؤلاء الاستعماريين ، وصارت قناة السويس اداة لخدمة الاستعمار والاستعماريين واصحاب الشركات والرأسماليين فى الدول الاوربية الاستعمارية .

ثم نالت استقلالها ، وكان ان استردت قناة السويس من براثن الاستعماريين وكان أن انحسر الاستعمار القديم عن شواطىء البحر الاحمر وعادت البلاد الى أهلها ، وقبل أن تبدأ القناة عهدها الجديد ظهرت اسرائيل وهدفها تعكير البحر الاحمر ، وافساد الطريق على أهله ، ففى عام ١٩٥٦ قامت بعدوان أدى الى تعطيل الملاحة فى القناة ، ثم قامت فى عام ١٩٦٧ بعدوانها الكبير الذى كان سببا فى اغلاق القناة . بل سببا فى ذلك الاضطراب الذى هز الاقتصاد العالمى ، وكان هدف اسرائيل وغايتها هو تحويل الملاحة فى البحر الاحمر الى ميناء ايلات حتى تكون اسرائيل نفسها هى الطريق للتجاره العالمية ، والتحكم فى تجاره الدول الاسلامية واقتصادها ، وبخاصة بعد ان أصبح العالم الاسلامى غنيا بالبترول وهو مادة استراتيجية لها أثرها الفعال فى مصير العالم .

ثم كان النصر المبين الذى حققته مصر يوم ١٠ رمضان ، وكانت الضربة القوية التى وجهها القائد

المؤمن أنور السادات فحطمت آمال اسرائيل ، وقلبت تقديرها رأسا على عقب ، وعادت الى مصر قناتها ، وهى صاحبة السيطرة عليها ، وكان أن حدد الرئيس السادات يوم ٥ يونيو القادم موعدا مع العالم كله لاستئناف الملاحة الدولية فى القناة ، وانه ليوم ينتظره العالم كله ، وانه لبداية تاريخ جديد فى حياة العرب والمسلمين .

ان الملاحة فى القناة لم تعد مجرد اتصال تجارى بين الشرق والغرب ، أو مجرد انتقال على طريق قريب بين البحر الاحمر والبحر المتوسط ، بل ان فتح القناة يشير الى ما هو أبعد من ذلك وأعمق ، وستكون له آثار كبيرة فى حياة الامم الافريقية والاسيوية ، أى فى حياة العالم الاسلامى كله ، فان فتح القناة يأتى فى هذه الايام والبحر الاحمر قد تطهر من الاستعمار ، والدول التى تقع على شاطئيه أصبحت حرة لها شأنها والتصرف فى أمورها كما تشاء ، ثم هى دول نامية تبنى حياتها من جديد ، وتطمح الى ان تكون قوية ناهضة لها مكانتها بين أمم العالم ، وكذلك الامم الاسلامية التى ينتهى اليها طريق هذا البحر ، ومعنى هذا كله أن البحر الاحمر سيعود الى ما كان عليه من قبل ، رباطا يدعم وحدة العالم الاسلامى ، ويجعل منه وحدة اقتصادية متكاملة لها تأثيرها فى العالم .

على أن هناك أمرا خطيرا قد برز اليوم ولم يكن له وجود من قبل ، وأعنى به ظهور الثروة البترولية فى الدول العربية والاسلامية ، وهى ثروة ضخمة تعتبر أهم وأقوى مورد للطاقة فى الدول الاوربية والدول الصناعية فى كل قارات العالم ، وهذه الثروة الضخمة ، أو الجانب الاكبر منها يمر بقناة السويس ، ولقد أوضحت حرب رمضان وكشفت للناس مدى القوة التى يملكها العرب والمسلمون بامتلاك طاقة البترول ، ومدى ما لها من نفوذ على أمم الغرب ، وهى القوة التى جعلت الدول الاستعمارية تذعن للحق ، وليس بالقليل أن تكون قناة السويس هى الطريق الذى تنفذ منه هذه القوة .

وبعد هذا كله يعود العالم الى قناة السويس يوم ٥ يونيو . ولكنهم لن يجدوا قناة السويس التى كانوا يرونها من قبل ، شريانا من الماء تعبره السفن من الشمال أو الجنوب ثم تمضى لشأنها على امواج البحر الابيض أو الاحمر ، ولكنهم سيجدون شيئا جديدا وحياة جديدة شملت المنطقة كلها ، سيجدون أسواقا حرة فى السويس وبورسعيد ، وسيجدون معالم جديدة من التعمير والانشاء ، وانقلابا شاملا فى طرق المواصلات الجوية والبرية والبحرية ، وسيجدون منطقة هى بحق ملتقى الشرق والغرب ، وفى هذا كله سيجد العالم الاسلامى وحدته وشخصيته ، وسيعود المسلمون كما كانوا من قبل قلب الدنيا وطريق العالم المعمور ، ولهم كلمتهم على مقدرات الامور .

فى الذكرى الرابع

ان حركة التصحيح التى اندلعت شرارتها منذ أربع سنوات بقيادة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات تعد نقطة تحول بارزة فى مسار العمل الوطنى فضلا عن كونها تجديدا لثورة ٢٣ يوليو واحياء لمبادئها بعد أن انحرفت بها مراكز القوى كل انحراف وشوهت وجه هذه الثورة البيضاء التى ما قامت الا لتحرر الانسان المصرى من الخوف والفقر والجهل والاستغلال

ذلك أن مراكز القوى قد وجدت نفسها بعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر قابضة على زمام السلطة فى البلاد فخيل لها غرورها واستعلاؤها أن هذه السلطة ارث ورثته مدى الحياة، وليس لاحد أن يحاسبها على تصرفاتها ، فاستخدمت هذه السلطة أسوأ استخدام فى البطش والقهر واذلال الشعب وكبت الحريات والتنكيل بالابرياء واهدار مبدأ سيادة القانون ونسيت أو تناست أن الوظائف العامة تكليف للقائمين بها وأن أصحاب المناصب ليسوا الا نوابا عن الشعب فى ادارة شئون البلاد وأن من حق الشعب أن يحاسبهم بمقتضى هذه النيابة وان يعزلهم ان هم أساءوا التصرف .

نسى أصحاب مراكز القوى كل ذلك وأعمتهم شهوة الحكم وأسكرتهم السلطة فخيل اليهم انهم مخلدون فى مناصبهم فهلاوا

لثورة التصحيح

الدكتور ليس محمد يحيى

الارض جورا وفسادا واستغلوا سلطاتهم أسوأ استغلال والبسوا الحق بالباطل وملأوا الاسماع ضجيجا بالشعارات الجوفاء والتصريحات الكاذبة وشوهوا كثيرا من الحقائق وانتهى الامر بهم الى أن وقفوا موقف التحدى من رئيس الجمهورية .

واذا بالرئيس الملهم المؤمن محمد أنور السادات يقف بحزم فى وجه مراكز القوى ويوجه اليها ضربة فى الصميم تزلزل كيانها وبدأ منذ ذلك الحين حركة تصحيح رائعة أعاد بها ثورة ٢٣ يوليو الى مسارها الصحيح وطبيعتها الاصيلة النابعة من وجدان الشعب ولم تكن حركة التصحيح مجرد شعار أجوف أو مبدأ نظريا ليس له اثر عملى وانما كانت هذه الحركة عملا ايجابيا تمثل فى كثير من المنجزات التى تمت منذ ذلك الحين حتى الان ولاتزال تؤتى ثمارها فى كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية . ذلك أن البلاد بدأت مرحلة جديدة من العمل الوطنى غداة سقوط مراكز القوى فى شتى المجالات .

واعيدت الحياة الى مؤسسات الدولة الدستورية فصدر الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية ووافق عليه الشعب بالاجماع وقد استحدث هذا الدستور كثيرا من المبادىء الهامة واعلى من شأن الحريات واحاطها بسياج من الضمانات كما أفرد فصلا خاصا لمبدأ سيادة القانون وايمانا منه بأهمية هذا المبدأ الذى كثيرا ما انتهك على يد مراكز القوى .

ثم اجريت الانتخابات لمجلس الشعب التى أسفرت عن انتخاب مجلس حر يمثل الشعب تمثيلا حقيقيا . وقد أخذ هذا المجلس منذ بدأ عمله يصدر كثيرا من التشريعات الهامة يحمى بها الحريات كما اصدر تشريعات بعودة رجال القضاء والشرطة والقوات المسلحة ورجال السلك الدبلوماسى وغيرهم من العاملين المدنيين الذين فصلوا من وظائفهم أو أبعدوا عن وظائفهم الاصلية ظلما وعدوانا فجاز أن يطلق على هذه التشريعات « تشريعات حركة التصحيح » . واسترد هذا المجلس مكانته واخذ يباشر اختصاصاته كما حددها له الدستور فى الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية باعتباره ممثلا السياسية والاقتصادية للشعب

وبالنسبة للتنظيم السياسى الممثل فى الاتحاد الاشتراكى العربى فقد أجريت انتخابات حرة له من القاعدة الى القمة واصبح يعبر تعبيرا صادقا عن جماهير الشعب فى آمالها وآلامها . وقد أجريت اخيرا دراسات لتطوير الاتحاد الاشتراكى حتى يقوم بدوره خير قيام باعتباره ممثلا لقوى الشعب العاملة .

ومن ثمار حركة التصحيح أن أعيدت الحياة الى مبدأ سيادة القانون بعد أن أهدر هذا المبدأ كل الاهدار فى عهد مراكز القوى — واصبح الفرد آمنا على نفسه وأهله ويومه وغده ، ووضع هذا المبدأ موضع التنفيذ بعد ان كان مجرد شعار خاليا من كل مضمون معطلا فى التطبيق .

وكذلك أخذ الرئيس السادات بسياسته الحكيمة وبصيرته النافذة يعد الدولة للحرب بصبر المؤمن وصمت الواثق وفى الوقت نفسه يقدم المبادرة تلو المبادرة للسلام القائم على العدل ولكن العدو الاسرائيلى وقف موقف العناد والصلف وأسكرته نشوة الانتصار العابر الذى حققه فى غفلة من الزمن فى يونيو سنة ١٩٦٧ وظن ان العرب لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك .

ولما استنفدت كل الوسائل الدبلوماسية لحل الازمة واكتشف المجتمع الدولى تعنت اسرائيل وعنادها وانها ليست الحمل الوديع كما تزعم وانما هى ذئب شرس يريد أن يلتهم كل ما حوله وانها لا تريد السلام وانما تريد التوسع على حساب الدول العربية — عندئذ لم يصبح هناك بد من الحرب لاسترداد الحق وتحرير الارض فأطلق القائد الاعلى للقوات المسلحة الشرارة فى العاشر من رمضان فانطلقت القوات المسلحة الباسلة فى كل من مصر وسوريا لتؤدب العدو الاسرائيلى وتضع حدا لصلفه وغروره فعبرت القناة وحطمت خط بارليف وبذلك حققت نصرا للامة العربية لم يتحقق منذ أمد بعيد وتحطمت نظرية الامن الاسرائيلى ودفنت فى رمال سيناء والجولان واصبح العربى مرفوع الرأس موفور الكرامة .

وكذلك اراد الله جل وعلا ان يتحقق النصر على يد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات الذى

البقية ص ١٤٤

من وحي خطاب الرئيس
في أول مايو

في خطابه السياسي الجامع الذي ألقاه الرئيس محمد أنور السادات في أسيوط يوم الخميس أول مايو وشرح فيه ظروف العمل الوطني والعربي والدولي .. أعلن الرئيس عددا من القرارات الهامة للتخفيف عن كاهل صغار العاملين في الحكومة والقطاع العام وتمكينهم من مواجهة أعباء المعيشة .. وضمان توفير السلع التموينية الاساسية وتنظيم تدفقها الى الجماهير .

الأستاذ محمد دياب

وفي مقدمة هذه القرارات التي أعلنها الرئيس :

● منح صغار العاملين في الحكومة والقطاع العام وكذلك رجال القوات المسلحة والشرطة - اعتبارا من أول مايو - اعانة غلاء معيشة طبقا لاوضاعهم الوظيفية وحالتهم الاجتماعية ، وذلك بحد أقصى قدره ٣٠ في المائة من بداية ربط الفئة التي يشغلونها في أول ديسمبر عام ١٩٧٤ ، على الا يزيد مجموع ما يتقاضاه العامل من مرتب أو أجر أساسي بالاضافة الى اعانة الغلاء عن ٥٠ جنيها في الشهر .. وتبلغ تكاليف تنفيذ هذا القرار ٨٤ مليون جنيه ، ويستفيد منه مليونان و ٦٣٥ ألف عامل في سبع فئات من الرابعة حتى العاشرة .

● العمل فورا على تثبيت أسعار السلع الاساسية ومحاولة تخفيض بعض أسعارها .. والتوصل بكل سبيل وبغير ابطاء الى توفير السلع التموينية الاساسية وتنظيم تدفقها الى الجماهير بما يخفف من معاناتها في محاولة الحصول عليها .

وباضافة هذه القرارات الجديدة الى قانون الاصلاح الوظيفي الذي يؤدي الى تحسين الاوضاع الوظيفية لقطاعات عريضة من العاملين - وخاصة بعد أن قرر الرئيس تطبيقه على العاملين بالقطاع العام - فان خطوات واسعة تكون قد اتخذت على طريق وصفه الرئيس القائد في خطابه بأنه « طريق طويل أعلنت ضرورة المضي فيه من أجل اقرار المزيد من العدل الاجتماعي وتحقيق العدالة في توزيع الاعباء والتخفيف عن صغار العاملين ، وخاصة القطاعات الكادحة في مجتمعنا » .

واذا كان الرئيس القائد قد منح صغار العاملين ومحدودي الدخل وجماهير الشعب كل هذه التيسيرات في ظروف اقتصادية صعبة .. فان على العاملين وجماهير المنتجين في مقابل ذلك مسئولية تاريخية في تحسين الاداء وزيادة الانتاج .. باعتبار ذلك مدخلا لا بديل عنه لتوفير الاستقرار الضروري لدفع عجلة التنمية ومواصلة معركة التحرير والتعمير .

وفي حدود هذه المسئولية التاريخية .. خاطب الرئيس القائد عمال مصر الذين يقوم على أكتافهم بناء مصر الجديد .. وطالبهم بوقف كل من يحاول استغلال مصاعبنا عند حده .

قال الرئيس :« لابد أن انبهكم ياعمال مصر وبابدء بها الى أنني ابتداء من اليوم لا اسمح أبدا لا بالتخريب ولا بتعطيل الانتاج .. الاخطاء يمكن أن تقع ويمكن أن نصلحها .. ولكن التخريب غلط .. وتعطيل الانتاج غلط » .

وقال الرئيس : « ان أساس العمل الوطني خلال هذه المرحلة بداية ونهاية يرتكز على أن الحقد لا يبني أبدا .. وأننا بالحب والاخوة والفهم يمكن أن نبني ونحل كل مشاكلنا » .

وقال الرئيس : « انني لست ضد أي واحد يكسب بعرقه وبانتاجه .. لا بالسمسرة .. بالسمسرة لابد أن يحاسب ويدفع غاليا .. أما بعرقه فله أن يكسب كما يريد ويدفع حق الدولة »

وعند هذه الكلمات من خطاب الرئيس .. يجب أن تكون لنا وقفة حساب دقيق مع النفس ومع الغير على حد سواء .

مع النفس .. بأن نفتش في داخلها ونطهرها من كل عوامل الانانية والشر والحرص والطمع .. وذلك هو الجهاد الاكبر الذى حضنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وجعله مقدمة طبيعية لجهاد أعداء الخارج .. لان من ينهزم فى جهاد نفسه لا يمكن أن ينتصر فى جهاد أعدائه .. والنفس هى أعدى أعداء الانسان .

ومع الغير .. بأن تكون لكل منا وقفة جهيرة وصلبة ضد من يحاول استثمار بعض متاعبنا الداخلية لتحقيق مصالح ذاتية أو مصالح خارجية تعادى بطبيعتها مصالح الشعب والوطن .

ولم يعد خافيا على أحد .. أن هناك فئات قليلة يجرفها الحقد الى أساليب البلبلة والتشويش وترويج الاشاعات وزعزعة الثقة .. جريا وراء وهم خادع يصور لهم أن هذه الاساليب تمكنهم من اخضاع الشعب وايقاعه فى حبائل المعتقدات الزائفة والنظريات المستوردة !

ولم يعد خافيا على أحد .. أن هذه البؤر المخدودة تستبد بها الاحقاد السوداء كلما وجدت أن جماهير هذا الشعب المؤمنة بربها ودينها ووطنها وقيادتها ومبادئها تستعصى على مؤامرات الكيد والخداع والتخريب !

ولم يعد خافيا كذلك .. أن هناك قلة ضئيلة من ذوى الاحلام السياسية القديمة مازالت أسيرة لاحلامها .. ومازالت تعمل وتطمع فى تحقيق هذه الاحلام .. ولكنه طمع ابليس فى الجنة !

هذه الفئات الحاقدة الباهتة يعرفها الشعب جيدا .. وهى تفقد مواقعها يوما بعد يوم على وقع خطوات المسيرة الشعبية الواعية .

ولكن فئة أخطر من كل هؤلاء .. هى التى يجب أن نوجه اليها كل الاصابع .. ويجب أن نقاومها بكل يقظة كما نقاوم مصاصى الدماء .

تلك هى فئة السماسرة التى تخرب كل خططنا للبناء والانتاج والتنمية والرخاء .. وتشيع فى قطاعات العمل والادارة وغيرها أحط الاخلاقيات !

ان السمسرة فى ترجمتها الحقيقية تحطيم لكل القيم النبيلة والاصيلة التى يجب أن تسود المجتمع .. انها قتل للشرف واغتيال للطهارة وافساد للذمة والضمير .. ولو كان شر السماسرة مقصورا عليهم لهان الامر .. ولكنه متعد بسلاح المال والرشوة الى الاخرين .

ولهذا رأينا ظاهرة السمسرة تتسع وتتسع وتقتحم مجالات كثيرة .. مما جعل وقف هذا الخطر واجبا وطنيا ملحا .. وجعل حساب شياطين السمسرة كما أشار الرئيس - أمرا فوريا لا يجوز أن يتأخر لحظة واحدة .

وعلى سبيل المثال

فقد أصبح السماسرة وراء هذا الخلل الذى نراه فى توزيع الحصص الاساسية من مواد التموين !

وأصبحت السمسرة وراء انتشار السوق السوداء ووراء ظهور طبقة من موزعى الباطن وأصبحت وراء ظهور لون بشع من المكاسب الطفيلية .. وتكوين طبقة من الوسطاء والمغامرين وأصحاب العمولات !

كذلك أصبحت عمليات السمسرة وراء أزمة المساكن واستحكامها !

بل أصبحت عمل من لا عمل له .. يغترف المكاسب بدون جهد .. ويبتلع عرق من يعملون ويجهدون !!

وقطاعات التجارة أيضا أفسدتها عمليات السمسرة .. بل ان التجارة فى معظمها أصبحت سمسرة لا تجارة !

وواضح أن الذى يعانى من كل ذلك هو الشعب الكادح .. هم العاملون والعارقون ومحدودو الدخل والجماهير المنتجة .

ان قضية الرخاء فى بلدنا ترتبط ارتباطا وثيقا بعمليات السمسرة .. وما لم نقض على تلك الظاهرة الخطيرة بكل حسم .. فان الخلل سيظل قائما .. وقضية الرخاء ستظل تتعثر .

ومادمنا بصدد هذه القضية التى توليها قيادتنا الوطنية كل اهتمام برغم ظروفنا الصعبة .. فاننى - كواحد من الجماهير - أريد أن أنحو فى تناول المشكلة نحوا آخر .

ومتى كانت قضية الرخاء حكرا لارباب المال والتجارة والاقتصاد ؟ انها بالدرجة الاولى قضية الجماهير .. هى التى تعانى آثارها .. وتصلى نارها وحصارها .. ومن أولى من المصطلين والمحاصرين بالتفكير فى طريق الى الرخاء ؟!

لماذا يكون ذلك الطريق ؟

وبالتحديد .. ما هو منطلقه ؟ وماهى بدايته ؟

ان ما يقال عن نقص المواد والسلع والخامات .. لا يعدو فى اكثره أن يكون تبريرا للنكوص عن الحل وتثبيت المتاعب والاختناقات .. وابسط ما يقال فى مثل هذا التفكير المرتخى أنه يريد أن يلقى فى روعنا أن مصر بلد بلا موارد ولا ثروات ولا منتجات .. وأن على أهلها أن ينتظروا الفرج دائما من خارجها .. وبالتالى فان على السماسرة والوسطاء والمغامرين والمستفيدين أن يطمئنوا على استمرار تدفق نهر الذهب فى أيديهم !!

صحيح اننا نزيد زيادة سكانية كبيرة ..

وصحيح اننا خضنا أربع حروب وحرب استنزاف خلال أكثر من ربع قرن .. وأننا ما نزال فى حرب الى الان

وصحيح أن موجة غلاء تجتاح العالم كله .. ونحن جزء من هذا العالم وفى قلبه ..

ولكن الصحيح أيضا أن أرضنا الطيبة لها عطاؤها وخيرها الوفير .. وفيها ملايين الايدى العاملة والسواعد المنتجة .. وعلينا أن نزاوج بين معطيات الارض وامكانيات البشر فى تفاعل حى وخلاق .. بحيث لا تتبدد احداهما فى معزل عن الاخرى .. وعلينا ان نضع كل الضمانات التى تحمى هذا التزاوج الطبيعى .. وتحمى توزيع نتاجه بالعدل .. حتى نقيم مجتمع المنتجين لا مجتمع أصحاب الملايين .

هذا منطلق أساسى لم تغفله خططنا لتحقيق الرخاء .

ولكن امكانياتنا الطبيعية والبشرية مازالت تحتاج منا الى كفاءة فى الاستغلال وطهارة فى الاستثمار .. وعمليات التوزيع مازالت مرتعا للمتلاعبين وطلاب الثروة والمال الحرام .

ومهما يكن ما ننتجه وما نستورده غزارة ووفرة .. ومهما يكن ما نبذله من أموال واعانات وعلاوات للتخفيف عن كاهل العاملين .. فان ذلك وحده لن يستطيع أن يفك عن أعناقنا قبضة الاختناق .. ما لم نحرر كفاية الانتاج وعدالة التوزيع من اعداء الكفاية والعدل .

ان السماسرة والوسطاء والتجار الجشعين يقفون بالمرصاد لكل قرش يدخل جيوب العاملين لامتصاصه .. ولكل سلعة أساسية نوفرها لتتدفق لحسابهم لا لحساب الجماهير .

وهذا هو الخطر الحقيقى الذى يلتهم ثمار عرقنا وجهدنا ويضعها فى جيوب فئة مستغلة تحاول أن تعيد الى بلادنا مجتمع النصف فى المائة .

وهذا الخطر مهما تنوعت مظاهره وأساليبه .. يحاول أن يتخفى - كما قلت منذ قليل - تحت لافتة براقة اسمها التجارة .. ولكننا يجب ان نعرى اللصوص وننزع الاقنعة عن وجوههم .. ونعيد الثروات التى امتصوها من دماء الشعب الى جيوب الشعب .

انا نحترم التجارة ونحميها وندعمها .. ولكننا نقاوم اللصوصية ونطاردها .

ان التجارة مهنة شريفة واقتصاد نظيف وعلم أمين .. وقبل ذلك هى أخلاق وقيم .. ضمير وذمة وأمانة .

وما أروع هذا الدستور الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم للتجارة والتجار .. وما أجدرنا بتطبيق هذا الدستور الذى يكفل تطبيقه الخير والرغد والرخاء .

يقول سيدنا رسول الله :

« ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا ، واذا اؤتمنوا لم يخونوا ، واذا وعدوا لم يخلفوا ، واذا اشتروا لم يذموا ، واذا باعوا لم يطروا ، واذا كان عليهم لم يمطلوا ، واذا كان لهم لم يعسروا »

صدقت ياسيدى يارسول الله

فلو أننا سرنا على طريق هديك النبوى الكريم فى معاملاتنا واقتصادياتنا وتجارتنا .. لما كان ما نعانى وما نكابد .. ولكنه البعد عن شريعتك وهديك يودى بأصحابه دائما الى مزالق المعاناة والشدة والضيق .

....

انه رجاء نتقدم به الى وزارتنا الجديدة وعلى رأسها السيد ممدوح سالم أحد ابطال ثورة التصحيح فى ١٥ مايو .. أن تعلى شأن هذه القيم والاخلاقيات فى مسيرة حياتنا الجديدة .. وأن تضرب من أجلها أوكار الازمة .. والله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وانا لمحققون أهدافنا باذن الله . « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

الذين فى قلوبهم مرض والانتصارات التى حققناها

الدكتور حامد محمد شعبان جمعة

الذين فى قلوبهم مرض هم الحاقدون الذين يتحاملون على الانتصارات التى حققناها تحاملا مفرطا ، ويحنقون عليها ويضيقون بها فيفرطون فى الاسفاف ويطربون منه ، وتتفتح نفوسهم له . وهم الذين يؤرق مضاجعهم أننا نملك ارادتنا وندير معاركنا بخبرة حضارية ضاربة فى أعماق التاريخ فيملاون الدنيا ضجيجا بادعاءاتهم الزائفة زاعمين انهم دعاة الوحدة والحرية والعدالة ثم يحكمون الهوى فى وزن الامور وتقدير الاشخاص وينزعون الى الاصغاء الى نزواتهم ويصكون أسماعهم عن الانصات لصوت العقل ويقومون باهدار القيم الخلقية اهدارا مزريا ، والتمرد على كل ما يجمع الصفوف ويحشد القوى . وهم الذين يريدون أن نخضع لسلطانهمويودون أنيكون نكون أرقاء لهم ، ويظنون أن الناس فى غفلة عما يعملون ، ويحسبون أن الاستار الصفيقة التى يضفونها على أنفسهم تستطيع اخفاء الحقائق ويدفعون الالسنة المأجورة لتنطلق بالحط من شأن الشرفاء وكأنهم يجدون فى هذا المسلك تعويضا نفسيا عن الاخفاق الذى يلازمهم واشباعا لميلهم الى التفوق ونزوعهم الى الاستعلاء وهم المترددون ترددا يمقتون عليه ، ويبغضون بسببه .

ذلك بأنهم آمنوا بما حققناه ثم كفروا به « **فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** » .

وهم الذين يهتمون بترديد الشعارات ، ويسعدون باعلان النظريات ويفرحون ببث التصريحات ثم لا يفعلون شيئا ونحن نقول لهم « **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** » **كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال** » .

والذى لا ريب فيه هو أن هؤلاء الذين نتحدث عنهم أساءوا الى من أحسن اليهم ، وأرخصوا أنفسهم ، ونسوا أن تضليلهم وزيفهم لا يخفى على أحد ، وأن محاولة تشويه جمال انتصاراتنا بسواد قلوبهم وفساد افهامهم انحراف مريع فكل الناس يعلمون أن سلوكهم وصمة لحقت بالعروبة ، وأنه حان الوقت ليصعدوا من الهوة السحيقة التى انحدروا اليها . ولكن ، لم يتمسك الذين فى قلوبهم مرض بهذا السلوك المشين ؟

ان الاجابة على ذلك تدعونا الى الرجوع الى الوراء قليلا ، فنحن نعرف ان الله ابتلانا بمخنة قاسيه تعرضنا فيها لهزيمة مرة سنة ١٩٦٧ ولم يتخل عنا بعدها فقد وجه قادتنا المخلصين الى تقوية التضامن العربى بكل ما استطاعوا ، وهداهم الى منهج قوى يحقق النصر ، ويعيد الحق ، ويستفيد من أخطاء النكسة ، وأرشدهم الى استغلال كل الطاقات ، وادراك انه ليس هناك طريق واحد الى الهدف وانما هناك طرق متعددة ومتنوعة ، وان عليهم الاعتصام

بالتخطيط المحكم ، والاعداد السليم ، وكتمان السر ، ومفاجاة العدو ، ومحاصرته فى كل مكان ، وعزله عن العالم ومهاجمته فى الفرصة المواتية بعد التأكد من النجاح .

واقبل رجالنا المخلصون يعملون بايمان وثقة وصبر ، ويتحركون فى صمت ويضلون العدو بشتى الوسائل ، ولكنهم وجدوا فئتين من الذين فى قلوبهم مرض **اما الفئة الاولى** فهبت تشيع أننا لن نحارب وان صفوفنا تعانى الضعف والاستكانه ومن هذه الفئة من عمل فى الظلام بحماسة ، وانحط الى دركات الكذب السفلى فاثار الحقد والحسد والضغينة مستخدما الوانا من الالفاظ المعسولة ، ومرددا أساليب مصبوغة بالخبث والخداع والدهاء ، ومختبئة تحت أستار جميلة من اثارة الحفيظة الكامنة فى القلوب ، واشعال أشتات النزعات . ولم يعبأ هؤلاء الرجال باولئك المرضى - الذين جمعوا أمورا منكرة وأحوالا عسرة - ومضوا للبناء المحكم ، والصورة الرائعة ، والاعداد الفعال ، منبهين الى خطر هؤلاء المرضى مرددين قول الله « **يأيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » مؤمنين بأنه ليس بغريب أن يكون فى جو العروبة بعض الاصوات المرجفه ، ولابد أن يتوقع الناس هذا الموقف من هؤلاء الذين « **ضل سعيهم فى الحياه الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا** » ، والرسول عليه الصلاة والسلام لم يسلم من امثال هؤلاء المرجفين الذين نزعوا الى النفاق فتفجر من أعماقهم كثير من المآسى والاثام والشرور ، وفقدوا خلق الشجاعة والشهامة وكشفتهم الشدائد والمحن وابرزت مواقف الخزى وصور الايذاء وانماط التثبيط والغرور ، والوان معارضة كل سعى للحق والخير والفضيلة . ولا عجب فى اهتمام القرآن بوصفهم بمرض القلب ، وفضح اعمالهم ، والتنديد بترددهم بين الطاعة والمعصية . يقول الله عز وجل « **اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم** » .

ويقول تبارك وتعالى « **لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا** » ويقول أيضا « **واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا** » ومعنى ذلك أن الذين فى قلوبهم مرض صورة من صور الابتلاء فى كل العصور ، لا نشاهدهم الا سادرين فى غيهم منقادين الى شهواتهم يعرضون عن محاسن ما يصنعه المخلصون ويلوذون بالانحراف عن الحق ، والاغراق فى الباطل ، وعندما تستهويهم الحياة المترفة فانهم يبيعون ضمائرهم فتختفى القيم ، وتظهر ضروب المروق والفساد .

وعلى الرغم من تكاثف الظلمات ، واشتداد حملات التزيف والافتراء تجلت الروح المتفائلة المستبشرة روح الايمان بالنصر . وأدركت أن هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض فاتهم أن قادتنا وعوا دروس النكسة ، وعرفوا أسباب الهزيمة فاعتمدوا على الحيطة والحذر ، وعولوا على نهج متين يستطيع أن ينال من العدو فأمعنوا فى التدبير وصدقوا ما عاهدوا الله عليه وتركوا تلك الفئة يسيطر عليها المرض ، وينغلغل فى أعماقها ويجرها الى وجه من أوجه النفاق ان الشيطان قد استحوذ عليها فعميت عن حسن التبصر ، وانقادت للهوى والخسران .

وأما الفئة الثانية من الذين فى قلوبهم مرض فقد كانت اشد خطرا واكثر فسادا ذلك لان همها المجد والشهرة والسيادة غير ناظرة الى حساب المعركة ومتطلباتها ، تحرص على أن يكون لها الامر والنهى ولو ادى هذا الى ضرب الصف العربى وتمزيقه ، ونسف قوى الامه العربيه ، فهى تغرى بالمال الكثير بشرط ان تقطع مصر علاقاتها بالكويت والسعوديه وابى ظبى وقطر وان تنصرف عن تلك الشعوب التى هى فى نظر الذين فى قلوبهم مرض شعوب متاخرة ورجعيه . وان تعجب فاعجب لاولئك الذين يزعمون انهم لا يؤمنون الا بالوحدة العربية ولا يقدسون الا شعاراتها ومع ذلك فانهم يشترطون قطع العلاقات والتفرق وأن تبيع مصر سياستها ونفسها وتتفرغ لتمجيدهم والحق أن رئيسنا عظيما فى رده على تلك الفئة عندما اعلن أن مصر لن تبيع سياستها ونفسها ، وكيف تستجيب لما طلبوه وشعبها أعرف الشعوب بالجميل ، وأحرصها على العهد واذكرها بالمعروف ومن الغريب أن تلك الدول قدمت الدعم لمصر وساعدتها مساعدة قوية ، ومن الغريب أنه استطاع التوصل الى خلق الحد الادنى من التضامن العربى مع الاخوان العرب الذين تؤثر عليهم الفئة الحاقدة والاغرب من هذا كله أن مصر كانت تستعد للمعركه وهم لا يعلمون وانها تسعى الى قيام تضامن عربى يشد أزرها ولا تسعى الى نسف الامة العربية . وان منطق هؤلاء الذين يفرضون الشروط هو منطق من يتصور ان مصر مغلوبة مهزومه ، وهو منطق الهيمنة والسيطرة والمرض لا منطق الذين يتشدقون بحتمية الوحدة .. وهؤلاء المرضى الذين يسعون الى المجد والزعامة ويمثلون الفئة المذكورة - بلوناهم فلم نحمد لهم أمرا ، ويبدو أن الاخفاق الذى يتوالى عليهم والفشل الذى أصابهم دفعهم الى مسلك خطير يعتمد على ما يأتى :

١ - انفاق المال الكثير فى سبيل الشهرة والمجد الرخيص والافتراء على ما حققناه من انتصارات ، وتشويه جمال كل سعى يقوم به المخلصون ، ولم ينفعهم ذلك لان هذا المال وصل الى ايدى الانتهازيين والوصوليين والمنافقين والمتعلقين ولم يعد عليهم ولا على مجتمعاتهم بخير . ولم يستطع ان يجلب لهم الاحترام والاكبار ، ولم ينجح فى فرض ما يريدون

حيث تتبهت الشعوب ، وتمسكت بالشرف واستبان أنها لم تعد سلعة تباع وتشترى وأنها ترفض التعاون مع المنحرفين الذين يعيشون فى عالمهم الذاتى الخاص ، مؤثرين العناد عاجزين عن التغلب على الاثرة وما توحى به .

٢ ـ الزعم بأنهم حماة الاسلام وأنصار شرعه الحنيف . ولكن الناس اكتشفوا أنهم يقولون ما لا يفعلون وان الهوى يدفعهم الى البعد عما يوجبه الاسلام من التضامن فى السراء والضراء ، وما يفرضه من الوقوف صفا واحدا امام الاعداء والمشاركة فى الجهاد والتضحيه وما يحث عليه من البذل والانفاق فى سبيل الله . وادرك المخلصون أنهم يزعمون التمسك بالقرآن والسنة ولا يتلون قول الله وهو يخاطب احد انبيائه « **ياداود انا جعلناك خليفه فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** » . وأهم من كل ما سبق ان المناضلين عرفوا أنهم .

يشجعون اعمال التخريب والتآمر والصراع والفتن ، ولا يرضى الاسلام عن هذه الامور التى تنأى عما يدعو اليه من الهدى والحق والقوة والتكافل ولا يقر الدين حرصهم على الخصام ورفضهم الاصلاح ، واذا كانوا صادقين حقا فليبتعدوا عن الاغارة على كل ما حققه العرب من تضامن واخاء ، ولينصرفوا عن التخريجات السخيفة والاهواء الضالة ، وليؤمنوا بأن أسلوبهم فى الاسفاف يخجل وجه الانسان ويثقل ضميره .

٣ ـ التراجع والنكوص والارتداد وعدم الالتزام بشىء ، وهم يحتجون بأن الطابع التحريرى ، والتفتح التورى هو الذى يدفعهم الى هذا السلوك ويؤكدون أنهم يعرفون قدر النكوص ، ويفتنون بما يوحى به .

ولعلهم يشعرون بأن ما يحرصون عليه يغطى الاحساس بالنقص القائم فيهم والضعف الغالب عليهم والصلف والغرور الذى يقودهم . كما أنهم يلمسون فيها من التعويض عما فاتهم والتنفيس عما لم يظفروا ، فحرارة الخيبة بعد الامل هى التى حدت بهم الى المبالغه فى النكوص وشعور الاخفاق هو الذى دفعهم الى التراجع الذى يشفى الغليل ، وربما زاد من حقدهم انصراف الناس عنهم وأفول نجمهم ، والسخط على قلة حظهم من المجد فانساقوا الى عدم الالتزام .
والحق ان هذا السلوك لون من الوان النفاق فان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول « **أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصله منهن كانت** فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان **واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر** » . وقد ورد هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى رواية أخرى وهى « **ثلاث من كن فيه فهو منافق وأن صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان** » . ويظهر أنهم موبعون بالتحول فى المبادىء من باب والخروج عنها من باب آخر ، ويبدو انهم مغرمون بشعارات لا يؤمنون بها ، ولا يفهمون ما تقضى به فلا ينسى الناس انهم تراجعوا عما اتفقوا عليه قبل المعركة من مشروع المنطقه الحرة التى تعنى قيام صرح فى الوحده واعلنوا انهم يودون اجهاضها ولا يغيب عنهم موقفهم من معركة العبور الخالدة عندما قرروا أنها معركه فاشله بينما الجنود البواسل يحققون معجزة خالدة ويرفعون أعلام النصر شامخة ، ولم يقفوا عند هذا الحد بل أوقفوا تزويدنا بالبترول الذى وعدوا به ، وطلبوا سحب الطائرات الحربية وهى فى مهمة عسكرية والقتال لم ينته والمعركه معركه العرب كلهم لا معركه مصر وحدها ، وأفرغوا غيظهم فى ظروف قاسيه ، وفى ذلك أقسى ضروب الجحود والنكران ، ودليل على الحقد على النصر الذى حققناه وازدانت العروبة بعظمته ، وعزت بفضله وروعته .

ولا يرتاب أحد فى أن تلك الفئة اقتدت بمواقف النفاق واخذت بوسائله فى الخداع والنكوص والغدر ، فمن المعروف أن زعيم المنافقين عبد الله بن ابى حقد على الرسول عليه الصلاة والسلام عندما انصرف الناس عن تتويجه ملكا على الاوس والخزرج واضطر الى الرياء ليتمكن من الكيد ، ولجأ الى الفتنة عندما لم يستطع التحليق الى ما يتمناه وهبط فى اغوار سخيفة قادته الى ما صنع من التشكل والتدبير والكذب .

ومن الواضح أن حزبه أصيب بالخيبة عندما انتصرت القلة الصابرة المحتسبة فى بدر ، فرأى ان من الخير اظهار الاسلام ومهادنة الجو الجديد ، ولكنه فى احد تراجع وانصرف مقررا فى خبث وخداع انه لن يكون هناك قتال ونزل القرآن ليفضح موقفه فقال الله « **وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون** » .

أما فى غزوة الخندق فانهم أرادوا ان يبثوا الفرقة ، وأن يوجهوا ضربة الى جيش الاسلام تضعف تماسكه وتوهن قوته فقال ممثل المنافقين يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو ـ وذلك على ملا من رجال قومه ـ فاذن لنا ان نخرج الى دارنا فانها خارج المدينة ثم نزل فى ذلك قوله تعالى « **واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ، واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا** » . وفى تبوك فعلوا الكثير ففضح الله مواقفهم وكشف

اجتهادهم فى تثبيط الهمم ، وانتحال الاعذار ، وايذاء المجاهدين .

٤ - التجريح والتشهير والاسفاف والتشكيك فى قيمة الانتصارات التى حققناها والسياسة التى نتبعها والسخرية مما نفعله واستغلال الخطوب والملمات وتثبيط الهمم والاهتمام والدعاية البراقة ، ولا غرابة فى ذلك فانهم اخفقوا كما أكدنا فى الظفر بما كانوا يأملون فدب اليهم الداء اللعين داء الحسد والبغضاء .

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه

فالقوم أعداء له وخصوم

ولا شك أنهم يجرون الملام الى نفوسهم فهم يتكلمون فى انتصارات استقرت فى الاذهان عظمتها ، وقدرت الشعوب آثارها الرائعة فى شتى الميادين ويذكرنى موقفهم بقول الاعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

واجتهادهم فى الغض من الانتصارات لن يؤدى الا الى نشرها واعلاء شأنها .

واذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرف العود

واسلوبهم فى التجريح ينطق بعجزهم وفشلهم حيث أصبح فارغا كالطبل الاجوف لايستطيع ان يقوم بأى عمل لتفاهته وبطلان حججه وارتمائه فى أحضان الضغن المستمر وارتباطه بالقذف والتمويه والمغالطة والبعد عن حسن التبصر والاسراف فى الكذب . وهيهات أن ينال ذلك من النور الساطع والمنطق الاخاذ والحجج الدامغة وهيهات أن يؤثر فينا ضلال المضلين وجمود الاغبياء وأغراض المغرضين ، أما انتصاراتنا فلن يضيرها مكابر ، ولن يطمس آياتها معاند ، ولن يضير الشمس الساطعة شىء اذا لم يرها العميان . ولا نعلم كيف تحمل ضمائرهم هذا الاسفاف ومن العجب انهم يستبيحون لانفسهم هذا التجريح الصارخ وهم يدعون أنهم حماة الدين الحنيف الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر . أنسوا أنهم يسيئون الى من أكرمهم ؟ انهم لن ينالوا خيرا ، ولن يجنوا الا الكراهية والنفور والازدراء ومن المؤكد أنهم أخذوا ذلك أيضا من حركة النفاق فقد استخدمت هذا الاسلوب كثيرا وبرز بعد أحد وفى غزوة الخندق وفى غزوة بنى المصطلق ، فبعد أحد أشاع المنافقون المفتريات الكاذبة ، وظهرت الشماتة والسخرية ولكن الله عصم المسلمين وتجلى معدنهم الاصيل يفيض بالايمان القوى مستبشرا بقوله تعالى « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس** » . وفى غزوة الخندق تدفقت سخريتهم والرسول يبشر جنوده ويثبتهم ويقول لهم حينما يرى ما بهم من كرب « **أبشروا بعون الله ونصره . انى لارجو ان أطوف بالبيت العتيق وآخذ المفتاح وليهلكن كسرى وقيصر ولتنفقن أموالهما فى سبيل الله** » هذا والمنافقون يسخرون من كل ذلك ويقولون « **ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا** » .

٥ - ايقاد الفتن بين الشعوب عندما تكون مصلحتهم فى ذلك ، واشعال الخلاف والسعى الدءوب لايجاد الفرقة والشقاق ، وقد منوا بفشل ذريع فى هذا الاتجاه فلم يجدوا آذانا صاغية على الرغم من الاغراء والوقيعة والاثارة ولم يوفقوا الا فى فضح نواياهم وتنبيه الناس الى ما أضمروه من حقد ومكر « **ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا** » . واذا كانوا قد أصيبوا بالفشل فان أئمة النفاق فشلوا أيضا فى محاولة بذر الفتنة بين المهاجرين والانصار على الرغم من سعيهم لتوسيع شقة الخلاف بينهم فى غزوة بنى المصطلق وسعادتهم بأن الفريقين كادا يقتتلان .

٦ - التآمر على حياة المخلصين وبث الاشاعات المثيرة وعدم الاعتراف بالواقع المشهود . وتلك النزعة تمثل خطرا كبيرا يشير الى عمق الهوة التى هبطت فى أغوارها السحيقة نفوسهم ، ويؤكد أنهم لجأوا الى سلاح العجز والجبن ، ومن المؤلم انهم تمسكوا به ، وان دل هذا على شىء فانه يدل على أنهم فقدوا صوابهم نتيجة لضياع تاج القيادة العزيزة المزعوم وانتشار غياهب الصلف والغرور وجو الصراع والتمزق . واذا كانوا يملكون من الحول والطول ما يسول لهم الشر فان الله مع المخلصين يحميهم ويوجههم الى الامن والخير ولكنه يتخلى عن المتآمرين الذين لم يظهروا أنفسهم من أدرانها الخفية ولم ينقوا قلوبهم من الشوائب والادناس وعجزوا عن التكيف وتعلقوا بالعوامل الذاتية والاستغراق فى الاحلام والاوهام والتناقض الصارخ .

وبعد : فحسبنا ذلك فى منهج الذين فى قلوبهم مرض ولا يسعنا الا أن نسأل الله لهم الهداية فان اهتدوا فقد أراد الله بهم خيرا والا فلن يخسروا الا أنفسهم أما نحن فحملة لمشاعل الحضارة ، ودعاة لسلام قائم على العدل ، امامنا آمال عظمى تقتضى عزائم الرجال وتناديهم لتحقيقها « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

دولة العلم والإيمان

والمثل الناجح

احقاقا للحق . واعترافا بالجميل . وتوجيه الشكر لاهله . والثناء لذويه يطيب لمجلة منبر الاسلام - [وقد سرها ما قامت به هيئة الاوقاف المصرية من اعمال مجيدة . وما قدمت للمسلمين من خدمات جليلة فى شتى الميادين] أن تقدم لقرائها الكرام فى جميع انحاء العالم العربى والاسلامى بمناسبة احتفال شعب مصر بالعيد الرابع لحركة التصحيح المجيدة . واحدا من امثلة عديدة ناجحة جاءت بثمار طيبة لتلك الحـــركة الرائدة . وثمرة من ثمارها اليانعة تحقيقا لقول المولى عز وجل « ان الله لا يضيع اجر من احسن عملا » ..

وقول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم « **خير الناس أنفعهم للناس** » فبحق كم كان للقرارات العادلة ، والتشريعات الحكيمة ، والاراء الصائبة والتوجيهات السديدة ، والقوانين العظيمة التى اصدرها وتابع تنفيذها القائد المؤمن رجل العلم والايمان الرئيس محمد انور السادات بعد ثورة التصحيح الرائدة من آثار عم نفعها . وكثر برها .

وزاد خيرها حتى احتوى الكثيرين . وشمل العدد الوفير من الضعفاء والمساكين . واصحاب المصالح والمحتاجين .

كما أزالت تلك الثورة الظلم عن المظلومين . وخففت من آلام المجروحين . وبثت الامن فى نفوس الحائرين . وهدأت من روع الخائفين المضطرين . الى جانب أنها اعادت الامور الى نصابها . والحقوق الى أصحابها . والاوضاع الى طبيعتها . وقضت على تلك الفئة الباغية المستكبرة التى عاثت فى مصر فسادا . واذاقت الناس الكثير من الوان العذاب . واودت بالابرياء الى غياهب السجون . وفصلت الكثيرين من اعمالهم . وشردت الامنين من ديارهم من غير ذنب اقترفوه ولا جرم ارتكبوه . اللهم الا انهم قالوا الحق وفعلوا الصواب ونطقوا بالحقيقة ..

وبفضل تلك الثورة بات الكل وهم يعملون فى صمت وجلد . وشجاعة واقدام فالقانون يحميهم . والحاكم يوفر لهم الامن والطمانينة والاستقرار . ما داموا يعملون للصالح العام ولرفاهية مصر وشعبها .

ونحن فى هذا المجال نتناول بالتفصيل واحدا من تلك القرارات التى اصدرها الرئيس المؤمن محمد انور السادات بعد ثورة التصحيح فى مايو ٧١ وهو انشاء هيئة الاوقاف المصرية . والتى يكون من اهم واجباتها استرداد جميع الاراضى والاموال والعقارات الموقوفة والتى ضاع معظمها واغتصب الكثير منها

في عهود الظلم والطغيان . والعمل بجد ونشاط . وحزم وعزم على استخلاص تلك الاراضى وهذه الاموال والعقارات من مغتصبيها ان عاجلا او آجلا .. وكم كان فضل الله عظيما . ولطفه كبيرا . وعطفه واسعا . اذ هيىء لهذا العمل الشاق . وتلك المهمة الصعبة رجالا آلوا على أنفسهم أن يعملوا في صمت وصبر - حتى يظهروا ما خفى أمره ويبينوا ما انطمثت معالمه . ويجلوا ما ابهم قدره ويوضحوا ما التبس على الكثيرين . واستغله اصحاب الضمائر الخربة »

قائد ثورة التصحيح وبطل العبور

الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

لقد أزالت ثورة التصحيح الظلم عن المظلومين وهدأت من روع الخائفين المضطربين ، وأعادت الامور الى نصابها ، والحقوق الى أصحابها .

ونستطيع ان نقول ان هؤلاء الرجال الذين مارسوا عملهم منذ وقت صغير . وفى فترة زمنية قصيرة . قد نهضوا بتلك الرسالة التى كلفتهم بها الدولة . وقاموا بحمل هذا العبء الضخم . وتلك المسئولية الجسيمة . وذلك العمل الشاق . **كما اثبتوا كفاءة منقطعة النظير فى استرداد الكثير مما ضاع من اموال المسلمين او اغتصب خلال السنوات الماضية ، وكان ذلك سببا فى ثراء الكثيرين من الناس الذين لاهم** لهم الا الثراء حتى ولو كان من اموال الله الموقوفة على المساجد . واصحاب العاهات والفقراء والمساكين .. ويرجع الفضل كل الفضل فى هذا العمل الخلاق والجدير بكل ثناء الى الرجل المخلص والاستاذ الكبير عبد المنعم مغربى نائب وزير الاوقاف ورئيس هيئة الاوقاف المصرية والذى قال لكل من يعمل معه لاول مرة .

« تبحث معنا عما هو مفقود او مسروق من اموال الله او تبحث عن عمل آخر » ..

فقد حرص السيد رئيس هيئة الاوقاف المصرية على ان يحمل معه دائما وابدا الخرائط . والحجج والمشروعات . ويذهب بها الى المحافظات ويجتمع فيها بالمسئولين لكى يكتسب تأييدهم ومساعدتهم للهيئة . حتى تستطيع اعادة الاموال والعقارات المنهوبة الى أصحابها الشرعيين . وكم ترتاح نفسه ويثلج صدره . ويطمئن فؤاده . وتهدأ عواطفه كلما اتسعت الارض او زاد المال . او رد حقا مغتصبا الى ذويه مهما كلفه ذلك من جهد وعناء . وتعب ومشقة له وللعاملين معه الذين يشاركونه المسئولية ويعملون معه بمنتهى الاخلاص حتى ولو كلفهم ذلك السهر الليالى الطويلة بحثا عن حجة او دراسة لخريطة من اجل اكتشاف جديد .. ومن احدث الاكتشافات التى عثروا عليها فى الاسكندرية ، هو الارض الممتدة فى الصحراء الغربية على مساحة ٢٨ الف فدان عثر عليها جهاز متخصص الكشف عن الاغتصابات والسرقات ويتمثل فى وقف سيدى محمد حسن الانصارى الخيرى الشهير « بسيدى كرير » وحمل أعضاء الجهاز حقائبهم وخرائطهم . والحجة التى تثبت ان هذه الارض تقع على امتداد ٢٧ كيلو متر على طريق الاسكندرية مطروح . ولو انك تصفحت التقرير المكتوب فى ١٨ يوليو ١٩٢١ والتى أصدرته محكمة الاسكندرية الشرعية بناء على الطلب المقدم من الست حميدة خليل المصرى الناظرة « بالانفراد على وقف جدها **محمد حسن الانصارى** الشهير « بسيدى كرير » لرأيت كيف قد سجل كل الملاحظات وبين لك فى وضوح تام أصل الثمانية والعشرين الف فدان التى اكتشفت اخيرا . والتى استولى عليها **ملاك بدون مستندات او وثائق تثبت ملكيتهم لها ..**

كما اثبت ذلك التقرير ان ايجار الفدان كان مقدرا سنة ١٩٢١ بخمسة قروش فى حين ان هذه المنطقة بالذات تسارع اليها خبراء السياحة ورجال الاعمال من جميع انحاء العالم لاقامة مشروعات سياحية واستغلال كل بوصة فيها . وبعدها تجلب لمصر آلاف الملايين من الجنيهات فاذا ما تركنا هذه المنطقة وذهبنا الى شاطىء الاسكندرية الشرقى الممتد من الرمل الى مشارف ابوقير وحتى مدينة ادكو . اوجدنا الكثير من العمارات الضخمة والمساحات الشاسعة من أراضى البناء التى اغتصبت منذ زمن بعيد . والان وبعد جهود الهيئة المضنية لاستردادها نرى ان الكثير من هؤلاء المغتصبين وواضعى اليد يفدون الى الهيئة من أجل شراء ما تحت ايديهم . كما نجد ان عددا كبيرا من الشركات العربية والاجنبية تتردد

يفد على الهيئة العدد الكبير من الشركات العربية والاجنبية ورجال الاعمال من أجل شراء مساحات لهم لاستغلالها فى المشاريع الصناعية والسياحية والعمرانية

على الهيئة من أجل شراء مساحات لها لاستغلالها فى مشاريع صناعية وسياحية وعمرانية .. ولقد اكتشفت الهيئة كذلك مستندات جديدة وحجج . تثبت ملكيتها لمساحة **قدرها ٥٥ فدانا فى منطقة المندرة البحرية** ، على امتداد طريق الجيش غربى قصر المنتزه وقد ثبت أن أكثرها محكر لوقف سيدى محمد العطارين الخيرى . وغيرها . كما أزالت الهيئة الغصب عن ١٨٨ فدانا من أراضى عزبة أبوسليمان التى كانت موقوفة وتابعة لوقف العطارين الخيرى . وهو يقدر بنحو مليون ونصف جنيه عادت كلها الى الاوقاف بالفعل .

وغير ذلك كثير وكثير حتى ارتفعت أموال الهيئة **فى موازنة عام ١٩٧٥ الى ٣٠٠ الف جنيه ، بعد ما كانت لا تزيد عن ١٢٥ الف جنيه سنويا** ، الى جانب الحجة المكتشفة والمؤرخة بتاريخ ١٥ ذو القعدة سنة ١١١٢ هجرية ، من محكمة الجزيرة الخضراء بثغر الاسكندرية ، وتقدر بملايين الجنيهات ، وبمقتضاها اوقفت خمسة « غياطين » ، كما كان يطلق عليها فى ذلك الحين ودن وسميسمة .. والرغى .. ثم ابن حماد « بدور الرمل » والتصفى .. والضاهرية .. ولم يتم الاستيلاء عليها الا مؤخرا .

بالاضافة الى المساحات التى توجد فى حى سان استفانو ، والتى اقيم على بعضها عمارة ضخمة ، والبعض الاخر سيقام عليه ايضا عمارات لتخفيف ازمة الاسكان .

هذه هى بعض أملاك الاوقاف فى الاسكندرية .. فاذا ما انتقلنا الى المحافظات الاخرى ، وجدنا الالاف من الافدنة قد اغتصبتها العائلة المالكة وتوارثوها منذ عهد الخديو اسماعيل .

وقد قامت الهيئة بحصر تلك الاراضى واستردادها وأعادت الى تلك العزب مسمياتها الاصلية قبل اغتصابها .. كما تقدم واضعوا اليد بطلبات الى الهيئة من أجل شرائها .. ولقد زاد دخل الهيئة فى **محافظة البحيرة ليصبح ٢٩١٠٠٠ جنيه فى عام واحد بعد ما كان لا يزيد عن ١٣٧٠٠٠ جنيه ، كما زاد دخلها من الحدائق ليصبح ٥٠ ألف جنيه ، بعد ان كانت قبل عام ٣٢ ألف جنيه ، كما ارتفع انتاجها من مشروع المناحل من ٢٥٠ كيلو من العسل فى عام ١٩٧٣ الى ٣٤٧ كيلو هذا العام .**

ولو القينا نظرة سريعة الى الاعمال الجليلة التى قامت بها الهيئة فى تلك الفترة الوجيزة لرأينا العجب العجاب بفضل قيادة الاستاذ عبد المنعم مغربى ، ونشاط العاملين معه ، وبفضل تصميمهم الاكيد على توسعة رقعة الارض وزيادة أموالها واسترداد كل ما هو مغتصب وضائع .

ففى مجال الاصلاح والتعمير :

نجد ان الهيئة قد قامت باجراء التحسينات لرفع قدرات الاراضى الضعيفة حتى يزداد انتاجها .

وفى مجال الانتاج :

نجد انها قد ساهمت مساهمة فعالة فى حل الكثير من مشاكل المواطنين .. **اذ قامت بتربية النحل ليزداد انتاجه .. كما قامت بانشاء محطة لتسمين العجول للمساهمة فى حل ازمة اللحوم .**

اما فى مجال الاسكان :

فنجد ان الهيئة قد قامت بجهود مشكورة فى حل أزمة الاسكان .. **اذ انشأت العديد من العمارات الضخمة ، بل ومناطق باكملها فى كثير من أحياء القاهرة والاسكندرية .. كما شيدت الكثير من العمارات فى جميع المحافظات .. وتقوم فى الوقت الحالى بحصر جميع الخرابات والاراضى الفضاء فى جميع المدن** لبيع بعضها عن طريق المزاد العلنى ، واستغلال حصيلتها فى انشاء الكثير من المساكن .

■ تم الاتفـــاق بين الهيئــة والمملكــة العربية السعودية على انشاء مدينة سكنية متكاملة فى أراضى الهيئة بالقبة برأس مال سعودى ـــ مصرى ، تكون ذات طابع اسلامى

ويجرى فى الهيئة الان اعداد مشروع لانشاء مدينة سكنية متكاملة فى أراضى الاوقـاف فى منطقة القبة فى القاهرة على مسـاحة ١٥٠ فدانا بالتعاون مع راس المال السعودى .. على ان يشـمل عمارات سكنية ومدارس ومجمعـات اسـتهلاكية ومراكز للشباب .. وقد تم الاتفاق بين الجانبين المصـرى والسعودى على ان يكون للمدارس فى هذه المنطقة طابعا اسلاميا فى مناهجها ومبانيها وأسلوب التربية فيها ، نبـدأ بثلاث مدارس للبنين ، وثلاث مدارس للبنـات .

كما تدرس الهيئة اقامة مشروع فندق اسلامى فى ميدان التحرير بجوار جامع عمر مكرم ، على ان يضم هذا الفندق جراجا للسـيارات ، ومكاتب ، وسوق خيرية .

والان ، وبعد هذه الالمامة السريعة على بعض منجزات الهيئة .. لا يسعنا الا تقديم الشكر الوفير .. والثناء الجميل لهؤلاء الرجال المخلصين المكافحين .. ونخص بالشكر رئيس الهيئة الاستاذ عبد المنعم مغربى ، على جهودهم المضنية وعملهم الخلاق .

فى ظل قيادة الزعيم المؤمن محمد أنور الســادات

وسوف تكون لنا لقـاءات مع مجموعة أخرى من القيادات الناجحة والتى حققت اسـهاما فعالا فى مجال الخدمات والانتاج والدعم الاقتصادى والاحياء الفكرى والادبى ودعم الصلات وتوطيد العلاقات بين جمهورية مصر العربية والامة العربية والاسلامية فى كافة المجالات من أجل اسناد الفضل الى ذويه .

منهج الإسلام في توجيه الشباب

■ فضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد ■

الاسلام الذى نعتنقه ونقر بمبادئه رسم المنهج السليم للفرد فى يومه وغده بل وفى مستقبل حياته . فالاسلام يدعو الانسان الى العمل الجاد المثمر ليرتقى فى مضمار الحياة ويتبوأ مكانته تحت الشمس ومن هنا نرى ان الاسلام خطط حياة الانسان ودعم منهجه فى الحياة بقيم ومبادىء لينطلق الفرد وهو موصول النفس برب العالمين الى العمل الذى فيه سعادته وسعادة امته . واذا كانت دور التعليم سوف تمنح شبابنا اجازة الصيف بعد أيام فلابد من توضيح الرؤية أمامهم وتبصيرهم بالانتفاع بالوقت الذى هو كالسيف ان لم يقطعه الانسان بالعمل الهادف والسعى الكريم فانه سيحاسب على هذا الوقت فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ونحن نعلم ان الزمن الذى يمر بالانسان فرصة للاحياء لان مرور الزمن يغضن الجباه ويطوى الاجال ويفنى الحضارات والليل يخلف النهار ورب العالمين لم يخلق ذلك عبثا .

فمن الحكم المأثورة انه [**مامن يوم ينشق فجره الا نادى مناد من قبل الحق : ياابن آدم انا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمنى وتزود منى بعمل صالح فانى لا اعود عليك الى يوم القيامة**] والله تبارك وتعالى عندما بين لنا ان بعض الناس نظرهم قاصر لا يقدرون خطورة الزمن وهم غارقون فى حاضرهم تلهيهم الدنيا بمباهجها وقد غفلوا عن الاخرة — والاخرة هو اليوم الذى يأتى عليك بعد اليوم الذى تعيشه — فقد جعل هؤلاء مأواهم النار لعدم استعدادهم بالعمل الصالح وتزودهم لهذا اليوم الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون — قال الله تعالى « **ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون** » ان الزمن يسير بالانسان وربما يخدع الانسان نفسه ويظن انه واقف بينما الزمن يجرى به .

وقد صور احد الشعراء ذلك فقال :

أشاب الصغير وأفنى الكبير
كر الغداة ومر العشى

وقال آخر :

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان

ان عمر الانسان رأس ماله الذى ينفق منه . فان هو بعثر واسرف ندم وضرب كفا بكف عندما يفنى رأس ماله هذا ويعض على أصابعه ويقول يا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد قادنى الى ضياع الوقت بلا فائدة ويندم ولن ينفعه الندم والرسول صلى الله عليه وسلم صور لنا هذا الموقف فقال : **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : « عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن عمله ماذا عمل به »** واذا كانت امتنا اليوم فى دور الانفتاح على العالم فهى فى حاجة الى جهد ابنائها وعملهم الدائب ليكونوا صورة صادقة للاسلام الذى يدعو الى العمل واتقانه . والامة لا تنهض الا بنشاط ابنائها . وشبابنا والحمد لله بخير ولكن يجب عليهم ان ينتفعوا بالوقت وان يحسبوا له حسابه وان يجعلوا كل دقيقة لها عمل مثمر ولا يظن أى فرد ان الايمان بالاخرة يعطل العمل فى الدنيا ويجعل الانسان مقيد مسجد أورث الهيئة فان كل هذا ليس من الاسلام فى شىء فان الاسلام عقيدة وعمل . مسجد ومصنع مصلى وشارع . مصحف وصنعه . ذكر لله وبيع وشراء . وان عمر بن الخطاب رأى قوما قابعين فى ركن من المسجد فقال لهم من أنتم فقالوا نحن متوكلون على الله فضربهم بدرته وقال : لا يقعدن احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم ان السماء لا

تمطر ذهبا ولا فضة .. وان الشباب هم اقدر الناس على العمل لان سواعدهم فتية وقلوبهم نشيطة . وان النجاح فى الدنيا مرتهن بقيمة ما يقدمه الانسان من عمل . ولابد ان يصاحب الشباب احساس بان الله سائله يوم القيامة عن شبابه فيم ابلاه والوقت نعمة ويجب عليه ان يقدم الشكر لله على تلك النعمة والشكر هو الانتفاع بهذا الوقت وقد قال عمر بن عبدالعزيز : ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما ولابد للشباب وهو يعمل ان يجود عمله ويتقنه ويبذل جهده لاحسانه واحكامه .ولن يكون هناك اتقان الا اذا شعر الانسان برقابة الله . والرقابة من العبد لله لن تكون على حقيقتها الا اذا مارس العبادات والتزم بها فى حياته . فان الوقت الذى يقضيه الانسان فى العبادة هو شحن لطاقة الانسان وتوليد لقوته وتجديد لنشاطه وصقل لنفسه ليعود الانسان بقوة جديدة ونشاط زائد . فالوقت الذى يمارس فى العبادة هو التجديد فى الطاقه ليكون هناك ابتكار واتقان فى العمل. يقول احد علماء الغرب من الاطباء [لعل الصلاة هى اعظم طاقه مولده للنشاط عرفت الى يومنا هذا وقد رايت بوصفى طبيبا كثيرا من المرضى فشلت العقاقير فى علاجهم فلما رفع الطب يديه عجزا وتسليما تدخلت الصلاه فابراتهم من عللهم .. بالصلاة يسعى الناس الى استزادة نشاطهم المحدود حين يخاطبون القوة التى لا يفنى نشاطها . اننا نربط انفسنا حين نصلى بالقوة العظمى التى تهيمن على الكون ونسالها ضارعين ان تمنحنا قبسا منها نستعين به على معاناة الحياه بل ان الضراعة وحدها كفيله بان تزيد قوتنا ونشاطنا . ولن تجد احدا ضرع الى الله مرة الا عادت عليه هذه الضراعة باحسن النتائج من كتاب الانسان ذلك المجهول للدكتور الكسيس كاذليل .

ان الشباب عندما يقبلون على اجازة الصيف لابد ان ترتسم امام اعينهم ان امتهم فى حاجة اليهم وبلادنا بلاد النيل العظيم « الذى لم يبخل بمائة » تربه تلك الارض فى حاجة الى سواعدهم القوية والصحراء فى حاجة الى عقولهم المفكرة ولابد لهم ان ينزلوا الى معترك الحياة ليكونوا ابناء بررة فهم احفاد ذلك الرجل العظيم « ابو الدرداء » صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرس شجرة الجوز وهو فى آخر ايام حياته وقد شاب شعره وانحنى ظهره فقال له أحد الناس : اتغرس شجرة الجوز وانت شيخ كبير وهى لا تثمر الا بعد كذا وكذا من السنين فيقول له ابو الدرداء . وماذا على ان يكون لى ثوابها ولغيرى ثمرتها وقول الآخر وكان يغرس شجرة الزيتون فلما سئل اتغرسها وانت شيخ هرم ؟ فيقول : « غرس من قبلنا فأكلنا ونغرس ليأكل من بعدنا » ان سنة الله فى خلقه ان يأخذ السابق من اللاحق وان يعين القوى الضعيف وان امتنا فى حاجة اليوم الى كل لحظة وكل دقيقة تمر على شبابنا الذين هم عصب الامة وعنوان مجدها والدم الذى يجرى فى عروقها ولقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زراعا وتجارا وصناعا متقنين . ولم يقعد بهم ايمانهم بالاخرة عن العمل للدنيا لان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لهم ان قامت الساعة وفى يد احدكم فسيله فان استطاع الا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها . ان هذا دعوة الى الجد والاجتهاد وعدم التهرب من المسئولية . كما انه ليس هناك خوف من احد الا لله . وبهذا الايمان يتفجر ينبوع السعاده فى قلب الانسان وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما حدد لنا سعادة الانسان فى دنياه فى حديث جامع قال فيه : « **من اصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** » فالانسان اذا اعطاه الله الصحة وتمسك بالايمان وقدم لامته الخدمة التى تبتغيها منه شعر بالرضا والاطمئنان . فياشباب اليوم وانتم تقبلون على اجازة الصيف . ان الوطن يتطلع اليكم لتعطوه وقت فراغكم ولا تنصرفوا الى اللهو الباطل واللعب الذي لا يعود بالفائدة عليكم ولا على امتكم فأروا شباب العالم من انفسكم خيرا وكونوا عنوان صدق لامتكم التى تصبح امالها فيكم واطرحوا الكسل وراء ظهوركم وشمروا عن سواعدكم واكشفوا عن مواطن النعمه فى بلادكم ولا يغرنكم بريق الحضارة الكاذبة فان الحضارة التى تسمعون عنها خيال فى خيال لان شبابهم هناك فقدوا السيطرة على انفسهم واغرقوا نهارهم فى الملذات وقضوا ليلهم بين اركان الحانات يصبون من المسكرات لينسوا همومهم والمشاكل التى تثقل كاهلهم . اما انتم ياشباب الاسلام فان عبادة الله وحسن صلتكم به ومراقبتكم له واداء الواجب لامتكم والانتفاع بالوقت كل ذلك مسكنات لنفوسكم فيه راحة بالكم وصدق الله العظيم « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم** »

ان على المسئولين فى اجهزة الشباب ان يخططوا التخطيط السليم لشباب هذا الجيل وان يقودوه بلطف وحكمة الى مزارعنا ومصانعنا وان يقدموا لهم الكلمة المقروءة الهادفة والكلمة المسموعة النافعة والصورة المرئية الكريمة حتى تسكن عواطفه وينقاد لكل ما يشده ويبتغيه من سعادة لنفسه وتقدم لامته ونهوض بمجتمعه .

بقيـــة مقـــال

فى الذكـــرى الرابعـــة لثـــورة التصـــحيح

أقام دولة العلم والايمان على تقوى من الله ورضوان ولقد احدثت حرب العاشر من رمضان اثارا بعيدة المدى في السياستين الداخلية والخارجية على حد سواء . . ففى الداخل فقد بدات مـرحلة التعمير والانفتـاح الاقتصادى واسترد المصريون ثقتهم بانفسهم وشاع الامـل والتفاؤل محل اليأس والقنوط .

اما فى الخارج فقد أعجبت الدول بهذا الانتصار الرائع وسعت لتقوية علاقاتها مع مصر واستثمار رؤوس الاموال بهـا وزيادة حجم التبادل التجارى معها وكل ذلك يساعد على تقوية الاقتصـاد المصرى وازدهـاره ويبشر برخـاء قريب . وبذلك بـدات مرحلـة جديـدة فى حيـاة الوطن والمواطن تحددت معالمها وظهرت فلسفتها فى ورقة اكتوبر التى قـدمها الرئيس السادات الى الامة دليلا للعمـل الوطنى حتى نهاية هذا القـرن فوافق عليها الشعب بالاجماع واصبحت هذه الورقة وثيقة رسمية من وثائق ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ترسـم للاجيال طـريق الامل والعمـل ومنهاج التقدم حتى لا تتخلف مصر عن ركب الحضارة الحديثة وتحقق أمجادا جديده تلائم أمجـادها الغابرة .

ومع ذلك فان المعركة مع العدو لازالت مستمرة حتى يتم تحرير الارض العربية المغتصبة وتعود فلسطين عربية كما كانت منـذ الازل ويعود المسجد الاقصى الى أهله بعد أن دنسته قوى البغى والعدوان وما ذلك على الله بعزيز » .

حقق الله الامال ـ على يد الرئيس المؤمن محمـد انور السادات والله ولى التوفيق .

ايثـــار الســـلام

●● النبى لصبره وحلمه ورحمته وعفوه وكرمه داعية الى السلام ، ومؤثر للوئام على الخصام ، وهو بتربيته القرآنية رسول سلام ومحبة ما وجد سبيلا الى سلام ومحبة ، فان لم تكن من الحروب مندوحة فليقابل القوة بالقوة ، ومن حضـه على الســلام .

ـ « افضل الصدقة اصلاح ذات البين » .

ـ « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا »

ـ « اقتتل أهل قباء حتى تراموا بالحجارة ، فاخبر الرسول بذلك ، فقال ، اذهبوا بنا نصلح بينهم » .

[بقية القرآن والأحرف السبعة]

قال قاسم بن ثابت ، ان قلنا من الاحرف لقريش ، ومنها لكنانة ولاسد وهذيل وتميم وضبة والفافها ، وقيس لكان قد اتى على قبائل مضر فى قراءات سبع تستوعب اللغات التى نزل بها القرآن . وهذه الجملة هى التى انتهت اليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل « الطارىء الفاسد » ويسرها الله لذلك ، ليظهر أنه تنبيه بعجزها عن معارضة ما انزل الله . ويثبت سلامتها انها فى وسط جزيرة العرب فى الحجاز ونجد وتهامة ، فلم تفرقها الامم .

وقيل : هذه اللغات السبع كلها فى مضر ، واحتجوا بقول عثمان : نزل القرآن بلسان مضر . قالوا : وجائز ان يكون منها لقريش ، ومنها لكنانة ، ومنها لاسد ، ومنها لهذيل ، ومنها لضبة ، ولطابخة ، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات وتزيد .

قال ابو عمر بن عبد البر : وأنكر آخرون كون كل لغات مضر فى القرآن لان فيها شواذ لا يقرا بها ، مثل كشكشة قيس ، وعنعنة تميم : فكشكشة قيس يجعلون كاف المؤنث شينا ، فيقولون فى « **جعل ربك تحتك سريا** » : ربش تحتش » وعنعنة تميم ويقولون فى « **أن** » عن فيقرأون « فعسى الله » عن يأتى بالفتح وبعضهم يبدل السين تاء ، فيقولون فى « الناس » : **النات . وهذه لغات يرغب بالقرآن عنها . وما نقل عن عثمان معارض بما سبق أنه نزل بلغة قريش : وهذا أثبت عنه : لانه من رواية ثقات أهل المدينة .**

وقد يشكل هذا القول على بعض الناس فيقول : هل كان جبريل عليه السلام يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات ؟ فيقال له : انما يلزم هذا ان قلنا : ان السبعة الاحرف تجتمع فى حرف واحد ، ونحن قلنا : كان جبريل يأتى فى كل عرضة بحرف آلى أن تمر سبعة .

وقال الكلبى : خمس منها لهوازن ، واثنتان لسائر الناس .

السابع : المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة ، بالالفاظ المختلفة نحو اقبل ، وهلم ، وتعال وعجل واسرع وانظر وأخر وامهل ونحوه . وكاللغات التى فى « اف » ونحو ذلك .

قال ابن عبد البر : وعلى هذا القول اكثر أهل العلم وانكروا على من قال : انها لغات ، لان العرب لا تركب لغة بعضها بعضا ، ومحال ان يقرىء النبى صلى الله عليه وسلم احدا بغير لغته . واسند عن أبى بن كعب أنه كان يقرا : « **كلما أضاء لهم مشوا فيه البقرة ٢٠** « سعوا فيه » و « مروا فيه » . قال : فهذا معنى السبعة الاحرف المذكورة فى الاحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث منهم سفيان بن عيينه وابن وهب ، ومحمد بن جرير الطبرى والطحاوى وغيرهم . وفى مصحف عثمان الذى بأيدى الناس منها حرف واحد .

وقال الزهرى : انما هذه الاحرف فى الامر الواحد وليست تختلف فى حلال ولا حرام . واحتج ابن عبد البر بحديث سلمان بن صرد عن أبى بن كعب قال : قرا أبى آية قرا ابن مسعود آية خلافها وقرا رجل آخر خلافهما فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : الم تقرأ آية كذا ؟ وقال ابن مسعود : الم تقرأ آية كذا ؟ فقال « كلكم محسن مجمل » وقال : يا أبى ، انى اقرئت القرآن فقلت : على حرف أو حرفين ؟ فقال لى الملك على حرفين . فقلت على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال : على ثلاثة هكذا حتى بلغ سبعة أحرف ليس فيها الا شاف كاف .

وقال ابو عمر : انما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التى نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها ، مختلف مسموعها . لا يكون فى شئ منها معنى وضده ، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافا ينفيه ويضاده كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضده .

وكذلك حديث ابى بكرة قال : جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ على حرف ، فقال : ميكائيل : استزده . فقال : على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده حتى بلغ الى سبعة احرف فقال : اقرأه فكل شاف كاف الا ان تخلط آية رحمة بآية عذاب . وآية عذاب بآية رحمة ، نحو هلم ، وتعال ، واقبل ، واذهب ، واسرع وعجل .

وروى عن ابن مسعود وابى بن كعب . انه كان يقرأ : « للذين آمنوا انظرونا » الحديد ١٣ « امهلونا اخرونا ، ارقبونا » و «كلما اضاء لهم مشوافيه » ومروا فيه « سعوافيه » البقرة «٢٠»

قال وذكر ابو عمر : الا ان مصحف عثمان الذى بأيدى الناس اليوم هو فيها حرف واحد . وعلى هذا أهل العلم .

قال : وذكر ابن وهب فى كتاب الترغيب من « جامعه » قال : قيل لمالك : اترى ان تقرا مثل ما قرأ عمر بن الخطاب : فامضوا الى ذكر الله» الجمعة ٩ قال : جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «انزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه » ومثل « يعلمون » و « تعلمون » ؟ قال مالك : لا أرى باختلافهم بأسا ، وقد كان الناس لهم مصاحف .

قال ابن وهب - سألت مالكا عن مصحف عثمان ، فقال لى : ذهب ، واخبرنى مالك قال : اقرا عبد الله بن مسعود رجلا : « ان شجرة الزقوم طعام الاثيم » الدخان ٤٣ و ٤٤ فجعل الرجل يقول « طعام اليتيم » فقال « طعام الفاجر » فقلت لمالك : اترى أن يقرأ بذلك قال : نعم ، ارى أن ذلك واسع .

قال ابو عمر : معناه عندى ان يقرا به فى غير الصلاة ، وانما لم تجز القراءة به فى الصلاة ، لان ما عدا مصحف عثمان لا يقطع عليه ، وانما يجرى مجرى خبر الاحاد ، لكنه لا يقدم احد على القطع فى رده .

وقال مالك رحمه الله فيمن قرأ فى صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة مما يخالف المصحف : لم يصل وراءه .

وقال : وعلماء مكيون مجمعون على ذلك الا شذوذا لا يعرج عليه منهم الا عثمان وهذا كله يدل على أن السبعة الاحرف التى أشير اليها فى الحديث ليس بأيدى الناس منها الا حرف زيد بن ثابت الذى جمع عثمان عليه المصاحف .

الثامن : ان ذلك راجع الى بعض الايات مثل قوله : « أف لكم » الانبياء ٦٧ - فهذا على سبعة أوجه بالنصب والجر والرفع ، وكل وجه : التنوين وغيره . وسابعها الجزم ومثل قوله : « تساقط عليك » مريم ٢٥ - ونحوه ويحتمل فى القرآن تسعة اوجه ولا يوجد ذلك فى عامة الايات .

قال : ابن عبد البر : واجمعوا على ان القرآن لا يجوز فى حروفه وكلماته وآياته كلها ان تقرا على سبعة أحرف ولا شىء منها ولا يمكن ذلك فيها بل لا يوجد فى القرآن كلمة تحتمل أن تقرأ على سبعة اوجه الا قليل مثل « وعبد الطاغوت » المائدة ٦٠ - « وتشابه علينا » البقرة ٧٠ و « عذاب بئيس » الاعراف ١٦٥ - ونحوه وذلك ليس هذا .

وقال الشيخ شهاب الدين ابو شامة : وهذا المجموع فى المصحف : هل هو جميع الاحرف السبعة التى اقيمت القراءة عليها ؟ أو حرف . احد منها ؟ ميل القاضى ابى بكر الى انه جميعها وصرح ابو جعفر الطبرى والاكثرون من بعده بأنه حرف منها ومال الشيخ الشاطبى الى قول القاضى فيما جمعه أبو بكر والى قول الطبرى فيما جمعه عثمان رضى الله عنه .

التاسع : اختاره القاضى ابو بكر ، وقال : الصحيح ان هذه الاحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الائمة ، واثبتها عثمان والصحابة فى المصحف واخبروا بصحتها ، وانما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا ، وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها اخرى ، وليست متضادة ولا متنافية .

العاشر : قول الطحاوى : ان ذلك كان فى وقت خاص لضرورة دعت اليه لان كل ذى لغة كان يشق عليه ان يتحول عن لغته . ثم لما كثر الناس والكتاب ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم السبعة وعاد ما يقرا به على حرف واحد .

الحادى عشر : حكاه عن الفراء انها من طريق التلاوة وكيفية النطق بها من اظهار وادغام وتفخيم وامالة واشباع ، ومد وقصر وتخفيف وتليين وتشديد .

وهذه الاراء فى مجملها للعلماء فيها ايضا آراء ولنا عليها وعلى آرائهم تعليق سوف يكون موضوعنا فى العدد القادم ان شاء الله . والله الموفق .

أعظم حوار ديموقراطي في الإسلام

الأستاذ ابراهيم مصباح

تأكد لدينا من خلال معطيات التاريخ الاسلامى ان اختيار الخليفة الاول قد تم بعد حوار ديموقراطى عنيف تاسست فى خلاله مبادىء سياسية هامة انتظمها دستور السياسة الاسلامية ليكون حكما للاجيال وللايام المقبلة .

ولم يرض الانصار ان يبايعوا اميرا من المهاجرين الا بعد أن انصهرت الاراء فى بوتقة الحوار ، وصار الاقناع والاقتناع هما الدافع الى الاخذ او الترك ، وليس الهوى او اتباع الشهوات .

واختار الناس ابا بكر رضى الله عنه ...

هل بايع الناس جميعا .. المسلمون جميعا .. صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشذ منهم احد ؟

لا .. فبئست الديموقراطية اذا كانت نتيجة الانتخاب اجماعا .. الى آخر الالوان الصارخة من ديموقراطيات الفاشست والنازيين ومن حذا حذوهم .

ان بعضا من الانصار قد رفضوا مبايعة أبى بكر رضى الله عنه .. وهذا الخبر الصحيح يعلى من قدر أبى بكر ، ومن قدر الرافضين ، ومن قدر الممارسة الديموقراطية فى صدر الاسلام .. حيث لا مساومة ولا مؤامرات ولا خوف ولا دجل .. وانما الكلمة طليقة بالقبول .. جهيرة بالرفض ولا حرية الا بالرفض والقبول .. على أن يكون ذلك الرفض وهذا القبول خالصين لوجه الحق الصراح ..

واذا كنا قد أوضحنا فى المقالين السابقين موقف الانصار من المهاجرين وموقف هؤلاء من أولئك ، فاننا اليوم بسبيل أن نتناول موقفا بارزا فى المهاجرين انفسهم ، ذلكم هو موقف سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه .. فعلى كان يعد نفسه لخلافة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويرى أنه أحق من غيره بالخلافة ..

ان ابا بكر حين حاج الانصار فى احقيته ذكر قرابة المهاجرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعلى يرى أن هذه الحجة مردودة على أبى بكر ، فمادامت القرابة من رسول الله هى التى اعتلت الحجج وانحنت لها هامات الارادات ... فان اقرب قريب الى النبى الكريم هو ابن عمه على ..

ولكن .. هل كان على هو الوحيد الذى انفرد برفض مبايعة الصديق ... ؟ الاخبار الصحيحة تقول لا ...

والفطرة السليمة تقول لا .. لانه من غير المقبول ان يكون الناس جميعا قد صبوا فى قالب واحد ، وخلصوا من بشريتهم وانطلقوا الى سلك الملائكة .. وهذا مجاف للفطرة السليمة كما نقول .. وذلك ما حدث حقا ... حيث ارتأت قبائل قريش وبطونها وافخاذها ان الخلافة أحق أن تكون فيهم ..

اجتمع بنو هاشم رهط النبى صلى الله عليه وسلم

الى على بن أبى طالب .. واجتمع بنو أمية الى عثمان ابن عفان ، وبنو زهرة الى سعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف .. وغيرهم وغيرهم كانوا فى المسجد الشريف مجتمعين ليوم الرئاسة والسلطان .. ويوم الامتحان والابتلاء ..

ويدخل عمر والصديق المسجد ومعهم ابو عبيدة ، ويدرك عمر السر فى اجتماع أولئك جميعا فيقول لهم بصوته الرائع العميق .. ايها الناس مالى اراكم مجتمعين حلقا شتى .. قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار .

وحديث عمر كما نرى لا يعدو ان يكون خطبة انتخابية قصيرة تحتوى على معلومات خطيرة .. فأنتم ايها الحاضرون لن تفوزوا بالبيعة الا اذا انضم اليكم الانصار واصوات الانصار وعهودهم ومواثيقهم قد انحازت الى أبى بكر الصديق .. ولاعودة فى ذلك ولا نكوص .. فمن المنطقى ان تكفوا وان تدخلوا فى بيعة من اجتمع عليه الانصار وزعيم خطير من زعماء المسلمين وهو عمر نفسه .

وازاء هذه الكلمات القليل عددها ، العميق معناها .. اقتنع المهاجرون بأن الخليفة هو ابو بكر الصديق .. وأن حسن الرأى فى اتباع العقل والزيغ عن الهوى والضلال .. هكذا بايع عثمان وسعد وابن عوف وغيرهم .. وبقى بنو هاشم رهط النبى كما قلنا يحتفظون لانفسهم بموقف خاص مستقل هو موقف الرفض ...

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصى المسلمين بحب آل البيت فان للحب ميادين كثيرة ولم يقل احد ان الحب يجب أن يقتصر على الولاء السياسى وعلى حصر الخلافة والقيادة فى أسرة النبى صلى الله عليه وسلم .. ولم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم أن اوصى لاحد بالخلافة ان تلميحا أو تصريحا .. حتى تتم نعمة الله على المسلمين ويكون امرهم شورى بينهم وليس فرضا لا مفر منه كصوم رمضان وعدد الصلوات ووجوب الزكاة .. الى آخر الفرائض ... وهذه النقطة بالذات .. عدم حصر الخلافة والقيادة فى أسرة النبى بحديث شريف او أمر كريم .. هى برهان ساطع بحقيقة النبوة وابتعادها عن سلطان الدنيا .. فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك القيادة لاهله بل تركها للمسلمين يولون من يرون ، سواء اكان من بيت النبوة او من خارجه .. فالسياسة تختلف عن الدين .. السياسة تيار متغير تؤثر فيه الاحداث ويؤثر فيها .. اما الدين فقد اكتمل بالرسول ، ولا خوف على الشريعة بعد ان ترك محمد صلى الله عليه وسلم كتاب الله وسنته الشريفة ..

هكذا نظر المسلمون الى القضية .. وهكذا شاءت اراده العلى القدير الا يختار الناس عليا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلو تم لك كانت أقرب شىء الى الوراثة .. نعم ان عليا ليس ابن النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه ابن عمه وزوج ابنته وحامل علمه ووزيره وسفيره .. واذا تم اختيار على انحصرت الخلافة فى بنى هاشم وخرج الاسلام عن كونه دينا الى اعتباره اداة منحت بنى هاشم دفعات الى الرياسة والريادة ما كانت قريش تسمح بهما الا رغم الانوف .

ولذلك فقد تمت بيعة الانصار للمهاجرين .. ولابى بكر بينما كان بنو هاشم مشغولين بتجهيز النبى صلى الله عليه وسلم كمصير كل جسد آدمى .. فلما شعروا على بأن الامر على وشك أن يخرج من يده ومن بنى هاشم جميعا اسرع الى المهاجرين والانصار يدعوهم الى مبايعته . واتى ابا بكر وهو يقول أنا عبد الله اخو رسول الله فقيل له بايع فقال أنا احق بهذا الامر منكم لا أبايعكم وانتم أولى بالبيعة لى . أخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبى صلى الله عليه وسلم وتأخذوه منا أهل البيت غصبا. ألستم زعمتم للانصار انكم اولى بهذا الامر منهم لما كان محمد صلى الله عليه وسلم منكم فأعطوكم المقادة وسلم الناس اليكم الامارة فاذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار نحن أولى برسول الله حيا وميتا فانصفونا ان كنتم مؤمنين والا فبوءوا بالظلم وانتم تعلمون .

قال عمر . بايع .. فقال على .. والله يا عمر لا اقبل قولك ولا ابايعه . فماذا قال أبو بكر وهو الذى بايعه الخلق جميعا .. : والله يا على ان لم تبايع فلا اكرهك ..

ونقف قليلا عند موقف ابى بكر .. فموقف على معروف .. وأسبابه التى يرفعها ليتبوأ مقعد الرئاسة واضحة وان كان الواضح ايضا ان مسعاه لن يكلل بنجاح منذ اعطى الانصار مواثيقهم لابى بكر ولا رجعة فى ذلك ..

نقف قليلا عند موقف ابى بكر ... انه يرى انه خليفة المسلمين ...

وليس خليفة العرب .. ولو لم يكن الاسلام ونبى الاسلام لكان من الجائز الا يسمع احد باسم الصديق خارج النطاق الضيق لام القرى .. اذن فالمجد لابى بكر والسؤدد جاء نتيجة للاسلام وسبقه ونصحه وتضحياته ومكانته من نبى المسلمين صلى الله عليه وسلم ...

فما الحال اذن وابن عم النبى يرفض بيعته .. أو بالتعبير السياسى الحديث يقف منه موقف الخصومة والمعارضة .. ولو كان المعارض من امية او بنى مخزوم أو تميم أو غير ذلك من قبائل قريش او غير قريش لكان الامر اهون .. ولكن قيادة المعارضة ولواءها تركز فى أسرة النبى صلى الله عليه وسلم وفى اقرب قرابة له .. ابن عمه وزوج ابنته فاطمة التى كان الرسول يجلها ويحبها ويدعو الى اجلالها وحبها وهى سيدة نساء العالمين ..
هناك اذن مأزق خطير لابد من الخروج منه حتى يصفو الجو ولكن صفاء الجو تعبير انتهازى فى دنيا السياسة .. وهو كثير الورود فى قاموس الديكتاتورية فى أشكالها المتعددة .. فحتى يصفو الجو يباح النفى والتشريد وغسيل المخ والقتل الفردى والجماعى والتعذيب حتى الموت والجنون ..

ومعتنقوا الحرية يعرفون ان صفاء الجو هو فى التسليم بالمعارضة وقوتها وشرعيتها واتاحة الفرصة لها لتعمل فى النور وتقول كلمتها بمختلف وسائل القول والاعلان والاعلام .. لان الاحرار لا يضيقون بالرأى المعارض .. ولا يلتمسون الوسائل لخنقه ولا يعلنون عن حرية التنفس ويبتكرون فى اصباح التالى وسائل جهنمية جديدة للخنق والسكت .. ان للمعارضة كل الحق فى الحياة وفى التعبير ..

ولكن ابا بكر تربى فى مدرسة الصحراء .. حيث يجهر العربى برأيه شامخا ويسمح له بذلك .. ثم تخرج فى جامعة عليا هى جامعة الاسلام ، فانارت قلبه وثبت لديه مفاهيم الحب والحق والجمال .. والحرية هى نتاج كل نبيل متوازن فى الحياة .. اذن فلا مؤامرات لعلى .. ولا اكراه لعلى .. بل هو حر فى أن يقبل ابا بكر خليفة .. وهو بمثل ذلك حر فى ان يرفض بيعته .. بل واكثر من ذلك هو حر فى أن يدعو الناس لاختياره ونبذ الخليفة المنتخب ..

فاذا بهرتنا الديموقراطيات الراسخة فى أوربا وأمريكا وقلنا هكذا تكون الديموقراطية .. فينبغى أن نتذكر مولد الدولة الاسلامية والحوار الديموقراطى العظيم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتقاله الى الرفيق الاعلى .. وكيف أن الساحة قد امتلات بالاصوات الجهيرة التى تطلب الرئاسة رغبة فى خدمة المسلمين او تطلبها حبا فى الرئاسة ذاتها ولرفعة القبيلة.. وتحت سمع وبصر الخليفة المسئول المنتخب تتحرك قوى المعارضة بكل اسلحتها.. وما ابسط اسلحتها ولكن ما اعظمها وما أروعها ان سلاحها هو حب الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولال بيته رضوان الله عليهم ، يردف عليا فاطمة رضى الله عنها .. على دابة لهما ، ثم يغشى نوادى الانصار ويحدثهم بحقه فى الخلافة وبأنه أحق من الخليفة ابى بكر .. ويورد أسبابه التى اوردنا من قبله .. فيرد عليه الانصار .. واين كنت ياعلى يوم السقيفة .. والله لو قلت ماتقول الان مارضينا بك بديلا .. ثم يقولون لفاطمة رضى الله عنها : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مضت بيعتنا لابى بكر ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابى بكر ماعدلنا به احدا .. فيقول على كرم الله وجهه .. افكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس سلطانه ولا ندرى كم مرة تحدث على وفاطمة الى الانصار ولكن الذى لا شك فيه أن احدا لم يعترض طريقهما ولا حبس ارادتهما .. وبقى على على موقفه معارضا بحبس بيعته عن ابى بكر ، والخليفة يحترم هذه المعارضة ولا يسعى لاخمادها بالقهر أو بالرشوة .. بل انه لم يساوم وكان فى امكانه ان يفعل ذلك .. حين ارادت فاطمة رضى الله عنها ان ترث بعض ما ترك الرسول من متاع قليل ... فأبى الصديق لانه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا يقول : « لا نورث .. ماتركناه صدقه » ولو اراد اسكات المعارضة لسلك ذلك السبيل الهين ، ولكن **ليست قامة الصديق المديدة بالتى تنحنى أمام مغريات الدنيا ومنطق الحق .. رغبة فى الانفراد والصولة .. ولكنه يخط بسلوكه تجربة خطيرة فى الفكر السياسى وأصول الحكم .**

« للحديث بقية »

السرايا والغزوات الأولى

الأستاذ عبد المنعم حمادة

لا يخلو طريق النبوة من بعض العقبات التى لا يمكن فى الواقع أن نطلق عليها وصف العقبات الا من باب التجاوز ، فان العقبات التى تعترض طريق النبى — صلوات الله وسلامه عليه — مهما عظمت فلن تقوى على الوقوف فى هذا الطريق لتحول بين صاحب الرسالة وبين مايريد ان يحققه بأمر من الله سبحانه وتعالى ، فهذه العقبات وان كثرت وتعاظمت فلن تكون فى نظر النبى شيئا مذكورا . لانه سرعان ما يتخطاها ويتغلب عليها ويبنى على انقاضها ما يامل فيه من نجاح وانتشار لدعوته .

ولذلك فسوف نطلق على هذه العقبات التى تعترض طريق النبوة وصف السحب التى سرعان ما تنقشع ليبدو الجو اكثر ضياء . ولقد حدث ان اعترضت بعض السحب طريق نبينا المصطفى — صلوات الله وسلامه عليه — فلم تثنه عن عزمه او تحول بينه وبين ما يطمع فى تحقيقه من تبليغ الرسالة التى كلف بابلاغها الى الناس كافة .. حدث هذا للنبى محمد فمن انكار لدعوته . الى الوقوف فى وجهها لمحاولة القضاء عليها . الى الاساءة اليه شخصيا . والى اتباعه الذين آمنوا بدعوته وعرفوا الحق فاتبعوه الى التهجم عليه ومحاولة فتنته ، بل ومحاولة قتله ، واخيرا وبعد أن فشلت كل المحاولات تجمع الكفار أمام بيته ليضربوه ضربة رجل واحد فيضيع دمه هدرا بين القبائل ، غير ان العلى القدير ينجيه من تلك المؤامرة الدنيئة فيهاجر من مكة الى المدينة ليجد الارض الخصبة التى تنبت فيها الدعوة وتترعرع وتؤتى ثمارها شهية .

وفى المدينة لم يخل طريق الرسول الامين من بعض هذه السحب القاتمة التى حاولت ان تعرقل سير الدعوة ، غير أن النبى أضطر فى اول الامر ، وقبل أن يؤذن له بالقتال ، أن يبعث ببعض السرايا حول المدينة وعلى أطرافها لتهديد قريش ، واعلامهم بأنه واقف لهم بالمرصاد منتبه الى كل محاولة للنيل من رسالته . فلما سمح له بالقتال قام ببعض الغزوات ليحارب أهل الكفر والعناد ، وليقاتل المشركين حتى لاتكون هناك فتنة ويكون الدين كله لله ، ويهمنا فى حديث هذا الشهر أن نتناول الموضوع من ناحية السرايا والغزوات فى حياة النبى المصطفى — صلوات الله وسلامه عليه .

وبدأ محمد فى المدينة يعد العدة لبعض المناوشات التى قصد بها فى اول الامر ان يرهب العدو ، ويختبر مدى قوته واستعداده للقتال ، وفى سبيل هذه الغاية ارسل محمد فى السنة الثانية من الهجرة بعض السرايا التى تختلف عن الغزوات ، فالسرية هى التى لم يكن يخرج فيها الرسول — صلى الله عليه وسلم — اما الغزوة فهى التى خرج فيها واشتبك مع العدو فى قتال او لم يشتبك ..

والتفسير الصحيح للنظرة الفنية لهذه السرايا من الناحية الحربية يتلخص كما يقول اركان الحرب محمد عبد الفتاح ابراهيم فيما يأتى : الواقع ان التقدير الصحيح لهذه السرايا هى انه قصد بها اساسيا :

١ — اعداد قوات تطوف مابين المدينة ومكة ، حتى لاتؤخذ المدينة على غرة.

٢ — العمل على الاقتراب من عقر دارها باغارات صغيرة سريعة تعمل على خطوط مواصلات قريش الى الشام وبذلك يستطيع المسلمون ان يحصلوا من قريش على السبق فى العمل ، وهو عامل لازم فى الدفاع الهجومى ، عدا ان رجال قريش سيرهبون جانب المسلمين .

وتنفيذا للسياسة التى ارتاها الرسول الكريم وجه عددا من السرايا فى اوقات مختلفة لعدد من الجهات عله يقف منها على راى واضح فيما يمكن ان يضعه من خطة يبنى عليها سياسته لمستقبل الايام ، وليس من شك فى ان التخطيط السليم لكل عمل يراد القيام به هو الخطوة الاولى لنجاح هذا العمل .

وليس من شك فى ان هذه السرايا قد قامت بالواجب عليها على احسن ما يكون القيام ، وادت عملها على خير وجه ، وحققت الغاية ، فقد اقضت مضاجع قريش ، وتركتها مفزعة على أموالها بالليل والنهار ، تحاذر المسلمين وتخشاهم على تجارتها فى الذهاب والاياب ، حتى لقد جعلت تزيد فى حراسة قوافلها منذ استقر المسلمون بالمدينة ، وتسللت بها طرقا غير مالوفة ، وتضرب فى متاهات الصحراء ودروبها الوعرة ، وفى ذلك ما فيه من خسارة ومشقة .

ويمكن ان نجمل هذه السرايا فى اختصار فيما يأتى :

كانت السرية الاولى فى رمضان من السنة الاولى للهجرة .. بعث بها رسول الله وعلى راسها حمزة بن عبد المطلب فى ثلاثين من المهاجرين ، واتخذت طريقها حتى وصلت البحر من ناحية العيص ، وتقابل حمزة مع قافلة لقريش فى ثلاثمائة راكب ، ولم يقتتل الفريقان فقد حجز بينهما مجدى بن عمرو سيد جهينة .

وكانت السرية الثانية فى شوال من نفس السنة ، خرجت بقيادة عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان تعدادها ستين راكبا من المهاجرين .. بينما كان المشركون فى مائتين بقيادة ابى سفيان ابن حرب ، الذى التقى بالمسلمين عند وادى رابغ ، وتراشق الفريقان بالنبل ولم يقع بينهما قتال .. وفى هذه السرية فر من المشركين اثنان هما عتبة بن غزوان ، والمقداد بن الاسود ، وانضما الى المسلمين ، وكانا قد اسلما من قبل

وكانت السرية الثالثة بقيادة سعد بن ابى وقاص الذى خرج فى عشرين من

المهاجرين ليعترض عيرا لقريش غير ان العيرفاتته ، وكان ذلك فى ذى القعدة من نفس السنة .

وكانت السرية الرابعة هى سرية عبد الله بن جحش ، وتعتبر هذه السرية اهم السرايا لما احدثته حولها من ضجة واثارته بين المسلمين من جدل ، وما انزله الله بسببها من قرآن كريم ، اراد ان يحسم به كل خلاف ، وان يبقى على وحدة الكلمة بين المسلمين ، وان يبقى على الاخاء والتآلف بينهم ..

ونأتى هنا على اخبار تلك السرية ملخصا مما قال ابن اسحاق فى «سيرة النبى » :

« بعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدى فى رجب ، مقفلة من بدر الاولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الانصار احد ، وكتب له كتابا ، وامره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه : فيمضى لما امره به ولايستكره من اصحابه احدا .

« فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه ، فاذا فيه : اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من اخبارهم ، فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال : سمعا وطاعة ، ثم قال لاصحابه : قد امرنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، ان امضى الى نخلة ارصد بها قريشا ، حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى ان استكره احدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فاما انا فماض لامر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف منهم احد غير سعد بن ابى وقاص ، وعتبة بن غزوان ، اللذين كانا يتعقبان بعيرا لهما فضل الطريق متخلفا من الركب .

وهنا يقول الدكتور على حسنى الخربوطلى : « ومضى عبد الله بن جحش فى طريقه حتى نزل مع رفاقه فى نخلة ومرت بهم عير لقريش عليها عمرو بن الحضرمى . »

كان ذلك هو آخر ايام رجب ، وتشاور المسلمون فيما يفعلون ، فقال احدهم : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، وتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم تشجعوا عليهم واجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم واخذ ما معهم ..

وانتهى الامر بمصرع عمرو بن الحضرمى واسر رجلين من قريش ..

وعزل ابن جحش خمس الغنائم للرسول — وذلك قبل ان يفرض الله تعالى الخمس من الغنائم — وقسم باقى الغنائم بين اصحابه ، وعاد المسلمون باسيريهم وغنائمهم الى المدينة ، فقال الرسول لهم :

« ما امرتكم بقتال فى الشهر الحرام» وابى الرسول عليه الصلاة والسلام ، ان يأخذ من الغنائم شيئا .. ويصف ابن هشام احوال افراد هذه السرية بعد عودتهم فيقول : « فلما قال ذلك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سقط فى ايدى القوم ، وظنوا انهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا » ، وانتهزت قريش الفرصة فقالت : « قد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم ، واخذوا فيه الاموال ، واسروا فيه الرجال » ودافع المسلمون بمكة عن اخوانهم المهاجرين فقالوا : « انما اصابوا ما اصابوا فى شعبان » ، واستغل اليهود هذه الفرصة للاساءة الى المسلمين » . وليس من شك فى انهم كانوا يترقبون اى فرصة لمهاجمة المسلمين .

وكثر الجدل بين المسلمين ، وطال النقاش ، وكثر التساؤل عن كيفية الخروج من هذا المأزق الذى وجدوا فيه انفسهم ، الى ان حسم الموقف نزول الايات الكريمة فى سورة البقرة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » . عند ذلك اطمأن المسلمون على عقيدتهم ، وعلى اتجاههم ، وراحوا يباشرون اعمالهم العادية اكثر ثقة وايمانا بانفسهم ، واكثر اصرارا على اتباع اوامر رسول رب العالمين ..

والذى لاشك فيه ، ان هذه الحادثة وما انتهت اليه من دفاع القرآن عن المؤمنين قد بعثت الحقد والالم فى نفوس الاعداء من قريش ، واليهود الذين حالفوهم ضد الرسول واصحابه ، والذين ارادوا ان يستغلوها فرصة للوقيعة والفتنة ، فخاب املهم كما خاب سعيهم فى مواقف كثيرة .

ويلاحظ ان جميع افراد السرايا الاولى كانوا من المهاجرين دون الانصار لانهم هم الذين اخرجوا من ديارهم ، وتحملوا متاعب الهجرة وآلامها ، واوذوا فى انفسهم واهليهم ، واموالهم ، وممتلكاتهم وهم لذلك اصحاب الثار من قريش .. ويلاحظ كذلك ان هؤلاء الافراد كانوا يخرجون فى نظام دقيق ، ووفق خطة محكمة لم يكونوا قد اعتادوا مثلها قبل الاسلام .. وكانت تجمعهم قيادة واحدة ويحاربون من اجل عقيدة راسخة تملأ قلوبهم بالقوة والايمان واملا فى الغلبة والنصر .

والى جانب هذه السرايا التى ذكرنا بعضها والتى لم يكتف الرسول بازعاج المشركين بها ، وارهابهم بوقفات رجالها الصلبة فى وجه الاعداء ، بل سير بعض الغزوات التى خرج بنفسه على راسها لاشعار قريش وحلفائها باهميتها بالنسبة لدعوة التوحيد التى ينادى بها ، ويجاهد من اجلها ، ويمكن ان نشير الى اهم هذه الغزوات فيما يأتى :

● كانت غزوة ودان هى الغزوة الاولى : وهى غزوة الابواء ، ويقول ابن اسحاق فى سيرة النبى : « كان يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذى وادعته منهم عليهم مخشى ابن عمرو الضمرى ، وكان سيدهم فى زمانه ذلك ، ثم رجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة ، ولم يلق كيدا ، فاقام بها بقية صفر وصدرا من شهر ربيع الاول . » ، وقد ذكرناها فى مقدمة الغزوات ، وان لم تكن اكبرها باعتبارها اول غزوة غزاها النبى ، صلوات الله عليه وسلم .

● ثم كانت الغزوة الثانية فى شهر ربيع الاول ، حيث خرج يريد قريشا بعد ان استعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون ، وقد استمر رسول الله فى سيره حتى بلغ بواط من ناحية رضوى .. ويقول ابن اسحاق :

« ثم رجع الى المدينة لم يلق كيدا ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى » .

● ثم كانت الغزوة الثالثة التى استعمل فيها النبى على المدينة ابا سلمة ابن عبد الاسد ، ثم اتخذ طريقه من مكان الى مكان ، يصلى عند احدها ، ثم يصنع له مكان آخر ، ثم يتجه الى مكان ثالث يستقى له من ماء به فيأكل ويأكل الناس معه ، واستمر كذلك حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ، فاقام بها جمادى الاولى وليالى من جمادى الآخرة ووادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ، ثم رجع الى المدينة ، ولم يلق كيدا .

● ووقعت بعد غزوة سفوان التى يقول عنها ابن اسحق : « ولم يقم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة الا ليالى قلائل ، لا تبلغ العشر ، حتى اغار كرز بن جابر الفهرى على مسرح المدينة ، فخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى طلبه ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثه » .

قال ابن اسحاق : حتى بلغ واديا ، يقال له : سفوان ، من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه ، وهى غزوة بدر الاولى ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة ، فاقام بها بقية جمادى الاخرة ، ورجب وشعبان .. الى ان كانت غزوة بدر الكبرى التى تعتبر بحق اول معركة كبرى يخوضها المسلمون ضد اعداء ضخمة من المشركين اعداء الاسلام ، والتى تعتبر موقعة فذة فريدة انتهت الى نتائج لم تكن مأمولة منها ، كما لم تكن الاسباب التى توفرت لها توحى بتلك النتائج ، وبعدها ارتفعت راية المسلمين عالية ، واصبحت للاسلام سطوة رهيبة يعمل لها الف حساب .

حقيقتان لم تخف واحدة منهما على احد من المسلمين ، فاما الاولى فموقفهم الذى اصبحوا عليه ، وصاروا اليه من وحدة الكلمة ، والقوة المتماسكة ، والقيادة الواعية ، والتنظيم المحكم ، والصلابة فى الحق ، والتمسك بالعقيدة والهيبة التى اصبحت ترتجف امامها مجموعات الاعداء .. كل ذلك زاد المسلمين حرصا على تحقيق الاهداف التى يدعو اليها الرسول الكريم — صلوات الله وسلامة عليه — وجعلهم اكثر رغبة فى الجهاد لنصرة الحق والدين واكثر شوقا للتضحية والفداء للفوز بما وعد به الحق تبارك وتعالى فى قوله فى سورة الانفال ، : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

واذا كان الموقف الذى اصبح عليه المسلمون وصاروا اليه ، قد بعث فى قلوبهم القوة والحمية ، فانه من ناحية اخرى قد بعث الفزع فى قلوب قريش كما اثار فيها القلق على تجارتهم وقوافلهم فى طريقها الى الشمال ، كما حمل اليهود على التفكير فى مصيرهم ، وماقد تأتى به الايام من ازدياد باس المسلمين واشتداد ساعدهم ، كما دفعهم الى الخوف على مكانتهم ، وماقد يتعرضون له من منافسة المسلمين لهم على الزعامة الدينية فى الجزيرة العربية باعتبارهم اصحاب كتاب سماوى .. لقد دفع الخوف والقلق اليهود ومن حالفوهم الى التشكيك فى رسالة النبى ، والى عداوة محمد واصحابه والى الكيد لهم بكل الوسائل . يقول الدكتور على حسنى الخربوطلى فى كتابه الرسول فى المدينة ، صفحة ٦١ :

بدأ الصراع بين العرب واليهود ، وكان بنوقريظة وبنوالنضير اكثر القبائل اليهودية عداء للعرب ، مما اضطر العرب للاستنجاد باخوانهم فى العروبة وهم العرب الغساسنة المستقرون فى امارة لهم بالشام على اطراف الدولة البيزنطية ، ولبى الغساسنة نداء القومية العربية ، وهرعوا يقفون الى جانب اخوانهم عرب يثرب فى صراعهم مع اليهود .

وادرك اليهود ان خير وسيلة يتغلبون بها على العرب ، هى القضاء على ذلك الاتحاد الوثيق الذى لمسوه بين قبيلتى الاوس والخزرج ، فبداوا سياسة الدس والوقيعة بين القبيلتين ، ونجح اليهود فيما سعوا اليه ، فبدا العداء بين القبيلتين ، مما بدد قوتهما واضعف موقفهما ضد العدو المشترك ، اى اليهود وقد فطنت القبيلتان الى ما يراد بهم وكان اليهود يحالفون القبيلة المهزومة على المنتصرة ، حتى تضعف شوكتها وتمنع تسلطها ، فيحتفظون من دون القبيلتين بالسيادة واحتكار الموارد الاقتصادية .

واما الحقيقة الثانية ، فهى ان ما تعرضت له الدعوة الاسلامية وما قابل الرسول من عقبات ، انما يرجع كله تقريبا الى محاولات اليهود ، ومافعلوه فى سبيل النيل من الدعوة والداعى ، وما فكروا فيه من عراقيل ، وما اثاروه من فتن .. والتاريخ اكبر شاهد على انهم كانوا وراء جميع الحركات التى قامت فى وجه المسلمين ، وحاولت ان تعرقل تقدمهم ، وتمنع انتشار دعوتهم ، وتحول دون تأييد الناس لها .. ان الحقد والضغينة والكراهية التى تملأ قلوب اليهود ، هى التى دفعتهم الى ان يبداوا عداوتهم للاسلام منذ ظهوره ، ومنذ احسوا الخوف من انتشاره يوما بعد يوم ، ومنذ ان شعروا بازدياد عدد الذين ينضمون الى لواء محمد . وقد راحت هذه الكراهية والعداوة وهذا الحقد تقوى جميعها فى قلوبهم ، وتملأ نفوسهم حتى باتت تؤرقهم فى الليل ، وتشغل تفكيرهم فى النهار ، وحتى راحوا يبحثون عن الوسائل التى تمكنهم من الانتصار على الاسلام والمسلمين ..

لقد لجأ اليهود الى كل الحيل ، وتذرعوا بكل ذرائع الغش والخداع ، غير ان الله كان من ورائهم محيطا بكل دسائسهم ، ومؤامراتهم ، وسوف يكون مع العرب الى يوم الدين : «ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

ان الحرب بيننا وبين اسرائيل لم تنته حتى الان ، ولقد كان النصر حليف العرب فى جولة العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ السادس من اكتوبر ١٩٧٣ . ويجب ان تعلم اسرائيل ان ابطال العبور ، وتحطيم خط بارليف ، والقضاء على مئات الدبابات الاسرائيلية فى صحراء سيناء ، والذين ذاقوا حلاوة النصر ، والذين شدوا انتباه العالم كله الى قوة وصلابة المحارب المصرى والعربى .. هؤلاء الابطال لن يرضيهم او يشفى غليلهم غير النصر النهائى ، يوم يتحقق املهم فى استعادة كل شبر من ارضهم ، اليوم الذى يرفعون فيه اعلام العزة والكرامة على كل بقعة من هذه الارض الطاهرة التى دنسوها باعمالهم ومخازيهم .. اليوم الذى يسترد فيه الفلسطينيون حقوقهم المشروعة ، ويعودون مرفوعى الرءوس والهامات الى ديارهم واهليهم ، هذا اليوم هو يوم النصر الحقيقى الذى لا يرضيهم بغيره بديلا .

لقد احصينا على اسرائيل غدرهم ، وخياناتهم ، ومكرهم ، ونقضهم للعهود طوال سنوات التاريخ .. والعاقل من اتخذ من الماضى عظة وعبرة للمستقبل . فليحذر بنو اسرائيل غضبة العرب .. انها سوف تكون وبالا عليهم باذن الله . لقد وعد الله المؤمنين بالنصر فى قوله :

وانما النصر من عند الله » « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » .

وبعد فهذه السرايا والغزوات الاولى التى بعث بها الرسول الكريم او قام بها بنفسه كانت ، بعض السحب التى صادفت طريق النبوة لتعرقل مسيرة الدعوة غير ان الله العلى القدير الذى وعد المؤمنين بالنصر والتأييد كان من وراء المسلمين يمدهم بالايمان القوى ، والعزيمة الصادقة ، والقوة الهائلة التى لم تستطع جحافل الكفار والمشركين والمناوئين للدعوة ان تمنع التقدم السريع الذى لازم رسالة نبينا المختار التى انتشرت فى البلاد شرقا وغربا خلال سنوات قليلة ، ومازلنا حتى الان ، وبعد مضى ما يقرب من اربعة عشر قرنا من الزمان نطمع فى النصر والتأييد الذى طمع فيه المسلمون الاولون بفضل وحدة الكلمة ووقوفنا صفا واحدا وراء القيادة الرشيدة التى تخطط للمستقبل المشرق الوضاء .

والله ولى التوفيق ..

أرادها الصهاينة فتنة فكانت ألفة!

فضيلة الشيخ فراج أحمد دردير

قضية الحاضر مواجهة بين حق وباطل ، عدة الحق فيها العدل والوحدة والغيرة والشهامة ، أما الباطل فانه يلجأ الى الخديعة والمكر وبذر بذور الشقاق بين الاشقاء ، والتخلخل بين الصفوف كلما لمح خللا . راى لنفسه أطماعا طائشة لا يملك عليها دليلا فاستعاض عنها تلك الدروب المعوجة ، والمسالك الخبيثة ، اوقعتهم خطاياهم الاولى فى سخط الله ففرقهم قطعا متناثرة فى زوايا الارض ، وأساءوا العشرة لكل من استضافهم بالكيد البعيد والاستنزاف الشديد حتى ضاق بهم ذرعا فضاقت عليهم الارض بما رحبت ، وتخيلوا دولة تجمع شتاتهم وتبعدهم عن مواطن الكراهيه ، فأبعد بهم الخيال ، وتذكروا الارض التى بعث فيها موسى ، واذن فهى لهم ومن حقهم ، ولم يفكروا فى أن هذه الارض عمرها أقوام من عشرات القرون وصاروا أحق بها وأهلها ، كما لم يتذكروا أن تفرقهم هذا لم يكن الا نهاية لتمردهم على نبى الله موسى الذى يطالبون اليوم بميراثهم فيه بعد زمن اختفت فيه علامات التوريث ، ثم برروا اغتصاب الارض من سكانها ، والايغال فى التعذيب والقتل والتشريد والتنكيل ، مادام يساندهم وعد منهم ، ونصوص اخترعوها ، ونسبوها ظلما الى الدين ، وقد وجدوا السواعد الممتدة والمعونة المستمرة من كل من يريد التخلص منهم ولو بالقائهم فى السعير .

والعربى يأبى النسيم ، ويسارع الى اغاثة المظلوم ، ويقدم ما له وولده وروحه فى دفع العدوان ، يقض مضجعه ما يترامى الى سمعه من أهوال وصعاب يتعرض لها أخوه فى الوطن السليب ، ويتحرق فؤاده غيظا وألما كلما دنست تلك البقاع المقدسة ملتقى الانبياء ، ومنابت كثير من الرسالات ، ولكنه وهو القوى بايمانه ، المستند الى قويم حجته ، المعتز بكثرة نفره ، المشغول بقضاياه يصبر على البلاء قليلا لعل المتطرف يعود الى صوابه ، أو العالم المتمدين يضرب على يد العدوان ، ولكن الناس فى غفلة ، والشر يستشرى ، والاطماع تتزايد ، والامر يحتاج الى علاج مما يؤمن به سكان الغابة ، فاذا أسود العروبه تزأر ، واذا الابطال تتسابق فى الجهاد على أرض سيناء والجولان قوتها فى ايمانها ، وعدتها عدالة قضيتها ، لا يعنيها أن تمطر السماء لهيبا ، أو تتفجر الارض زلازل وبراكين ، أو تتحول المياه نارا وحديدا ، وحول هذه العزمة الصادقة ، والجولة الظافرة تجمعت الصفوف العربية ، وتألفت القلوب ، وهانت التضحيات ، وصارت هذه الالوف المؤلفة يدا واحدة ورأيا واحدا ، نعز جانبها ، وسرت فى جوانب الارض هيبتها ، وأصغى سمع الزمان الى صوتها ، وأيقن الغافلون أن فى ثنايا الرماد وميض نار ، لا يلبث أن يضرم كل خبيث ، وأن كلما أعده الانسان فالانسان اقوى منه .

حقا أن الوحدة سلاح فعال ، وقوة قاهره لم تخذل حدا ممن انضم تحت لوائها أبدا ، والحميا العربية ملتهبة وأمام هذه القوة وما نتج عنها يقف العالم مبهوتا ، والعدو مبهورا ، ولا مناص له الا المخادعة فى الاستجابة والتظاهر بالاستكانة ، قد سيطر عليه ما جبل عليه من جبن دفين يصوره القرآن الكريم حين يقول « **لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من**

وراء جدر » . فان كان لا يستطيع المقاومة فليركن الى المناورة والمساومة مترقبا فرصة التسلل ، متربصا سانحة الفتنة ، متطلعا الى ما عرفه عن العربى من عزة واعتزاز بالرأى ، ومن هذه الناحية قد يستطيع النفاذ الى اقناع فئتين من خصومه برأيين متعارضين ، لا يتعفف فى الوصول الى هذه الغاية من أى طريق ، تضليل ، خداع ، كذب ، اختلاق ، ينشره مقروءا او مسموعا ، بصفة شخصية أو رسمية ، كل ذلك لا يعنيه مادام يوصل الى تحطيم الصخرة العاتية التى ترهبه وتهز من كيانه ، صخره الوحدة واجتماع الكلمة ، حتى ظن أنه أشعل الفتيل ، وبدت بوادر ما تمنى ، تملكه الغرور من جديد ولمعت آماله وراء هذا السراب ، وتمنع فى المحادثات ، وأطال فى الجدل ، وتمنى المستحيلات ، ولو أجيب اليها لاوغل وراء المستحيلات فى التعقيدات ، لا يسمع لحق ، ولا يصغى لانصاف ، يستوى فى ذلك العدو والناصح ، الخصم والصديق ، كيف يستجيب وهو الذى يرى فى مجهره دخانا ، وهو القدير على تحويله الى سعير ، لقد بدت بوادر فتنة وهو الكفيل أن يخب فيها ويضع ، وعندئذ تشتد الفرقة ، ويكفى نفسه شر موقعة تحولت حرابها من نحره الى نحور خصومه يقتل بعضهم بعضا ، ويهدم الاخ ما بناه أخوه ، ولكن ارادة الله شاءت أن يكون حتفه فى حفره ، وأن يرجع سهمه الى نحره فما كاد يحطم محاولة السلام بعنته وغروره ، حتى أدرك العرب جميعا ما يراد بهم ، وعادوا الى طبيعتهم من الاصالة وحسن التقدير ، وان كان صهيون أراد أن يستغل طبيعة الاعتزاز فقد غفل عن الطبيعة الاخرى وهى العراقة التى تجمعهم عند الشدائد ، وتؤلف بينهم ضد المكايد ، شدة النزعة والاستمساك بالرأى صمامها قوة الايمان ، ورابطة اللسان ، وهوى صمام يطوى صحائف الجدال والفرقة ، ويثبت دعائم التضامن والارتباط ، ويحيى أواصر القربى ، لا يشذ عن الجماعة الا مأفون لعب بعقله بريق شهوة عاجلة لا وزن لها ولا اعتبار ، حجب عقله وراءها حتى لا يرى المصلحة العليا ، والكيان العام الذى لايعدوان يكون لبنة فيه ، وأقرب مثل لذلك تلك اليد الاثمة التى امتدت الى ملك عظيم ، ورجل تعتز به العروبة والاسلام ، لم يقدر جلال الهدف ، ولا رابطة القربى ، ولا دقة الظروف . والانباء تشير الى رغبة فى بسط اليد بالانفاق ، قد يحد منه فى نظره ما يبذله ذلك الملك الكبير فى صرح المجد والعزة مما يحرمه من بعض المتاع ، ولو تأمل قليلا لوجد أن المتاع كله لا يأتى الا فى ركاب العزة وارتفاع السلطان ، هذا وأمثاله نفر قليل مفتون ، لا يلبث بعون الله أن يهتدى الى الصواب ، ويسير فى الركب ، فان وحدتنا ليست مفتعلة أو مصطنعة ، ولكنها تقوم على أساس مكين من اللغة والعقيدة ووحدة الهدف ، فلغتنا العربية دائبة العمل على نظم أبنائها فى سلك من التقارب والتجاوب ، عاشت مع الاعراب فى وقت تفرقوا فيه فى أرجاء الجزيرة قبائل متحاربة ، ومنازل متباعدة ، فكانت تجمعهم كل عام فى أسواق قريبة من بيت الله الحرام بمكة يعرضون ثمرات أفكارهم شعرا ونثرا وينزلون البارعين منهم أعز مكان من التقدير والتكريم ، وفى هذه المواطن تتداخل لهجاتهم ، وتلتقى جموعهم ، وقد تكون سببا فى اصلاح ذات البين ، حتى تألفت من لغاتهم لغة قوية بالغة التهذيب صلحت لان ينزل بها كتاب الله المعز ، القرآن المبين ، ولما نزل هذا الكتاب الكريم بهذه اللغة كان له فعل عجيب فى التفاف الناس من حوله ، فهو بما جاء به من روعة البيان ، ولطف الاشارة ، وسمو العبارة ، وعذوبة اللفظ يستهوى القلوب ويسترعى الانتباه ، ويجذب الناس اليه اعجابا وحبا ، وما فيه من حكمة أخاذة ، ومن كلمة جامعة ، وتوجيه سديد يشد اليه العقول والبصائر ، وما اشتمل عليه من اشارات علمية أكدها العلم ، ويكشف عنها كل يوم ، الى جانب الاحداث التاريخية الغابرة أو اللاحقة التى أصاب فيها عين الحقيقة ، مما جعله ملتقى العلماء والمحققين ، وبعد فهو صاحب التشريع الحكيم ، والهداية البالغة ، مما جعل ساحته الكريمة مجمعا للمسترشدين ، وموئلا للراغبين ومنارة للخلق الحميد ، فهو فى لفظه ومعناه رباط متين بين الناس ، والدين الذى يدعو اليه هذا الكتاب يمتاز برحابة الصدر والدعوة الى الجماعة فى محيطها الخاص والعام ، يؤلف بين الاسرة ، وذوى القربى وأصحاب الجوار ، وكل عامل من عوامل التجمع حتى ينتهى الى البشرية كلها فينبههم الى أنهم خلقوا جميعا من ذكر وأنثى ثم يسمو فوق ذلك فيقول « **هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها** » .

يتناول مراتب التجمع من ادناها الى اعلاها ، فيرسم طريق التعامل ويبين ما تقتضيه من حقوق على أن كل من يرتبط بك فى أى مستوى من الصلات ، له قدر من الحقوق والواجبات يتناسب مع درجة القربى وأسباب الارتباط ، دين يكره الشحناء والخصومة ، الا أن تكون غيره فى سبيل الله ، ينفر منها ويعلن الحرب على أسبابها ، واذا كان الغضب وسوء التعامل من أقوى أسبابها ، فان الاسلام لا يرضى عن الغضب ، ويصوره سيطرة شيطانية لا تهدى الى صواب ، ولا يستقيم فى تسلطها رأى ، أما التعامل بين الناس ، فأساسه الانصاف وقوامه التسامح والتجاوز عن كثير من الزلات ، من مبادئه مقابلة السيئة بمثلها وهذا عدل اذا تخلى عن التزيد والتزم المماثلة الكاملة ، وأحب اليه من هذا الصفح والعفو ، واذا كانت النفوس كبارا طلب منها المزيد من الفضل ومقابلة السيئة بالحسنة كما يقول الرسول الكريم :

واتبع السيئة بالحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن .

ومع أن ذلك يعد مرتبة عليا فى التعامل بين

الناس ، الا أن هذا الدين يطمع فى نفوس أكبر من هذا ، فلا يكتفى بمبادلة الحسنة بالسيئة ، ويرقى بهم درجات أسمى فى الكمال ، بل هى فوق الخيال ، تلك هى مكافأة السيئة بأحسن الحسنات فيقول الله لرسوله « **ادفع بالتى هى احسن السيئة** » ولا غرابة فى هذا التسامى العجيب فى دين لا يجعل العداوة سببا فى مجافاة العدل والانصاف ، وتلك مقاومة عاتية لطبيعة بشرية قل أن ينجو منها انسان فيقول رب العزة « **يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** » . والرسول الكريم يقول : لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف . وكل مجتمع تسوده هذه العلاقات ، وتسيره هذه التوجيهات فلا مكان فيه للتناكر والبغضاء ، الاسلام بحق دين المودة والاخاء يرتبط فيه أولو الفضل واليسار مع ذوى الحاجات برباط التكافل والتعاون ، ويلتقى المؤمنون فى موسم الحج ، وفى صلاة الجمعة والجماعات ، يتجهون الى قبلة واحدة ، ويعبدون ربا واحدا ، يجعلون كل من أسلم وجهه اليه ، قريبا منهم وجديرا بحسن المعاملة ، التلاقى فى هذا المبدأ يزيل السدود ، ويرفع الحدود « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » . لا اله الا الله والعمل الصالح فيه الاجر العظيم ، والوقاية من الخوف والحزن ، وفى ذلك كل الخير ، وليذكر المؤمنون الارشادات التى تصدر اليهم من مصدر عزهم القرآن الكريم والسنة المطهرة يدعوهم كتاب الله الى الاستظلال بالوحدة التى هى حبل الله المتين فيقول « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » . والرسول الرحيم يصورهم مرة بالاعضاء فى الجسد الواحد تستريح جميعا وتألم جميعا لما يصيب عضوا واحدا منها ، ويصورهم أخرى بالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، والعدو حينما توهم أنه يستطيع زلزلة لبنة من هذا البنيان ليتمكن بعد ذلك من استدراج لبنات يتهاوى بعدها البنيان ، غفل عن المعانى التى تجمعنا ، والخلال التى تتاصل فينا ونتحلى بها ، فانا قوم مؤمنون متحابون نعرف للوطن حرمته ، وللجور حقوقه ، الشدائد تعصف بالخلاف ، ونصرة الحق غاية الاهداف ، والبوتقة التى أعدت لتصهرنا خرجنا منها باذن الله ذهبا نقيا يرفع من قدره ما نرى فيه من صفا .

« الخير فى الجنة »

قال بعد التكبير والتحميد : ان يومكم هذا يوم ابان الله فضله ، واوجب تشريفه ، وعظم حرمته ، ووفق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله وفدى فيه بالذبح العظيم نبيه ، وجعله خاتم الايام المعلومات من العشر ، ومقدم الايام المعدودات من النفر [يوم النفر يوم ينفر الناس من منى] . يوم حرام من أيام عظام فى شهر حرام يوم الحج الاكبر ، يوم دعا الله فيه الى مشهده ونزل القرآن العظيم بتعظيمه قال الله [عز وجل] : « **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** » فتقربوا الى الله فى هذا اليوم بذبائحكم وعظموا شعائر الله واجعلوها من أطيب اموالكم وبصحة التقوى من قلوبكم ، فانه [تعالى] يقول : « **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ! ثم التكبير والتحميد ، والصلاة على النبى [صلى الله عليه وسلم] والوصية بالتقوى . ثم ذكر الموت . ثم قال : وما بعده الا الجنة أو النار عظم قدر الدارين ، وارتفع جزاء العملين ، وطالت مدة الفريقين ، الله الله ، فوالله انه الجد لا اللعب ، والحق لا الكذب ، وما هو الا الموت والبعث والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب أو العقاب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب الخير كله فى الجنة والشر كله فى النار .

بطل ومعارك

في أحدث كتاب صدر في القاهرة عن حرب المخابرات بعنوان « جواسيس في القاهرة وفي اسرائيل » للاستاذ محمود مراد الصحفي بجريدة الاهرام ، يقول عن الاستفاده بالمعلومات في حرب العدو :

وهذا ليس بدعة جديدة .. بل ان الكلمة كمصدر للمعلومات لها تاريخ بعيد وطويل .. ودراسة المعارك الاسلامية - كمثال - توضح لنا هذه العقيقة ومدى الاهتمام بها مهما كان مصدرها ..

● في غزوة بدر مثلا ، أرسل الرسول - عليه الصلاة والسلام - اثنين من الصحابة لاستطلاع قوات العدو « المشركين » وعند بئر بدر وجد أحدهما غلامين من قريش فاصطحبهما الى الرسول الذي قام بالحوار معهما :

الرسول : كم القوم ؟

الغلامان : كثير عددهم ، شديد بأسهم ..

الرسول : كم عدتهم ؟

الغلامان : لا ندري ..

واكتشف الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن الغلامين على قدر كبير من الذكاء والحذر .. فاتجه بالحديث الى مجال آخر للمعلومات وسألهما :

- كم ينحرون من الجزر كل يوم

فقالا : ينحرون يوما تسعا ، ويوما عشرا ..

فعرفهما الرسول الكريم ، وقال لاصحابه أن عدد القوم « العدو » ما بين التسعمائة والالف وذلك لان العرب عادة ما ينحرون بعيرا واحدا لكل مائة رجل .

واتخذ جيش المسلمين خطته على هذا الاساس وبالفعل اتضح فيما بعد أن قوات المشركين كانت تضم ٩٥٠ شخصا .

الأستاذ محمد صالح

سماك بن خرشه الخزرجي

كان واحدا من أشجع المحاربين في جيش محمد صلوات الله وسلامه عليه وهم : حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وأبو دجانه .

● عند جبل احد نظر النبي الى بطلنا يمشي متبخترا متباهيا بنفسه والسيف في يده وعصابة حمراء يلف بها رأسه ثم قال : انها لمشية يبغضها الله عز وجل الا في مثل هذا الموطن .

● وفي غزوة خيبر كان البطل في مقدمة الرجال الشجعان الذين تهاوت على أيديهم حصون اليهود .

● أما في معركة اليمامة فقد كان رمزا للبطولة وذلك عندما طلب من زملاء المعركة أن يحملوه ويلقوا به من فوق باب خصن كان أنصار مسليمة الكذاب يقاتلون من وراءه ، فانكسرت ساقه ومع ذلك قاتل وحده واستطاع أن يفتح باب الحصن لاصحابه .

أنه سماك بن خرشه الخزرجي الساعدي الانصاري المشهور باسم أبو دجانه .

في غزوة أحد

بعد أن انتظمت قوات المسلمين في ساحة المعركة عند جبل احد في السنة الثالثة من الهجرة أمسك رسول الله سيفا ثم قال : « من يأخذ هذا السيف بحقه » .

فتساءل أحد الرجال : وما حقه يا رسول الله ؟

رد الرسول : أن تضرب به في العدو حتى ينحني .

سكت الرجل وصمت كل الرجال فقد أحسوا أن ثمن هذا السيف الذي يمسك به رسول الله غال وقد لا يستطيعون أن يؤدوه على الوجه الذي يريده النبي .

تمر لحظات من الصمت ثم يتقدم أبو دجانه الى الامام قائلا : أنا آخذه يا رسول الله .

وما أن يصبح السيف فى يدى أبى دجانه حتى يخرج عصابة حمراء يلف بها رأسه فيقول عارفيه من الانصار : أخرج أبو دجانه عصابة الموت .

لكن أبا دجانه لا يسمع تعليقهم هذا .. فقد كانت نفسه تمتلىء بمشاعر عديدة تتركز كلها حول أفناء ذاته فى المعركة وتحقيق مطلب رسول الله ، لذلك فانه بعد أن عصب رأسه بعصابة الموت الحمراء وامسك بسيف رسول الله لم يتحمل الصمت ولا الصبر .. فقد أخذ يتمشى بين الصفوف مختالا متباهيا ينشد قائلا :

أنا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
الا أقوم الدهر فى الكيول
اضرب بسيف الله والرسول

ويبدو أن صلوات الله عليه أحس استنكارا واستهجانا بدى فى عيون البعض وتردد داخل نفوسهم فنظر الى أصحابه ثم قال : **انها لمشية يبغضها الله الا فى هذا الموطن .**

أعطى رسول الله أمر القتال ودارت المعركة بين سبعمائة من المسلمين وثلاثة آلاف من أهل الشرك .. معركة ضارية كان المسلمون يخوضونها فى بسالة وأبو دجانه فى مقدمتهم يقاتل وعصابة الموت الحمراء حول رأسه علما عليه وجنود العدو يتساقطون تحت سيفه .

وراحت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان بن حرب تحض المشركين على الصمود منشدة :

ويها بنى عبد الدار
ويها حماة الادبار
ضربا بكل بتار

ثم تذهب فى حض جيش المشركين الى قولها :

نحن بنات طارق
تمشى على النمارق
ان تقبلو نعانق
ونفرش النمارق
او تدبروا نفارق
فراق غير وامق

ويقترب منها أبو دجانه فيظنها أحد مقاتلى المشركين فيرفع السيف ليقتلها ، عندما تصرخ مولولة يكتشف أبو دجانه أنها امرأة فيبعد سيفه عنها ويتركها ..

بعد أن تحولت المعركة وأصبحت فى صالح المشركين نتيجة مخالفة بعض الرماة لامر رسول الله بالا يتركوا مكانا حدده لهم ، تفرق الرجال من حول الرسول بعد أن جاءهم العدو من حيث لا يتوقعون .. من الجهة التى تركها الرماة عندما ظنوا أنهم قد أحرزوا النصر النهائى فى المعركة .

ويرى أبو دجانة المسلمين يتفرقون من حول الرسول فيقتحم فلولهم متجها الى حيث كان رسول الله وينظر ابو دجانة الى الرسول وقد كسرت رباعيته وأصيب أنفه ويريد المشركون الاجهاز عليه بالنبال .. هنا .. يحنى أبو دجانة نفسه فوق الرسول .. يصنع ببدنه ساترا يحمى النبى .. وتنهال نبال المشركين ولكنها تصيب أبا دجانة وقلة من المسلمين أحاطت بالرسول تفديه بنفسها مع البطل أبو دجانة .. ويسقط ابو دجانة من كثرة السهام التى أصابت ظهره مثخنا بالجروح .

بعد انتهاء المعركة صلى الرسول على شهداء أحد ثم ذهب الى أهله وأعطى ابنته فاطمة سيفه قائلا : « **اغسلى عن هذا دمه يابنية ، فوالله لقد صدقنى اليوم** » . وعندما قدم على بن أبى طالب سيفه الى زوجته فاطمة قال لها : « **وهذا أيضا اغسلى عنه دمه فوالله لقد صدقنى اليوم** » . رد صلوات الله عليه : « **لئن كنت صدقت القتال ، فقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة** » .

قال كعب بن مالك عن مشهد رآه من البطل أبا دجانة فى معركة أحد كان أحد المشركين قد شغل نفسه بالاجهاز على جرحى المسلمين فى المعركة ، واذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه سلاحه وعدته ! فمضيت حتى كنت من ورائه ثم قمت أنظر المسلم والكافر ببصرى ، فاذا الكافر أكثر عدة وهيئة فلم ازل أنتظرهما حتى التقيا وجها لوجه فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة بالسيف فبلغت وركه وتفرق فرقتين ، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ، أنا أبو دجانة .

• • • • •

عن حادث لقاء أبو دجانة وهند بنت عتبة فى ساحة معركة أحد ، قال أبو دجانة فى يوم وهو يتحدث مع بعض أصحابه عن غزوة أحد : رأيت انسانا يخمش خمشا شديدا فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول ، فاذا به امرأة فاكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة .

فى غزوة خيبر

كان أبو دجانة واحدا من الابطال المعدودين فى غزوة خيبر التى جرت فى شهر محرم فى السنة السابعة للهجرة تحت قيادة الرسول صلوات الله عليه .

كان فى مقدمة الرجال وهم يحاصرون ويهاجمون حصون اليهود وبفضل بسالته التى كانت واضحة متميزة مع غيره من الابطال سقطت حصون : الصعب ، والزبير ، وناعم ، والوطع ، والسلالم . وعند حصن سموأنة دار قتال عنيف فقد كان اليهود يعرفون أن سقوطه يعنى اقتراب نهايتهم ، ولهذا كان قتالهم عنه باستماته . ووقف رسول الله عند هذا الحصن يقاتل وعندما خرج من الحصن يهودى يهمهم

البقية ص ١٦١

صور من البطولة الاسلامية فى الحروب الصليبية

استطاع العالم العربى طوال تاريخه ، ان يقف فى وجه الشدائد التى كادت ان تعصف به ، وتغلب عليها ، ولكن بعد تضحيات جسيمة فى الانفس والاموال ، واثبت التاريخ أن العرب قدروا مسئولياتهم حق قدرها ، واتحدوا واستمسكوا بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، انتصروا على اعدائهم وتخلصوا من الشرور والاثام التى انهكتهم .

الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف

ولنضرب الان مثلا من التاريخ ، ففى العصور الوسطى شن الصليبيون حملاتهم العنيفة على المشرق الاسلامى ، وأحرزوا انتصارات كبيرة على المسلمين الذين كانوا فى حالة من الانقسام وبالتالى الضعف بحيث لا يمكنهم التصدى لعدوهم اللدود ، ودفع المسلمون الثمن غاليا ، فقد دخل الصليبيون بلاد الشام فى حملتهم المعروفة بالاولى ، وسقطت مدن الشام فى أيديهم حتى بلغوا بيت المقدس واستولوا عليه ، وقتلوا كل من فى هذه المدينة من السكان حتى من اعتصم منهم فى المسجد الاقصى . ومع ذلك لم يستطع القادة من المسلمين دفع هذا الخطر لان الخلافات انستهم العدو المشترك وذهب وفد من أهل الشام الى بغداد ، واعتصموا فى المسجد مطالبين الخليفة ، بان يعمل على مقاومة الاعداء وأن يغار للاسلام وأهله ولكن لم تجد هذه المحاولات فتيلا ، لذلك كان من الطبيعى أن يضعف المسلمون تحت مقاومة الصليبيين .

اشتد ضغط الصليبيين فى بلاد الشام على سكانها ، واستفحل خطرهم ، واستطار شرهم ، واتسع ملكهم فى الشرق حتى شمل شمال العراق وبعض بلدان فى الشام وحتى البلاد التى لم يمتلكها الصليبيون مثل حلب وحمص وحماة ودمشق تعرضت لغارات متعددة من الصليبيين بغية السلب والنهب ، ولم يكتفوا بذلك بل فرضوا اتاوات على البلاد المجاورة لهم مقابل عدم اعتدائهم عليهم وبينما يقاسى اهل الشام من الاستعمار الصليبى الداهم ، ظهر بطل مسلم من أصل تركى حكم الموصل ، ووسع ملكه فى بلاد الجزيرة فى شمال العراق ، وراقب عن كثب ما يدور فى بلاد الشام من ظلم صارخ واستبداد مريع باهل هذه البلاد الامنين ، فاعد جيشا قويا مدربا أحسن تدريب ، ودعا جنده الى الجهاد ورفع الظلم والاذى عن اخوانهم فى الاسلام ، فعبروا بقيادته أرض الموصل الى بلاد الشام ولما بلغ عماد الدين زنكى حلب أظهر أهلها من الفرح والسرور بمقدمه ما لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى ، ونادوا به حاكما عليهم ، فوجه اهتمامه الى اصلاح أمورها كما عمل على تعمير ما خربه الصليبيون فى غاراتهم عليها ويقول المؤرخ ابن الاثير : لولا أن الله من على المسلمين بولاية عماد الدين زنكى ، لكان الفرنج قد استولوا على الشام جميعه ، لان هذه البلاد قد خلت بالمرة من حام يذب عنها .

بدأ زنكى يناهض الصليبيين ، فعمد الى مهاجمة بعض حصونهم التى تهدد ممتلكات المسلمين فى بلاد الشام ومنها حصن الاثارب وذلك فى ١١٣٠ م ويقع بين حلب وأنطاكية ، وكان أهل حلب يلاقون كثيرا من الضر والاذى من هذا الحصن الذى اتخذه الفرنج قاعدة لمهاجمة حلب ونهب أموالها ومحاصيلها بل كانوا يقاسمون أهل حلب على جميع ممتلكاتها الغربية ، فلما هاجم عماد الدين زنكى هذا الحصن ، حشد الصليبيون جهدهم لمدده فاستشار زنكى أصحابه فيما يفعل فاشار اصحابه بالانسحاب قبل الهزيمة ولكن زنكى رفض مشورتهم ، وقال لاصحابه ان الصليبيين متى راونا قد عدنا عن الحصن ، طمعوا وسارعوا فى أثرنا وضربوا بلادنا . ودارت بين قوات زنكى والقوات الصليبية ، معركة حامية الوطيس هزم فيها المسلمون اعداءهم شر هزيمة ، ووقع كثير من فرسانهم فى الاسر واستولى زنكى على هذا الحصن ، ودمره وجعله دكا ، ثم قال لاصحابه : ان هذا أول عمل عملناه معهم ، فلنذقهم من بأسنا ، ما يبقى رعبه فى قلوبهم . ثم سار زنكى من الاثارب الى قلعة حارم ، فحاصرها وضيق عليها الحصار ، ولما راى الصليبيون أن لا طاقة لهم بزنكى وجنده ، عرضوا عليه الكف عنهم ، فى مقابل منحه نصف دخل بلدهم ، فأجابهم الى ذلك ، ورفع الحصار عن حارم .

استأنف عماد الدين زنكى جهوده فى درء خطر الاستعمار الصليبى عن أرض الشام سنة ١١٣٧ م ، ولكى يتيسر له ذلك كان لابد له من أن يعمل على تكوين جبهة اسلامية متحدة ، وواجه صعوبات بالغة فى تحقيق سياسته منشؤها ضعف الثقة بين الامراء المسلمين ، واعتقادهم أن عماد الدين زنكى يرمى الى بسط سيطرته عليهم ، على أن اخفاق زنكى فى توحيد كلمة المسلمين لم تثنه عن عزمه ، بل زادته ايمانا وتصميما واصرارا على مواصلة سياسته الرامية الى طرد الصليبيين من بلاد الشام فسار الى بارين — بين حمص وحماة — وهاجمها ، وكان الصليبيون قد اتخذوها

قاعدة يشنون منها الغارات على البلاد الواقعة بين حمص وحماة .

وكانت بارين تتبع ريموند — أمير طرابلس الصليبى — فاستنجد هذا الامير بالملك الصليبى فولك — ملك بيت المقدس — واشتبكا مع عماد الدين زنكى فى معركة حامية الوطيس رغبة فى صده عن بارين لكن عماد الدين زنكى هزم الفرنجة ، وألحق بهم خسائر فادحة فى الارواح والعتاد ووقع فى الاسر كثيرون، منهم ريموند — أمير طرابلس — بينما فر فولك — ملك بيت المقدس — الى حصن بارين ، واعتصم به ، واضطر الى الاستنجاد ببطريرك بيت المقدس وأميرى الرها وأنطاكية الصليبيين ، وقد لبى هؤلاء الثلاثة طلبه ، وخرجوا لنجدته على رأس جيش كبير ، غير أن جند زنكى شددوا الحصار على القلعة ، وقذفوها بالمنجنيقات ، ولما نفذت الذخائر والمؤن لدى الصليبيين ، اضطر فولك الى طلب الامان من زنكى فى مقابل تسليم القلعة، فاستولى على القلعة وأذن للملك فولك وفرسانه بمغادرتها والعودة الى بلادهم، كما أطلق سراح أمير أنطاكية ، وجميع أسرى الحرب الاخيرة ، وأنفذ اليه الصليبيون خمسين ألف دينار مقابل اطلاق سراح أسراهم .

وبذلك أصبح زنكى فى بلاد الشام قوة يعمل لها المستعمر الصليبى كل حساب وهنا وثق به وبنواياه الحكام العرب فالتفوا حوله وتناسوا خلافاتهم الامر الذى زاده قوة وتصميما على مواصلة النضال لذلك نراه لا يكتفى بما أحرزه من انتصارات على الصليبيين بل ترقب الفرص المناسبة لقهرهم ومطاردتهم ، فانتهز فرصة نزاع حدث بين الامراء الصليبيين وبالذات بين ريموند — أمير أنطاكية وجوسلين — أمير الرها — وضعف مملكة بيت المقدس على أثر وفاة ملكها فولك ، وعجز خليفته بلدوين الثالث عن المحافظة على وحدة الصليبيين فى الشام وتوحيد كلمتهم ، واستأنف الجهاد ضد الصليبيين فاعد جيشا لمهاجمة الرها التى كانت من أشرف المدن عند الصليبيين .

وكانت امارة الرها تشكل خطرا كبيرا على المسلمين ، فأدى موقعها على خطوط المواصلات بين الموصل وبين بغداد ودولة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى الى تعرض المسلمين لاخطار جسيمة ، كما أن الصليبيين اتخذوها قاعدة لشن غاراتهم على البلاد الجزرية .

رأى عماد الدين زنكى أنه اذا ماقصد الرها اجتمع من الصليبيين من يعمل على صده ، فيتعذر عليه فتحها ، فاتجه الى ماردين — وتقع فى تركيا — ليوهم الاعداء أنه منشغل عنهم بمحاربة أمير ماردين الذى تحالف مع جوسلين الثانى — أمير الرها — وقد تمكن زنكى بهذه الخطة من خداع الامير الصليبى ، فغادر الامير الصليبى الرها متجها الى الصليبى ماردين لمؤازرة حليفه ، وترك بالرها حامية صغيرة ، وهنا غير عماد الدين زنكى وجهته ، واتجه صوب الرها على حين غفلة من أميرها ، ولما عسكر زنكى أمام الرها شاهد مدينة تجمع بين حسن التنسيق ، ودقة التحصين فراسل أهلها يعرض عليهم الامان ، لكن زعماء المدينة المسيحيين رفضوا ذلك العرض الذى تقدم به زنكى أملا فى أن تصل اليهم نجدات من أميرهم جوسلين ومن أميرى أنطاكية وبيت المقدس الصليبيين .

على أن أمير أنطاكية خيب أملهم حين رفض ارسال نجدة اليهم أما مملكة بيت المقدس فقد أرسلت جيشا الى الرها ، ووصلها بعد فوات الاوان ، اذ كانت الرها قد تم فتحها .

حاصرت قوات عماد الدين زنكى الرها من جميع الجهات سنة ١١٤٤ م وحالت دون وصول الاقوات والمؤن اليها ، ونصبت على أسوارها المنجنيقات وبعد عدة هجمات ، تمكن جند الموصل من تحطيم أسوارها ودخلوا المدينة بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوما ، وفر أهلها الى قلعتها لكن هيو رئيس أساقفة المدينة ، أمر باغلاق القلعة دونهم ، مما جعلهم يواجهون هجوم قوات زنكى ، ولكن زنكى هاجم القلعة واستولى عليها

وقد أمر زنكى قائد قواته بأن يسير فى أهل الرها سيرة حسنة ، ويشغلهم بعنايته ورعايته ، فطابت نفوسهم .

علت مكانة زنكى فى العالم الاسلامى بعد ذلك الانتصار الرائع الذى أحرزه على الصليبيين فمنحه الخليفة العباسى الهدايا ، ولقبه بطل الاسلام الملك المظفر المنصور ، قاهر الكفرة والمتمردين .

كان لسقوط الرها آثارا بعيدة المدى على المسلمين ، اذ أنها أول امارة صليبية قامت فى الشرق ، ولم يعد للصليبيين بعد زوالها الا بلادا تقع على ساحل البحر المتوسط ، كما أن سبل الاتصال بين البلاد الاسلامية صارت آمنة .

قدر لعماد الدين زنكى الذى قضى حياته يجاهد الصليبيين — أن يموت شهيدا بسبب مؤامرة دبرت ضده ، فبينما كان يعسكر أمام احدى القلاع ، دخل خيمته فى الليل ، وبينما كان يداعب النوم جفونه ، هاجمه أحد خدمه المقربين اليه — وكان من أصل افرنجى — ورماه بسهم أرداه قتيلا ولقد عبر أحد المعاصرين الذين أسرعوا الى الخيمة بعد مقتل البطل المسلم عبر عن تقدير المسلمين لجهود هذا البطل الشهيد بقوله للقاتل : لقد قتلت المسلمين جميعا بقتله .

والحق أن جهود عماد الدين زنكى فى درء خطر الصليبيين عن بلاد الاسلام تعتبر نقطة تحول فيها المسلمون من الدفاع الى الهجوم ، وتلتها خطوات قام بها نور الدين محمود بن زنكى وصلاح الدين يوسف بن أيوب وخلفاؤه لازالة الاستعمار الصليبى من الشرق الاسلامى .

وهؤلاء القادة ساروا على سياسة زنكى فى تكوين جبهة اسلامية متحدة مكنتهم من النصر ، ونرى التاريخ يعيد نفسه ، ففى حرب أكتوبر المجيدة سنة ١٩٧٣ حقق العرب انتصارا رائعا على أعدائهم وذلك بفضل اتحاد كلمتهم .

الإسلام وثورة العلم

لقد أعجبنى تساؤل (جوردون ميلين) رئيس قسم الهندسة الميكانيكية بجامعة (شيكاغو) فى كتابه (الديناميكية الحرارية) عن ماهية (الطاقة) .. فقال (ولا نكون آسفين لو أننا قلنا انه لا يمكن تفسير معنى كلمة (الطاقة) بالرغم من معرفة قوانينها واستخدامها) .

ويقول (ميلين) أيضا (أن العالم يسير حسب القوانين الوضعية فى الزيادة المطردة التى فى التفاعلات الكيميائية التلقائية مما يجعل استمرار الحياة فى الكون مستحيلا .. لكن هذه التلقائية — تنخفض تباعا متحدية قوانين الديناميكا الحرارية وهذه العمليات المجهولة لا يمكن للعلم — مهما كان — أن يدركها أو يفسرها متحدية حتمية قوانين التفاعلات الكيماوية فى هذا الكون . فالعلم يعجز عن الاجابة عن هذا التحدى . لكن هناك تفسيرا فلسفيا خاصا وهو أن ثمة خالق لديه الاجابة عن (نهاية المستقبل) بالنسبة للبشرية والكون) .

الدكتور أحمد محمد عوف

مما سبق من قول العالم الكبير [ميلين] نجد المنطلق للحديث عن الدين والعلم .

فالدين لازمة من ضرورات الحياة للانسان على هذا الكوكب . فهو لازمة للغنى والفقير وللجاهل والعالم ومقياس الحياة الدينية ليس منحصرا فى كون هذا الدين يتلاءم مع المقاييس العلمية أو الامور الصناعية الوضعية لان الدين ينهض بالعقل ويستحثه على التفكير ولا يحد من القريحة ابان تفكيرها ... وفى الدين فلسفة حياة الانسان الذى يعتبر وجوده حقيقة كونية ..

فالتحقق من الاديان وصحتها لا يمكن للبشرية أن تضعها فوق مشرحة العلم للفحص المعملى او للبحث العلمى المجرد كما لا نستطيع أن نقارن بين العلم والعقيدة الدينية .

فالاسلام — مثلا — تعاليمه تتوافق مع مستلزمات الحياة التى يحياها الانسان.

لذا لا يمكن ان تقاس العقيدة بمقاييس وضعية ولكن تقاس العقيدة بالعقيدة لان هذا القياس اصوب . كما لا يقاس الايمان الا بالايمان لانه شعور وجدانى قبل ان يكون شيئا حسيا .

وتبعا لهذه النظرة العقائدية لا يمكن لنا ان نقول ان الاسلام يحرم الانسان من ثمرات المعرفة العلمية بقدر ما يعطيه ايضا من الخير والرفاهية .

بداية الخلاف بين العقائد الدينية والتطور العلمى :

ان لوجود التطور العلمى المنطلق وجمود رجال الدين فى الغرب وبعدهم عن مسايرة هذا التطور منذ مطلع عصر النهضة الاوروبية ... جعل هذا طريق الحياة يبدو منشقا الى اتجاهين متنافرين

اتجاه — ألفته البشرية ردحا طويلا كانت نظرتها اليه نظرة فيها تحفظ للمحافظة على كيانه ... ونقصد بهذا الاتجاه [الاتجاه الدينى] الذى كان بعيدا عن أبصارنا ولكن كنا نحس به بكل عواطفنا . وكان الامتزاج بين الدين والعلم حتى بعد العصور الوسطى ... امتزاجا جعل العلوم أسرارا كهنوتية .. حتى أن قدماء المصريين كانوا يعتبرون هذه العلوم قاصرة على الخاصة دون العامة .

والاتجاه الثانى — هو الاتجاه العلمى الذى ارتادته البشرية فانبهرت به .

فمن هنا — كان لابد من التنافر بين هذين الاتجاهين لان الجانب العلمى ابان عصر النهضة كان يمثل الجانب الفنى المتمرد — اما الجانب الدينى فكان يمثل الجانب المتزن الذى يشعر رجاله بعد العصور الوسطى أن التطور العلمى سيثلب هذا الكيان الدينى كل مقوماته وسيقضى عليه ... ولكن لم يلبث اى استحداث فى العلوم الا ويصبح مالوفا — مجسدا لعظمة الخالق سبحانه —

وهذا مالا حظناه ... عندما قال علماء الطبيعة النووية أن أصغر شىء فى الوجود هو الالكترون — وهلل الماديون لهذا القول قائلين أن ترتيب الالكترونات فى مداراتها هو المميز للاشياء .. وان كل شىء فى الوجود خلق نتيجة الصدفة وبناء على عشوائية الترتيب الالكترونى للذرات لكن لما آفاق العلماء من انبهارهم ورجعوا الى التفكير المتزن ... تساءلوا ...

من خالق هذا الالكترون ؟؟ .

فكان جواب العقل والمنطق والحقيقة — هو الله سبحانه وتعالى .

فتفجير الذرة — الذى يعتبر قمة جبروت الفكر الانسانى لم يقض على شعورنا الوجدانى نحو الخالق حتى الانطلاق الى أجواء الفضاء جسد لنا عظمة الكون واشاد بعظمة الخالق سبحانه .

لكن الانسان بطبعه .. يطالب الدين بان يعطيه مفاتيح لالغاز الحياة والسماء .. وأصبح تفكيره يتجه الى قياس العقائد الدينية على هذا النمط العلمى .

نظرة الاسلام الى العلم :

ان التخوف من السلطان الدينى توارد الينا نحن المسلمين ابان الوجود العثمانى الذى جثم فوق أنفاس الامة الاسلامية بحجة الخلافة الاسلامية العثمانية ... وادخل العثمانيون فى اذهاننا أن التطور العلمى زندقة .. مما أوهم البعض منا أن الاسلام دين تخلفى ..

وتناسينا أمام هذا الشعور الوهمى أن الاسلام لا يلفظ العلم — وأن الحضارة الاسلامية التى بزغت منذ صدر الاسلام حتى العصر الوسيط — كانت حضارة تسير فى ركاب الدعوة الاسلامية — ولم نر فى التاريخ الاسلامى حجرا ثقافيا على علمائها الذين ترجموا التراث الاغريقى والتراث الفارسى وطوروا العلوم الانسانية وحافظوا للبشرية على تراثها العلمى والفلسفى — وهذا يخالف النهضة الاوروبية المعاصرة — التى كانت وليدة الصراع الفكرى والدموى بين رجال الدين هناك وبين العلماء الذين انتصروا بفكرهم وسادوا بعلومهم وسموا بها. وتبعا لهذا وجدت النظرة العلمية التى أخذت تسير فى طريق التفكير المادى البحت الذى يعكس الحرية الفكرية — واعتمد علماء الغرب على الرياضيات والقوانين الوضعية والافتراضية بعيدا حتى عن التفكير فى خالق هذا الكون ٠

لكن الثقافة الاسلامية بشتى ألوان المعرفة وعبر تاريخها الطويل — تعتبر ثقافة أصيلة — نبعت من جذور ثقافية متحررة تحررا كاملا — لانها نبعت من القرآن والسنة ٠ كما أنها حافلة بالامكانيات الفكرية والعقلية والثقافية بلا حدود ولا وصاية — ضمن اطار الفكر الاسلامى المميز وان أى رابطة حضارية مميزة لابد وأن تخضع للتوفيق بين التراث الفكرى الدينى ومقتضيات العالم الحديث مع تحقيق الاحتياجات العصرية التى جعلت من الاسس الدينية — كما فى الاسلام — اساسا للعلاقات الانسانية ٠

لان هذه الاسس البنيانية أضفت ألوانا من المتانة والقوة فى العلاقات الاجتماعية ٠٠٠ التى لا يمكن للعوامل المادية البحتة أن تكفلها لاى مجتمع تعددت مشاكله واختلفت مشاربه ٠ وهذا يظهر الاسلام بانه متبوعا لا تابعا لاى ايديولوجية أو حضارة ٠

الاسلام والعلوم الاقتصادية :

وفى جانب التطور الاقتصادى العالمى — نجد أن القرآن الكريم لا توجد به نصوص تتعارض مع هذا التطور فلقد نادى بالاشتراكية العالمية — حتى أن التجارب الاقتصادية فى ظلال الحضارة الاسلامية كانت واقعا ملموسا قبل أن تتطور النظم الاقتصادية العالمية — فالتطور الاقتصادى بشتى صوره لا يتعارض مع العاطفة الدينية الاسلامية مع أن الاسلام لا يقبل ايديولوجية الصراع الاقتصادى ولن يتقبل بمفاهيمه الواضحة المفهوم الدولى المعاصر بتقسيم العالم الى دول استعمارية احتكارية ودول مستعمرة مستغلة لانه يقر العدل والمساواة ويأبى الظلم والاستعباد والاستغلال وكان بفتوحاته العظيمة محررا للدول التى دخلت فى الاسلام من الاستغلال والظلم — وكفل لكل المسلمين [العدالة الاجتماعية] التى ينادى بها الغرب الان ٠

وأخيرا :

ان الكيان الاسلامى المعاصر ٠٠ بعد انتصارنا العظيم سوف يكون علما بارزا فى حضارتنا المعاصرة ... وسيشارك — بلا شك — فى التطور العلمى العالمى بايجابية وفاعلية مؤثرة ٠٠ وسيأخذ الشعوب الاسلامية من وهدة التخلف والانحطاط الحضارى والعلمى ٠ لان شمس الحضارة آخذة فى الافول فى الغرب لتشرق فوق ربوع الشرق الاسلامى — الذى استرد وعيه — بعد تحطيم حاجز الوهم والخوف عند مشارف سيناء — شرقى القناة ٠٠٠ حيث تجسدت آمالنا كحقيقة واقعة بعد وهم طال أمده ... ونصر تجسد وقعه ... !!

بقية مقال « بطل ومعارك »

عزولا يطلب أحدا لمبارزته ، يهجم عليه الحباب بن المنذر بالسيف ويضربه ضربة أطاحت بنصف ذراعه اليمنى ، ويخرج يهودى آخر يطلب المبارزة فقام اليه أحد المسلمين لكن اليهودى يقتل المحارب المسلم وعندما يهم اليهودى بالعودة الى الحصن يناديه أبو دجانة قائلا : أهكذا تعود ، لن تعود باذن الله ، أقدم على .. خذ ، خذ من أبى دجانة . ويخر اليهودى صريعا .. ويسقط غيره .. وتنهار مقاومة اليهود ويسقط حصن سموان ويدخل أبو دجانة الحصن وهو يطلق شعار المعركة : **الله أكبر ، يا منصور أمت .**

وعندما يهرب بعض اليهود من هذا الحصن ليحتموا فى حصن البزاة يطاردهم ابو دجانه وعصابته الحمراء فوق رأسه ، وعندما يصاب بنان النبى فى هذه المعركة تزداد ضراوة ابو دجانة فى القتال وينطلق مع اخوانه صائحا بشعار المعركة : **الله أكبر يا منصور أمت .** ويضرب ابو دجانة بسيفه ويسقط الحصن بقوة ضرباته وضربات اخوانه المقاتلين .

وعندما يبدأ المسلمون فى نصب المجانيق حول بقية الحصون ليهدموها على من احتمى بها من اليهود ، يدع أبو دجانة سيفه للراحة . ولكنه هو لا يستريح .. بل يعمل مع زملائه المقاتلين فى اقامة المجانيق .. ويرى اليهود ذلك فلا يجدون مفرا من الاستسلام قبل أن تنهار عليهم ما بقى من حصونهم .

فى معارك اليمامة ينال الشهادة

بعد انتقال الرسول صلوات الله عليه الى الرفيق الاعلى خرج أبو دجانة فى خلافة ابى بكر الصديق جنديا فى الجيش الكبير الذى ذهب لملاقاة جيوش الردة التى جمعها مدعى النبوة مسيلمة الكذاب ، وكالعهد به ، وكما كان يقاتل تحت قيادة الرسول حارب بنفس البسالة جيوش المرتدين فى اليمامة .

وعندما لم يستطع المسلمون دخول حصن مقام فى وسط حديقة كان المرتدين يقاتلون منه ، طلب أبو دجانة من زملائه فى فدائية أن يحملوه ويلقوه به داخل الحصن حتى يفتح لهم بابه ، وعندما يبدون خوفهم عليه من تواجده وحده بين مقاتلى العدو يصر غاضبا على مطلبه وتتم ارادة الصحابى الجليل . يحمله زملائه فى المعركة ويلقون به داخل الحصن فتتكسر ساقه ، لكن أبا دجانة لا يبالى بما أصاب ساقه فيمسك سيفه يقاتل به المرتدين وحده حتى استطاع أن يزيحهم عن الباب ويفتحه .. ويدخل المسلمون ويظل أبو دجانة غير مبال بساقه المكسورة .. يقاتل ويقاتل ..

ولكن يبدو أن ساق البطل التى انكسرت تحد من حركته وهو لا يدرى فيتمكن منه بعض المرتدين .. ويسقط الصحابى البطل الجليل شهيدا فى معارك اليمامة المنتصرة .

مثالية الإسلام ومنهجه فى علاج المشكلات الاجتماعية

الدكتور نصر فريد واصل

ان مثالية الاسلام تقضى بأن يكون الفرد الذى ينتسب اليه شخصا تنعكس عليه هذه المثالية فيجعل قواعده ونظمه وقوانينه واقعا يتحرك بين الناس وعدلا ملموسا يحسه أفراد المجتمع ككل فيحقق لهم سعادتهم المادية والروحية التى ينشدونها فى هذه الحياة ..

ومثالية الاسلام ليست طقوسا تقرأ ورموزا لا تفهم وانما هى حقيقة واقعة لانها من نبع الاسلام وحقيقته ونبعه من الذات الالهية وحقيقته اقرار هذه الوحدانية وتحقيق السعادة البشرية فى هذه الحياة الحاضرة وفى حياة آخرى بعد الممات دائمة .

والانسان من حيث نشاته وواقعه يتكون من عنصرين اثنين عنصر مادى والاخر روحى والا لو افتقد أحد هذين العنصرين لاختفت تسمية الانسان من قاموس الواقع وأصبح شيئا آخر من مكونات هذه الحياة .

ومادية الانسان واقع ملموس لا يحتاج الى دليل أو برهان أما الجانب الروحى فيه وهو العنصر الاخر فهو الجانب الثانى غير المرئى فى الانسان ولكنه المحسوس الذى هو أكسير الحياة .

انه الجوهر الشفاف الذى لا يعلم حقيقته الا الله . انه سر الله وأمره فى هذه الحياة قال تعالى « ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

ومن هذا السر وبهذا الامر انطلق الانسان فى الارض يعمرها ويخلفها ويسعد بما أودعه الله فيه وفيها من أسرار وخيرات وبهذا يتحقق قول الله سبحانه « انى جاعل فى الارض خليفة » .

وتعادل الروح مع المادة تعادلا مستقيما أمر جوهرى للانسان حتى يمكن أن يشعر بالسعادتين معا فى هذه الحياة ومفهوم هذا التعادل أن يشعر الانسان ببشريته وآدميته بمقدار احساسه بانتسابه الى الله .

ولم يتحقق من وجهة نظرى هذا التعادل الكامل الا لادم عليه السلام فى الفترة التى قضاها فى الجنة ، فقد كان آدم يتمتع ويأكل من ثمار الجنة وخيراتها ويأنس بزوجه ويشعر بهذا النعيم طبقا لقانون المادة ثم هو فى نفس الوقت لا يشعر ولا يتنبه لما فيه من عورات ونقائص حسب قانون الروح التى هى من هبات الله وصنعته . وعندما ضل آدم عن هذه الحقيقة جزءا من الزمن وغلب الجانب المادى على الجانب الروحى بمخالفته وعصيانه وأكله من الشجرة التى نهاه الله عنها كان الجزاء خروجه من الجنة الى هذه الارض يضل فيها تارة ويشقى تارة أخرى وذلك لمحاولة تحقيق عوض عن السعادة التى فقدها فى جنة الله الخالدة .

وفى هذا المعنى يحدثنا القرآن . . « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين » . [البقرة] .

وفى أسلوب آخر رائع جذاب عن نفس القصة يحدثنا القرآن فيقول . . « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى . فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظما فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » . [طه] .

وقد هبط آدم وزوجه الى الارض لعمارة الكون بعد أن عرفا حقيقة الروح والمادة ومعهما عدو الله وعدوهما يتصارعان فى هذه الحياة .

وقد كان من رحمة الله على الانسان أنه لم يتركه هكذا فى هذه الارض يتصارع مع الشيطان يضله عن الروح ويغويه بالضلال بل هداه بعقله الذى خلقه فيه وبما بعثه اليه من تعليمات الوحى على يد رسل منهم واليهم [لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] .

والاسلام بهذه الحقيقة وبهذا المفهوم لا يختلف من دين الى آخر لان الهدف واحد والغاية واحدة فى جميع الاديان السماوية الهدف اسعاد البشرية والغاية تحقيق الربوبية للذات الالهية الذى [ليس كمثله شىء وهو السميع البصير]

وكل ما فى الامر أن الرسل والانبياء فصول متتابعة وسلسلة مترابطة لابراز كيان الاسلام العظيم . ولم يختلفوا الا فى الوسيلة التى توصل الناس الى هذه الغاية حسب تطور البيئة الاجتماعية والحضارية للانسان .

وفى هذا المعنى يقول الله سبحانه مخاطبا محمدا عليه الصلاة والسلام « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » [الشورى] .

ولم يختلف الاسلام كدين نزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن الاديان السابقة من جهة الوسيلة الا من حيث كونه قد اكتملت جميع حلقاته وفصوله على يد هذا النبى فاصبح بذلك خاتم الاديان وتحقق بذلك اكتمال الوسيلة والغاية وتعادلت الروح والمادة تعادلا وسطا لا افراط فيه ولا تفريط وبذلك تحققت مثالية الاسلام .

وهذا ما حصل فعلا على يد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه فترة ما زلنا نتحدث عنها ونشعر بها وبتأثيرها وذلك بعد أن سجلها سجل الاسلام الخالد والمسلمين بحروف من نور وتحققت لاتباع هذا الدين الوسطية التى قال الله عنها فى كتابه الكريم ..

« وكذلك جلعناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . وهذا ما ميز الاسلام من حيث التعاليم التى نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم عن تعاليم الاديان الالهية السابقة .

ومما يؤكد أن الاسلام كحقيقة وغاية لا يختلف من دين الى آخر أن القرآن الذى هو دستور الاسلام الخالد والصادق هو فى نفس الوقت تاريخ معلوم لهؤلاء الانبياء والرسل السابقين لمحمد عليه الصلاة والسلام . وهذا على أساس أننا نخاطب المسلم الذى آمن بالله ربا وبالاسلام دينا باعتبار أن الدخول الى مصدر الايمان بالله هو الدليل العقلى البحت وهو أمر واجب ومطلوب فى نظر الاسلام لان العقل هو هبة الله فى الانسان والذى عن طريقه يهتدى الى الايمان الصحيح والا لكان الايمان مشوبا بالنقص الذى لا يهدى الى الحقيقة الكاملة وقد يخول له طريق الضلال باعتباره طريقا مستقيما أراده الاسلام وهذا بهتان عظيم ولذلك يقول علماء العقيدة :

وكل من قلد فى التوحيد
ايمانه لم يخل من ترديد

فاذا كنا نخاطب المسلم أو العاقل غير المتكبر فيمكن أن نبرز هذه الحقيقة وهو أن الرسل جميعا دعوا بدعوة الاسلام وأمروا بالايمان بها وهذا ما يؤكده دستور الاسلام الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل هو تنزيل من حكيم حميد .

ففى شأن نوح وقومه يحدثنا القرآن: « فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » .

وفى شأن ابراهيم وولده اسماعيل يحدثنا القرآن : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » [البقرة] .

ولذلك قال الله سبحانه « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » . وقد أمره الله بالاسلام فأسلم قال سبحانه : « اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين » [البقرة] .

وبهذا الاسلام أوصى ابراهيم بنيه فآمنوا ودعوا اليه وكذا يعقوب وصى أبناءه فقال : « يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون [البقرة] .

فقالوا – أى أولاد يعقوب – نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون وفى هذا يقول الله سبحانه : « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » [البقرة] .

وفى شأن سليمان عليه السلام ودعوته عندما أمر الهدهد أن يبلغها الى بلقيس ملكة سبأ وقومها فقال : « اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » [النمل] .

ولما حضرت بلقيس الى سليمان وعرفت حقيقة الايمان قالت : « انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » [النمل] . وقبلها قال سليمان : « وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين » [النمل] .

أما موسى عليه السلام فقال مخاطبا قومه : « يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » . [يونس] .

وفى شأن عيسى وقومه يخبرنا الله سبحانه فيقول : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون – ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين [آل عمران] .

وليس أمامنا بعد كل ما سبق الا أن نقر عن يقين بهذه الحقيقة وهى : « أن الدين عند الله الاسلام » [آل عمران] وأنه « من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين» [آل عمران] .

وهذه الحقيقة عرفها الطير كما عرفها الانسان فقد أخبر الله سبحانه سليمان أن الهدهد أنكر على الذين عبدوا الشمس من دون الله فقال مخبرا عن ملكة سبأ : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم » [النمل] .

ومثالية الاسلام حسب هذا التفسير السليم والمنهج العلمى الاسلامى الواقعى هى التى يمكن أن تحقق لنا الترابط الاجتماعى الصحيح بافتراض أن مثالية الاسلام تنعكس على الفرد المسلم الذى هو أساس البناء للهيكل الاجتماعى الاسلامى وبذا تتحدد علاقة الفرد بالمجتمع والمجتمع بالفرد على هذه الحقيقة الاسلامية فيكون المجتمع المثالى الذى ينشده الانسان فى هذه الحياة .

ولعل السؤال الذى يمكن أن يدور بخلدنا هو كيف نحقق هذه المثالية ؟ وهل ذلك فى مقدورنا الان بعد أن أصبح الإسلام بهذا المفهوم الصحيح غريبا بين أهله وأصبح الفرد فى سبيل الحصول على ما ينشيده من سعادة الحياة يرتكب من الجرائم – سواء كان عن عمد أو غير عمد – فى حق المجتمع الذى يعيش فيه ما يؤكد أنه يجهل حقيقة الاسلام وبذا يكون حكمه حكم المنكرين له أصلا فى كثير من الوجوه ؟

وللاجابة على هذا السؤال السابق نقول ان تحقيق هذه المثالية ممكن جدا وهو فى مقدورنا بل هو أيسر مما نتخيله بكثير ، وذلك بالرجوع الى الاسلام فى كل ما أمرنا به .

والاسلام فى سبيل تحقيق هذه المثالية للمجتمعات الانسانية انما رسم منهجا معينا لابد من تطبيقه واقراره وسط هذا المجتمع وهو ما يعرف بنظام الاسلام وفى هذا النظام كان تحليل المجتمع – أى مجتمع – تحليلا كاملا ودقيقا لكل مراحل نموه وتطوره فى هذه الحياة وبذا أصبح هذا المنهج يعرف الوسيلة والغاية معا . وبتعبير آخر : منهج سليم يعرف مكامن الداء كما يعرف أحسن العلاج وأنجح الدواء .

وهذا المنهج ! انما يتمثل فيما شرعه الاسلام من قواعد ونظم وقوانين منها ما هو مدون ثابت خالد ، ومنها ما هو مرن فى وضعه وتفسيره حسب الزمان والمكان وما تقتضيه مصلحة الانسان وتحقيق التعادل المادى والروحى الذى أراده الاسلام . وهو واجب التطبيق والتنفيذ على الجميع الحاكم والمحكوم فى نظره سواء ، والا لاصبح المنهج نظريا لا فائدة منه فائدة كاملة للانسان وهذا ما يناقضه ويرفضه مبدأ الاسلام .

ولعل فى هذا التفسير ما يجيب على كل متسائل عن المنهج الاسلامى فى تحليل المجتمع ويقدم له ما يبحث عنه فى الاسلام الذى هو عقيدة ونظام وعمل فى اطار واحد متكامل . وهذا هو الفرق بين قواعد المنهج الاسلامى فى تحليل المجتمع وبين قواعد المنهج الاشتراكى العلمى ، لان الاسلام هدف متكامل . أما المنهج العلمى فانما ياخذ بالجانب المادى فقط باعتبار أنه الغاية التى ينشدها الانسان وهو بهذا يغفل الشق الثانى منه وهو الجانب الروحى فيه . وهذا ما يجعل النظرتين مختلفتين اختلافا جوهريا بينا حتى وان كان الاسلام لا يرفضها فى اطاره باعتبارها مطلب من مطالب هذه الحياة وما دامت من صميم الاسلام فلماذا البحث اذن خارج اطاره ؟

ولا يصح الخلط أو الربط بين الواقع الذى يعيشه المجتمع الاسلامى اليوم وبين حقيقة الاسلام ومنهجه لان هذا خطأ كبير وسوء فهم قد يقع فيه بعض الباحثين . لاننا اذا أردنا تحليل المجتمع الاسلامى الحالى بما فيه من مظاهر مختلفة ومتعددة فيمكن أن نقول بلا خجل أنه مجتمع ينتسب الى الاسلام وكفى له مجرد انتساب وفقط !

البقية ص ١٨٢

الرقابة الإدارية في الدولة الإسلامية

حفلت الدولة الاسلامية منذ فجر حياتها فى صدر الاسلام بعدد كبير من المؤسسات الادارية الساهرة على رعاية شئون المواطنين وتوفير أسباب الاستقرار والطمأنينة لهم فى حياتهم العامة والخاصة على حد سواء . ويرجع السبب فى نجاح تلك المؤسسات فى أداء رسالتها الى قيام هيئة للاشراف على العاملين فيهـا يمكن أن نسميها على حد المصطلح الشائع فى الوقت الحـاضر باسـم « الرقابـة الادارية » ، ومهمتها التوجيه والارشاد ، ومنع وقوع الخطأ ، وفى نفس الوقت توقيع الجزاء الادارى على المخطىء والمنحرف .

الدكتور ابراهيم أحمد العدوى

وتولى الخليفة عمر بن الخطاب تنظيم هذه الهيئة العامة للرقابة الادارية ووضع الاسس التى تعمل عليها ، كما اختار لها نفرا من خيرة رجال الادارة القادرين على تحمل تلك المسئولية الجسيمة بصدق ونزاهة . وفضلا عن ذلك فقد أشرف الخليفة بنفسه على تلك الهيئـة الادارية العليـا ، ضمانا لنجاح رسـالتها ، وتوفير كافة الضمانات اللازمة لاستمرارها فى أداء أعمالها بجدارة ودقة .

واضطلعت تلك الهيئة العامة للرقابة الاداريـة بمراقبة مدى التزام العمال بالتوجيهات والتعليمات التى حرص الخليفة عمر بن الخطاب على تزويدهم بها ، سواء قبل تعيينهم ، أو فى عهود التعيين التى يمنحهم اياها ، أو فى الكتب التى بعث بها اليهم ، أما دوريا ، أو من حين الى آخر حسب المناسبات ومقتضيات الاحوال . واشتملت تلك التعليمات والتوجيهات على جانبين أساسيين ، أحدهما شخصى يتعلق بمظهر الولاة والعمال ، والثانى عام يرتبط بتنظيم العلاقة بين أولئك العمال ورعاياهم . فمن حيث الجانب الشـخصى ، كان الخليفة يشترط على العامل التمسك بالبساطة ، ومن ذلك ، **ألا يركب برذونا «أى دابة» ، ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ، ولا يغلق الباب دون حاجات الناس ،ثم يقول الخليفة بعد ذلك : اللهم اشهد ، ويشهد على العامل أيضا رهط من كبار رجال الدولة زيادة فى تعميم الرقـابة والاشراف .**

وكان الخليفة عمر بن الخطاب جريا على سياسته المشهورة بالعدالة المطلقة ، يلخص للعامل الشروط الواجب الالتزام بها ، حتى يتجنب المعاثر ، ويصبح موضع ثناء الهيئة العامة للرقابة الادارية . فكان يقول للعامل « انى لم أستعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم ، **ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة ، وتقسم بينهم فيأهم ، وتحكم فيهم بالعدل »** . ودأب الخليفة على اذاعة تلك الشروط على جماهير الناس فى مؤتمرات الحج ، التى حضرها العمال والوفود العديدة من الولايات ، حتى يصبح الناس على بينة بالمسئوليات الملقاة على عاتق العمال ، وليشتركوا بالتالى فى مراقبتها ، وكشف اى انحراف يطرأ على سلوكهم ، فخطب فى جمع من عماله مرة أمام الناس قائلا لهم :

« ألا وانى لم أبعثكم أمراء ولا جبارين : ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم . فأدروا على المسلمين حقوقهم ، ولا تضربوهم فتذلوهم ، ولا تجمروهم فتفتنوهم ، ولا تغلقوا الابواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ، ولا تجهلوا عليهم » .

ثم قال ، بعد ذلك موجها خطابه للحاضرين :

« أيها الناس ، انى أشهدكم على أمراء الامصار ، أنى لم ابعثهم الا ليفقهوا الناس فى دينهم ، ويقسموا عليهم فيأهم ، ويحكموا بينهم ، فان أشكل عليهم شىء رفعوه » . واختتم كلامه موضحا أنه سيقتص من أى وال ينحرف عن جادة الصواب ، وكان عمرو بن العاص – والى مصر اذ ذاك – حاضرا ، فهب قائلا : يا أمير المؤمنين ، أرأيت ان كان رجل من المسلمين واليا على رعيته،فأدب بعضها ، انك نقصه منه » فقال الخليفة : أى والذى نفسى بيده ، لاقصنه منه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه .

وتعرض عمرو بن العاص للتطبيق العملى للرقابة الادارية ، سواء من جانب الخليفة نفسه ، باعتباره رأس هذه الهيئة الادارية ، أو من عمالها الذين بعث بهم الخليفة الى عمرو بن العاص فى ولايته مصر . ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يراقب مظهر عماله وولاته حين يفدون عليه من أمصارهم ، ويرى بنفسه مدى تمسكهم بتعاليمه ، أو انحرافهم عنها . ومن ذلك ما فعله بعمرو بن العاص حين وفد عليه من ولايته بمصر ، وقد تأثر بطيب الحياة فى تلك الولاية ، وصبغ شعر رأسه بالخضاب . ولما دخل على الخليفة أنكر عليه ذلك وقال له : **« من أنت . فقال : أنا عمرو ابن العاص . فقال الخليفة : عهدى بك شيخا ، وأنت الان شاب ، عزمت عليك الا ما خرجت فغسلت هـذا »** .

والحادثة الاخرى التى راقب فيها الخليفة عمر بن الخطاب واليه على مصر ، وهو عمرو بن العاص ، رواها المؤرخ بن عبد الحكم فى كتابه « فتوح مصر » نقلا عن الليث بن سعد ، الذى قال « ان عمرو بن العاص دخل على عمر بن الخطاب وهو على مائدته جاثيا على ركبته ، وأصحابه كلهم على تلك الحال ، وليس فى الجفنة فضل لاحد يجلس . فسلم عمرو على عمر ، فرد عليه السلام ، ثم قال : عمرو بن العاص . قال : نعم . فأدخل عمر يده فى الجفنة وملاها ثريدا ، ثم ناولها عمرو بن العاص ، وقال : خذ هذا . فجلس عمرو وجعل الثريد فى يده اليسرى ، ويأكل باليمنى ، ووفد أهل مصر ينظرون اليه . فلما خرجوا ، قال الوفد لعمرو : أى شىء صنعت ، فقال عمرو : انه والله لقد علم أنى بما قدمت به من مصر لغنى عن الثريد الذى ناولنى ، ولكنه أراد أن يختبرنى ، فلو لم أقبلها ، لقيت منه شرا » .

وتابع الخليفة عمر بن الخطاب رقابته لولاته جميعا ، حتى أنه كتب لعمرو بن العاص مرة : **« كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك .. ووقع الى عنك أنك تتكىء فى مجلسك ، فاذا جلست فكن كسائر الناس ولا تتكىء »** . وصارت مراسلات عمر بن الخطاب مع ولاته نموذجا لهذه الرقابة الدقيقة والمتابعة المستمرة والتوجيه المتواصل ، ضمانا لحسن الادارة وتوفير العدالة للرعية فى كل مكان .

وكان أهم صور الرقابة الادارية على عهد الخليفة عمر بن الخطاب هو مقاسمة الولاة أموالهم عند انتهاء أعمالهم . فكان الخليفة يحصى أموال كل وال قبل مباشرته أعماله ، ثم يفحص ما يطرأ على دخل هذا الوالى من حين الى آخر ، سواء مدة ولايته أو بعدها . وكان سبب هذا النظام شكوى وصلت الخليفة من أحد الشعراء فى بلاد الاهواز بفارس اتهم فيها العمال بمخالفة شروط التعيين ، واستغلال سلطاتهم فى جمع الاموال ، سواء عن طريق احتكار السلع ، أو الاشتراك فى المضاربات التجارية .

ورأى الخليفة عمر بن الخطاب أن تلك الشكوى تتطلب استدعاء نفر من العمال ومحاسبتهم فيما نسب اليهم من أقوال . ثم أرسل الخليفة الى نفر آخر من العمال ممن يتعذر حضورهم الى مقر الخلافة رجالا من ادارة الرقابة الادارية للنظر فى أمرهم ومحاسبتهم . وكان المسئول الاول عن جهاز الرقابة الادارية على عهد عمر بن الخطاب رجل من خيرة رجال الادارة ، وهو محمد بن مسلمة الانصارى .

وكان ممن استدعاهم الخليفة عمر بن الخطاب لمقاسمته « أبو هريرة » ، الذى كان عامله على البحرين . وكانت تلك البلاد مشهورة بثرائها ونشاطها التجارى الواسع . وكان « قد اجتمعت لابى هريرة اثنى عشر ألفا ، قدم بها الى المدينة . فقال له الخليفة : يا عدو الله ، وعدو المسلمين ، سرقت مال الله . فقال أبو هريرة : لست بعدو الله ، والمسلمين ، ولكنى عدو من عاداهما ، ولم أسرق مال الله ، ولكن جاءت تلك الثروة نتيجة خيل لى تناتجت وعطاء مدخرا وسهاما اجتمعت . ولكن الخليفة لم يقبل هذا التعليل ، وقاسم أبا هريرة ماله » .

وبعث الخليفة عمر بن الخطاب عامله على جهاز الرقابة الادارية ، وهو محمد بن مسلمة الانصارى الى عمرو بن العاص فى مصر لمحاسبته ، والنظر فيما تجمع له من ثروة . وحمل محمد بن مسلمة خطابا من الخليفة الى عمرو بن العاص جاء فيه : « **أما بعد ، فانكم معشر العمال قعدتم على عيون الاموال ، فجبيتم الحرام . وقد بعثت اليك محمد بن مسلمة الانصارى ليقاسمك مالك ، فأحضره مالك والسلام »** . وكان محمد بن مسلمة الانصارى خير ممثل لجهاز الرقابة الادارية ، نزاهة وحرصا شديدا على اداء مهمته . اذ قدم له عمرو بن العاص حين التقى به هدية رفضها . وقد أغضب ذلك عمرو بن العاص ، الذى حاول تبرير عمله قائلا لمحمد بن مسلمة ، ان الرسول الكريم كان يقبل الهدايا . ولكن محمد بن مسلمة أجاب عمرو بن العاص قائلا : ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

كان يقبل بالوحي ما شاء ، ويمتنع مما شاء . ولو كانت هدية الاخ الى أخيه قبلتها ، ولكنها هدية امام ، شر خلفها » .

واصر محمد بن مسلمة على تنفيذ تعليمات الخليفة ، دون أن يأبه بأقوال عمرو بن العاص ، وعلو مركزه ، وما ساقه من معاذير للتخلص من عملية « المقاسمة » وانتهى الامر بأن أحضر عمرو بن العاص ماله الى مندوب الجهاز الخاص بالرقابة الادارية ، وامتثل لما تم فحصه واقراره » . وصارت الرقابة الادارية فى الدولة الاسلامية عنوانا على العدالة التامة ، وسلطانها الواسع ، دون تفرقة بين عامل كبير أو صغير .

واستطاع الخليفة عمر بن الخطاب ، عن طريق الرقابة الادرية أن يحقق أمثل السبل لانتظام العمل فى الدولة الاسلامية ، اذ أطلق لعماله الحرية فى ادارة ولاياتهم ، مع تقييدهم فى المسائل العامة ومراقبتهم بما يعصمهم من الانحرافات وارتكاب الاخطاء الفادحة . وشرح الجاحظ هذه السياسة التى انتهجها الخليفة عمر بن الخطاب قائلا : « وكان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه فى مهاد واحد ، وعلى وساد واحد . فلم يكن له فى قطر من الاقطار ، ولا ناحية من النواحى عامل ولا أمير جيش الا وعليه له عين لا يفارقه ما وجده . فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده فى كل ممسى ومصبح . وأنت ترى ذلك فى كتبه الى عماله وعمالهم ، حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الخلق اليه وأخصهم به » .

وقد شرح الخليفة عمر بن الخطاب سياسته فى الرقابة الادارية قائلا ، « لئن عشت لاسيرن فى الرعية حولا ، فانى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونى ، أما عمالهم فلا يرفعونها ، وأما هم فلا يصلون الى . فأسير الى الشام فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الجزيرة فاقاموا بها شهرين ، ثم اسير الى مصر فاقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البحرين فاقيم بها شهرين ، ثم اسير الى الكوفة فاقيم بها شهرين ، ثم اسير الى البصرة فاقيم بها شهرين ، والله لنعم الحول هذا » .

وواجه الخليفة عمر بن الخطاب بهذه الروح الاسلامية الواسعة الافق ومفهومها عن السلطات مهام التنظيم الادارى للدولة الاسلامية الفتية ، وجعل من مؤسساتها الادارية مثلا أعلى للعدالة فى عالم كان يئن من مظالم القوى الباغية القديمة من الفرس والبيزنطيين . فلم تكن الرقابة الادارية سيفا مسلطا على الرقاب ، ولكن أداة من أدوات اقرار العدالة وتوفير الطمأنينة لكافة المواطنين . وصار الخليفة عمر بن الخطاب جديرا بأن يعتبر « المؤسس الثانى للدولة الاسلامية » .

الاسلام

ك

وهل أدل على أن الاسلام دين الانسانية من معنى التكافل فيه ؟ ان البشرية مقسمة الى مجتمعات ودول وشعوب ، ويجنح كل مجتمع من هذه المجتمعات الى التعصب لجنسه ولونه وفكره وبعض المجتمعات يتخذ من الدين ذاته شعارا : أو ستارا ، لهذا التعصب كما تفعل اليهود بدينها حين تجعله فزها العاطفى الى النفرة من المجتمعات الاخرى ، والزراية بها ، والانغلاق دونها .. ولو فعلت كل المجتمعات ما تفعله اليهود بدينها لما وجدت على ظهر الارض دعوة ، الا أن تكون مناهضة دين ، تحض بنى البشر جميعا على التعارف والتآلف والتكافل والمحبة .

ويجب علينا أن نفهم هذه المسألة جيدا ، لان الصهاينة الذين نخوض ضدهم الان معركة حياة أو موت يستغلون الدين اليهودى فى غير ما أنزلت الاديان له ، ويحرضون به على العداوة والبغضاء ، ويجعلونه شعارا على التقوقع داخل مجتمعات مغلقة يسمونها الجيتوات « أو الحارات اليهودية » . وطقوس الدين عندهم مسخرة لتحريض الوجدان اليهودى على الاعتقاد بأنهم شعب الله المختار ، والجنس الانقى الذى لا ينبغى له أن يختلط مع سائر الاجناس والشعوب ، ولا أن يتعامل معها الا من موقع السيطرة ، والغطرسة ، والاشارة من بعيد .. وعلى النقيض من هذا تماما يفهم المسلمون دينهم على أنه دين المحبة والتعارف والتكافل والتعاون بين بنى البشر أجمعين لا فرق فى ذلك بين عربى أو عجمى ولا بين يهودى أو نصرانى الا بالتقوى والعمل الصالح .. ولهذا فان جانبا هاما من جوانب معركتنا مع الصهيونية العالمية يقوم على أساس أنها معركة بين

دين الإنسانية

■ الأستاذ عبد الفتاح العروى ■

الانغلاق والانفتاح ، بين الدعوة الى التعصب والدعوة الى التسامح ، بين المؤمنين بنقاء جنسهم وحقه فى التعالى والسطوة ، والمؤمنين بأنهم أمة بين الامم لا يمتازون الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والحض على سبيل الله ..

ولسوف يكون من أغرب الغرائب أن يستطيع الصهاينة ، وهم دعاة الانغلاق والتعصب ، استقطاب الشعوب والدول ، والتأثير فى الرأى العام العالمى ، بينما العرب ، وهم الدعاة الى التسامح والتعارف ، تنكسر أمواجهم داخل اسوارهم ، ولا تختلط بتيارات العالم الهادرة .. ان طبيعة الدعوتين تجعل الفشل فى التأثير العالمى الواسع من نصيبهم ، والنجاح من نصيبنا ، لانه من المناقض لمنطق الاشياء أن يستطيع الدعاة الى التعصب والانغلاق الخروج الى أى تأثير عالمى ، بينما لا يستطيع الدعاة الى التكافل الانسانى الشامل شيئا من ذلك .. صحيح أن عوامل كثيرة ، من بينها تبنى الاستعمار العالمى للدعوة الصهيونية وتراخى العرب عن استخدام المنهج الصحيح لمخاطبة الرأى العام العالمى ، أسهمت فى أن تطرح كل من الدعوتين على الصعيد العالمى عكس النتائج الملائمة لطبيعتها ، فوجد دعاة التعصب والانغلاق أنصارا ، ولم يجد مثلهم دعاة التسامح والتعارف بين الشعوب .. ولكن هذه الحظوظ المتناقضة مع طبيعة كل من الدعوتين قد آن لها أن تدور دورة كاملة حتى تأخذ اتجاهها الصحيح ، فيصبح دعاة التسامح والتواد والتعارف فى قلب العالم وبين تياره ، ويصبح دعاة الانغلاق والتقوقع حيث أرادوا لانفسهم ، أن يكونوا ، معزولين ومنبوذين أمام مرآة لا يرون فيها غير أنفسهم

لسنا نريد لهذا الحديث ان يكون سياسيا ، وانما نحن نتحدث فى جزئية محددة وهى انه كيف يستقيم فى منطق أن يكون من طبيعة بعض الناس أن يتعالى على غيره ، ويجعل من الانغلاق عقيدة ودينا ، ثم يؤثر برغم ذلك ، وتكون له الحظوة ، فى حين أن بعضا آخر يتسامح ، ويدعو الى المحبة ، ولا يكون له عند الغير نفس التأثير ونفس الحظوة .. ؟؟

ان الدعوة الصهيونية الى الانعزال والانغلاق مفروض فيها أن تكون عامل انجاح للدعاية العربية على صعيد العالم كله .. ومفروض أن تكون اسرائيل الان معزولة ، بحكم طبيعة الدعوة التى تستغل دينها للترويج لها ، وأن يكون العرب منتشرين فكريا على اوسع مساحة عالمية بحكم طبيعة الدعوة التى هى من صميم دينهم .. عند هذا الحد ، وكفى .. ثم نسأل ماهى أسس الدعوة الى التكافل الانسانى فى الاسلام .. ؟؟

ان هذه الدعوة لا تقل عرضا واتساعا عن العالم كله . نأخذه بالتفصيل ، وجزءا جزءا ، ثم تأخذه جملة وفى حزمة واحدة .. فالاسلام يدعو الى التكافل بين الفرد وذاته ، أولا ، وبين الفرد وأسرته ، ثانيا وبينه وبين المجتمع الخارجى العريض ثالثا ، ثم تتسع الدائرة لتشمل العلاقة بين الامة وسواها من الامم رابعا ، ثم العلاقة بين الجيل والاجيال السابقة واللاحقة خامسا . بهذا المنظور المتسع الذى يأخذ الأمور بالتفصيل وبالجملة ينظر الاسلام الى قضية التكافل الاجتماعى ، ويعتبره تكافلا انسانيا شاملا ، وان بدأ فيه من ادق الجزئيات وهى التكافل بين الفرد وذاته . انه مع الفارق الضخم فى التشبيه فان الاسلام فى هذا يشبه صانع الالة الضخمة الهائلة ، يتصور الهيكل العام . ثم يركب فيه الالات الدقيقة ، والقطع الصغيرة ، التى تعطى هذا الهيكل العام القدره على الحياه والحركة .. والتصور الشامل للاسلام بالنسبة لقضية التكافل الاجتماعى يقوم على منظور انسانى عام ، يستوعب الانسانية كلها ، ولا يتوقف عند قطاع منها ، أو عدة قطاعات ، ولكنه لكى يعطى هذا التصور الشامل الحياة والفاعلية يبدأ بالجزئيات الدقيقة والتركيبات البسيطة حتى يملأ الهيكل العام كله ويسويه جهازا عملاقا قادرا على الحركة .

وكما قلنا فان الاسلام يبدأ بتنظيم العلاقة بين الفرد وذاته . .وقد يسأل سائل : وكيف تكون علاقة بين الفرد وذاته ؟؟ ان الفرد وحدة واحدة ، والعلاقة لا تكون الا بين اجزاء متباعدة ، أو كيانات منفصله .

والاجابة على هذا السؤال تلخص فى مسألة واحدة ، وهى ان اى علاقة يحكمها منطق واحد ،

وهو : الحق والواجب .. ان المرء لا يمكن أن يتصور علاقة تقوم على حق لا يقابله واجب ، او واجب لا يقابله حق .. ان مثل هذه العلاقة ، ان وجدت ، لا يمكن أن تكون علاقة سوية .. فالحق الذى لا يقابله واجب تدليل وافساد ، لان الحياه لا تعمر بحقوق لا تقابلها واجبات ، ولو كف كل انسان عن أن يؤدى واجبه ، فمن اين لاى انسان ان يحصل على حقه ؟ بل ان الحق نفسه يفقد معناه ، لانه بغير أداء الواجب فان الحقوق تفقد مصادرها ، وتتلاشى ، ويصبح الادعاء بأى حق ادعاء بالقدرة على النهب والغضب .

والشىء العكسى يقال عن الواجب الذى لا يقابله حق .. ان هذا نوع ، من الاسترقاق والعبودية ، ولا تستقيم حياة الافراد ، أو حياة المجتمعات ، والحياة الانسانية على اطلاقها ، فى ظل الاسترقاق أو العبودية .. ولو فرضنا أن فرداً ما ، أو مجتمعا ما ، طولب بأداء الواجبات ، ولم تصرف له ، فى مقابل هذا حقوقه ، فترى هل يستطيع الاستمرار فى اداء هذه الواجبات العقيمة زمنا طويلا ؟؟ ونقول « عقيمة » قاصدين ، لان المفروض ان تكون تأدية الواجب خصبة ، تلد لاصحابها ما يترتب عليها من حقوق ، فان لم تفعل فانها تصبح عاقرا ، وتتلاشى حوافز الناس اليها ، وينتهى الامر الى الكف عن أداء الواجب ، فتخرب الارض ، ويكف الناس عن العمل بعد أن ماتت دوافعهم اليه ..

وقد يتحدث البعض عن التضحية التى تقوم على أساس اداء الواجب دون انتظار للعائد .. ولا شك عندنا ان التضحية موجودة ، وفى مثل انسانية نبيلة .. ولكن ، حينئذ ، فان التضحية لا تعنى أن الذى يقوم بها لا ينتظر لها ثمرة .. أبدا !! ان لكل تضحية هدفا تسعى الى تحقيقه ، وتحقق هذا الهدف ، أو حتى الامل فى تحققه ، هو العائد الطبيعى للتضحية .. بل ان التضحية لا تأخذ معناها الحقيقى الا اذا كان لها هدف نبيل ، والا فانها تصبح نوعا من العبث غير المقصود .. وانما التضحية تسمى كذلك لان الذين يقومون بها لا ينتظرون لها عائداً مباشرا ، أو عائدا متكافئا مع ما يضحون به هم شخصيا .. فالجندى الذى يطوق نفسه بحزام من المتفجرات ويندفع الى دبابة معادية لتدميرها ، يعلم مقدما أنه سوف يستشهد دون أن يلمس شخصيا نتيجة المعركة النهائية ، ولكنه يعلمه يقينا ، والا لانتفى معنى التضحية ، أنه بمجموع التضحيات فان وطنه سوف يكسب المعركة الان ، أو غدا ، وان هذا هو الهدف النبيل من الاستشهاد ، وأنه هو نفسه سوف يلقى جزاءه الاوفى عند بارئه ...

نريد أن نقول : ان اى علاقة سوية لابد أن تقوم على منطق الحق والواجب ، وان الاسلام اذا كان قد بدأ ، فى قضية التكافل الاجتماعى ، بتنظيم العلاقة بين الفرد وذاته ، فان هذه العلاقة هى الاخرى تقوم على نفس المنطق ، اى منطق الحق والواجب .

ان كل انسان مكلف ، بنص التشريع الاسلامى ، أن يفرض على نفسه واجبات روحية ، وأن يأخذها بالشدة ، وأن يروضها على الصلاح والتقوى ، حتى تشف وتزكو ، وتصبح جديرة بما أعد لها فى الدار الاخرة من آلاء ونعم .. « **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى** » — سورة النازعات .

وفى مقابل هذا الواجب الذى يفرضه الانسان على نفسه ، أو ان شئت ، ففى مقابل هذه الرياضة النفسية الشديدة التى يلتزم بها الانسان ، فرض الاسلام للنفس البشرية حقا مكافئا ، والا فمن اين للنفس البشرية قدرتها على الاستمرار فى هذه الرياضة الروحية الشديدة ، وفى أداء هذا الواجب الذى لا ينهض به الا أولو العزم والقوة .. ؟؟

لقد فرض الاسلام للنفس ، فى مقابل واجباتها الروحية ، حق المتعة فى الحدود التى لا تفسد فطرتها او ترنق طهرها ، وفرض لها كذلك حقها فى الاستجمام والراحة حتى لا تضعف أو تنهار .

قال تعالى : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا** » .

وقال تعالى ، فى موضع آخر « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » .

والحديث الشريف يقول : « **ان لبدنك عليك حقا** ... » .

ما الذى يعنيه ذلك كله .. ؟؟ يعنى أن الاسلام بدأ قضية التكافل الاجتماعى ، الذى يأخذه من منظور انسانى شامل ، بتنظيم العلاقة بين الفرد وذاته ، وجعل هذه العلاقة تقوم على ما تقوم به أى علاقة سوية ، اى على الموازنة بين الحقوق والواجبات ..

وتبقى مسألة وهى أن اى علاقة سوية ، قائمة على الموازنه بين الحقوق والواجبات ، لابد أن تلزم الداخلين فيها بالمسئولية والتبعة ، بمعنى أنه اذا كان المرء يأخذ حقه ، ويؤدى فى مقابله واجبه ، فان هذا المرء لابد أن يكون مسئولا عن عمله . ان منطق الحقوق والواجبات الفردية تلزم الفرد بالتبعة الكاملة عن أعماله ، لانه ما دام الفرد قد حصل على حقوقه فى مقابل واجباته فان مسئوليته عن أعماله لابد أن تكون كاملة ، وأن تكون حتمية ، ومع حتميتها وكمالها فانها بالضرورة عادلة ، ولا حيف فيها ، لانها تقوم على الموازنة الدقيقة بين الاخذ والعطاء ...

وفى هذا يقول سبحانه وتعالى « **كل نفس بما كسبت رهينة** » ويقول « **فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل** » .

واذن فلا معنى لان يدعى مدع أن الانسان مجبور على الطاعة أو العصيان ، على الهدى أو الضلال ، وأن هذا يعفيه من المسئولية عن أعماله .. أبدا !! ان علاقة الفرد بذاته تقوم على منطق الحق والواجب ، واى علاقة تقوم على هذا المنطق ، لابد أن تترتب عليها

البقيـة ص ١٧٧

ملامح شخصية المؤمن

كما يحددها الرسول صلى الله عليه وسلم

الأستاذ مصطفى عبد الحليم الجندي

- ٦ -

الحديث عن ملامح شخصية الانسان المؤمن : هو من أعظم وأخص مهام الدعوة والداعية ، بل هو من صميم جوهر أمانة التبليغ عن الله رب العالمين ، وذلك ما قد يوضح لنا سر اهتمام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعنايته بهذه القضية ، فلقد اوقف - صلى الله عليه وسلم - حياته المباركة : على رسم أبعادها ، ووضع خطوطها ، وابراز معالمها ، وتحديد ملامحها تحديدا دقيقا : على هدى من كتاب اللهتعالى ، واستقامة على دربه ، واستئناسا بضوئه ، فما ملامح الانسان المؤمن فى حقيقة أمرها : الا انعكاس لكل ما فى القرآن الكريم من هداية ونور ، وخير وفضل ، فبمقدار ما يأخذ المؤمن من هدى القرآن ، بل بمقدار ما يجعل من نفسه قرآنا يمشى على الارض : بسمته وسلوكه ، وخلقه وعمله ، وعبادته ومعاملته ، بل وسائر شأنه وحاله كله : بمقدار ما تتحقق فيه أخلاق المؤمن وتتجسم فيه ملامح المؤمنين وسماتهم ..

ورغبة منافى الاسهام بنصيب « فى قضية الدعوة الى ملامح الايمان وتأكيدها ، وتحقيق شخصية الانسان المؤمن ، وابراز صورتها « فى مجتمع قد أراد له ربه الخير والرشد ، حين رفع شعار العلم ، والايمان ، وسعى ويسعى الى تحقيق ما جعله لنفسه شعارا ، ليكون واقعا مجسدا بدانا هذا الحديث ، ولم يكن لنا فيه من فضل الا مجرد تجميع ، ما قد يكون ملامح الصورة ويبرز سماتها وخصائصها من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب الشريعة ومعلم حقائقها ..

ولقد كنا قد سردنا من هذه الملامح العشرات ، وبقى ان نضيف اليها جديدا قد وفق الله اليه ، ويسر لنا جمعه ليكون بين - يدى القارىء الكريم - زادا يأخذ منه ، ومثلا يقتدى به ونموذجا يحتذيه ، وأسوةحسنة يتأسى بها ، وميزانا يتعرف به ومنه على خطه من ملامح الايمان ، فنقول وبالله وحده التوفيق :

٤٢ - ومن ملامح الانسان المؤمن : ما قد اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « **العلم خليل المؤمن** » اخرجه القضاعى فى المسند عن ابى الدرداء وعن أبى هريرة رضى الله عنهما كما أخرجه البيهقى » ..

ان شأن المؤمن مع العلم ، وشعاره الذى يرفعه ويردده ما روى من قول بعض اهل العلم « **مع المحبرة حتى المقبرة** » اى ان المؤمن لا يستغنى عن العلم فى كل يوم ، بل وفى كل لحظة ، فبمقدار ما يتجدد فى حياة المؤمن من احداث واحوال : بمقدار ما تكون حاجته الى العلم . ولقد صدق « ابو حنيفة » فى قوله « **من ظن أنه يستغنى عن العلم فليبك على نفسه** » .. !

ولقد فقه المؤمن من دينه هذه الحقيقة التى تلقاها عن نبيه صلى الله عليه وسلم من قوله : « **الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه ، وعالما او متعلما** » « اخرجه الترمذى عن أبى هريرة » . كما فقه المؤمن من دينه : ان « **فضل العلم خير من فضل العبادة** » « اخرجه البزار » .

وان « **قليل العلم خير من كثير العبادة** » ارخجه الطبرانى » .

وان « **من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين** ، « اخرجه البخارى ومسلم عن معاوية بن ابى سفيان » ..

وان ليس هناك من طريق الى الجنة هو أقصر من طريق طلب العلم ، والسعى اليه ، وسلوك دربه ، «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة** » « اخرجه مسلم عن ابى هريرة » .

ولقد كانت وصية الرسول صلى الله عليه وسلم - لابى ذر رضى الله عنه قوله له : « **يا أبا ذر : لان تغدوا فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة** » « الطبرانى » .

ولقد جعل نبى الاسلام وداعية الايمان - صلى الله عليه وسلم - مجرد الخروج الى طلب العلم ضربا من الجهاد فى سبيل الله حين قال : « **من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع** » اخرجه الترمذى عن أنس » . كما كان أعظم ما تعلمه النبى صلى الله عليه وسلم من ربه هذه الدعوه القرآنية التى كان يرددها دائما : « **وقل رب زدنى علما** » .

ذلك أن درجات الناس عند ربهم ، ومراتبهم لديه ، انما تكون على قدر حظهم من العلم ونصيبهم منه « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » .

وذلك ما قد يلقى الضوء على اسرار هذه النصيحة والوصية بطلب العلم ، والحرص عليه والتزود منه « **تعلموا العلم : فان تعلمه لله خشية : وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة : به حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الابصار من الظلم ، يبلغ العبد به منازل الاخيار ، والدرجات العلا فى الدنيا والاخرة ... التفكير فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الارحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، وهو امام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء : ويحرمه الاشقياء** » « اخرجه ابن عبد البر فى كتابه « بيان فضل العلم » عن معاذ بن جبل » .

٤٣ - ومن ملامحه : أن العقل هو دليله الى الخير ، وهو سائقه الى المعروف ذلك ما قد يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل « **العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله** » « أورده الشريف الرضى فى المجازات النبوية ، كما اخرجه البيهقى والقضاعى عن أبى الدرداء وابى هريرة » .

لقد قررت هذه الحقيقة التى اكدناها آنفا جملة من الاحاديث النبوية الشريفة لا بأس من أن نسوق الى القارىء الكريم شيئا منها : وهى وان كان فى سند بعضها ضعفاء الا انه يقوى بعضها بعضا .

١ - « **لكل شىء دعامة ، ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته** » « قال العراقى فى الاحياء أخرجه ابن المحبر عن ابى سعيد الخدرى كما اخرجه الحارث فى مسنده » .

٢ - وقوله : « **اتمكم عقلا اشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا ، وان كان اقلكم تطوعا** » « قال العراقى فى الاحياء : اخرجه ابن المحبر من حديث ابى قتادة » .

٣ - وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله : **بم يتفاضل الناس فى الدنيا ؟ قال : بالعقل . قلت : وفى الاخرة ؟ قال : بالعقل . قلت : أليس انما يجزون بأعمالهم** فقال صلى الله عليه وسلم : **ياعائشة : وهل عملوا الا بقدر ما أعطاهم - عز وجل - من العقل ؟ فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم ، وبقدر ما عملوا يجزون** » . « قال العراقى فى الاحياء : اخرجه ابن المحبر فى العقل ، والترمذى الحكيم فى النوادر » .

٤٤ - ومن ملامحه .. أن العمل ، وليس الكسل ، أو التواكل : هو الذى يقوده الى حظه الذى قدره له ربه من الخير فى أولاه وفى أخراه .. ذلك ما يشير اليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بسبيل ابراز ملامح المؤمن « **العقل دليل المؤمن والعمل قائده** » « أورده الشريف الرضى فى المجازات » لقد فقه المؤمن من دينه ووعى فيما وعى من قضاياه : هذه الحقائق التى اشتمل عليها الهدى المحمدى فى قوله « **ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وان قوما غرتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحن نحسن الظن بالله: وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل** » « اخرجه البخارى فى تاريخه » .

ولذلك فالمؤمن لا يعرف التواكل ، ولكنه يعرف التوكل : لان التوكل هو الاعتماد على الله تعالى بعد بذل الجهد ، وافراغ الوسع ، والاخذ بأسباب النجاح ، وما قد يوصل الى نيل المقصود.. اما التواكل : فشأن المؤمن الحقيقى انه برىء منه ، لان التواكل : عجز ومنقصة وبلادة حس ، ودناءة نفس : لا تليق بمؤمن اكرمه ربه ، وأعزه بعزة الايمان ..

وحقيقة تبدو واضحة ، وتبرز فى خلق المؤمن وسلوكه ، كما تظهر فى عمله : انه يعى أنه بمقدار ما يبذل من عمل ، ويقدم من جهد ، فهو يدرك نصيبه الوافر من الحياة الافضل ، والعيش الارغد .. وان قيمته فى دنياه ، وفى اخراه : انما تتحدد بحجم عمله من اجل اولاده ، واخراه جميعا ذلك ما استيقنه من هدى ربه عز وجل - فى قوله « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » « النحل » .

نقول : ان العمل من أجل تدعيم الدنيا والاخرة .. هو الى جانب دوره فى قيادة المؤمن الى حظه المقدر منهما فهو فى نفس الوقت : كسب لمعركة الزمن وفرصة الاجل ..

لقد أدى القرآن الكريم دوره كاملا فى حياة المؤمن البصير ، حتى ينقاد الى الخير مأجورا ، حريصا عليه ، مسارعا اليه ، متسابقا الى نيله والفوز به ، مبادرا اليه من قبل فوات الفرصة وانقضاء العمر .. وكذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ...

فلم يكتف القرآن الكريم بمجرد دعوة المؤمن الى العمل فى قوله « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » « التوبه » .

بل دعا الى اتقانه « **ان أحسنتم احسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها** » « الاسراء » .

والى الاحساس برقابة الله تعالى فى أدائه واطلاعه عليه « **ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه** » « يونس » .

والى اخلاص النية فى أدائه كاملا متقنا « **وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** » البينة .

والى عمل الخير وفعله لذاته « **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** » « الحج » .

والمسارعة اليه : « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين** » آل عمران . « **انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين** ! الانبياء .

والاستباق اليه رغبة فيه ، وحرصا عليه : « **فاستبقوا الخيرات** » « البقرة » .

والمبادرة الى فعله دون ما ابطاء ، أو تكاسل .. يقول صلى الله عليه وسلم « **بادروا بالاعمال : هل تنتظرون الا فقرا منسيا ؟ أو غنى مطغيا ؟ او مرضا مفسدا ؟ أو هرما مفندا ؟ أو موتا مجهزا ؟ أو الدجال ؟ فشر غائب ينتظر ، أو الساعة ؟ والساعة ادهى وأمر** ! أخرجه الترمذى عن ابى هريره .

٤٥ - ومن ملامح الانسان المؤمن : **ان الرفق خلقه وشأنه فى سائر أمره** .. لانه يعى من دينه هذه الحقيقة التى قررها الرسول صلى الله عليه وسلم : فيما أخرجه الامام مسلم فى صحيحه عن جرير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول « **من يحرم الرفق يحرم الخير كله** » . وما اخرجه الطبرانى عن جرير ايضا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **ان الله عز وجل ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق** « الحمق » **وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ، ما من أهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا الخير كله** » .

كما أن المؤمن من أشد الناس حرصا على خلق الرفق .. لانه دليل اكتمال النفس .. كما ان به تمام زينتها فلقد أخرج مسلم فى صحيحه « ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ولا ينزع عن شىء الا شانه » .

ولذلك يحرص المؤمن الحرص كله على الرفق ، مؤملا ما عند ربه من خير فى مقابله وهو ما قد أشار اليه - صلى الله عليه وسلم - فى قوله « **ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه** ! أخرجه الامام مسلم عن عائشة رضى الله عنها .

٤٦ - ومن ملامحه أنه انسان بار ، حريص على البر ، وعمل الخير ، كان البر اخوه ، وذلك ما قد يعنيه قوله صلى الله عليه وسلم - عن المؤمن ان « **العقل دليله ، والعمل قائده ، والرفق والده ، والبر أخوه** » « أخرجه البيهقى والقضاعى وأورده الشريف الرضى فى المجازات » .

ولقد جاء ذكر « البر » فى القرآن الكريم كثيرا ؛ ولكن اجمع آية تعرضت لشرحه وعرض حقيقته هى ايه البقرة ، حيث يقول سبحانه : « **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون** » « البقرة » .

ولذلك فقد فسر الاستاذ محمد اسماعيل فى الجزء الاول من كتابه معجم الالفاظ والاعلام القرآنية « كلمة البر فقال : **انها اسم جامع لكل معانى الخير والرحمة** - ص ٥٧ .

وهذا بعينه هو ما قد يتفق مع ما اشتمل عليه حديث النبى صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه الامام مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : **سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم ؟ فقال : البر : حسن الخلق . والاثم : ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس !** .

الحديث موصول باذن الله تعالى

منهج التربية فى الإسلام

الدكتور عبد الحميد ابو المكارم اسماعيل

الولد هو ريحانة الفؤاد . وضوء البصيرة ووميض الحياة . وسراج القلب وزينة الحياة الدنيا . وهو النصير والظهير . وهو الفياء الذى يستنشق الاب عبيره حين يشتد عليه قيظ الحياة ، وحينما يدب فيه الشيب ويضعف البصر ويقل العون . وهو أيضا ريحانة البيت فى الصغر وراعيه فى الكبر . وهو الاداة التى يصل بها الانسان حياته ..

وهو الذكر العطر ان أحسن الاب تاديبه وتربيته قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] :

« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له » .. فالذرية الصالحة أمل كل مسلم وبغية كل مؤمن ورجاء كل انسان . لان الولد صنو أبيه وهو كما وصفه الاحنف لمعاوية اذ قال هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة . وسماء ظليلة . فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم . فانهم يمنحونك ودهم ويحبونك عهدهم ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك] .

ولا شك أن الابناء زينة لحياتنا وهم أعظم نعمة يتمناها الانسان وصدق الله العظيم اذ يقول : **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا .**

ويقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » وهم نعمة ونفحة الله الى الناس قال تعالى : **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية »** ... ولذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم حريصين على هذه النعمة فها هو ذا زكريا عليه السلام يقف فى محرابه ينادى ويناجى ربه طالبا منه أن يمن عليه بالذرية الصالحة وهو فى أدب جم وخشوع وخضوع لرب السموات والارض وذلك بعد أن رأى ما وهبته مريم بنت عمران من جميل العناية من الله تعالى والرعاية منه كما كان يجد زكريا عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، فاخذت له علامات القبول لهذه البنية الصغيرة . وكان كلما سألها عن أمر هذه الفاكهة قالت له هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب حينئذ تحركت عواطف الابوة عند زكريا عليه السلام طمعا فى فضل الله فكان كما قال القرآن الكريم عنه : **« هنا لك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء »** . وكان دعاؤه وطلبه فيه أدب جم مع الله تعالى كما كانت أساليب هذا الدعاء مختلفة ومتنوعة فمرة قال لربه عز وجل : **« رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين »** .. وهنا يرى الانسان مدى خشوع العاشق مع المعشوق ومدى تأدب الحبيب مع المحبوب وأخرى يناديه ويقول له : **« رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا »** وثالثة يعلل رغبته فى الولد فيقول **« وانى خفت الموالى من وراءى وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا »** . وبينما هو كذلك فى حاله . حالة الرجاء والامل والرغبة والدعاء اذ يثلج الله تعالى صدره . فيقول [فاستجبنا له] وعند ذلك تنطلق الملائكة بالبشارة وهو قائم يصلى فى المحراب [أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين » .

وهنا نقول انه لا حرج على فضل الله تعالى . فقد تصادف دعوات الاصفياء والانبياء والاتقياء ما فى علم الله تعالى وما فى مراده فينفذ ما هو كائن عنده فى الازل بناء على دعوة واحد من هؤلاء : ولعلك تعجب مما عجب منه زكريا ذلك الشيخ الذى كانت امرأته عاقرا . حتى انه قال لربه « رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر] فيأتيه الجواب قول الله تعالى ، [قال كذلك الله يفعل ما يشاء] .

وازاء هذه النعمة المرجوة والامل المرتقب لا يجد العبد الصالح الا شكر ربه تعالى عما أسداه اليه من فضل وعما من عليه من خير شكرا لذاته واعترافا بفضله فيسأل ربه عما يمكن شكره به فيقول زكريا لربه .

رب أجعل لى آية . قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وأذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار » حينئذ يستريح الفؤاد المشغول وعليه أن يوفى شكر ربه فيخرج زكريا من محرابه .

موحيا اليهم أن سبحوا بكرة عشيا : ولان الدعوة كانت صالحة والرغبة كانت صالحة كان النبت الذى نبت والولد المرجو كان صالحا اذ جعله الله تعالى نبيا وفى هذا يقول ربنا عز وجل **« يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا »** .

وهكذا نجد رغبة الوالد فى الولد نجد الرغبة فى أن يكون للوالد خلفا يخلفه ونسلا صالحا يذكر به يهدى الى الرشد ويدعو الى البر ولذا فاننا نجد الاسلام قد عنى بتربية الاولاد تربية صالحة رائقة نظيفة فيها معنى السمو والعلو والرفعة لان هؤلاء الابناء هم عدة المستقبل وأمل الغد وحملة الرسالات وحماة الامة وحراس الوطن ولم يكن منهج الاسلام فى العناية بالاولاد وتربيتهم عناية جوفاء أو عناية رمزية لا .. بل كانت عنايته بهم منذ اختيار الزوج للزوجة وحتى يكون الطفل فى بطن أمه وبعد أن يدب على الارض وبعد أن يصير شابا يافعا وأبا وزوجا وشيخا هرما وحتى وفاته وبعد وفاته كذلك منهج عجيب وفريد لم تخطها شريعة من الشرائع السابقة أو أمة من الامم .

لان الفرد لبنة فى أسرة والاسرة لبنة فى المجتمع الذى يريده الاسلام .

فبالنسبة لاختيار الزوجة التى هى ام الطفل والشاب والشيخ فقد عنى الاسلام بذلك عناية ملحوظة لانها هى المدرسة الاولى التى تخرج الشجعان وهى الانسانة الوحيدة التى تستطيع أن تخلق بأفكارها عظماء الرجال وجهابذتهم ومن هنا فقد صب الاسلام فى أذن أبنائه التى تتم بها سعادتهم فقد نهى الله تعالى عن نكاح المشركة .قال تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » . لان الشرك فيه جرم كبير وذنب عظيم وبه تنفك عرى المحبة والوئام وتنفصم وشائج الاسرة القوية وحرصا من الاسلام على أن تكون الاسرة صالحة وذريتها صالحة ولذا فان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » .

كما أنه صلى الله عليه وسلم . جعل من محسنات النكاح للمرأة هو الدين فقال: **تنكح المرأة لاربع لما لها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك** ».

وفى هذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم . قدم المال على الجمال وقدم الجمال على الحسب وقدم الحسب على الدين لم يكن ذلك لمنقصة فى هده الاشياء الا خوفا على الرجل اذا تزوج المرأة لمالها فلربما مالها يطغيها واذا تزوجها لجمالها فلربما جمالها يرديها واذا تزوجها لحسبها فلربما يكون حسبها له ذلا وأما الدين فهو الركن الركين وهو الحصن الحصين ماتمسك به انسان الا زاده الله به عزا وجعل غناه فى قلبه وأفاء عليه من خيره وبره ..

وما يكاد الوليد يدب على الارض حتى يرشد الاسلام الاب بأن يختار لولده اسما لا يعير به وجعل خير الاسماء ما عبد وحمد . كما أنه صلى الله عليه وسلم غير أسماء بعض الصحابة وسماهم بما يتفق ومعانى الاسلام فقد غير اسم حرب الى سلم وغير اسم المضطجع الى المنبعث حتى يتفق الاسم وصاحبه فجرا المسلمين بقوله : [انكم تدعون يوم **القيامة بأسمائكم فحسنوا أسماءكم**] ».

ولم تقف عناية الاسلام عند هدا الحد الزم الوالدين بالنفقة على أولادهم . قال تعالى : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** » حتى اذا شب الوليد عن الطوق ونعمت أظفاره فان الاسلام يرشد الاباء الى تربية هذا الشاب وتكوين شخصيته بغرس المبادىء السامية والمعانى الاسلامية السامقة ولهذا فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاباء بأمر أولادهم بالصلاة . حتى يتعودوها وحتى تشب نفوسهم على طاعة الله تعالى فقال : « **مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر** » لان فيها معانى الطهر والنقاء والصفاء وضبط النفس فى الجماعة والتعود على النظام ولان الولد اذا نشأ نشأة صحيحة سليمة فى كنف ما أمر الله تعالى كان ولدا نافعا ولذا فقد جاء القران الكريم بمنهج فريد فى التربية والسلوك على لسان لقمان فى نصح ولده وتربيته وكان أول أمر أمر به لقمان ولده الا يشرك بالله شيئا وأن يقيم الصلاة وأن يتحلى بالفضائل قال تعالى : « **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم** » .. ثم امره بعد ذلك بصفات آخر ليتحلى بها اذ قال له «**يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور** » . ولم ينته الامر عند هذه الوصايا وانما صب فى أذنيه أوامر تطهره من العقد وتبعده عن الضلال والبهتان اذ قال .

« **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ، وأقصد فى مشيك وأغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير** » لان الحلم والتواضع والاناه صفات الرجل الكامل ولان هذه الصفات حلية المتقين ومنهج المؤمنين ولذا نجد القرآن الكريم يربى مريديه على التحلى بهذه الصفات الحميدة . قال تعالى : «**ولاتقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا** ..

والقرآن فى هذا يأمر المؤمنين بأن يتنزهوا بأسمائهم وأبصارهم عن كل مالا يعنيهم كما يأمرهم بالتواضع وكرم الخلق ولهذا كان يتعهد الرسول الشباب بالنصح والارشاد فى كل فرصة كانت تحين له وما أجمل قوله حينما يقول لابن عباس وهو خلفه « **يا غلام انى اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسال الله . واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك . وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف** ».

ومن هنا نجد الاسلام يرسم المنهج القويم والسلوك المستقيم الذى ينبغى للاباء أن ينهجوه مع الابناء وأن يتعهد الوالد الولد بالعناية والرعاية وأن يغرس فيه ما ينفعه حتى يكون الولد قرة عينه وأمله المرجو لان الولد كالزرع اذ تعهده صاحبه آتى الزرع ثماره وكان بهجة للناظرين واذا تركه كان ذلك الزرع خسارة على صاحبه وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « **كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه** » لكن على الوالد أن يكون حكيما قريبا فى نصحه من ولده . فلا يكون عاقا لابنه غير مراع لشعوره . ولهذا يقول الله تعالى «**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** » .

وبعد فقد حفل القرآن الكريم بأساليب عظيمة لتربية ورعاية الشباب لان الامم القوية هى التى تحافظ على شبابها وتتعهده بالنصح ولا تتركه فى مهب الرياح . وما أحوجنا الى هذه المناهج السليمة القويمة نغرسها فى نفوس أبنائنا ونصلحها لاولادنا حتى يكونوا قرة للعيون ونضرة للوجوه ورجالا نافعين و املا يرتجى لهذا الوطن العزيز .

هذا وانا لنرجو من الله عز وجل أن يعلمنا بعلمه وأن يتعهدنا برعايته انه سميع قريب مجيب .

العدالة الاجتماعية

شريعة أبي بكر في تدبير شئون الدولة

فى المقال السابق شرحت ماصنعه الخليفة العادل عمر بن الخطاب من تحرى الامانة والنزاهة فى مال المسلمين مع عماله ، وما كان يفرضه من الرقابة عليهم حتى لا يغريهم الطمع فى مال ليس لهم . وفى هذا المقال نتحدث عن سياسة الخليفة أبى بكر الصديق وما أخذ به نفسه من الشدة والعفة عن مال المسلمين حتى يكون قدوة للعاملين والحاكمين ..

■ الأستاذ مصطفى حسن

لما حضرت الوفاة الخليفة المؤمن ابو بكر الصديق : نادى على ابنته عائشة .. وقال : يا عائشة . لقد تولينا أمر المسلمين فاكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم فوق اجسامنا ، وليس فى بيتنا الاجرد تلك القطيفة ، والا ذلك العبد الذى يقوم على خدمتنا ، والبعير الذى نستخدمه للسقاية ، فاذا مت فاحملى كل هذا الى بيت مال المسلمين .

فقد كان أبو بكر رضوان الله عليه أول خليفة للمسلمين بعد الرسول صلوات الله عليه ، وكان يحرص على أن يكون قدوة لكل من له شأن من شئون الرعية امانة ونزاهة وعفة وتورعا عن مال المسلمين . واقامة مجتمع اسلامى على أساس من النزاهة والمحبة والتعاون والاخاء والرحمة والعدل .. كما كانت سيرة رسول الله صلوات الله عليه .

وحين تولى أبو بكر أمر المسلمين لم يضع نفسه فى موضع الرياسة ولا موضع الحاكم الذى يسأل الناس ويحاسبهم ولا يسأله أحد أو يحاسبه فى أمره . بل انه وضع نفسه موضع المسئولية أمام المسئولين وفى أول خطبة خطبها بعدما اختير للخلافة قال : ايها الناس ان رايتمونى على حق فاعينونى وان رايتمونى على باطل فقومونى . وأطيعونى ما اطعت الله فيكم .

بهذا كان ابو بكر يحاسب نفسه فى كل تصرفاته قبل أن يحاسبه غيره .. وكان يحرص بهذا على ان يكون قدوة يقتدى بها أصحاب المناصب والعمال والولاة الذين يتولون شئون المسلمين . وأن تكون سيرته فى الناس قائمة على اعطاء كل ذى حق حقه . وعلى ايثار العدالة .. فلا يجور قوى على ضعيف ولا غنى على فقير . وأن الاسلام عقيدة تقوم على الحق والعدل والتعاون والتضحية فى سبيل الله .

قال عروة بن الزبير : انفق أبو بكر ثروته كلها فى سبيل الله وكانت تقدر بأربعين الف درهم فى صدر الاسلام .. وأيدت ذلك السيدة عائشة رضى الله عنها .

وفى غزوة العسرة ترك أبو بكر نفسته وأولاده لله ولرسوله وقدم ما بقى عنده من ماله » .

جاء فى الرياض ان رزق أبى بكر الذى فرض له

بعد الخلافة ٢٥٠ دينارا فى السنة .. وشاة يؤخذ منها بطنها وراسها واكارعها .. فلم يكن يكفيه ذلك ولا عياله .. وكان قد القى كل دينار ودرهم عنده فى بيت مال المسلمين فخرج الى البقيع فباع واشترى فجاء عمر رضى الله عنه فاذا هو بنسوة جلوس .. فقال : ما شأنكن ؟ . قلن نريد خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق يطلبه فوجده فى السوق ، فأخذ بيده فقال : تعالى ههنا ، فقال : لا حاجة لى فى إمارتكم ، رزقتمونى مالا يكفينى ولا عيالى ، فقال عمر انا نزيدك ! فقال ابو بكر : ٣٠٠ دينار والشاة كلها . قال عمر اما هذا .. فلا ! فجاء على رضى الله عنه وهما على حاله تلك ! فقال ابو بكر : انتما رجلان من المهاجرين ، لا ادرى : هل يرضى بها بقية المهاجرين ام لا ! وانطلق ابو بكر رضى الله عنه وصعد المنبر واجتمع عليه الناس ، فقال : ايها الناس .. ان رزقى كان ٢٥٠ دينارا وشاة يؤخذ منها بطنها وراسها واكارعها ، وان عمر وعليا كملا لى ٣٠٠ دينار والشاة افرضيتم ؟ قال المهاجرون : اللهم نعم ، قد رضينا ، فقال اعرابى من جانب المسجد : لا والله مارضين ، فأين حق اهل الباديه ؟ قال ابو بكر : اذا رضى المهاجرون شيئا فانما انتم تبع » .

وصوره أخرى لابى بكر العظيم الذى غلب بعزيمته الصادقة وثباته العجيب الجزيرة العربية واخضعها لدين الله ، ثم بعث بها فقاتلت تحت الويته الدولتين الكبيرتين على وجه الارض وتغلبت عليهما .. ابو بكر الصديق كانت له قطعة غنم تروح عليه ، وربما خرج بنفسه فرعاها .. وكان يحلب للحى اغنامهم ، فلما بويع له بالخلافة ، قالت جارية فى الحى : الان لا يحلب لنا منايح اغنام دارنا ! .. فسمعها ابو بكر فقال : بل لعمرى : لاحلبنها لكم .. وانى لارجو ان لا يغيرنى ما دخلت فيه ـ أى الخلافة ـ عن خلق كنت عليه » .

هذه عظمة ابو بكر .. قوة على الاقوياء الجبارين حتى يصرعهم ويلقى برءوسهم على قدميه وتواضع للفقراء والمساكين حتى يطيب قلوبهم ويهون عليهم مصابهم .. ولم يكن ابدا متكبرا .. لان الكبر هذا عظمة النفوس الصغيرة ، ولانه العجز والخوف والشر ، ولم يكن ابو بكر فى تواضعه ضعيفا فما للضعف سبيل الى نفسه رضى الله عنه وهو اقرب الناس الى معدن النبوة ومنزلة الوحى .

وروى ابن سعد ، أن ابا بكر رضى الله عنه كان له بيت مال معروف ليس يحرسه احد ! وكان يعطى ما فيه حتى لا يبقى فيه شيئا ، فلما تحول الى المدينة حوله معه ، فجعله فى الدار التى كان فيها وقدم عليه مال من معدن من معادن جهينه ، فكان كثيرا ، فكان يضع ذلك فى بيت المال فيقتسمه بين الناس سويا بين الحر والعبد والذكر والانثى والكبير والصغير على السواء . قالت عائشة رضى الله عنها : فأعطى اول عام الحر عشرة والمملوك عشرة والمراة عشرة ثم قسم فى العام الثانى فأعطاهم عشرين .. عشرين .

ذلكم الروح المبلغ فى الاشتراكية . الناظر الى المال على انه وسيلة .. ووسيلة فقط لبناء الامة الصالحة ، لبناء السياسة الحربية لايجاد شعب نافع لاقامة مبادىء العدالة والمساواه ... أضفى على ابى بكر تواضعا وزهدا ، فليس المال يؤخذ ـ فى مذهب الاسلام وابى بكر ـ للمظهر الكاذب ولا للملابس الفخمه ! ان للمال رسالة اسمى من هذا .. ان للمال رسالة المصنع ورسالة العامل ورسالة البناء ورسالة السلاح .. ورسالة الرفاهية العامة على الامة كلها ، لا على فرد معين ولا على طبقة معينة .

وفد على ابى بكر رضى الله عنه ملك من ملوك حمير ومعه الف عبد دون ماكان معه من عشيرته ، وعليه التاج والحلى والجواهر ، فلما شاهد ما عليه ابو بكر من اللباس والزهد والتواضع والنسك . القى ماكان عليه وتزيا بزيه ، حتى أنه رئى يوما فى سوق من اسواق المدينة على كتفيه جلدة شاة .. ففزعت عشيرته .. وقالوا له : فضحتنا بين المهاجرين والانصار ، قال : فأردتم ! أكون ملكا جبارا فى الجاهلية ، جبارا فى الاسلام ، لا والله لا تكون طاعة الرب الا بالتواضع والزهد فى هذه الدنيا .. وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر ، وتذللوا بعد تجبر .

وهكذا كانت عباءة ابو بكر وشملته هى زيه وملبسه فى الوقت الذى ملك فيه نصف الارض وخلف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذه صورة من أخلاق ابى بكر رضى الله عنه .. فاذا علمت ما أعتقه من عباد الله الضعفاء ، وما كان ياكله .. وما كان يسكنه ، وما كان يشير عليه فى جميع حياته ، علمت أنك امام رجل اشتراكى .. شريعته العدالة الاجتماعية فى تدبير مال وشئون المسلمين .. اشتراكى اسلامى من الطراز الاول .. ذلك الطراز الفريد الذى يطبق الفعل لا القول فقط .. رجل لا يبيح لنفسه أن يشبع ويجوع غيره ولا أن يتمتع ويحرم سواه من الناس .

ذاتية الإسلام
وسطية وتكامل ونظرة جامعة

مايزال مفهوم الاسلام الجامع القائم على الوسطيه والتكامل بين الاجزاء المختلفة غريبا على بعض أهله والباحثين فيه وما تزال النظرة الجزئية اليه تقف حجابا دون بلوغ الغاية فى الفهم والتصور ، ولقد حاولت نظريات كثيرة ومناهج متعددة أن تجد من بعض مادة الفكر الاسلامى عونا لها على ان تتسمى باسمه ، وعجزت كل هذه المناهج عن تحقيق ما تريد لانه اذا كان الاسلام ــ وهو المنهج المفرد الذى يمتلك ذاتية خاصة وطبيعة اصيلة واضحة ، قد يلتقى مع بعض هذه المذاهب أو المناهج فى جزئية من الجزئيات أو فكرة من الافكار أو هدف من الاهداف الا انه لا يكون صورة كاملة منها ولا يلتقى معها فى كل الغايات والمفاهيم ،

الأستاذ أنور الجندى

قد يلتقى الاسلام مع دعوات الحرية ودعوات الشورى ودعوات العدل الاجتماعى ولكنه يظل الاسلام الذى يشكل بذاتيته الخاصة منهجا خاصا متكاملا جامعا بين الحرية والشورى والعدل فى اطاره المرن الواضح السمح : « التوحيد » والايمان بالله باعتباره صاحب المنهج والموحى به ونبراس الرسالة البشرية فى الحياة الدنيا من خلال الارادة الفردية المسئولة والملتزمة والتى تقدم بعملها الحصيلة التى هى موضع الحساب والجزاء فى الحياة الاخرى التى يبعث لها الناس جميعا بعد الموت . هذا هو المفهوم الكامل الجامع الذى تكون السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والفن منه بمثابة الخطوط العامة المتكاملة الملتقية فى توازن وتناسق من خلال الانسان : المكلف المستخلف فى الارض الجامع للروح والمادة فى تركيبه وحياته وسعيه . ومن هنا فان المنهج الاسلامى الربانى المصدر انما هو تركيب كامل جامع ، يتلاقى فى وسطيه تبعد عن طرفى الجمود والانحراف ، تتكامل بين الروح والمادة والدين والعلم والنفس والجسم والدنيا والاخرة ، هذا التكامل الجامع ليس ازدواجية ولا جماع منهجين احدهما للعقل والاخر للقلب ، وليس هو اقتناع عقلى قائم بنفسه فى ميدان العلم وايمان روحى مستقل فى ميدان العقيدة .

ومعنى هذا ان المثقف المسلم والمتعلم المسلم حين يؤمن بالله ورسالة الاسلام ومفاهيمه الاساسية لا يشكل هذا الايمان صراعا بين علوم الدنيا وعلوم الدين فى نفس هذا المثقف ، ذلك انه انما ينطلق اساسا من « اقرأ » من تلك الدعوة الى «العلم» والقلم والتى فجرت طاقات البحث ودفعت الانسان للنظر فى الكون ومعرفة عناصر التجريب ونقلته من النظرة التاملية القاصرة ومن المنطق الذى لا يعترف بالمحسوسات الى ذلك الافق الرحيب الجامع بين وسائط المعرفة كلها من أجل الوصول الى المنهج الاسلامى التجريبى الذى قدمه العلماء المسلمون للبشرية منذ اكثر من الف عام والذى يقوم عليه قوائم الحضارة الحديثة بكل تخصصاتها ونتاجها .

هذا المنطق الاسلامى الجامع بين المادة [illegible] والدافع الى العلم لا يفصل بين الحقائق الالهية والحقائق العلمية ، لانه لايقر مذهب الثبات المطلق الذى عرف الفكر الغربى ممثلا فى «ارسطو» ولا مذهب التحول المطلق الذى عرفه الفكر الغربى ممثلا فى « هيجل » وانما يرسم الاسلام مذهبه الجامع المتكامل منذ اللحظة الاولى قائما على أصول اساسية ثابتة لا تتغير وعلى قيم متحركة .

لقد ذهب الفكر العربى مرة مع نظرية الثبات [الارسطيه] ثم ذهب كرة اخرى مع نظرية الحركة [الهيجلية] ولكنه غفل عن ان هناك منهجا اصيلا ربانيا هو منهج الثبات والتغير ، وان هناك ثوابت وهناك متغيرات ولا يمكن ان تكون الحركة مطلقة فى غير اطار ولا يمكن ان يكون هناك صراع بين الثوابت والمتغيرات بل يكون تكامل واتساق .

ان النظرية الغربية شطرت الحياة وشطرت الفكر وشطرت الانسان فقبلت الجانب المادى وجانب الحركة وجانب الجبرية وعجزت ان تستوعب الجانب الاخر : جانب الروح وجانب الثبات وجانب الارادة الانسانية .

ومن هنا فلا نعتقد ان منهج المعرفة الاسلامى يثير صراعا بين العلم والدين أو بين الفكر والمادة أو بين النفس والجسم .

ومن هنا فان المذاهب الحديثة التى تحاول ان تستشرف افاق الفكر الاسلامى تبدو قاصرة سواء النظرة الاقتصادية او النظرة الاجتماعية أو النظرة السياسية أو النظرة الخاصة بالنقد الادبى .

ذلك ان النظرة العصرية فى مجال الفكر تعتمد على الارتباط بالزمان والمكان وذلك ارتباط طبيعى وضرورى ولكنه بمفرده لا يحقق النظرة الكاملة الجامعة ذات الابعاد الواسعة للنفس الانسانية والمجتمع والحياة ولابد أن ترافقه نظرة اخرى مرتبطة بالاساس الالهى الثابت المتمثل فى الدين الحق .

ان النظرة الاسلامية سواء فى السياسة او الاجتماع تقوم على قاعدة ثابتة وهى فى نفس الوقت لها حركتها المتطورة ، هى ثابتة من حيث الاصول التى وردت فى نصوص القرآن والسنه فهى غير قابلة للتغيير أو التبديل ويخضع لها المسلمون فى كل زمان ومكان وهى قادرة على التطور من حيث تفاصيل التطبيق بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان اى ان النظام الاسلامى

« الهى » من حيث الاساس والمنبع ، وهو فى نفس الوقت قابل فى فروعه وتطبيقاته لملائمة العصور والبيئات ، فهو طبيعة الانفتاح التى يمثلها الاجتهاد .

والمجتهد فى كل مجال لا ينشىء حكما ولكنه نهائيا حكم الله فى اى امر من الامور .

ولو فهم الباحثون هذا المنهج الاسلامى لما قارنوا منهج الاسلام بالمناهج الوضعية التى تقف عند جانب الحركة وتغفل الاصول الثابتة ومن هنا نسقط نهائيا تلك الدعوى التى تقول انه من المستحيل ان يحتفظ اى منهج اجتماعى او سياسى أو اقتصادى بوجوده على مر الزمن وانه لابد من اجراء التعديلات المستمرة على جوهره كلما جدت المتغيرات ، ذلك لان الاسلام ليس نظاما وضعيا يخضع لهذه القاعدة ولكنه نظام الهى متكامل جامع بين قاعدة الثبات الوطيدة فى الاصول والقدرة على الحركة والتغير فى الفروع وقد عاش الاسلام اربع عشر قرنا وهو مازال بالرغم من ظهور المذاهب والنظريات وسقوطها اشد ثباتا واكثر اتساعا وامتدادا واستيعابا لملايين جديدة من البشر ترى فيه الطريق الصحيح .

والاسلام من هنا لا يرى « الجبرية » ولا يرى التحدى او الصراع ولكنه يرى الارادة الانسانية الحرة القادرة على التعبير وهى صاحبة المسئولية والجزاء ، ويرى ان اختلاف العناصر ليس مصدرا لصراعها ولكنه عاملا لتكاملها وتلاقيها فى وحدة شاملة .

ولما كان الاسلام منهجا شاملا جامعا فانه لايفرق بين الدينى والدنيوى سواء فى مناهج العلم أو فى تجارب الحياة فان النظرة تبدأ بان الكون له والامر كله لله وان الانسان مستخلف فى الارض وليس مالكا ، ولذلك فان المعرفة فى مجال العقائد ليست شيئا منفصلا عن المعرفة فى مجال العلم ذلك ان العلم نفسه ليس منفصلا عن التوجيه الربانى فى الحياة ولكنه خاضع له ، فالعلم بمعطياته انما يراد به اسعاد البشرية ، وترقيتها ، وهو فى نفس الوقت خاضع للقيم الاخلاقية التى تمنع المالكين له من ان يتخذوه وسيلة لتهديد البشرية او استغلاله لطائفة معينة او شعب بعينه .

وفى مجال دراسات العلوم فليس هناك نوعين من الحقائق : كما يريد البعض ان يقول : حقائق الهية وحقائق علمية ولكنها حقائق واحدة ، تجرى مجراها على سنن الله وقوانينه التى اهل الانسان واعطاه القدرة على اكتشافها ووجه النقص الحقيقى هو ان كتب العلوم والدراسات التكنولوجية ومخبرها انما تنسب هذه المعطيات للطبيعة أو للمادة بينما الواقع والحقيقة ان مصدرها هو الله سبحانه وتعالى وانه لابد ان يكون من وراء الفهم العلمى لقواميس الكون وقوانين الاشياء اصلا عميقا يقرر ان الله سبحانه وتعالى هو صانع هذه القوانين وانه هو وحده القادر على خرق هذه القوانين وتعطيلها .

كذلك فان من شأن دراسة العلم ان تكشف عن ان العلم قاصر على ظواهر الاشياء وانه لايستطيع اختراق عالم الغيب بادواته التجريبية ، كذلك فانه يعجز عن اكتناه عالم النفس الانسانية بهذه الادوات ومن اجل ذلك جاء الوحى وجاءت الرسالات والكتب السماوية لتكشف للناس عن عالم الغيب الذى يقوم فعلا وراء عالم الحس والشهادة ، ولتكشف للانسان عالمه النفسى الخاص وتهديه اليه وترسم له طريقه فى الحياة ورسالته فيها ومسئوليته عنها .

وهنا يفترق العلم عن الفلسفة ، فالعلم مصطلح يقتصر على التجريب وما يجرى داخل المعامل اما الفلسفة فهى تلك المحاولات والفرضيات التى يجريها الفلاسفة لوضع تفسير للامور التى تعرض للانسان وقد اغنى الاسلام المسلمون بتفسير كل ما يتصل بالنفس الانسانية وبالحياة الاجتماعية هداية ورشدا .

ولا ريب ان المناهج الفلسفية التى تسمى الان بالتحليل النفسى او مدرسة العلوم الاجتماعية انما تقوم على اساس التصور المادى الخالص وتنبعث من وجهة معارضة لوجهة الدين الذى يدعو الانسان الى تحقيق الرغبات مع الاستعلاء عن الانحراف والتحلل حماية لكيانه الشخصى .

وحيث تعمد المفاهيم الاسلامية الى تبرير الغرائز والرغبات باعلانها بعد الاعتراف بها فان هذه المدارس النفسية والاجتماعية تعمد الى دفع الانسان دفعا الى الانطلاق والتحرر من كل الضوابط والحدود التى رسمها الدين وبذلك تعرضه للخطر والهلكة وقد تحقق نتيجة لذلك ذلك المجتمع اللاهث القائم على التمزق والضياع والتحلل ، حين فقد الانسان جانبه الروحى والدينى والاخلاقى وانساق وراء جانبه المادى وحده .

وهذه هى العناصر التى قد تعرض الباحث فى شأن ترابط العلم الاسلامى ، ماديا وروحيا ، وامتزاج علوم الدين مع علوم المادة دون ان يكون فى ذلك تناقض او صراع او ثنائية ذلك لان النظرة رغبات الحياة واشواق الروح .

◆◇◆◇◆◇◆◇◆◇◆◇◆◇◆◇◆◇

بقية مقال « الاسلام دين الانسانية »

المسئولية الكاملة لاصحابها ، والضالعين فيها .. اذا قمت بعمل ما ترتب لك من ورائه ثمرة ، فمن الذى يعفيك من تبعة هذا العمل ، والمسئولية عنه ؟؟ واذا اديت واجبا أخذت فى مقبله حقا ، فمنذا الذى يقول بأنك غير مسئول عما اديت .. ؟؟ وبالمثل ، فانك اذا تقاعست عن آداء الواجبات المنوطة بك ، فمنذا الذى يقول بأن لك حقوقا قبل الله ، أو قبل الناس .. ؟؟ العلاقه بين الفرد وذاته تقوم على الحق والواجب ، وتترتب عليها مسئولية الفرد عن اعماله .. هذه هى القضيه الاساسية فى مسألة التضامن الاجتماعى فى الاسلام . ولا ريب أن البدء بتنظيم العلاقه بين الفرد وذاته يؤكد شيئين : **أولهما** أن الاسلام العظيم وعى جيدا الحقيقة الاساسية فى العلاقة الاجتماعية الواسعة ، وهى أنه اذا فسدت العلاقة بين الفرد وذاته فمن المستحيل أن تنصلح بينه وبين غيره .. وعلم النفس يحدثنا الان عن المعقدين نفسيا ، فهؤلاء قوم اختلت فيهم العلاقة بينهم وبين أنفسهم ، فاستحال أن تستقيم بينهم وبين غيرهم .. **وثانيهما** ان بدأ الاسلام بابراز معنى التكافل بين الفرد ونفسه ، وتوكيد هذا المعنى وتقويته ، يتفق مع الاهمية القصوى التى يعلقها الاسلام على قيمة الكيان الفردى .. ولا شك ان الاسلام يعتبر ان الفرد هو الخلية الاساسية فى جسد المجتمع الانسانى كله ، ولا يمكن أن نحصل على جسم سليم بخلايا مريضة ، لان صلاح الحياه رهين بصلاح الفرد ، ولان اى بناء اجتماعى لا يقوم على أساس التربية الرشيدة للفرد لابد ان يؤول الى زوال وبوار ..

واذا استوى الفرد انسانا متكافلا متكاملا ، مدركا سيعه ما له من حقوق ، **وقيمة ما عليه من واجبات ، فقد أصبح مهيئا للقيام بدوره المنوط به فى تعمير الدنيا ، وآقامة العلاقات المتوازنة ، والخلاقة والمثمرة بينه وبين غيره من المخلوقات الاخرى ومن الناس ...**

الدين ضرورة اجتماعية

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

الدين الحق نظام الهى يرشد الى الحق فى العقيدة والخير فى السلوك والمعاملات ، وهو لهذا يكون العامل الاول لنجاح متبعيه فى هذه الحياة ولسعادتهم فيما بعد فى الدار الاخرة .

وهو يقوم بهذا الدور الخطير لانه يبين للانسان ماله من حقوق وما عليه من واجبات نحو الله عز وجل ونحو نفسه ونحو المجتمع الذى يعيش فيه ونحو الامة التى يشرف بالانتساب اليها ونحو العالم كله .

وعاطفة التدين او الاعتقاد بدين من الاديان امر غريزى ومشترك بين الناس عامة فى كل عصر وفى كل مكان • فانه لم تخل جماعة من الناس فى اى زمان من عقيدة دينية على نحو ما ان التاريخ اثبت انه قد وجد فى الماضى السحيق جماعات من غير فلسفات ومن غير علوم وفنون ، ولكن لم توجد قط جماعة انسانية من غير دين واذا كان الدين والتدين هكذا امرا غريزيا فى الانسان فى كل زمان • فان الدين الاسلامى هو الدين الحق الذى رضيه الله تعالى للناس جميعا وارسل به خاتم الانبياء والمرسلين هدى ونورا للعالمين وجعل القرآن كتابه الاول فرقانا بين الحق والباطل فى الاعتقاد والعمل على السواء • لقد بين الله بهذا الدين وهو خاتم الرسالات الالهية ماهو حق وخير فى جميع شئون الحياة • فهو لم يترك الانسان سدى بل بين الله له الرشد من الغى ووضعه على الجادة الصحيحة والطريق السوى فيما يختص بالعقيدة • والسلوك الفردى والاجتماعى والعلاقات التى تربطه بغيره من الناس جميعا •

وبذلك يكون على العقيدة الحقة التى تجعله يسير دائما فى النور وعلى الخلق الطيب المحمود الذى ينأى به عن الشر ويدفعه الي معالى الامور كما يجعل الانسان قويا فى نفسه وشخصيته نافعا لاخوانه وأمته والناس اجمعين •

وليس هذا هو كل امر فى الدين واثره فى الحياة فقد يقوم العلم الصحيح والثقافة الكاملة ببعض هذا او كله لبعض الناس ولكن الدين فيه صلاح الناس جميعا حتى الذين لم يرزقوا حظا وافرا من التفكير السليم العقلى الراجح ولذلك كان الوحى الالهى رحمة عامة لجميع الناس كما يقول ابن رشد : ولهذا نرى الدين ضرورة اجتماعية كما هو فطرة انسانية • ونراه كفيلا بصدور صاحبه فى أقواله وأعماله عن عقيدته وضميره ونفسه وعن مراقبته لله فى السر والعلن لا خوفا من الناس أو عقاب القانون الوضعى هذا العقاب الذى قد يفلت منه الكثير من الناس وهذا ما يجعله هينا عليهم اقتراف الكثير من الاثام •

هذا وليس لاحد أن يخدع نفسه بالعقل ونظره وقدرته على التفكير ولا بالعلم وما وصل اليه من الكشف عن كثير مما كنا نجهله • نعم ما ينبغى لعاقل ان يخدع نفسه بشىء من ذلك فقد أظهر العلم الحديث نفسه بطلان كثير مما كان يراه العلماء فيما مضى حقائق لا ريب فيها وهذا فى عالم الشهادة فى العالم الذى نراه ونحسه ونلمسه فكيف بعالم الغيب الذى لا نعلم عنه كثيرا أو قليلا ولن نستطيع مهما أوتينا من قوة الفكر ان نعرفه على حقيقته فان للعقل حدودا يقف عندها ولا يستطيع ان يتجاوزها ان أراد والله يقول : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

ان العقل قد يضل وقد أضل كثيرا بالامس ويضل كثيرا أيضا اليوم وفى المستقبل القريب والبعيد ان لم يعتمد الا على تفكيره وحده • ومن آيات ذلك مانعرفه من التراث الفكرى لليونان وغيرهم من الامم الماضية التى حرمت نور الوحى السماوى ومن اجل هذا شاءت عدالة الله وحكمته ألا يترك الانسان الى نفسه وعقله فكان من العدل ليكون الانسان مسئولا عما يعمل ويحقق الغاية من وجوده أن يمده الله بقبس من نوره • وذلك ليبين للناس الرشد من الغى وليفصل بين الحق والباطل ويميز الطيب من الخبيث وكان هذا على ألسنة من اصطفاهم من خلقه ليكونوا مبشرين ومنذرين وهداة الى الخير وطريق الفوز فى هذه الحياة الدنيا ثم فى الحياة الاخرى الخالدة ••

لقد ولدت الجماعة البشرية طفلة ثم انتقلت من طور الى آخر ارقى منه على مدى الزمان شانها فى هذا شان كل الكائنات جميعا ولذلك كان لابد لها من رسالة الهية فى كل من هذه الاطوار • وكان من المحتم والمنطق ان تتفق هذه الرسالات على الاصول التى يدعو اليها كل دين صحيح والتى تناسب الناس جميعا على اختلاف الزمان والمكان كما كان من الطبيعى ايضا بعد الاتفاق على تلك الاصول الاساسية العامة ان تختلف فيما بينها فيما تجىء به من تشريعات واخلاق ونظم اجتماعية بل وفى طرق التبليغ والخطاب التى يصنعها الرسول وفى الايات التى يتقدم بها دليلا على صدق رسالته فيما يبلغه عن رب العالمين للذين أرسله تعالى اليهم • وفى الناحية الاولى ناحية الاتفاق على الأصول العامة التى نراها فى كل دين ، يقول تعالى : « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » •

وفى الناحية الاخرى ناحية الاختلاف فى الشرائع والمناهج والاهداف ، الخاصة بكل رسول يقول جل شانه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » كما يقول فى سورة اخرى مخاطبا رسوله المصطفى : « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون » •

هؤلاء وأمثالهم هم الذين قال الله تعالى فيهم :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » •

هذا والله يهدى سواء السبيل •
والله الموفق •

الطريق الى الدين والعلم

الأستاذ عبد المنعم مغربي

الطريق الى الدين مكرمة من الله على عباده اذ القصد منها اولا واخيرا تعليم الانسان ما يجهل وهداية العبد من الضلال والوصول بالبشرية الى الخير والسعادة .

وهذا هو وجه الامتنان على الناس بنعمة الدين : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

« فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه » . « ان احسنتم احسنتم لانفسكم » . « من عمل صالحا فلنفسه » .

ومع هذه التوجيهات ونحوها نرى من حكمة الله فى خلقه ان تكون هذه الدعوة الخيرة الواضحة الاهداف مجال شقاق بين الناس منذ القدم ، ومثار الجدل بين الناس وبين الرسل والدعاة من بعدهم ، ولهذا كانت عزيمة الرسل بحاجة الى مؤازرة من جانب الله والى شحذها بالوعود الكريمة والتسلية بما جرى بين الاسلاف منذ درج الناس على وجه الارض وتحت قبة السماء .

وكان فى التسلية بذكر الاسلاف تعريف للرسل ولمن سلكوا طرقهم ان هذه سنة الله فى خلقه بين الداعين والمدعوين « **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله** » .

« **ولقد جاءك من نبأ المرسلين** » « **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار** » .

« **واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون** » .

فى هذه التسلية وما اقترن بها من وعود ووعيد تثبيت للرسل ولاهل الحق على ما يبذلون من جهد وما يلقون من عنت وفيها تهديد للمكذبين واعلانهم أنهم حمقى وأن الله سيأخذهم بعدله وقدرته وسيثأر منهم لدينه بحوله وقوته وسينزل بهم البلاء فى الدنيا أو فى الاخرة أو فيهما معا « **لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم** » وكان من التهديد الرادع الذى تجهمت له وجوه الحمقى ولم تستجب له عقولهم المنتوية قول الله ـ سبحانه ـ « **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا** » .

فكفار قريش يومذاك كانوا لا يكترثون بالدين ولا بدعوة محمد اليه بل كانوا يتخذونه لعبا وسخرية وانصرفوا عن الهدى وعكفوا على الباطل ومحمد صلوات الله عليه وسلامه يحاول ويحاول ان يهدى القوم الى سبيل الله ويحتمل ما يحتمل من صدودهم ومكرهم طامعا فى توفيق الله لهم ولكن الله سبحانه يترفق برسوله فيقول له مرة « **ان عليك الا البلاغ** » ومرة « **انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** » ، ومرة يقول له « **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا** » .

يعنى اتركهم ولا تشغل نفسك بأمرهم أكثر من تبليغ الدعوة وحسابهم موكول الينا وما عليك من شأنهم من حرج « **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** » .

والخلاصة أنه كلما اتجهنا مع الايات الكريمة فى أى ناحية من مسالكها وجدنا العظة والتذكير والتخويف من العذاب والترغيب فى الثواب شاخصة امامنا وفيها تنطوى الاساليب المتنوعة والبلاغة المعجزة وكلها تمهد الطريق الى عبادة خالق الوجود .

وفى عصرنا نحن بين قوم يجهلون الدين كما كان يجهله أهل البداوة قبل مشرق الاسلام ، ولهؤلاء على

أهل العلم حق النصيحة والتوجيه وأخذهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما أوجب الله حتى تنجلى عنهم غشاوة الجهل وحتى تتضح لهم الطريق السليم الى الدين

وهناك قوم لا يمكن أن نضعهم فى مستوى الجهلاء ولا ننكر عليهم أنهم أوتوا حظا من العلم ولكن ثقافتهم صرفت كثيرا منهم عن وعى ما تنادى به الثقافة الدينية المستقاة من نبع الكتاب السماوى الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والذى نفهمه أن العلم كيفما كان نوعه لا ينافى طريق الدين ولا يتعارض مع ما يرمى اليه من التهذيب وتربية الضمير واحياء الصلة بالله فى قلوب الناس وصيانة المجتمع من شرور العابثين بالنظام وتوجيه البشرية الى ما أريد لها وما طلب منها من نشاط وطموح وبذل فى سبيل حضارتها وسعادتها .

والقرآن نفسه حينما أشاد بالعلم وأهله ، قصد طبعا العلم الذى يهدى الى معرفة الحق والى الطريق المستقيم وقصد كذلك كل علم نافع يكون من عبقرية الانسان وتجاربه ، فانظر مثلا الى قوله تعالى « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ! » .

فقد أطلق العلم ولم يحصره فى فرع خاص ، بل أفسح مفهومه لكل ما ينفع الناس ولا يجلب عليهم نقيصة فى دين أو خلق .

وانظر الى قوله تعالى « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » فهو سبحانه يمتدح اهل العلم الدينى الذين يتقون ربهم ولا يمنع أن يكون شاملا لاهل العلم الدنيوى الذين يهديهم البحث الى الايمان بالله والاقرار بعظمته وابداعه فى خلقه وقد انتهى بهم العلم الى الخشية من الله .

وانظر كذلك الى قوله سبحانه « **قل هل يستوى الاعمى والبصير** » فانه ينفى المساواة بين العالم والجاهل ويشبه العمى بالجهل والعلم بالبصر ، اذ أن العلم نور يهدى الى الحق وأن أهل العلم الصحيح أعرف بربهم وأقواهم حساسية بقدرة الله وخشيته اذا اضاء نفوسهم ولم تغلبهم شقوتهم .

وكثيرا ما قرأنا من علماء غير متدينين أن البحث العلمى جنح بهم الى الايمان وانهم لمسوا ضرورة التدين بعد أن فطنوا الى أن القوة التى تدير هذا العالم وتتولى رعايته جديرة بالايمان بها والاستجابة لها وهى الله جلت عظمته وتباركت أسماؤه وصفاته .

أما الانحراف بالعلم عن طريق الدين الى طريق الالحاد فان ذلك يرجع الى العقول القاصرة والافهام الكليلة والامزجة المنحرفة وهى جريمة الاخفاق والعجز عن الربط بين دين الله ودين ما خلق من كائنات واودع فيها من أسرار .

فنحن نؤمن بالعلم طريقا الى الدين ونحمد الله الذى هدانا لهذا « **وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله** » .

وما سوى ذلك مما يتشدق به الملحدون فباطل مردود عليهم والله يهدينا ويهديهم الى سواء السبيل .

المسجد فى الإسلام

بيت الله له وزنه فى معيار الاسلام، فقد كان ولا يزال مصدر اشعاع روحى يهذب النفس ، ويقوم السلوك، ويزكى العمل . وهو مدرسة للاخلاق والهداية ونور وضياء وارشاد .

فى بيت الله يردد المسلمون فى بدء صلاتهم الله أكبر . ينطق بهذا الاسم الكريم ملايين الشفاه . وبه تهتز ملايين القلوب . فتشعر بقوة الله القاهرة ، وسلطانه الغالب ، وارادته النافذة .

يشعرك هذا الاسم ان الله اكبر من كل شىء . وان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا سبحانه هو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ، لا يشغله شأن عن شأن .

هذا الشعور يجعلك تستحى أن تتقرب بالعبودية لغير الله ، وأن تستعين بغيره ، وأن تؤمن ان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وأن الامر كله الى الله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

كما يولد فيك هذا الاحساس العزة التى أرادها لنفسه ورسوله والمؤمنين والحفاظ على أدميتك التى أحاطها القرآن بالتكريم كما يتضح من قول الله تبارك وتعالى [ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] .

فضيلة الشيخ
محمد هلال عبد الرسول

ان المسجد رباط غليظ بين الخالق والمخلوق وبين الدين والدنيا والحياه والاخره ودليل على الوفاء لله الذى خلقك فاحسن خلقك وصورك ماجمل صورك وشق لك السمع والبصر وضمن لك الخلافة فى الارض واستودعك كتابه وعهد اليك حفظ سنة رسوله .

ولسمو منزلة المسجد نرى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد ان بعث مبشرا ونذيرا . دعا القاصى والدانى الى الاسلام الذى رضيه الله لعباده ، ولما عاد حبل الرجاء باليا ترك الرسول صلوات الله وسلامه عليه مكة الى المدينة حيث تربة صالحة للدعوة المحمديه الرشيده ، وما أن استقر الرسول بها حتى اقام له مسجدا اسس على تقوى من الله ورضوان كما يشير الى هذا القرآن المجيد [**لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**] .

والله سبحانه يوجه المسلم الذى صفت نفسه وامتزجت العقيدة بوجدانه وزاده بسطة فى الرزق ان يبنى مسجدا ليعيش الناس فيه مع خالقهم ومدبر امرهم وليربطوا قلوبهم بذكره وتادية فرائضه مصداق قوله [**فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله**] .

وحسب المسجد تشريفا أنه ينسب الى الذات العلية المقدسة ، وهذا يدل على أن المساجد أشرف بقاع الارض .

فى الحديث القدسى [**ان بيوتى فى ارضى المساجد، وان زوارى فيها عمارها، فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى وحق على المزور أن يكرم زائره**] .

واستجابة لداعى الله اخذ المسلمون يقيمون المساجد فى اماكن متعددة من بقاع الارض ، وهذا التسابق ان دل فانما يدل على حسن صلة العبد بربه وعلى أن دين الله خالد خلود السموات والارض وعلى أن كتابه الخالد ودستوره الزاخر قد ضمن حفظه من التبديل والتحريف وسيظل مصدر تشريع وتقنين يجد فيه الضال هدايته والمضطرب هدوءه وامنه ، والغافل رشده ، والمنحرف استقامة ، والجاهل علما وتثقيفا .

كما سيظل المسجد المدرس الموجه والمرشد والجامعة التى جمعت كل معانى الخير ، وهو كما كان فى عصر السلف الصالح ، ندوة للادب وساحة للعلم ومكانا للعبادة ، ومركزا للشورى ومدارسة القرآن .

وحول الدراسة القرآنية والعلم يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه [**ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون آياته ويتدارسونه فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينه وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**] .

ولقد كرم الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذين وفقوا لطلب العلم والبحث عن المعرفة ، وفى هذا يروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال [**خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين** احدهما يدعو الله عز وجل ويرغب اليه والثانى يعلم الناس . فقال : أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما . ثم عدل اليهم وجلس معهم] .

ولقد روى الطبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مر بسوق المدينه فوقف عليها فقال يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا وما ذاك يا أبا هريرة . قال ذاك ميراث النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد . فخرجوا سراعا ووقف أبو هريره مكانه الى ان رجعوا فقالوا يا أبا هريرة قد اتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر شيئا يقسم فقال ابو هريرة وما رأيتم فى المسجد أحدا قالوا بلى ، رأينا قوما يصلون وقوما يقرءون القرآن وقوما يتدارسون الحلال والحرام . فقال لهم أبو هريرة ويحكم فذاك ميراث النبى صلى الله عليه وسلم .

والمسجد الذى يشاء له أن يكون السبيل لجمع

المسلمين على كلمة التوحيد والوقوف عند حدوده امرا ونهيا والاعتصام بحبله .

كان المكان الخصيب للدعوة الى التكافل الاجتماعى الذى يرتد بين المسلمين الرحمه والتراحم والحب والمودة ويحمى منهم امرض القلب ويجعل من المسلم اخا للمسلم يشعر بشعوره ويحس احساسه ، يشاركه فرحه ويواسيه أحزانه ييسر عسره ويفرج كربته وحول هذا المسجد الذى تم فى المسجد لصالح الفقراء .

يروى مسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه ان قوما من مضر اقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر يوم من الايام وقد بدت عليهم امارات الفقر والفاقة يضعون على اجسادهم قطعا من الثياب لا تكاد تستر أجسامهم فتغير لذلك وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وظهر عليه القلق والحزن . فجعل يدخل ويخرج ويقوم ويقعد ، ثم أمر بلالا ان يؤذن فى الناس . فأذن بلال وحضر الناس واقيمت الصلاة ، ثم خطب قائلا « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا . ياايهـا الذين آمنوا اتقـوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنه أصحاب الجنة هم الفائزون – ألا فليتصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره الى أن قال ولو بشق تمر . فجاء رجل من الانصار بصرة كاد ان يعجز عن حملها فوضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تتابع الناس وسبقوا الى التبرع فسر بذلك رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ثم قال [من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء] .

والمسجد فوق ذلك مرضاة لرب العالمين الذى سوف يجزى كل امرىء على قدر اخلاصه وصدقه فى نيته .

فى الحديث عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه [من تطهر فى بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطوتان احداهما تحط سيئة والاخرى ترفع درجة] .

والحق أن المسجد خرج ملائكة البشر الذين أدبوا طغاه الجبابرة وجعل من رعاة الشاة قادة للدنيا فتحوها شرقا وغربا ، وجمعوا المسلمين على كلمة الحق فثبتوا قواعده وكانوا حربا على الباطل الذى يفسد وجه الحياة المشرق .

ما أحوج الخلف من الرعاة والمصلحين أن يكونوا خير خلف لخير سلف من الدعوة الى الله على بصيرة مع تمام الخشيه منه ويكونوا كما اراد الله للمصلح تجسيدا عمليا لكل ما يصدر منهم لتكون دعوته ذا اثر ايجابى فى خلق أمة وبناء دولة تكون أهلا لحمل رسالة السماء الى الارض وبهذا نكون فى أنفسنا صالحين لحمل هذه الرسالة وتبليغ الامانة على هدى من الله ، ولغيرنا مصلحين ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

٢

بقية مقال « مثالية الاسلام ومنهجه .. فى علاج لمشاكل الاجتماعية »

أما كيف نعمق هذا المفهوم الاسلامى الصحيح فى نفوس الناس ؟ وكيف نخلق الجو الاجتماعى العام الذى يطبق عن اقتناع وبكل حزم قواعد الشريعة ونظمها التى تقدر على منع الفساد والانحراف وعلاج المشكلات الاجتماعية التى اعجزت كثيرا من العقول والافهام ؟ . فانه من وجهة نظرنا لا يمكن ان يتحقق ويستقر الا من خلال القاعدة الاساسية وهى الشعب كله .

ومن هنا أصبح لزاما علينا ان ننظر الى التعليم من بداية مراحله حتى نهايته باعتبار أن التعليم وخاصة بعد الزاميته التى شملت المرحلة الاعدادية سيخلق القاعدة العريضة التى تحكم وتشرع وتهيء الخدمات الاخرى الباقية للمجتمع .

وما دمنا سنربط هذه القاعدة العريضة من الاساس بالمنهج الاسلامى الصحيح وباعتبار ان الدين الاسلامى منهج حضارى متكامل وواقع حى ملموس لا بد وان يتدرب عليه الافراد تدريبا عمليا وبشرط أن لا يفصلون عنه أبدا فى كل مراحل التعليم على أن نعمل بقدر الامكان بان لا يرى الفرد من قادته ومعلميه الا المظهر الحسن الذى ينشده ويرجوه . فان المجتمع لا بد فى يوم ما وان يسوده العدل الاجتماعى وتختفى جميع المظاهر الفاسدة ما دام افراده لا يقرون بها ولا يتركون مفسدا يعيش آمنا بينهم .

اننا اذا تركنا الامر هكذا وتركنا هذا الاصلاح للزمن فان العاقبة ستكون سيئة وخيمة . فماذا ننتظر كمجتمع اسلامى والتشريعات الفاسدة تنخر فى نطاقه وتدخل عليه فى ثوب التشريع الحضارى الوضعى ففرنسا مثلا اباحت زواج المراة بثلاثة رجال فى آن واحد وتعاشرهم جميعا معاشرة الزوجية وهناك امراة فرنسية اسمها شارلوت رامبلنج انجبت طفلا من الرجال الثلاثة الذين اتفقت معهم على ان يعيشوا معها جميعا وفى بيت واحد ولما سئل الطفل وعمره ست سنوات من محرر جريدة فرنسية عن شعوره قال انه من الطريف جدا ان يكون له ثلاثة آباء يتبارون فى تدليله وهذه أول حالة تعدد أزواج فى العصر الحديث [روز اليوسف نقلا عن بارى ما تسن الفرنسية العدد ٢٤٤٢ مارس سنة ١٩٧٥] .

وفى تركيا مثلا وهى بلد اسلامى وفى بلاد اخرى كثيرة يجوز ان يتزوج العم او الخال ابنة شقيقه او شقيقته . وقد صدر قانون فى بعض البلاد باباحة زواج الاخ باخته غير الشقيقة .

اليس هذا هو قانون الجاهلية بعينه الذى أشاع الفساد بين النـاس وأتى الاسلام لاصلاحه وهدمه وبناء المجتمعات على أسس سليمة تحقق العدل والرخاء لكل الناس ؟

[يراجع مقال د. مصطفى كمال وصفى بالاخبار ١٩٧٥/٤/١١]

أما كيف نعالج هذه السياسة التعليمية من خلال منهج الاسلام فهو ما يحتاج منا الى بحث آخر نرجو أن نوفق فى عرضه وتقديمه فى العدد القادم ان شاء الله .

أثر اللغة العربية على اللغة الفارسية والأردية والبشتو

الدكتور مير ولي خان المسعودي

-١-

عوامل نشر اللغة العربية خارج شبه الجزيرة العربية :

يحسن بي أن أقف قليلا عند نشر اللغه العربيه خارج شبه الجزيرة لنعرف مدى أثرها على اللغات المحليه في البلاد التي دخلها الاسلام والتي انتشرت فيها اللغة العربية في مدة وجيزة لا نعرف لها نظيرا ذلك أن اللغة العربية قد تمكنت في مدة قصيرة من أن تقهر اللغات المحلية في عقر دارها حتى أن ادباء الفرس وعلماءهم بدءوا يعبرون عن افكارهم وآرائهم باللغه العربية وحتى أن تحمس أدباء الروم وعلمائهم في اظهار الفكر وابداء الراى باللغة العربية لم يكن أقل من تحمس ادباء الفرس وعلمائهم بعد أن وقعت بلاد الروم والفرس تحت سيطرة الاسلام في عهد الخلافة الراشدة .

اما الاسباب التى أدت الى نشر اللغه العربيه خارج الجزيرة والعوامل التى ساهمت فى نشر اللغه العربية فى بلاد الفرس والروم والهند وافريقيا فانما هى الدعوة الاسلامية ذلك أن الله تعالى أرسل نبيه عليه الصلاة والسلام عام ٦٠٩ م لدعوة الناس كافه الى عبادة اله واحد وهدايتهم الى صراط مستقيم فقام عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى عبادة الله الذى لا شريك له يأمرهم بالعدل والاحسان ويوصيهم بالاخوة والتعاون على البر والتقوى وقد تحمل فى سبيل هذه الدعوة هو وأصحابه اضطهادا وتعذيبا شديدا خلال اقامته فى مكة من قبل قريش وبعد اضطهاد عنيف وتعذيب منكر طول حياته فى مكة .. وجدت دعوته نصيرا قويا من أهل المدينة ولم يلبث أن انتشر هذا الدين الحنيف فى الجزيرة العربية كلها بسرعه البرق خلال حياة النبى عليه الصلاة والسلام وهى مدة ثلاثه وعشرين عاما بعد النبوه « ٦٣٢ » م وفى عهد الخلفاء الراشدين وهو من عام ستمائة واثنين وثلاثين الى ستمائة وواحد وستين من ميلاد عيسى عليه السلام امتدت الفتوحات الاسلاميه الى بلاد الامبراطورية الفارسيه والامبراطورية الرومانيه واصبحت تلك البلاد الفارسية والرومانيه تحت سياده الخلافه الاسلامية وقد رحب أهل الفرس والروم بهدى الدين الاسلامى الذى نادى بأنه لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى وأن الامه الاسلامية كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وبذلك اندمج العرب بالعجم وأصبحت الامة الاسلامية أمة واحدة لها كيان واحد وهدف واحد ألا وهو نشر الاسلام واعلاء رايته فى العالم كله .

اثر اللغة العربية على اللغة الفارسية

ولما كان القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى باللغة العربية يقول تعالى « **وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين** » ولما كانت اللغه العربية لغه الخلفاء والامراء والقواد ولغه الادباء والعلماء فى الخلافة الاسلاميه بدأ اهل الفرس عامة والادباء منهم خاصة يتسابقون الى فهم القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية التى هى لغه القرآن الكريم والتى اصبحت لغة رسمية للخلافه الاسلاميه ونتج عن حب المسلمين عربا كانوا او عجما لفهم القرآن الكريم والاحاديث النبويه أن اللغه العربيه قد وجدت اقبالا لا مثيل له فى التاريخ ذلك وأن هذه اللغة وهى لغة القرآن الكريم والاحاديث النبويه قد أصبحت لغه العلم والادب والفن فى كافة أنحاء الخلافة الاسلامية . وبدأ اهل الفرس عامة يتخاطبون بها بينما أخذ العلماء والادباء منهم خاصة يكتبون ويعبرون بها عن أفكارهم وآرائهم كما جعل الشعراء منهم ينظمون قصائدهم باللغة العربيه ممن العلماء الذين كتبوا باللغة العربية ابن قتيبة صاحب أدب الكاتب والشعر والشعراء وغيرهما فى اللغة والرواية ومحمد بن جرير الطبرى صاحب مؤلفات عديده فى التاريخ والتفسير ومحمد بن حامد الغزالى امام الفلاسفة والصوفية .

ومن الكتاب الذين ابتكروا فى لغة العربيه النثر الفنى عبد الحميد بن يحيى صاحب الاعجاز فى فن الكتابة ومحمد بن الحسين المعروف بابن العميد صاحب الاية فى الكتابة الفنية .. وقد أصبح كل من عبد الحميد وابن العميد رمزا فى النثر الفنى يضرب بهما المثل حتى قيل فى حقهما بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وعبدالله بن المقفع أيضا كان آيه فى النثر الفنى وصاحب ابداع واعجاز .

ومن الشعراء الذين كتبوا أشعارهم وانشدوا قصائدهم باللغة العربية والذين طرقوا فى الشعر

العربى فنونا لم يطرقها أحد قبلهم .. ابو نواس صاحب المجون الذى أوقف حياته وشعره على وصف الخمر ومجالسها والذى استهذأ بشعراء العرب القدامى وسخر من بكائهم على الاطلال والرسوم الدارسه وبشار بن برد الذى امتاز عن معاصريه بالمجون البذىء والغزل الرقيق والذى حصل على المقام الاول فى المولدين كامرىء القيس فى الجاهليين والحسين بن على الطغرائى صاحب ديوان كبير وخير ما فيه قصيدته اللامية المشهورة بلامية العجم .

هكذا كانت حالة اهل الفرس بعد ان دخل ابناؤه فى الدين الاسلامى وخضع شعبه للخلافة الاسلامية .. انهم قد بذلوا كل جهدهم فى اتقان اللغة العربية وسعوا الى التحدث بها فى شئونهم العامة اذ كانت هذه اللغة لغة الخلافة ولغة الطبقة الحاكمة لذلك لم يتركوا وسعا فى اتقانها ولا جهدا فى اجادتها بل انهم اهملوا لغتهم الاصلية وهى اللغة الفهلوية التى كانت رائجة فى الامبراطورية الفارسية قبل دخول الاسلام فى البلاد الفارسية حتى أن اللغة العربية قد أصبحت فى عهد الخلافة الاموية عامة والخلافة العباسية خاصة لغة علم وادب وفن وبدأ علماء الفرس وأدباؤهم ينافسون علماء العرب وادباءهم فى العلم والادب باللغة العربية ويسبقونهم احيانا فى بعض الفنون وكان العامل القوى لذلك التحول من اللغة الفهلوية الى اللغة العربية هو اختلاط العرب بالفرس عن طريق الزواج بينهم وعن طريق اتصال مباشر بين الخلفاء ورجال الفرس الذين استعان بهم الخلفاء العباسيون فى ادارة شئون الخلافة وحولوا اليهم المناصب العليا كالوزارة وقيادة الجيش .. لان الخلافة العباسية قد جاءت الى معرض الوجود بنصرة الفرس للعباسيين ضد الامويين .

وعن طريق المعاشرة والمصاحبة فى السكن والملبس والاكل والشرب وغيرها من نواحى الحياة الاجتماعية المزدوجة لهذه الامة الاسلامية .

لذلك فقد أصبح الشعب العربى والشعب الفارسى شعبا واحدا له هدف واحد هو نشر الاسلام فى المجتمع الانسانى وله غاية واحدة هى الاحتفاظ بالتراث الاسلامية عن طريق نشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم والاحاديث النبوية فى الخلافة الاسلامية التى امتدت شرقا الى الهند وغربا الى الاندلس وجنوبا الى افريقيا وشمالا الى بلخ وبخارى وتزويد هذه اللغة بالاداب والفنون ولذلك لم تقف امام القومية العربية اية قومية أخرى سواء أكانت تلك القومية فارسية أو رومانية أو هندية .. بل انه لم يبق اى فارق قوى بين العربى والفارسى لا من حيث اللغة والعلوم والاداب ، ولا من حيث العادات والتقاليد والمعيشة العامة لان الفرس أخذوا عن العرب اللغة والفصاحة والبلاغة وما يتعلق بها من المعانى والاغراض والالفاظ والتراكيب بينما قلد العرب الفرس فى الحياة المترفة ورغد العيش فى الاكل والشرب واللباس وسكنى القصور والشغف بالغنى ومجالس الموسيقى والسمر ..

ونتيجة لهذا الاختلاط وذلك الامتزاج بدا الفرس وخاصة المستنيرين منهم ينافسون اخوانهم العرب فى ميدان العلم والادب والتاريخ والفلسفة واللغة والحديث والتفسير وغيرها من العلوم والفنون .. حتى أن بعضهم قد سبق العرب انفسهم فى فنون خاصة كما أشرت آنفا .. مع ان الفرس قد اعترفوا للعرب بالفصاحة والبلاغة اذ يقول دولت شاه :

« ان الفصاحة والبلاغة من اختصاص العرب وان شعراء الفرس قد قلدوا شعراء العرب فى هذا الميدان وخاصة فى البلاغة التى سبق العرب فيها غيرهم »

ويقول ايضا الصاحب بن عباد « بدىء الشعر بالامير وانتهى بالامير » يقصد بهما امرىء القيس وأبو نواس .

ويقول شاعر آخر : ولما كانت البلاغة من طبيعة العرب وكان شعراؤها مطبوعين على البلاغة والفصاحة بدا شعراء الفرس يستعيرون البحور الشعرية العربية لانشاد قصائدهم وأشعارهم باللغة الفهلوية .. ولم يكن تقليدهم هذا محصورا على البحور الشعرية العربية فحسب بل انهم قد اخذوا ايضا من شعراء العرب المعانى والاغراض والالفاظ والتراكيب .. نرى هذه الظاهرة واضحة جلية فى العهد السامانى « ٨٧٤ ـ ٩٩٩ »م الذى حاول الفرس فيه احياء لغتهم من جديد .

واظهر مثل لهذا التقليد هو شعر رودكى ومنشورى والمعزى والحفوارى وعرفى وأسدى وأنورى وفردوسى وروى وغيرهم من فحول شعراء الفرس فترى أن معلقة امرىء القيس قد طرقت أوتار قلب منشورى واخذت عليه مشاعره فتراه يتناول المعنى الذى أداه امرىء القيس قبله بقرون يقول أمرىء القيس

فسلت عمايات الرجال

وليس فؤادى عن هواك بمنسل

ويقول منشورى : زخواب هو كشت بيداربركس نجواهم شدن من زخوابش مفيقا فترى كل واحد من امرىء القيس ومنشورى لا يرغب فى أن يسلى فؤاده عن حبيبته أو يضيق نفسه عن غشيان الحب وهيجان الصبا .

وايضا يقلد منشورى امرىء القيس : يقول

فكندم رحال وزمام نجيبم

واهمت بالنحر والنحر واجب

جو مركب فوائى دلستان شد

مرا كفت ولبركه طال المعاتب

شدم از صحارى من ان عمارى

وقد صرت حقا سعيد العواقب

الترجمة : انزلت الحمل عن ناقتى النجيبة ونزعت زمامها وهمت بالاضحية والاضحية واجبة ولما أصبحت ناقتى فداء حبيبة تأخذ على القلب قالت لى سالبة القلب أترك العتاب بعد هذا فجزت الصحارى وأنا جالس فى هودجها وصقاصيرت سعيد العواقب .

فانظر الى هذا الشاعر الفارسى كيف استعار الالفاظ والمعانى والاساليب العربية لشعره الفارسى على أن المنشورى قد ابتنى لقصيدته باللغة الفارسية أساليب القصائد العربية اذ يقول :

سلام على دار الكواعب
بتان سيه جشم عنبر ذوائب

رسوم الطلل والديار الدوارس
جوبر صدر منشور توقيع صاحب

قتاده بنسرين برأوراق سنبل
جوبر روئى قرطاس تطهائى كاتب

الترجمة : سلام على دار النساء الكواعب .. اذ هى مثل أصنام لها عيون حور وذوائب معطر بعنبر وسلام على آثار الاطلال والديار الدارسة التى اصبحت بمرور الزمن اشبه بمرسوم ملكى .. وأن الاوراق الساقطة من زهرة سنبل على وردة نسرين البيضاء هى تشبه الاوراق التى كتب عليها الكتاب خطوطا سوداء .

ولم يكن تقليد رودكى لشعراء العرب أقل من تقليد منشورى حيث يقول فى مدح أبى جعفر أحمد بن محمد الليث حاكم منطقة زيستان عام ٣١١ هـ :

اينك مدحى جنانكه طاقت من بودن
لفظ همه خوب وهم بمعنى أسان
شعر سذا واد امير كفت ندانم
ورجه حريرم بشعرى وطائى وحسان
سخت وشكوهم كه عجز من بتمايد
ورجه صريحم بافصاحت سحبان [٦]

الترجمة .. هذا مدح منى حسب استطاعتى - لفظه جميل ومعناه سهل . انه مدح لامير مدحه زينة وعزة وعظمة وغبطة ومساعدة للعالم كله وانى لا أستطيع انشاد شعر يناسب الامير - وان كنت فى قول الشعر مثل جرير والطائى وحسان - وانى أخاف من ان يظهر مدحى هذا عجزى .. وان كنت مثل سحبان فى الفصاحة .

هذا هو الشاعر الفارسى المعروف الذى لم يكتف باستعمال الالفاظ والمعانى والاساليب العربية فى شعره باللغة الفارسية بل ادعى انه مثل جرير والطائى وحسان فى قول الشعر الجيد وان فصاحته وبلاغته قد بلغت الى درجة الكمال كفصاحة سحبان ابن وائل .

واما تأثر الشاعر الفارسى أبو الحارث حرب بن محمد الحقوارى بن هرات بالشعر العربى وخاصة بغزل عمر بن ربيعة فهو ظاهر جلى اذ يقول :

« كفتم اين كه‌كه نمودن روئى جبارى بود ، كفت قدرمردم ادنرخويشتن دايربود كفتم اين خوارى جه بايدكه يرستم من ترا ، كفت بركه بت برستدازدر خوارى بودكفتم اين‌زلفين‌تارى زاستربرزان روح ،كفت مه راروشنى اندرشب تارى بوز كفتم اسانى وناز ازمن ربوداين عشـقتو ، كفت عشق نيكوان بارنج ودشوارى بود ٧٤

الترجمة ،

قلت ان سفورك عن الوجه وقتا فوقتا ظلم
قالت ان عزة المرء فى ضبط النفس

قلت لا أستحق منك هذا الجفاء لانى أعبدك

قالت كل من يعبد الصنم يستحق الجفاء

قلت ارفعى الذوائب عن خديك

قالت ان نور القمر يلمع فى ليلة ظلماء

قلت ان عشقك قد سلب عنى الراحة والهدوء

قالت ان عشق الحسان يصحب الغم والهم

ولم يكن تأثر المعزى بالشعر العربى أقل من بقية الشعراء الفارسيين اذ يقول :

شعر زطبع من زلل مشناس درشعرم خلل : كرمن زربع وازطلل درمدح توكفتم سخن نفزوبد بيست اين نمط دردرج سهو وغلط : زانسان كه دردرج وسمط ياقوت مقترن ٨٤

الترجمة : يقول المعزى فى الشعر المذكور لممدوحه .. لا تحسب الاخطاء فى طبيعتى أو الخلل فى شعرى اذا تحدثت اليك عن الاطلال والربوع الدراسة فى مدحك .. لان هذا النوع من المدح هو من أحسن المدح وابعده عن الخطأ والسهو بل انه من الياقوتة المنظومة على الخيط

أما أثر النثر العربى على النثر الفارسى فهو ظاهر لا يحتاج الى الادلة والامثلة لان كل أديب فارسى وكل عالم فارسى قد تأثر الى حد بعيد فى أدبه وعلمه بالاداب العربية والعلوم العربية .. بل ان المكارم العربية وفضائلها تنعكس بصورة واضحة فى الادب الفارسى وان العلوم اللغوية الفارسية مصدرها العلوم اللغوية العربية أصلا ولا أكون مبالغا اذا قلت ان الادب الفارسى الحديث وليد الادب العربى القديم سواء أكان ذلك فى اللفظ او المعنى او الاسلوب .. ذلك أن اللغة الفارسية الحديثة قد أخذت الالفاظ والتراكيب والاساليب من اللغة العربية حتى أن الحروف الهجائية فى اللغة الفارسية هى نفس الحروف الهجائية العربية سوى حروف عدة يمكن الاستغناء عنها اذا أراد الاديب أو العالم ذلك

للبحث بقية

الايمان والتقوى

أساس كل غنى ومبعث كل خير

الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب

البركات : فوق كل الخيرات ، وهى أفضل ما يهبه المولى لعباده !

التقوى من موجبات رحمة المولى سبحانه وتعالى .

وبدونها لا يكون المسلم مسلما .

النار : لا يدخلها الا شقى ! والجنة لا يدخلها الا تقى !

التقوى : موجبة لحب المولى سبحانه !

الناس صنفان لا ثالث لهما : متقون وكافرون !

بالتقوى : يكون النصر على الاعداء !

انزال المطر وحده : لا يكفل الانبات والرزق !

كم من فقير : سعد بأبنائه !

وكم من غنى : يشقى بهم !

الكفر بالنعمة : موجب للشقاء !

يقول المولى جل وعلا : « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا : لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض** » .

وهذه الاية الكريمة : تدل دلالة قاطعة على ان الايمان والتقوى : هما أساس السعة والرزق ! بل أساس كل خير فى الحياة الدنيا وفى الاخرة !

وليس بالسعة والرزق وحدهما : يحيا الانسان ! انما بالهناء ، والسعادة : وهما لا يتوفران الا بالبركة !

والبركة شىء لا يلمس بالحس ، ولا يعرف بالاختبار .

انما هو شىء : يضفيه المولى سبحانه على من اختصهم من عباده بالحب والرحمة !

والبركات التى يفتحها المولى على عباده ، من سمواته وأرضه ، لا تنحصر فى الماء الذى ينزل من السماء ، فيحيى به الارض بعد موتها .

ولا بالخصب الذى يرسله على الارض « **رزقا للعباد** »

فجميع ذلك يناله كثير من الناس : فيزدادوا به طغيانا وكفرا

وانما البركات - كما قدمنا - بين الله تعالى ، وبين الاتقياء من عباده وخاصة المؤمنين .

يقول المولى جلا وعلا « ورحمتى وسعت كل شىء »

وهذه الرحمة التى وسعت كل شىء ، يقيدها المولى سبحانه بالتقوى « فسأكتبها للذين يتقون » .

وذلك لان التقوى عماد كل شىء !

وبدونها لا يكون المسلم مسلما ، ولا العابد عابدا .

وكما أن النار لا يدخلها الا شقى ! فان الجنة : لا يدخلها الا تقى !

والتقوى : عماد كل شىء وأصل كل خير ، كما قدمنا .

يقول جل شأنه : « **ولكن البر من اتقى** »

ويكفيك - أيها المؤمن التقى - حب المولى سبحانه لك « **فان الله يحب المتقين** »

واحذرك من عذاب القيامة «**فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » « **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار** »

والتقوى ايضا : تحول بينك وبين الشيطان « **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون** » « **ولدار الاخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون** » أى « **أفلا تعقلون** » التقوى وفائدتها وعائدتها !

وقد قسم الله تعالى الناس جميعا الى فئتين لا ثالث لهما : متقون وكافرون ، فقال جل شانه « **تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار** »

وقال جل شأنه « **وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا** » « **وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا** »

وشرف المتقين بفضل معينه : فقال « **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » .

وجعل سبحانه التقوى سببا للنصر على الاعداء ، والامداد بالملائكة « **وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا** » « **وان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين** »

خمسة آلاف من الملائكة : « فى حين ان واحدا منهم : كفيل بان يهلك أمة باسرها : أو يطبق سمواتها على أرضها !

وقال جل وعز « **يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** » أى نصرا مبينا !

وانظر ـ يا رعاك الله ـ الى قول مولاك فى الامة التى نحن بصددها « لفتحنا عليهم » ولم يقل أنزلنا عليهم .

وقوله جل شانه « **بركات من السماء** » ولم يقل : **رزقا من السماء** .

وشتان بين الفتح والانزال ، وبين البركات والرزق .

فدل ذلك على أن انزال المطر وحده : لا يكفل الرزق والانبات واذا كفلهما : فأين البركات ؟

والبركات وحدها : كفيلة بكل خير ، مبعدة لكل شر !

وذلك لانها تجعل القليل كثيرا ، والصغير كبيرا ، والحقير عظيما !

وهو امر مشاهد محسوس ، فكم من غنى يطعم أبناءه خير الطعام ، فلا يجد فيهم سوى الضعف والاسقام !

وكم من فقير لا يكاد يجد لبنيه الخبز القفار ، فاذا بالكريم العظيم يمدهم بسطة الجسم ويتفضل عليهم بسطة العلم ،

وكم من أمة تدوس على الخيرات وتلعب بالاقوات ، وتسخو ـ رغم ذلك ـ الجوع والفاقة النازلان عليهم : وبهم ما بهم من الكفاية ، والاستغناء ،

ولكنه كفر النعمة ، الذى يستوجب العذاب والنقمة : « **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** » .

وكم من امة لا تكاد تجد احتياجاتها الا بكد وجهد وتعب ونصب ، تشكر ربها وتسلم لمولى أمرها . فيبارك لها جل شأنه فيما رزقها ، ويزيدها ايمانا على ايمانها ، وتقى على تقواها !

والغنى ولو أنه ضد الفقر ـ الا أنه لا يسمى غنى : الا اذا صاحبه غنى النفس !

قال الشافعى رضى الله تعالى عنه :

غنى بلا مال عن النـاس كلهم
وليس الغنى الا عن الشىء لابه

واذا غنيت النفس : قنعت بما لديها وانحسم تطعها لما فى أيدى غيرها .

والا فالغنى فقير اذا تطلع ، والفقير غنى اذا تقنع !

والفقر : ليس بمنقصة الا اذا اعتراه ضيق بالمقدور !

والفقر ـ مع الصبر ـ من صفات الصالحين ، وسمات المتقين »

بشرط الا يخاصم الفقير نفسه ، لفوات حظوظها العاجلة »

بل يكون شأنه دائما الرضا المطلق : بما ارتضاه ربه تعالى له ، بغير تطلع لما فى أيدى الناس !

فانه جل شانه : قسم الحظوظ ، وابتلى كل واحد من مخلوقاته بضروب من الغنى والفقر ، والصحة والسقم والسعة والضيق !

وقد يفيض المولى سبحانه على الفقير من بحار رضاه وسكينته : ما يجعله كأغنى الاغنياء ، غبطة وسرورا !

وقد يشغل الصحيح بصحته : حتى يكون حاله أسوأ من كل سقيم !

ويشغل الغنى بما آتاه : حتى يبدو أفقر من كل فقير !

اذ هو وحده جل شانه : المضحك المبكى الغنى المغنى

وهو تعالى : القابض الباسط ، المعز المذل ، الخافض الرافع ، المعطى المانع .

اللهم افتح علينا بركات من سمواتك وارضك ، وأرضنا بما قسمته لنا ، وارض عنا يا مولانا وارضنا عنك انك انت السميع العليم ، التواب الرحيم .

مسئولية الكلمة فى الإسلام

الكلمة مسئولية خطيرة ، ولخطورة الكلمة حذرنا الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه من أن نحدث الناس بكل كلام نسمعه فقال « كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع » .

والمؤمن الحق يفكر قبل ان ينطق ، فقد تكون كلمة واحدة سببا فى تدمير أمة بأسرها ، ومن يتتبع أحاديث رسولنا الحكيم يدرك مدى أهمية الكلمة ، فلا ينطق الا بصواب : « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت » . ولقد جعل الرسول عليه السلام ـ كلمة المسلم فى غير موضعها دليلا على سوء اسلام قائلها : « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » ولقد طالبنا الرسول العظيم بأن ندرب ألسنتنا على الطاعة ، والا نتيح لها فرصة التمرد ، وجعل ذلك عمل خير يثاب صاحبه عليه بالرحمة والمغفرة : « رحم الله امرء أصلح من لسانه » ، و .. من كف لسانه ستر الله عورته « .. بل لقد ذهب صلوات الله وسلامه عليه الى ابعد من هذا فى تحذيره لنا من عثرات اللسان حيث جعل كثرة الكلام هى الطريق الى النار » وهل يكب الناس على وجوههم فى النار الا حصائد ألسنتهم ؟ » .

الأستاذ محمد عبد الحافظ

وهل نجد ابلغ فى التحذير من خطورة الكلمة من قوله عليه السلام : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ؟ .

ويعلمنا الامام على كرم الله وجهه ـ ان هناك ضوابط وحدودا للكلمة التى يذيعها الواحد منا والكلمة التى يحتفظ بها لنفسه ، حرصا على سلامته أو وطنه او غيره من المؤمنين ، وان الفارق بين العاقل والمجنون انما هو التحكم فى اللسان والنطق بالكلمة فى موضعها بعد روية وتفكير : « لسان العاقل من وراء قلبه ... وليس كل ما يعلم يقال » . ومن مأثور « لقمان » انه دخل يوما على سيدنا داود ـ عليه السلام ـ وهو يسرد درعا ، ـ ولم يكن رأى الدروع من قبل ـ فاراد ان يساله عنها ولكن حكمته منعته ، وظل يتردد عليه مرات ومرات دون ان يساله حتى اذا فرغ داود ـ عليه السلام ـ من صناعة الدرع لبسها وقال : « نعم الدرع للحرب » فقال لقمان الحكيم قولته المأثورة : « الصمت حكم وقليل فاعله »

واذا كان الصمت حكمة فان ذلك ليس فى كل الاحوال ، لان هناك مواطن كثيرة يكون الصمت فيها جريمة مروعة فالصمت مثلا امام القاضى عند اداء الشهادة اثم كبير « ومن يكتمها فانه آثم قلبه » ، والصمت أمام افتراء الذين يهرفون بما لا يعرفون وبخاصة فى أمور الدين يعتبر من أسوأ الاثام ، فنحن مامورون بنص الحديث الشريف أن نكون ايجابيين أمام المتمردين على تقاليدنا الاسلامية ، المشيعين للبدع والمنكرات ، والاسلام يدعو كل مؤمن أن يتصدى لامثال هؤلاء لا بالكلمة فحسب بل بالفعل أيضا ، قال عليه السلام : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان » .. و « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ، واذا كنا مامورين بالصمت عند تلاوة القرآن الكريم فاننا مامورون ايضا بالكلمة الهادفة الخيرة : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

والكلمة الطيبة قد يكون لها من الثواب والاجر ما للمجاهد فى سبيل الله ، كأولئك المجاهدين فى سبيل نشر الدين واجلاء نور الحق واليقين امام العيون التى رمدت من ظلام الباطل المعتم : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها » و « لان يهدى الله بك رجلا خير من الدنيا وما فيها » ومن هنا كانت الكلمة ولا تزال سلاحا خطيرا .

وفى مختلف دول العالم نجد اجهزة الاعلام ـ وهى تعتمد اساسا على الكلمة ـ يغدق عليها بسخاء سواء فى الدول المتقدمة أو فى تلك التى تحتاج الى القوت الضرورى .

وهل كل ذلك الا بغية الوصول عن طريق الكلمة ـ الى الغاية التى تعجز الجيوش المدججة بالقنابل والصواريخ عن الوصول اليها ؟ وماضى العالم وحاضره يؤكدان هذه الحقيقة .

وتاريخنا الاسلامى حافل بالنماذج المعبرة الهادية .. ففى غزوة « أحد » خالف الرماة المكلفون بحماية جيش المسلمين « كلمة » الرسول عليه السلام وتركوا اماكنهم وانشغلوا بجمع الغنائم فكان ثمن مخالفة هذه «الكلمة أول هزيمة فى تاريخ الجيش الاسلامى » .

وفى غزوة « بدر » نسجت « الكلمة » بشائر النصر .. فقد بعث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ اثنين من صحابته لاستطلاع قوات المشركين ، وعند بئر « بدر » وجد أحدهما غلامين لقريش يستقيان ، فاصطحبهما الى الرسول عليه الصلاة والسلام الذى تولى بنفسه سؤالهما فكان الحوار الاتى :

الرسول : كم القوم ؟ « يعنى جيش قريش » .

الغلامان : كثير عددهم ، شديدباسهم

الرسول : كم عدتهم ؟

الغلامان : لا ندرى .

الرسول : كم ينحرون من الجزر كل يوم ؟

الغلامان : ينحرون يوما تسعا ويوما عشرة .

وعند ذلك ، وعن طريق « الكلمة » استطاع الرسول عليه السلام ان يقدر عدد جيش المشركين فقال لاصحابه : القوم بين التسعمائة والالف ، وفعلا كان عدد القرشيين تسعمائة وخمسين رجلا ، وقد تمكن ـ عليه السلام ـ من ذلك التحديد على أساس ان المائة رجل يأكلون ـ عادة ـ بعيرا .

وأما الصحابى الثانى فقد وجد جاريتين من جوارى الاعراب تتحدثان عند بئر « بدر » ، وكانتا تغتسلان ، فأرهف سمعه فوصل اليه الحوار التالى:

الجارية الاولى : لماذا لا تؤدين الى ما عليك من دين ؟

الثانية : ستاتى « العير » « تجارة قريش » غدا أو بعد غد فأعمل لهم وأعطيك مالك .

ولما علم النبى بذلك أعد المسلمين للقاء قريش فقد أفادته هذه « الكلمة » العابرة : « غدا أو بعد غد » فجهز نفسه للقاء جحافل الشرك بقواتهم الضخمة التى تبلغ ثلاثة أضعاف ماحوله من رجال .. ووضع خطة على اساس تفوق المشركين عددا وعدة .. فكان النصر الذى لعبت فيه الكلمة دورا لا يغض المؤرخون من شانه .

وفى غزوة « الخندق » لعبت «الكلمة» دورها الكبير فى تفويت الفرصة على «الاحزاب» فلم يتمكنوا من خنق الدعوة الاسلامية فى مهدها ..

تروى كتب السيرة النبوية الشريفة أن « نعيم بن مسعود بن عامر » من بنى غطفان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما طال حصار المشركين للمدينة فقال : يارسول الله انى قد أسلمت ، وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله : انما أنت رجل واحد فخذل عنا ، فان الحرب خدعة .

واثر ذلك ذهب « نعيم » الى بنى قريظة فقال : يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم . قالوا : صدقت ، ولست عندنا بمتهم . فقال : ان قريشا « وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهر تموهم عليه ، .. فان راوا نهزة أصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ،وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تاخذوا منهم رهائن من أشرافهم يكونون بين أيديكم . فقالوا قد أشرت بالرأى » .

وذهب « نعيم » الى كل من قريش وغطفان ، وأفهمهم أن بنى قريظة قد ندموا على نقض عهد المسلمين واتفقوا معه علىخديعة قريش وغطفان والحصول منهم على بعض ساداتهم وأشرافهم كرهائن ثم يقدمونهم لمحمد لبضرب أعناقهم فاستعجلت قريش وعد « قريظة » لها بنصرتها ، « فكان فى جوابهم ما يؤكد قول « نعيم » من عزمهم على الغدر فعزموا على الرحيل وفك حصار المدينة « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » .

وبعد

فيقول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما»

ويرشدنا خاتم الانبياء والمرسلين فيقول :

« اذا رايتم المؤمن وقورا صموتا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة » .

يسعد صوت القاهرة

إحدى شركات اتحاد الإذاعة والتليفزيون

صوت القاهرة

SONO CAIRO

أن تقدم :

المصحف المجود كاملاً للشيخ عبدالباسط عبد الصمد مسجلاً على اسطوانات وشرائط كاسيت .

المصحف المجود كاملاً للشيخ محمود خليل الحصرى (شيخ المقارئ المصرية) على اسطوانات ٣٣ ½ لفة .

تسجيلات من قراءات للشيخ محمد محمود الطبلاوى .

ماتيسر من سورة آل عمران .

ماتيسر من سورة النساء .

مسجلاً على اسطوانات ٣٣ ½ لفة .

تسجيلات نادرة لأحب الأصوات :

الشيخ : محمد رفعت • الشيخ : محمد صديق المنشاوى .

الشيخ : محمد النادى • الشيخ : عبدالعزيز على فرج .

مسجلة على اسطوانات وشرائط كاسيت

أحدث أجهزة البيك آب .

أحدث أجهزة الكاسيت .

• تباع بفروع الشركة وجميع محلات بيع الاسطوانات

• لدى الشركة مراكز لخدمة الأجهزة وصيانتها

تآلف القلوب في الإسلام

من داخل النفس تتفجر ينابيع السعادة الغامرة ، وان كان ظاهر الانسان لاينم عن شيء من السعادة .

ولا تسعد النفس الا اذا كان القلب من الصفاء والنقاء بحيث لايزحمهما فيه غل موار ، أو حقد دفين ، أو عداوة تغلى ، فهذه أمراض قلبية تعصر القلب عصرا ، وتطرد منه كل رضا واطمئنان ، واذا ذهب هذان كانت النفس تعسة شقية .

ولما كان الله يريد لعباده الخير والسعادة في حياتهم فقد أمرهم بكل ما يصفى القلوب من أمراضها ، والنفوس من أدوائها لترفرف أعلام السعادة الحقة على دنيا الافراد والمجتمعات ، ويحس الجميع متعة الحياة ، فينصرفوا الى عبادة خالق الحياة بدل الانصراف عن الله أو تسخير الحياة للشقاق والعداء .

الأستاذ عبد الغني أحمد ناجي

ولا نود أن نذهب او نحيل الى نظريات علم النفس وتجاربه ، وانما ندعو المسلم الحصيف أن يتحسس نفسه في حالتين : حالة صفاء وصلح مع من يعايش او يعاشر ، وحالة عداء وخصام لبعض من في مجتمعه الصغير أو الكبير ، انه - بلا شك - واجد نفسه في الحالة الاولى وكأنها في روضة تعجب وتسعد او تاسر وتسحر ، ازهارها الرضا والاطمئنان ، والسكنة والامان ، وكيف لا يسعد من يقطف من هذه الزهور ؟!

وانه واجد نفسه في الحالة الثانية في قلق قاتل ، وحيرة مربكة ، وهم عاصر وخوف واضطراب ، وكيف يشعر بسعادة من يعيش بين براثن هذه الوحوش المعنوية ؟ فاسماؤها ترعد وترعب ، قلق - اضطراب - خوف - هم » .

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في موقف توجيهي : « .. التقوى هاهنا » وأشار الى صدره أي قلبه - فان القياس يبيح ان نقول : السعادة هاهنا أي في الصدر والقلب .

والقلب - اذن - قد يترع بالرضا فيرسل السعادة كالعطر الفواح ، وقد يمتلىء بالضيق والبرم فينفث السخط والالم ، ومن ثم جاءت تعاليم السماء لتستل من قلب الانسان كل آثار السخط المدمر لتحل محلها كل آيات الرضا المسعد البناء .

واذا ذهبنا نستعرض ونبحث عن ما يمتع ويقنع ، فالاسلام قد أولى هذه المضغة في الانسان كل عناية واهتمام لانها مصدر الخير ، ومنبع السعادة كما أسلفنا ، فتأتى تقرير الرسول صلى الله عليه وسلم بادىء ذي بدء معلنا للمسلمين ان مظاهر الحياة ومباهج الدنيا لن تغني المرء شيئا في ميزان الله ، لان الله تعالى لاينظر الى الصور والاشكال ، انما ينظر الى القلوب والاعمال : « ان الله لا ينظر الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » .

ثم تأتى توجيهات الاسلام تترى لتصلح القلب ، وتغرس فيه الالفة والمحبة للاخر والغير ، فتآلف القلوب - وهو مانقصده بهذه الخاطرة - أمر جد خطير في تفجير ينابيع السعادة في كل مجتمع ينشدها ، وعليه تعتمد قوة الفرد والمجموع ، فكل وسيلة تؤدى الى هذا التآلف والتعاطف دعا اليها الاسلام ليحقق انبل هدف من رسالته وهو سعادة البشرية العانية في الدنيا والاخرة ، فالعبادات كلها ذات اسرار وأهداف ، ولا نبعد اذا قلنا ان من أهم أهدافها تأكيد هذا التآلف في القلوب ، ومن ثم كانت الدعوة الى صلاة الجماعة شديدة وملحة : وكان الجزاء عليها يفوق صلاة الفذ بأضعاف الجزاء ، لماذا ؟ الحرص الاسلام الشديد على ان يجتمع المسلمون في لقاء روحى خمس مرات في اليوم بوجه باش ، ونفس صافية ، وقلب سليم

.. اليس ذلك كفيلا بغرس الالفة والمحبة في القلوب حتى تتوجه الجوارح للعمل الجاد ، والجهد المثمر فى الحياة ، حتي ما يتوقع منه النفور عند ذلك اللقاء حرمة الاسلام أو كرهه فأكل الطعام الذى من شأنه أن ينبعث من آكله روائح كريهة مكروه للمسلم عندما يعزم على الذهاب الى المسجد للقاء الله ولقاء عباد الله ، والتطيب مندوب ومسنون عند ذلك اللقاء، والنظافة من الايمان وواجبة لهذا الغرض، ليكون الجذب بين المسلم وأخيه ، فاذا تصافحا باليد تصافحت النفوس والقلوب، وكان المسلمون كما اراد لهم خالقهم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

ولكون هذا التآلف القلبى شديد الاثر والخطر فى دعم السعادة بين الناس ، والاسلام ينشد تلك السعادة ليفرغ الناس للعبادة : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون .. » ـ فقد فجر الاسلام كل ينابيع ذلك التآلف ، وولج بالمسلمين كل المنافذ التى تهب منها نسماته العبقة وأريجه الفواح ، فالكلمة الطيبة يعتبرها الاسلام صدقة لاثرها الكبير في دعم التآلف وتطهير القلوب ، وغرس المودة ، وافشاء السلام سنة مؤكدة ، ورده واجب ، ولا يخفى ما فيهما من ايقاظ عواطف الاخوة ، وتآلف القلوب ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن اى الاسلام خير فيجيب السائل بقوله : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » ولا غرابة فى جعل هذين الامرين من خير تعاليم الاسلام مع يسرهما وسهولتهما بجانب اعمال اخرى تستدعى التضحية والفداء ، ونقول لاغرابة بعدما ظهر الاثر ، وعرف الهدف ، فالهدف تآلف قلبى سيفضى حتما الى تضامن وتعاون ، وهذان محققان للمسلمين في مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة خيرا واى خير ، فالنصر على الاعداء ـ وهو قمة الاهداف ـ لايتحقق الا بذلك التضامن المركوز على تآلف القلوب وصفاء النفوس .

واذا ذهبنا نجلى الحكمة من فضائل الاسلام وجدنا معظمها يتركز حول الهدف النبيل ، وهو التآلف والتحاب ، فعيادة المريض ، والتزاور فى الاعياد وفى غير الاعياد ، والتهادى ، ولو بكراع شاة والبشاشة وانطلاق الاسارير فى التعامل وعند اللقاء ، والتسامح لدى الاقتضاء والبيع والشراء ، والتواضع وعدم الكبرياء والخيلاء ، والتصدق والانفاق فى تستر وخفاء ، كل هذا ـ ونظيره فى الاسلام كثير ـ دعا اليه الاسلام بشدة لهذا الهدف أيضا ليؤكد التآلف القلبى حتى تتعاون الجهود وتتضافر الخطا خطا أتباع الاسلام على طريق الخير والى الخير ، فما انبل الهدف والنتيجة وما أفضل الوسائل والمقدمات ، وقبل وبعد ما أحق الدعوة فى عالم البشر ، وما احسن التشريع الحكيم الذى نريد لهؤلاء البشر سعادة الدنيا والاخرة : « يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .. » « .. لو انفقت مافى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم » .

والاسلام فى نظرته الفاحصة ، ومعياره الدقيق ليس مبالغا اذا نفى الايمان أو كماله عمن لايتوفر لديه ذلك الحب والتآلف بينه وبين من يعاشر ، قال صلى الله عليه وسلم : « لن تؤمنوا حتى تحابوا » ، لان هذا التآلف ، وذلك الحب هما الدعامة القوية التى سيقوم عليها تعاون الافراد فى المجتمع ، ومن ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما نزل المدينة مهاجرا يعمد اولا الى المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ليكون المجتمع القوى المتآلف الذى يعتمد عليه فى بناء دولة قوية ناهضة ، وقد تحققت النتيجة : نتيجة التآلف التى تشبه المعجزة حينما كان المسلم فى المعارك يقف دون أخيه ليفديه بروحه متمنيا الموت قبله ، وهذا اروع مظاهر الفداء .

واذا كان علماء النفس ينصحون المريض بالاكتئاب بان يغشى المجتمعات ، ويدع الانطواء والانزواء ، فان الاسلام الحنيف لايترك الشخص حتى يصاب بداء الاكتئاب ويحار فى العلاج ، وانما يسلك مبدأ الوقاية التى هى خير من العلاج، فينصح ـ بشدة والحاح ـ بالتآلف القلبى ، لانه يحمى الشخص من معظم الامراض النفسية ، ومن مقدمتها ذلك الاكتئاب ، حتى كظم الغيظ ـ وان ادعى المدعون انه يسبب الالم النفسى ـ فهو مسبب ما يذهب ذلك الالم ان حدث ، وذلك بغرس الود والتحاب فى القلوب ،والود العميق فى القلب قاض على كل ألم نفسى تجاه الاخرين ، بمعنى أن كظم الغيظ بين شخصين سيكون مرة مع مايحدثه من ألم وقتى ، ثم يكون ينبوعا تتفجر منه الالفة والمودة بدل التباغض الذى يوتر الاعصاب ، ويقض المضجع ، ويحرم الشخص الراحة والهدوء ، وفى ذلك من الالم النفسى مايفوق أضعاف مايحدثه كظم الغيظ ، ومن ثم مدح القرآن الكاظمين الغيظ بالدعوة اليه ، والترغيب فيه كوسيلة من وسائل التآلف القلبى الذى نحن بصدد الحديث عنه لتجلية جدواه قال تعالى : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » .

وبعد ، فلعلنا ندرك أن تآلف القلوب هو سر السعادة المنشودة ، ولعلنا بعد الادراك نسير على الدرب ونتبع النهج الذين يؤديان الى هذا الهدف الجليل النبيل ، لعلنا ان وصلنا أن نعرف قيمة تلك النعمة : نعمة التآلف والتعاطف : واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم » ولعلنا نستعين الله تعالى فى تحقيق هذا الهدف النبيل : هدف تآلف القلوب ، اذ الله وحده هو القادر على ان يحقق لنا ذلك ، فهو القائل لنبيه عليه الصلاة والسلام فى هذا المجال : « .. لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز حكيم » ■

والعاقبة للمتقين

الدكتور زكى مشعل

اللهم انا نسالك مخلصين بالقرآن العظيم وبرسولك محمد عليه أزكى صلاة وتسليم أن تفيض علينا من فيضك ورحمتك ما يمكن لنا من النصر والفوز فى أعمالنا وأقوالنا فانك حسبنا نعم المولى ونعم النصير ، وانا نريد أن نتحدث الى القراء فيما يوصلهم الى سبل النصر والانتصار والى ما يحقق رضا الله ورحمته وتوفيقه وفى الحق أنه سبحانه جعل لكل شىء سببا .

فمن هداه الله الى توفيقه ورضوانه والى سعادته فى الدنيا والاخرة أنار بصيرته وزكى نفسه وهيأ تفكيره لما بينه ووضحه فى كتابه السماوى الذى تنوعت آياته فى ضرب الامثال وذكر القصص والعبر وفى بيان السبل الموصلة الى الحق والهدى وما الى ذلك من احكام وتشريعات ذكر بعضها جملا محكما من دت القرآن الكريم . ثم جاءت السنة المطهره فبينها صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا واضحا لا لبس فيه ، وصدق الحق حيث يقول « **وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى** » وقوله سبحانه « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون** » .

والجوانب الاسلامية كثيره متشعبة اشتملت على نظم الحياه كلها غير أن أسمى جانب من تلك الجوانب الدينيه المحمدية هو جانب التقوى ذلك الجانب هو عمل باطنى روحى يشع نوره على الاعضاء والجوارح فيصير سلوك الانسان بين قومه وبين احبائه واعدائه سلوكا شريفا حميدا خيرا فى أقواله وأفعاله لا يخشى فى نصر الحق لومة لائم لان باطنه تحرر من غرائزه ومن سيطرتها عليه فادرك ان مولاه يراقبه اين وكيفما يكون مستجيبا ومصدقا لقوله تعالى « **أن الله كان عليكم رقيبا** » والذى جعلنى أتحدث عن هذا الجانب الاسلامى أن الناس يتخذون مفهوم التقوى عملا روحيا صرفا حتى أن بعضهم يجعل هذا المعنى قائما ماثلا فى اخلاص العبادة والخشوع والخضوع والتذلل لله رب العالمين .

وفى الحق أن هؤلاء بعملهم هذا لا يكون لتقواهم اثر ايجابى عملى ، فالاثار العملية لهذه الصفة الجليلة تتمثل فيما ينبعث من أخلاق الانسان وتصرفاته نحو مجتمعه وأمته . فكل صفة أخلاقية كمثل الصدق والامانة والمروءة والنزاهة والشرف والاخلاص والوفاء والمحبة وصيانة العرض وما الى ذلك من خلال كريمة لابد لتلك الصفات المتأصلة فى التقوى أن يتبعها الانسان ويتمثلها فى كل عمل وكل اليه ليكون قدوة طيبة بين أخلائه وأصدقائه فيحملهم على متابعة نهجه .

من أجل ذلك سلك السلف الصالح نهج ومتابعة المخلصين من اتباع النبى وأصحابه ، والقرآن الحكيم حينما يتحدث عن المتقين ينعتهم بأخلاق وخصال ليست نظرية وحسب بل روحية عملية تطبيقية منها ما يعود اثرها ونفعها على صاحبها ومنها ما يمتد نفعها وتاثيرها فيما حول الانسان من خير وسعادة وتقدم ولنستمع الى قوله سبحانه فى أول سورة البقرة « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** » .

لقد كان من صفات المتقين جانب العطاء المتمثل فى قوله « **ومما رزقناهم ينفقون** » وهذا الجانب لا ريب يتصل فاعله برضوان الله أولا كما يجعل من يخالطهم ويخالطونه من محبة وألفة وسعادة ووئام ووفاق . فكل من أوتى حظا من خلال المتقين ولم يؤت من هذا الجانب العملى شيئا المتصل بخلق الله وعباده فليس من المتقين الكاملين .

واذا فالتقوى هى مناط سعادة الانسان فى الدنيا والاخرة فاذا ما أحسن الانسان فهمها وتطبيقها فقد سلك سبيل السعادة والفوز والفلاح الى العز والسياده والحريه والكرامة فى الدنيا وكانت أيضا رائده الى النعيم الدائم والفوز العظيم فى الاخرة فليس الرياء والنفاق والغش والخداع والاختلاس واخذ حقوق الغير وأكل أموال الناس والكذب وكل صفه تضر بالدين ويأباها العقل ويمقتها الضمير السليم ليس ذلك كله من فطرة الانسان المؤمن الذى جعله الله صالحا مصلحا فى الارض محققا لما جاهد فى سبيل قيامه ونشره رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين لان الرسالات السماوية كلها جاءت داعية الى تقوى الله ومراقبته وعدم الفساد والافساد بين عباد الله ، وفى هذا المقام يقول الحق جل جلاله « **فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون** » من سورة الشعراء .

ولقد رأينا ما حدث لقوم موسى عليه السلام لما أعرضوا عن ارشادات وتوجيهات رسول الله وكليمه عليه السلام وظنوا أن سلطانهم وقوتهم تمنعهم من بأس الله وعذابه مع كثرتهم وطغيانهم فقد كانوا أهل باطل فهم من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون وان الحق وقومه وان كانوا قليلين غير ان القوى العزيز أبدا ناصرهم ومؤيدهم لانهم عباد الله المتقون والعاقبة الحسنى فوزا ورضوانا لهم يقول سبحانه مبينا هذا الصراع بين المتقين والمفسدين « **وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحى نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** » **الاعراف** .

البقية ص ٢٠٢

مواقيت الصلاة

أيام الاسبوع	جمادى الأولى ١٣٩٥	مايو ١٩٧٥	فجر	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			ق ت	ق ت	ق ت	ق ت	ق ت
الاثنين	١	١٢	٤ ٢٧	١٢ ٥١	٤ ٢٨	٧ ٣٨	٩ ٠٥
الثلاثاء	٢	١٣	٢٧	٥١	٢٨	٣٨	٠٥
الأربعاء	٣	١٤	٢٣	٥١	٢٨	٤١	٠٥
الخميس	٤	١٥	٢٣	٥١	٢٨	٤١	٠٩
الجمعة	٥	١٦	٢٣	٥١	٢٨	٤١	٠٩
السبت	٦	١٧	٢٢	٥١	٢٨	٤٢	٠٩
الأحد	٧	١٨	٢٢	٥١	٢٨	٤٢	١٠
الاثنين	٨	١٩	٢٢	٥١	٢٨	٤٢	١٠
الثلاثاء	٩	٢٠	٢٢	٥١	٢٨	٤٢	١٠
الأربعاء	١٠	٢١	١٨	٥١	٢٨	٤٤	١٠
الخميس	١١	٢٢	١٨	٥١	٢٨	٤٤	١٤
الجمعة	١٢	٢٣	١٨	٥١	٢٨	٤٤	١٤
السبت	١٣	٢٤	١٥	٥١	٢٨	٤٧	١٤
الأحد	١٤	٢٥	١٥	٥١	٢٨	٤٧	١٧
الاثنين	١٥	٢٦	١٥	٥١	٢٨	٤٧	١٧
الثلاثاء	١٦	٢٧	١٤	٥١	٢٨	٤٨	١٧
الأربعاء	١٧	٢٨	١٤	٥١	٢٨	٤٨	١٩
الخميس	١٨	٢٩	١٤	٥١	٢٨	٤٨	١٩
الجمعة	١٩	٣٠	١٤	٥١	٢٨	٤٨	١٩
السبت	٢٠	٣١	١٤	٥٣	٢٨	٤٨	١٩
الأحد	٢١	أول يونيو	١١	٥٣	٢٨	٥١	١٩
الاثنين	٢٢	٢	١١	٥٣	٢٩	٥١	١٩
الثلاثاء	٢٣	٣	١١	٥٢	٢٩	٥١	٢٣
الأربعاء	٢٤	٤	٩	٥٢	٢٩	٥٣	٢٣
الخميس	٢٥	٥	٩	٥٢	٢٩	٥٣	٢٣
الجمعة	٢٦	٦	٩	٥٣	٢٩	٥٣	٢٥
السبت	٢٧	٧	٩	٥٣	٣٠	٥٤	٢٥
الأحد	٢٨	٨	٩	٥٤	٣٠	٥٤	٢٥
الاثنين	٢٩	٩	٩	٥٤	٣٠	٥٤	٢٧
الثلاثاء	٣٠	١٠	٩	٥٤	٣٠	٥٤	٢٧

الفن الإسلامي

أصول روحية للعمارة الإسلامية

بسم الله بنيت المساجد الاولى : « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا » ، وبسم الله ضمت المساجد الى وظيفتها التعبدية ، وظائف عديدة ، وفى مقدمتها احتضان أهل العلم والعلماء ، اقتداء بهدى الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم .

وبسم الله فكر المعماريون فى دعم الوظيفة التعليمية للمساجد ، بادخال تعديلات معمارية فى التخطيط المسجدى ، لتستوعب الوظائف جميعا دون تعارض مع حاجات الصلاة ، والعلم .

تعامد الإيوانات فى المدارس المصرية

الأستاذ عبد المجيد وافى

ولذلك كان خطأ المستشرقين الذين فصلوا بين ماضى المسجد وتطور البناء المدرسى ، ظنا منهم ان هناك اختلافا بين المبنيين ، وظيفة وعمارة ، وليس الامر كذلك ، فالمسجد قد ظل مسجدا منذ بنى فى عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله حتى عصورنا الحديثة ، وقد تضمنت وظيفته الاجتماعية او الدينية العملية التعليمية ، لانها عملية تعبدية وعقائدية كالعبادة تماما وسواء بسواء .

فاذا جاء احد هؤلاء المستشرقين ليقول : ان المدارس قد تطورت فى اواخر العصر المملوكى فى مصر الى مساجد جامعة او غير جامعة ، فانه مخطىء تمام الخطأ ، لان الصفة المسجدية ، لم تختلف عن عن المدرسة منذ تطور عمارتها ، ولان العملية التعليمية — كانت وما زالت — فى نفس كل مؤمن ، نابعة من تمسكه بدينه ، الذى لايفرق بين العلم والصلاة ، لقوله تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » وقول الصادق صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » ..

والمدرسة المصرية حلقة متصلة بسوابقها من حلقات العمارة الاسلامية منذ عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، الى عصر ظهور تعامد الايوانات ، ثم بعد تفننه واندماجه فى اشكال العمارة المسجدية الاخرى .

١ — فالمدرسة المصرية ، حلقة متصلة لان التعليم لم يخرج عن المسجد منذ الفتح الاسلامى لمصر : وانما اضيفت عناصر للمساجد ، لاستيعاب التطور الوظيفى ، واختصار وقت الطلاب والعلماء ، حينما اصبحت النفقة اصلا فى اعالة الطلاب والعلماء ، واستوجبت بذلك الرعاية والرقابة فقامت الوحدات المضافة للسكنى والرعاية والرقابة ، كل ذلك فى وجود الاصل وهو اروقة الصلوات ، حيث تلتف الحلقات حول الشيوخ فيما بين اوقات الصلاة الخمسة على طول اليوم بعد الفجر الى العشاء ، وربما بعدها ، حيث تتحول الاحتفالات بمثل ليلة القدر : وليلة النصف من شعبان وليلة الاسراء والمعراج ، الى مهرجانات علمية ، تتسع حلقاتها لتشمل السادة والامراء ، الى جانب طلاب العلم ، حلقات متصلة حول العلماء .

وفى رمضان عامة قد تتصل تلك الحلقات بين ركعات القيام حتى قبيل الفجر وذلك ما عليه الحال حتى الان فى الكعبة المشرفة ، والمسجد النبوى فى المدينة المنورة ..

٢ — ولم يكن تعدد الاراء الفقهية بين المجتهدين والمشتغلين بالدراسات التشريعية ، من مالكية وشافعية واحناف وحنابلة سببا فى تطور عمارة المدرسة ، وظهور تعامد الايوانات ، لتضم فقهاء المذاهب الاربعة ، كما ظن صاحب النظرية الصليبية « تعامد الايوانات » . لان آراء مالك رضى الله عنه ، عاصرت آراء الليث بن سعد رضى الله عنه — امام اهل مصر — ودرست اجتهاداتهما معا فى جامع عمر العتيق ، حتى وفدت عليها آراء الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، مع قدومه الى مصر فى نهاية المائة الثانية من الهجرة ، واوائل المائة الثالثة .

٣ — وليس لظهور التشيع دخل فى ذلك التطور التخطيطى ، لوجود مسجد عمرو العتيق ثم مسجد العسكر ، ثم المسجد الطولونى ، كمساجد جامعة ، بنى فى وجودها الجامع الازهر والجامع الحاكمى ، واذا كانت الدراسات لفقه الشيعة قد استقرت زمنا فيهما ، فان الدراسات الشافعية والمالكية ، مقارنة بآراء الليث بن سعد فقيه مصر ، والاوزعى امام اهل الشام ، وابى حنيفة وابن حنبل امامى اهل العراق ، كانت تدوى فى رحبات تلك المساجد العتيقة ، بل وفى الازهر وجامع الحاكم فى اواخر العصر الفاطمى .

بل ان الدراسات لم تكن خلاف مذاهب الفقه فقط ، فقد كانت دراسات اللغة وعلوم القرآن ، تزاحم حلقاتها حلقات الفقهاء ، هذا الى جانب دراسة الطب والرياضيات والفلك .. ؟! فكيف يكون الخلاف المذهبى اساس التطور المعمارى ، وقد راينا مذاهب اهل السنة تتعدى الاربعة المشهورة ، بالاضافة الى المذهب الشيعى .

٤ — وليس اختلاف المذاهب هو اصل ظهور التطور المعمارى فى المدرسة ، لان كل اختلاف بين ائمة المسلمين اختلاف رحمة ورأى ، وليست دعوى تكفير لاهل المذهب الاخر ، وعندما يدعى احد وصول الخلاف الى درجة الصراع ، فانما كان ذلك فى القرن العاشر والحادى عشر الهجريين — ايام الاحتلال التركى — الذى منيت به مصر واكثر البلاد الاسلامية ، فاوقف تيار التطور الفكرى الاسلامى بل حطم كثيرا من اصول الفكر الدينى ، ليصبح فكرا مهلهلا طابعه التعصب الذميم

والعامل الحقيقى لتطور العمـــارة المدرسية فى مصر عامل محلى وظيفى تم معاصرا لتطورات مماثلة نوعيا فى مختلف البقاع الاسلامية المعاصرة،مرحلة بمرحلة، دون أدنى اقتباس أو تأثر من عوامل اقليمية أو أمثلة معمارية مسبقة .

[أ] والعامل الوظيفى قد قدمت له بما يكفى لان يؤثر تخطيط المدارس المسجدية عمارة ، وتاكيد ما جد من ظائف الرعاية والتفرغ والعلاج ، فى شان القوامةعلى التعليم والتنظيم ، ولن يكون ذلك الا بزيادة القاعات والغرفات وهما متطلبات الوضع المتطور .

[ب] وقد عاصر ذلك تطور استخدام العناصر المعمارية ، وانتقال العقود من قوس حجرى يحمل جدارا بعرض محدود ، ومحمول من طرفيه على عمد او اكتاف ، الى عقد يحمل كتلة بنائية تطور الىسقف مقبى معقود ، بدلا من السقوف المبسوطة

[جـ] بل ان الوحدات المضـافة من قاعات وغرفات ساعدت المهندس المصمم فى استغلال الفراغات فى مسطح البناء، وقيامها كعامل مساعد فى دعم جوانب الاواوين التى نشات وفى حمل السقوف المقبية ، واحاطتها جميعا باضلاع الصحن المربع المكشوف ، الذى استمر عنصر: من عناصر التخطيط النبوى الاول ، حتى بعد تطور رواق الصلاة والمجنبات والمؤخرة ، من اروقة محمولة الاسقف المسطحة على عمد وعقود ، الى ايوانات متقابلة ، سقوفها من حجارة او طوب معقـــودة البناء .

[د] وهكذا نرى اننا امام العناصر التخطيطية النبوية الاولى ، وقد تطورت محليا ، فالمقدمة والمجنبات والمؤخرة باقية تطور مظهرها وعناصر بنائها ، وكانت الاضافات والقاعات نتيجة من نتـــائج التطور ، واستغلال الفراغات تصرف طبيعى من المعمارى وتحكمه فى رقعـــة الارض المتاحة .

ودعــوى المستشرق فان برشـــم فى نهاية القرن الماضى ١٨٩٤ م - ومن وافقه امثال المهندس «هرتس» مرمم « السلطان حسن » ، والتى ايدها - جورج مارسية - ١٩٠٣ م ، وكذلك هنرى ســالادان ١٩٠٧ م ، قد فندها واحد من قبيلهم هو المستشرق جبرييل - البرت جبرييل - فى دراسته المشتركة مع الاثرى على بهجت ، فى منشورات دار الاثار العربية - ١٩٢١ م ..

دعوى باطلة بما قدمت فى اول البحث، وتفنيد البرت جابرييل ، بعيد عن اسباب البطلان التى ذكرتها ، فهو وغيره امثال - كرومويل كريزويل - بعيـدون عن ادراكها بعدهم عن ادراك عناصر الترابط العقائدى ومفاهيمه ، عندما تصـدوا لنظرية التعامد الصليبى ..

وقد كان جابرييل محقا فى مقارنـــة معمارية بحتة،هى ان الكنائس البيزنطية السورية ، التى اعتبرها - فان برشم - اصل تعامد اليوانات ، بناء مقببا قبة كروية ، دعت الى قيام عناصر دعامية لحمل تلك القبة ، فرضت لشكلهاالصليبى لرد الدفع الذى تسببه القبة ، دفع من الجهات الاربع كعنصر مقاومة من جدران الاروقة الاربعة ، لدفع من أعلى ناشىء من ضغط القبة على الجدران الحاملة .

وليس لمثل ذلك الامر وجود فى تخطيط الاواوين المتعامدة لوجود الصـــحن المكشوف ، فلا قباب ولا سقوف ، وحتى لو كان هناك دفع للعقود التى تمثلهيكل الايوانات ، فقد امتصتها الجدرانالحاملة للسقف المقبب ، واوقفتها العنـاصر المضافة من غرفات وقاعات محيطة .

واذا كان هناك اقتباس من النظام الكنسى ، فالجار القريب اولى بالشفعة - القاعدة الفقهية المعروفة - وكان السوريون اولى باقتباسها من المصريين.

ودعوى - فان برشم - ومن بعده المهندس « هرتس » : ان مهنـدس مدرسة السلطان حسن - الذى يعد قمة المدارس المتعامدة الايوانات مظهريا - كان مسيحيا ، ومحاولة اسـتدلال السيد « هرتس » على ذلك بدعامة رخامية فى يمين الداخل الىباب المدرسة، اسفل المكسلة اليمنى ، تمثل مقطعا فى بناء متدرج الطوابق : مدعيا انها تمثل قطاعا طوليا من كنيسة ، دعوى مهدومة باسم المهندس «محمدبن بيليك المحسنى»، الموجود فى رحبة المدرسة الحنفية احدى المدارس الداخلية فى تخطيط مســجد السلطان حسن ، والذى اماط عنه اللثام - العلامة - المغفور له - حسن عبد الوهاب ، المصرى ، رحمة الله عليه عام ١٩٤٤ عندما كان يراجع النصوص الكتابية بالمسجد ومدارسة ، ومحمد بن بيليك من ابناء الاسر المعروفـــة فى العصر القلاوونى - المنصور وابنه الناصر ثم السلطان حسن بن الناصر محمــد بن المنصور قلاوون ، وكان ممن وقف بجوار السلطان حسن فى محنته اثناء الصراع على السلطنة مدة ولايته،كما نقل المغفور له حسن عبد الوهاب عن النجوم الزاهرة

وتعامد الايوانات لم يكن هو النظام المدرسى المفروض الذى لا محيد عنه ، فقد قلت فى حديثى السابق ، ان اضافات المعماريين المسلمين قد اختلفت منهجا فى تطوير المساجد مدرسيا ، وكانت الاختلافات نابعة من اجتهادات محلية دائما ، وملتزمة الى جانب ذلك ببقاء رواق الصلاة ، محور البناء المدرسى ، وبقاء المجنبات والمؤخرة حول صـــحن المسجد كعناصر مكملة لرواق الصلاة او رواق القبلة ، واصبحت الاضافات خاضعة لظروف مسطح الارض ، وتفكير المهندس وحلوله المعمارية والمواد المتاحة فى عملية البناء . فاذا قارنا مدارس الشرق الاقصى لامبراطورية المسلمين فى ايران وما وراء النهر ، فى آسيا من طشقند وخوارزم وســمرقند .. الخ بمدارس العراق وسورية ، نجد انها جميعا لم تخرج عن نظام الاضافـات المحيطة مع استغلال مسطح الارض ، ولم يخرج عن تلك النماذج ، الا بعض مـدارس مصر ، هى مـدارس العصر المملوكى،التى تدرجت فى ذلك التعامد، حتى تلاشى تماما بضـمور الايوانين الجانبيين ، وذلك مشاهد فى المدرسة الباسطية بالخزنفس ٨٢٣هـ - ١٤٣٠م ، قجماس الاسحاقى ٨٨٧ هـ - ١٤٨٢م وتغيرت وظائفها فى مدرسة قايتبـــاى بالقرافة الشرقية ٨٧٩ هـ - ١٤٧٢ م .

وقبل ذلك لا نرى لهذه الايوانــات المتعامدة وجود فى مدارس كثيرة كمدرسة المنصور قلاوون التى انشئت ٦٨٣ هـ ١٢٨٣ م ، ولا فى المدارس الصالحية او المدرسة الكاملية قبل ذلك فى العصر الايوبى .

ونعود الى المقارنة بين الشرق فى اقصاه ومصر فى وسـطه ، حيث كانت المدرسة او المسجد المدرسى وحدة معمارية متكاملـة مع فارق التخطيط والعناصر ، وبين مدارس المغربالعربى، حيث نرى انها قـد التزمت بالتخطيط المسجدى المتوارث عن رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله - حرفيا ، وافردت للسكنى والاشراف والرعاية وحدات معمارية مستقلة مجاورة للمسجد او منفصلة عنه .

ويعلم الله ان عمائر الاسلام والمسلمين قد خضعت دائما وابدا للنبع الصافى ، العقيدة الروحية والهدى النبوى الكريم، وما كان المسلمون بحاجة الى تقليد نمط معمارى او آخر ، لان التطور الحضارى للفكر الاسلامى ، كان دوما معتمدا على الركيزة الثابتة ، ركيزة العقيدة التى ما انفكت تهدى سبيل المؤمنين ، وتعدل بوضوحها انحراف المنحرفين ..

ويشاء الله ان تبقى اصول الاسلام مصونة ، وببقائها تبقى دراسات المعين الاخذين بحبل الله المتين ، البعيدين عن ضلالة الاهواء ..

اما الذين درسوا ليفرقوا ما وحـد الله ، وليخربوا ما شاد عميق الايمان، فحسابهم عند ربهم يوم لا تخفى على الله خافية ..

ولو رجع هؤلاء الدارسون مخلصين الى اصول الهدى ، لما ضلوا سواء السبيل ..

بقيت نظريتان قال بهما من قال ردا على فساد النظرية السابقة وبعدا عن اصل آخر منتحل ، وما علمواانهمبعيدون عن صبغة الله ..

ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون ..

والله نرجو ان يتصل الحديث ..

مشغولات الجلود في مصر الإسلامية وطرق زخرفتها

الأستاذة سلوى شعبان أحمد

تعهد العرب الفنون والصناعات عقب فتحهم لمصر بالرعاية والعناية ومن بينها المصنوعات الجلدية . واضفوا عليها طابعهم ومزجوا بين خصائصها وخصائص غيرها من الصناعات والفنون التي لمسوها فى نواحي دولتهم الواسعة . او التى عرفوها من الحضارات الاخرى المجاورة التى احتكوا بها . ونتج عن هذا كله تطوير الصناعات والفنون القائمة فى مصر بحيث أكتسبت طابعا عربيا اسلاميا واضحا .

ولقد كان للعرب فى حكم الشعوب اساليب ناجحة فتركوا للناس صناعاتهم وحرفهم يزاولونها فى حرية واطمئنان . بل واولوهم كثيرا من التشجيع والمؤازرة واكتفوا بالتوجيه السديد حسبما تقتضيه الاوضاع الجديدة والدين الجديد .

ووفقا لبعض الاراء فاننا نرى منتجات الفنون الاسلامية فى عصورها الاولى وقد تأثرت بالمنتجات الفنية القبطية نظرا لاعتماد العرب على الصناع والفنيين الاقباط ولان التطور فى اساليبها الصناعية كان بطيئا ولم يصل الفن الى الطراز الاسلامى البحت الا فى العصر الفاطمى بعد ان اجتياز مرحلة الانتقال . وقد استطعنا ان نرى هذا التطور فى الصناعات الجلدية حيث بدا فيها التأثير بالزخارف والاساليب الصناعية القبطية فى اوائل العصور الاسلامية . كما نشاهد فى اغلفة المصاحف وفى الاحذية وسائر المشغولات الجلدية ، حتى بدأت الملامح الفنية الاسلامية تتضح وتصل الى أوج عظمتها وأبهتها فى عصور الفاطميين والمماليك ، شأنها فى ذلك شأن بقية الصناعات والفنون . فقد كان عصر الفاطميين — القرن ٤ هـ ١٠ م — ٦ هـ ١٢ م — عصر ازدهار للصناعة المصرية ، حتى انه كان الخلفاء فى حاضرة [الخلافة] الاسلامية تشترط على عمال مصر تقليدهم الخيل العربية واجلال الخيل . حيث كان العرب يعنون بالركوب والصيد عناية فائقة ، وقد اشتهرت مصر بصناعة اجلال الخيل والسروج — وهى اهم ادوات الركوب — منذ الفتح الاسلامى .

وخلف الايوبيون الفاطميين وجعلوا من القاهرة عاصمة جديرة بملكهم وتبعهم المماليك الذين اجادوا واضافوا فى فنون الصنعة والزخرفة . وبالمتحف الاسلامى خير دلائل على هذا من مصنوعات جلدية مختلفة للاحذية والحقائب والسروج واغلفة الكتب والمصاحف ، والتى يوجد منها بدار الكتب المصرية نماذج تعد رموزا لجودة الصناعة ورقى الفن .

ويذكر لنا هيرز ان مشغولات الجلد التي قام بها العرب كانت معظمها خاصة بالتجليد . ولكنه يؤكد ايضا ان العرب كانوا كذلك جندا وفرسانا الامر الذي حتم عليهم ادخال صناعة السروج . والى جانب تغليف الكتب ، صناعة السروج يوجد أيضا لعبة خيال الظل التى جاءت الى مصر على يد الفاطميين فى القرن ٥ هـ — ١١ م . وسوف نتعقب فى الجزء الاتى بعض مشغولات الجلود التى شاعت فى العهود الاسلامية المختلفة فى مصر ثم نتتبع اطوارها ومظاهرها فى العهود التى تقع بين الفتح العثمانى واواخر القرن التاسع عشر . ثم نستعرض اطوار هذه الصناعات والحرف منذ بداية القرن العشرين حتى وقتنا الحاضر شاملين دراستنا للمنتجات التى احتفظت بطابعها الشعبى ولم تتأثر بالطابع الصناعى الالى الذى شمل نواحى عديدة من مشغولات الجلود . تلك النواحى التى لا تحاول

تناولها لاختصار اهدافنا على الجانب الحرفى اليدوى ذى الطابع الشعبى الصميم . بالرغم من انه يتبين لنا تعريفات مختلفة لمنتجات الجلود فى المؤلفات العربية القديمة حيث يطلق احيانا لفظ صناعة وفى احيان اخرى تدعى حرفة ، وفى احيان ثالثة توصف على انها من بين ضروب الفن الرفيع . ولا ريب فى ان وصف منتجات الجلود على انها من صنوف الصناعات انما لا يعنى جعلها فى عداد الصناعات الآلية الحديثة . وانما تعد هذه التسمية الخاصة بمشغولات الجلود كناية من منتجات يدوية ينتجها الحرفيون ، وهم ينتمون فى تخصصهم هذا الى شياخات ونقابات حرفية صميمة . وحينما ترقى مشغولاتهم الى قدر وفير من الحذق والدقة كما هو الحال فى مشغولات التجليد حيث نرى فى اربابها من مذهبين مختصين فى التذهيب ومجلدين وغير ذلك من تخصصات بسبب فيها كل حرفى مختصا بجانب دقيق يشترك به مع سائر العمليات التخصصية الاخرى لانتاج عمل فنى موحد تتضافر فيه الايدى الحاذقة . بينما نرى فى المنتجات الحرفية الاقل حذقا وتطورا ان يقوم فيها الصانع بكافة اطوار التشغيل من تفصيل وضغط وتطعيم وغيرها ذلك دون مشاركة الغير فيها .

هذا الى جانب انه فى بعض هذه المشغولات يشترك احيانا الاسلوب الآلى الصناعى فى عمليات الحياكة ، مثلا الى جانب الاسلوب اليدوى فى عمليات الزخرفة والتشغيل بالاساليب الزخرفية المختلفة .

ونستهل فى معرض حديثنا عن الوان هذه المشغولات بمشغولات السروج فى العهود الاسلامية التى سبقت الفتح العثمانى .

١ ـ صناعة السروج :

لعل تعدد الكتابة حول صناعة السروج خلال العصور الاسلامية يضفى بعض الضوء حول ما كان لها من مكانة بين المشغولات ذات القيمة الفنية فى ذاك الوقت . خاصة وانه قلما نجد نماذج من هذه السروج تشهد لتلك القيمة الفنية العالية . وقد ذكر هيرز حول هذا المعنى انه بالرغم من ان الصناعات الجلدية كانت بين الصناعات المميزة التى اكتسبت درجة فائقة فى الكمال والحذق عند المسلمين وبالرغم من ان حضاراتهم كانت تقوم على الفتوحات وكانت جيوشهم تعتمد على الفروسية مما ترتب عليه قيام صناعة معدات سروج الجياد ، الا ان الآثار التى خلفت فى هذا المضمار ضئيلة للغاية حيث يتعذر الحديث عن ابعاد هذه الحرفة وطرق تشغيلها باطناب . ولعل صناعة تجليد المخطوطات تضفى ضوءا على مقدار ارتقاء صناعات الجلود فى المجالات الحربية والمدنية الاخرى ، والتى قلما توفرت الادلة فيها لاثبات تفوقها وخاصة السروج .

ومما ذكره الرحالة ناصر خسرو القرن ١١ م « ان ركوب الخيل فى مصر كان وقفا على الجند المتصلين بالجيش بينما كان سائر الاهلين ينتقلون على حمير ذات سروج جميلة . وكان بـ الفسطاط والقاهرة نحو خمسين الف بهيمة مسرجة للتاجير يشاهد المرء عددا كبيرا منها عند مداخل الشوارع والاسواق » .

ويذكر راشد البراوى عن الصناعات الجلدية فى عهد الفاطميين « ان صناعة السروج قد راجت فى هذا العصر اذ ان الخليفة العزيز عمم ركوب الحمير فاقبلت عليها الناس من كافة الطبقات من التجار والاعيان ووجوه القوم لا يرون فى ذلك حرجا ولا انتقاصا من كرامتهم . اضف الى هذا ان الجيش الفاطمى كان يضم عددا كبيرا من الفرسان » . وقد ضرب الفاطميون بسهم وافر فى صناعة السروج حتى كان لهم شان كبير . وقد تخصص العمال المصريون فى عملها . وكان منهم فى المكان المعروف باسم [الصاغة] عدد كبير لا يفترون العمل .

وقد ذكر ابن تغرى بردى فى وصفه خزائن سروج الخلفاء الفاطميين « ان مكان الجلد من السروج الديباج الاحمر والاصفر وغيرهما من الالوان المنقوشة . وان قيمة كل دابة وما عليها الف دينار » . مما يرجح معه ان السروج فى ذلك الوقت كانت تصنع من الجلود وكان الخلفاء الفاطميون يضفون عليها كعادتهم كثيرا من مظاهر الابهة والثراء فاستبدلوا الجلد او اضافوا اليه الديباج الملون ورصعوه بالجواهر .

اما السروج المصنوعة من الجلد والتى كان يمتلكها سائر الناس فمن المرجح انها كانت تزخرف وتزين باساليب مختلفة على الجلد ذاته خاصة وان استخدامها كان على كثرة . كما رأينا وان الصناعات الجلدية كانت فى ذاك الوقت وعلى رأسها صناعة التجليد كانت على مستوى عال من الحذق والكمال الفنى . كما ان سروج الجمال الخاصة بالمحمل كانت تزخرف بأسلوب الابليك على الجلد مع اسلوب التخريم والتضفير كما نشاهد فى سرج محفوظ بالمتحف الاسلامى سجل رقم [١٠٠١٤] .

ويبدو ان صناعة السروج بعد ان نالت العناية الفائقة عند الفاطميين كان لها شأن كبير فى عصر المماليك ـ القرن ٧ هـ ١٣ م ـ وكانت تصنع من انواع والوان مختلفة اثمنها ما كان يصنع من الجلد البلغارى ويزين بالذهب والفضة . وقد ذكر المقريزى فى وصفة سوق اللجميين « انه كان خاصا لبيع آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد وفى هذه السوق ايضا عدة وافرة من الطلائيين وصناع الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز ونحو ذلك . وعدة من صناعة مياثر السرج وقرابيسها وادركت السروج تعمل ملونة ما بين اصفر وازرق ومنها ما يعمل من الذبل ومنها ما يعمل سيورا من الجلد البلغارى الاسود . ويركب بهذه السروج السود القضاة ومشايخ العلم » .

وقدر ندر وجود نماذج من هذه السروج كما سبق وتبينا حتى نستطيع التعرف على الاساليب المختلفة فى زخرفتها وتصنيعها . الا انه فى احدى المؤلفات المترجمة ـ كتاب وصف مصر ـ ياتى الكاتب برسم لجزء من سرج حصان وجرابين للاسلحة لاحدى السروج ويرجعهم الى عصر المماليك وتزين هذه الاجزاء بزخارف نباتية على الجلد ، ربما كانت منفذة بالضغط او بالتطريز كما يوحى بذلك الرسم وكما تنم هذه الصور الثلاث عن دقة الصناعة .

ويذكر لنا د . حسن الباشا فى وظيفة المطرز ايام الحكم المملوكى « انه قد وصلنا اسماء بعض المطرزين مثل الامير عثمان بن لؤلؤ احد امراء الطبلخانات فى دولة المماليك . وكان يجيد التطريز على القماش والجلد » مما يدعو لتصور مدى الحذق والبراعة فى الاخراج امام هذا التخصص والاجادة فى التطريز .

هذا وبعد تناول صناعة السروج خلال العصور الاسلامية يتسنى لنا التعرض لنوع آخر من مشغولات الجلود وهو صناعة الاحذية والحقائب .

٢ ـ صناعة الاحذية والحقائب :

حظيت صناعة الاحذية والحقائب خلال العصور الاسلامية بنوع من التزيين الذى تعددت اساليب تنفيذه وتنوعت . وبالرغم من هذا فان دلائل ذلك التنوع محددة للغاية وقد ذكر محمد عبد العزيز مرزوق فى مقال له عن الحذاء فى العصر الاسلامى .

« اذا كانت النعال المصرية السابقة على الإسلام كثيرة يراها الزائر للمتحف المصرى او المتحف القبطى ، فان النعال الاسلامية قليلة جدا . وذلك يرجع الى ان المصريين القدماء كانوا يدفنون مع موتاهم ما كان لهم من متاع فى الدنيا ، وورث الاقباط عنهم عادة دفن الموتى وعليهم آخر ما كانوا يرتدون فى حياتهم . اما اجدادنا من المسلمين فلم يتركوا لنا شيئا مما كانوا يلبسون عملا باحكام الشريعة الغراء . على ان المقادير قد شاءت ان ترضى شهوة المعرفة فى علماء الآثار وان تجعل سلسلة التطور فى النعال كاملة ، فوفقنا الى العثور على انواع مختلفة من النعال الاسلامية فى تلال الفسطاط تلك التلال التى تكونت

احدى رسوم خيال الظل . الواردة بالدليل الموجز لمتحف الدولة ببرلين • تمثل سفينة وركابها •

فى الصحيفة من انقاض المبانى الاسلامية التى تهدمت فى العصور المختلفة مضافا اليها ما بلى او انكسر من متاع سكان هذه المبانى ... وتجلو النعال المصنوعة من الجلد صورة من تأنق الاغنياء من اسلافنا المسلمين فى ملبسهم وتنم عما كان لهم من ذوق سليم وفى الحق لقد بلغ المسلمون فى صناعة الجلود عامة درجة الكمال وقياسا على ما وصل الينا من امثلة عديدة من جلود الكتب التى تجمع دقة الصناعة فى الفن وجمال النقش • نستطيع ان نقرر فى اطمئنان انهم اتقنوا صناعة الاحذية من الجلد وتفننوا فى زخرفتها الى حد بعيد يؤيد ذلك فردة الحذاء المهداة الى دار الاثار العربية من المستر رالف هرارى والتى تدل زخرفتها على انها من العصر الفاطمى • ولقد كانت صناعة النعال رائجة عند المسلمين وكانت زخرفتها متنوعة الى حد ما اشارت اليه كتب التاريخ والادب • فمنها المزخرف بالذهب ومنها المرصع بالدر والجواهر ومنها المزركش بالقصب وقد كانت تجمع فى بعض الاحيان الى هذه الزخرفة الجميلة ابياتا من الشعر لبقة عذبة ، تدل بحسن خطها ورقة حاشيتها على نضوج الفن الاسلامى] •

وقد ضرب الكاتب لهذا الشعر مثلين اولهما على نعل مهدى من صديق لصديقه كتب عليه :

نعل بعثت بها لتلبسها
قدم بها تسعى الى المجد
لو كان يصلح ان اشركها
خدى جعلت شراكها خدى

والاخر لجارية كتبت على نعلهما بالذهب :

لم الق ذا شجن يبوح بحبه
الا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك واننى بك واثق
ان لا ينال سواى منك نصيبا

وبالمتحف الاسلامى عدة نماذج للاحذية والحقائب ولكن ما استطعت مشاهدته لا يعبر حقيقة عن صدق المستوى الصناعى والفنى خلال عصور ازدهارها. وتحت رقمى ٢٠٦٧٩ و ٣٤٩٥ يوجد بالمتحف حذاءان منفذان باسلوب واحد عبارة عن زخرفة الجلد بطريقة تشبه التطريز بخيوط القطان الشعبى المتعرج فى زخرفة ، وذلك بواسطة شريط رفيع من الجلد الرقيق المثنى للداخل والذى يتحكم فيه الصانع بحيث يعطى زخرفة مختلفة كخطوط طولية بجانب بعضها البعض مع التغير فى الوانها كما فى الحذاء الثانى او يعرج فى هذا الشريط بحيث يعطى احيانا خطوط متعرجة او دوائر من هذا الجلد ملتوية بطريقة حلزونية كما يبدو فى الحذاء الاول الذى يقسم وجهه الى قسمين طولها شريط من الجلد ذى اللون العاجى • ويحيط بهذا الخط الطولى مثلثان من على جانبيه بكل زاوية لهذين المثلثين دائرة مملوءة من الجلد العاجى بشكل حلزونى وفى وسط الاربع دوائر هذه دائرة اخرى • ويماثلهما دائرة كبيرة فى مقدمة الحذاء من الداخل — عند وجه القدم — وبها دائرة صغيرة من الجلد الاحمر • وفى مؤخرة الحذاء توجد مساحة من الجلد العاجى اللون مثبتة فوق جلد الحذاء الاحمر •

ومن فحص هذين الحذائين اتضح للباحثة ان طريقة تثبيت هذه الشرائط تقوم على اساس غاية فى الدقة • خاصة اذا كانت تشكل تصميما زخرفيا يقسم وجه الحذاء الى عدة أجزاء فتجمع هذه الاجزاء اولا بطريقة [البريدات] بحيث تنفذ هذه البريدات بطريقة مستعرضة تربط هذه الاجزاء مع بعضها البعض على مسافات متقاربة وتكون فى نفس الوقت بمثابة قاعدة يثبت عليها شرائط الجلد الرفيع • وقد شاهدنا هذا الاسلوب فى حذاء قبطى ولكنه يبدو دقيق الصناعة والتصميم عنه فى الحذاء الاسلامى الذى لا يعبر بصدق عن مستوى التشغيل على الجلود خلال عصور الفاطميين والمماليك خاصة بعد مشاهدتنا لفردة الحذاء المهداة الى دار الاثار العربية من المستر رالف هرارى • هذا الى جانب استيراد مصر جلود

نادرة من الحبشة خلال عصور الفاطميين وتخصيصها لتصنيع انواع من النعال الفاخرة .

وننتقل بعد الحديث عن صنوف الاحذية التى كانت تصنع من الجلود الى صناعة اخرى اختصت بنوع من الجلود التى كانت تعالج اثناء دباغتها بطريقة تجعلها نصف شفافة تسمح لاسطح الجلود بان تلون ، وان تحتفظ هذه الالوان برونقها عند اضاءة هذه الجلود من الخلف . فتبدو كما لو كانت قطعا من الزجاج الملون المؤلف بالجص او بالرصاص . وهذه الصناعة خاصة بصنع الدمى والشخوص فى لعبة خيال الظل .

٣ – صناعة دمى خيال الظل :

من المعروف ان مجىء خيال الظل الى مصر كان فى عهد الفاطميين – القرن ٥ – ١١ م ومن المعتقد انه ظل فترة حبيسا بقصور الفاطميين قاصرا على الترويح عن الامراء بعدها انتشر انتشارا هائلا بين الاوساط الشعبية بمصر مسجلا لدقائق الحياة الاجتماعية فيها وقد كانت هذه اللعبة منتشرة فى مصر والعديد من البلدان العربية وكانت تعتمد على تفصيل الشخوص من الجلد المصبوغ بالوان شفافة كما سبق القول . كما تعتمد ايضا على وخز سطح الجلد الملون بثقوب تتفاوت فى سمكها حيث تؤكد عند اضائتها من الخلف بمصباح اشكال وتفاصيل ملابس الشخوص وملامح الوجوه .

وربما كانت طريقة الوخز والتثقيب هذه منتشرة ايضا فى مشغولات جلدية اخرى كانت تمرر فيها شرائح من الجلد الرقيق داخل هذه الثقوب لحياكتها على ارضيات مختلفة .

اذ يبدو ان تلك الحليات التى نراها فى شخوص خيال الظل لم تكن موقوفة على هذا النوع من مشغولات الجلود فقط . وفى النماذج القديمة لشخوص خيال الظل نرى الاعتماد على تفريغ مساحة كبيرة من الجلود . وهذه الطريقة أيضا لها نظائر فى مشغولات الجلود الاخرى التى تفرغ فيها اسطح الجلود لتثبت على ارضيات مغايرة لها فى اللون من الجلد او القطيفة . كأنها حشوات جلدية تستخدم ضمن الزخارف المطروقة فى مشغولات الجلود .

وكانت المهارة فى صنع شخوص خيال الظل تقتضى اختيار انواع من الجلود يمكن ان تحتفظ بصلابة قوامها ولاتتعرض للالتواء والتموج عند حركتها تعرضها **لضوء المصباح المشع من خلفها . هذا فضلا عن حفاظها** على شفافيتها ونقاء **الصبغات المثبتة عليها . ومن الجائز ان تكون جلود الشخوص المستخدمة فى خيال الظل** مصنوعة **من الجلود نفسها التى كانت تصنع منها بعض اغلفة**

وجدران المصابيح القديمة التى استعيض عنها بالزجاج فيما بعد .

ونحن لا نجد فى مجال صنع شخوص خيال الظل احتياجا الى التطرير او الى الحليات التى تنجح عن طريق الضغط على النحو السالف الذكر بالرغم من انه فن جامع لعدة ميادين فنية ، حيث يستوعب الادب والموسيقى والرسم . كما يقوم الحذق فى تهيئته على شكل دمى تمثل شخصيات متنوعة بمعرفة الفنان الكاملة بطبيعة المادة المشكلة وهى الجلد . وعلى تقطيعها وجعل بعضها كثيفا والاخر شفافا الى جانب الاستعانة بالالوان فى ابراز التفاصيل على النحو الذى سبق تبيانه . ويصف لنا احمد تيمور هذه اللعبة بقوله « **وتتخذ الشخوص من جلود البقر ، وهى فى الغالب من جلود تعمل منها اعكام للعشية التى تاتى من السودان ليتداوى بها . فيشترى بعضها لاعبو الخيال من التجار ، ويصورون منها ما يشاءون من الشخوص ، ثم يصبغونها على ماتقتضيه الوان الوجوه والثياب واجسام الحيوان وجذوع الاشجار واوراقها وثمارها واحجار المبانى وغير ذلك . بحيث اذا عرضت الصور امام ضوء النار المشتعلة ظهرت زاهية بهية لشفوف تلك الجلود** » .

وتتراوح اطوال هذه الشخوص بين ثلاثين سنتيمتر وخمسين . كما تتحرك بواسطة سيقان خشبية يتحكم فيها احد اللاعبين بين الشاشة الكتابية البيضاء ومصباح الزيت الذى يدلى بضوئه عليها فتنعكس خيالاتها على الشاشة امام الجمهور . ويذكر عبد الحميد يونس ان اثنين فقط هما اللذان كانا يقومان بتحريك تلك الرسوم ويعاونهما آخران ويتبادل الاربعة الانشاد والحديث . كما يذكر ايضا انهم كانوا يلونون اصواتهم بحيث تلائم الشخوص والمواقف المعروضة ، وكثيرا ما قلدوا اصوات الحيوان .

وقد كان من الطبيعى أن يرتبط التصوير الخاص بخيال الظل بفنين اسلاميين هما العمارة والزخرفة . فقد كان من تقاليد التمثيل عند المخايلين هو استهلال مناظرهم بما يشبه قطاعا من العمارة الاسلامية .. فقد كانوا يعرضون عقدا زخرفيا ، دقيق الصناعة علقت به الثريات والقناديل ، واصطلحوا على تسميته [القوصره] وهى تشبه من بعض الوجوه العقود المشهورة فى العمارة الاسلامية . واذا كان خيال الظل قد استعارها فان الزخرفة استعارتها كذلك حتى فى تزيين مطالع الكتب .

وقد اصطلح على اطلاق بعض المصطلحات على لاعبى خيال الظل وكان

اكثرها ذكرا اسم [المخايل] وهو اللاعب المتخصص فى تحريك الشخوص ، ذلك لانه لم يكن ممثلا بشخصه وانما كان يتوسل بالخيال او الصورة ، وكان الجمهور على خلاف طبقاته يدرك هذه الحقيقة جيدا . اما رئيس المخايلين الذى يقوم بالاخراج وبتنظيم حركة الشخوص ويربط الاحداث فقد اطلق عليه اسم [الريس او الرئيس] ويبدو أنه كان يقوم بعملية الاستفتاح أو الاستهلال ولذا اطلق عليه كذلك اسم [المقدم] . وادت قلة عدد اللاعبين الى رسوخ بعض التقاليد الفنية ، من ذلك غلبة هذا المصطلح على احد اللاعبين بتحريك الشخوص وهو [الحازق] ولعله مأخوذ من ارتفاع الصوت وحدته . وهو يقوم بوظيفة تركيز الانتباه فى حفل يغلب الصخب عليه . وهناك مصطلح آخر كان يغلب على بعض اللاعبين او المحركين لشخصيات بعينها فى التمثيلية ، وهذا هو [الرخم] بمعناه المعروف فى لهجة القاهرة ، وهو يقوم بوظيفة المهرج فى سرك تلك الاجيال . وهو ممثل هزلى سواء فى صورته المعروضة على الشاشة او فى بلادة حركته وانتقاله ، أو فى صورته ، أو فى عدم اتساق افكاره .

وعلى الرغم من هذا كله فقد تنوعت الشخوص وصورت ملامح كل شخصية بحيث تبدو ليس فقط مغايرة من الشخوص الاخرى بل زادت فكانت توحى ايضا بحركة الاجسام وتوافق هذه الحركات والحوار الذى كان يبدو كما لو كان صادرا عنها . فقد كان اللاعبون على تلتهم ينوعون ادوارهم بحيث يتلاءم مع تلك الشخصيات .

وفى ختام حديثنا عن هذه اللعبة نود الاشارة الى ان النماذج التى جمعت او احتفظ بها تلك الشخوص قليلة للغاية ، بحيث يتعذر معها اعطاء فكرة كاملة او مقاربة بالحرفية . خاصة وان بعض تمثيليات تلك اللعبة تعدت شخوصها مئة نموذج . فمما يذكر ان تمثيلية [علم وتعاذير] تجاوزت شخوصها مائة وخمسين صورة متنوعة بين اناس وطيور وحيوانات ومناظر طبيعية صامتة .

هذا وبعد التعرض لبعض مشغولات الجلود خلال العصور الاسلامية لايتسنى لنا تبيان ما وصلت اليه هذه المشغولات من حذق وبراعة عند الفنان المسلم دون الاشارة الى صناعة التجليد . خاصة وان هذه الصناعة قد حظيت دون غيرها بجمع عدد من نماذجها خاصة خلال عصور ازدهارها عند المماليك . مما ساعد على القاء الضوء على غيرها من المشغولات التى قلما توفرت الادلة لاثبات تفوقها .

وسوف نعرض لها تفصيليا فى العدد القادم .

بدائع الزخرفة على المصحف الشريف

الأستاذ اسماعيل أحمد اسماعيل

حرص المسلمون على تأكيد التعالى لله عز وجل بالالتزام بأوامره وفق تعاليم كتابه المقدس الذى أصبح دستور حياتهم . وكان لزاما على علماء المسلمين عمل الابحاث والدراسات المستفيضة عن التطور الفنى للمصحف الشريف ، والوقوف على مدى مساهمة كل من الخط والزخرفة فى تجميل هذا الدستور السماوى ، سواء أكانت هذه الزخرفة فى كلماته أو تلك التى على غلافه . اذ سبقهم المستشرقون فى طرق هذا الباب من أبواب المعرفة الاسلامية .

من الثابت أنّ حلت الزخارف محل الصور الشخصية ، وتمثلت فى خطوط هندسية متنوعة تشكل عناصر زخرفية وفق مهارة الفنان ، لقد تميزت تلك الزخارف بالتكرار ، والراجح فى استخدامه فى ترابط مستمر هو كره الفراغ . وبالتالى اصبح الخط العربى فى ذاته عنصرا هاما من عناصر الزخارف الاسلامية ، وشاهد على العمائر الاسلامية بداخل الاشرطة التى تحمل الكتابات والادعية ، واصبحت بحق أسمى التحف الجمالية فى اطار من القيم العقائدية . كما اصبح للخط عند المسلمين منزلة الصورة فى الفنون المسيحية . ومن تلك الاهمية تعددت مدارس الخط العربى ، ومسمياته ، وطرزه ، بحيث اصبح لكل طراز زخرفته المميزة ، سواء فى المشرق او فى المغرب . لقد تمكن الخط العربى ايضا من تاصيل الزخارف النباتية والهندسية فى اطاراتها الاقليمية مع الارتباط القومى بالشخصية الاسلامية .

والكتابة العربية قبل الاسلام قديمة ترجع اصول ابجديتها الى النبطية والكوفية ومع الاسلام حث الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين على تعلم الكتابة متمثلة فى قوله : « انما بعثت معلما » . ومن الضرورى ونحن فى مجال الحديث عن الزخارف ، ان نقف على اصول هذا الخط وتطوره ، نظرا لدوره الهام كأحد العناصر الهامة للزخرفة . فاهم مايميز من هذه الخطوط الخط الكوفى ، وينسب الى الكوفة .. قال عنه الشاطبى : « ان الخط الكوفى يرجع الى اصلين هما التقوير والبسط اى اللين والمزوى ، وعلى ترتيب هذين الاصلين الاقلام الموجودة الان » . وهذا الخط ساير الخط المبسوط المسمى باليابس عرفه الغرب باسم Angolar ويرجح ان الخط النبطى هو اصل هذا الخط . وتعددت قواعد الخط الكوفى ، اذ ذكر ابو حيان التوحيدى فى رسالة علم الكتابة انها بلغت فى عصره اثنى عشرة قاعدة .

يمكن الاشارة ايضا الى الخط المدنى — نسبة الى المدينة المنورة — ومن مسمياته الوارقى والمكى ، من انواعه المثلث والمدور والتئم . وبهذا الخط خطت أمهات المصاحف الاسلامية التى ارسلت الى الامصار مع الفتح الاسلامى وفى عصر الخلفاء الراشدين كان جهد الصحابة القائمين على امر اعداد هذه المصاحف كبيرا للغاية ، نذكر منهم الحسن البصرى .

فى مرحلة اكثر تطورا بلغ الخط درجات اكثر رقيا ، اصبح فنا له مقوماته واصوله وقواعده ، فاكتسبت حروفه من خلال تلك المراحل من التطور مزيدا من التناسق والرشاقة . وفى العصر الاموى ظهر مهرة الكتاب مثل مالك بن كثير ، وخالد بن الهياج . ثم ظهر الضحاك بن

عجلان فى خلافة السفاح العباسى . حتى كانت قمة التطور على ايدى ابراهيم الشجرى صاحب قلمى الثلث والثلثين . وفى بداية الثلاثمائة أنتهت عمادة وريادة الوزير ابن مقله ، الذى يعد بحق من ائمة الخط العربى ، فخلد لنا روائع هندسة الحروف ، كما يعد اولَ من بلغ بالثلث والنسخ حد الكمال ، وفق ماذكر الابهرى فى رسالته ، اذ بلغت حروفه حد الاعجاز . من تلامذته ابن البواب الذى شارك استاذه فى زعامة خطاطى العراق . ويعد اولَ من وضع قواعد ضبط الحروف مع الفتوح الاسلامية انتقل الخط الى العجم مكتسبا فى طريقه الخط الفهلوى ، ليساير على نغم وساق فنون تلك الشعوب فى التطوير والزخرفة ، والتى بلغت اوج عظمتها ابانَ العصرين التيمورى والصفوى .

لقد شهدت مصر هى الاخرى نهضة قوية فى فنون الخط ، خاصة بعد سقوط بغداد . فاشتهر الزفتاوى والوسيمى وابن الصايغ ، الذى يعد استاذ مدرسة الكتاب بمصر فى عصره [٨٤٥ هـ] . واصبح لمدرسة مصر الخطية معلمينَ متخصصين ، كما اصبحت للحروف موازين محدودة ، بعد الغزو المغولى . وهذا ماذكره ابنَ خلدون وغيره . كما اصبحت لفنون تجويد الخط بمصر المملوكية منزلة عظيمة ،ومن الثابت ايضا نبوغ العثمانيينَ فى تجويد الخط . واشتهر منهم زعيمهم الحاج احمد كامل . كما ظهرت مدارس اخرى فى تبريز وسرقند وهراه وبخارى وابان العصر التيمورى وما بعده ارتفعت فنون تزيين المخطوطات والمرقعات . سايرتها نهضة مماثلة فى الدولة المغولية الهندية فى عصر بابر وهمفوتد .

اما زخرفة المصاحف فلم يكنّ نصيبها اقل مما كان للمخطوطات ، فشاهدنا المصاحف المذهبة ، خاصة فى العصر الصفوى . ومازالت متاحف فيلادلفيا ، ومجموعة شستربيتى ، وسالارخبك بالهند، والمتحف الاهلى بطهران، والمتروبوليتان ، ومتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، مازالت تزهر بالعديد من المصاحف النادرة بما تحويه من اسمى آيات الزخرفة . وهذه التحف الخطية مؤرخة ابتداء من سنة ٥٠٥ هـ وما بعدها .

وينسب للمدرسة المغولية على وجه الخصوص مصحفينَ احدهما فى ليبزغ نسخ فى بغداد ٧٠٦ هـ ، والاخر بدار الكتب العربية بالقاهرة ، نسخ فى همدانَ ٧١٣ هـ ، ويحتوى على العديد من الصفحات المذهبة .

وبمجموعة شستر بيتى مصحف بخط العرفى البغدادى نسخ ٧٢٨ هـ عنونت سوره بالكوفى ، وزينت بفروع نباتية ذات الوان بديعة . وبنفس المجموعة الاثرية مصحف بديع نسخ فى مراغة ٧٣٨ هـ ، يتقاسم جزء منه متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطن .

روائع الزخرفة على المصحف الشريف :
امتدت يد الزخرفة لتشمل كل اجزاء المصحف ، فى فواصل الايات ،والسور، والهوامش ، رغم ما اثير فى قضية تحريم التصوير الاسلامى . الا أن تلك الزخارف تطورت بصورة تدريجيةمستخدمة النقط مرسومة بأشكال هندسية ، وتطورت الى اشرطة ودوائر وهامات لتملا فراغ الكلمات . تمثلت اقصى مراحلها الزخرفية فى شكل نجمة تحمل بين جوانبها رقم الاية . كما شاهدنا فراغا بين الاسطر استخدمت فيه الاشرطة الزخرفية ، تحمل اسم السورة ومكانَ نزولها [مكية — مدنية] . وتطورت الزخارف من أشكال العقود الى أشكال نباتية وهندسية ، بالاضافة الىاستخدام الدوائر المشعة فى زخرفة الهوامش الجانبية التى قد تشمل ارقام الاجزاء .

لقد ادت الزخارف على المصحف للقارىء خدمات جليلة فى ارشاده للايات والسور والاحزاب والاجزاء ومواقع السجود . وهذا لم يمنع من معارضة رجال الدين لاستخدام هذه الزخارف ، خاصة فيما اختص بالجمال فى ذاته على الصفحات الاولى والاخيرة للمصحف . ولكن هذه القيود قد انكسرت حدتها امام التطور الطبيعى للزخارف فى القرنين ١٤ ، ١٥ م . وبدار الكتب العربية بالقاهرة العديد من هذه الامثلة ، يبدو فيها تنويع الالوان ، وظهور الاطباق النجمية كاشكال زخرفية هندسية ، ثم زخارف نباتية يبدو عليها تاثير الفنون الصينية ابتداء من العصر المملوكى ، وكذلك شيوع استخدام مواد الذهب ، رغم معارضة رجال الدين فى بادىء الامر ، والتى تمثل اقصى درجات سمو ذلك الفن ابان العصر الوسيط .

وفى سرد مراحل التطور الزخرفى لا نستطيع ان نغفل الحديث عن كراسى المصحف الخشبية ولو باشارة موجزة اذ حفلت هذه الكراسى بالعديد من الزخارف الكتابية لتساير وتترجم الاهمية والتقديس لذلك الكتاب السماوى . بما تحويها هذه الكتابات الزخرفية من ادعية وكتابات . وقد زخرفت جوانبها بزخارف نباتية . بالاضافة الى شيوع عمل الصناديق الخشبية المكفته بالذهب والفضة والنحاس لتحفظ بدورها هذا الدستور الالهى .

بقية مقال « والعاقبة للمتقين »

ولقد كان عملا الهيا ظهر آثاره القوية الحسية التى تخلد مع الزمن حيث مد الله بطشه الى فرعون فأغرقه ومن معه ونجا المتقون المؤمنون بالله ورسوله موسى عليه السلام وذلك يصور الحق فى قوله « **واوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الاخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين** » الشعراء .

من الخلال الشريفة النبيلة التى يتحلى بها المؤمن التقى أن يكون قوله مطابقا عمله كما يكون فعله منعكسا أو انعكاسا لسريرته وطويته ونيته وفى هذا المقام يحدثنا الصادق الامين محذرا من يخالف فعله قوله أو يخالف قوله فعله يقول صلوات الله تعالى عليه « **ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل أستشهد فاتى به فعرفه نعمته فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهد . قال : كذبت ولكنك قاتلت لان يقال هو جرىء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .**

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرا القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت . ولكنك تعلمت ليقال عالم . وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فاتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت فى سبيل تحب أن ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

رواه مسلم والنسائى ورواه الترمذى وحسنه

ويقول للقارىء « **ورتل القرآن ترتيلا** » .

فمن هذين الخطابين فى القرآن علم ان للقرآن قدسيته وتعظيمه بين قارىء ومستمع . ولا يخفى أن المنغم المتصنع فى آيات الله الذى يعلم السر وأخفى انما يؤثر رضا الناس على غضب الله فاذا زعم انه لا يقصد ذلك فلم يقرأ الايات التى يكون فيها تخويف او انذار بنغمة مؤثرة تشد آذن السامع اليه ليحييه ويسره ثم يعيد ويعيد ؟ اليس فى ذلك العمل قصد واضح الى مرضاة الناس دون منزل القرآن وقد حفظ الله كتابه من استراق الجن السمع كما حفظه من كل تحريف وباطل ؟ لذلك فان دعوة التنغيم يجب أن تموت فى مهدها فانها فتنة والفتنة اشد من القتل وان كتاب الله هو خير دستور نهتدى به فى دنيانا وآخرتنا . ولنسر متبعين قوله تعالى « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب** » .

فالتقوى لاهل القرآن أوجب عليهم والزم لانفسهم وأحسن سبيلا لهم من غيرهم ، ولنذكر قوله تعالى « **تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** » .

القصة

قصة العدد

إسلام سلمان الفارسي

رضى الله عنه

عاش الامير بن الامير فى وادى القرى عند ذلك اليهودى يعمل أعمال العبيد ، ويزاول من المهنة والاشغال الشاقة التى لا رحمة فيها ولا اشفاق ما يزاولون . وهو يستمرىء هذا ، نزولا على العرف العام الظالم الذى كان يتبعه – فى ذلك العصر – السادة مع العبيد ، وصبرا على أيام يطويها فى سبيل الالتقاء بصاحب هذا الدين الجديد محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة واتم التسليم . ومما عزاه عن هذا الشقاء واثلج صدره ، وجعله يستعلى على هذا الامتهان ، والاذلال ، أنه رأى النخل فى هذا المكان [وادى القرى » فرجى أن يكون هو البلد الذى وصفه له [راهب عمورية] ولكنه سرعان ما أحس احساسا نفسيا أن هذا المكان ليس هو البلد الذى وصفه له صاحبه فى [عمورية] ومع ذلك فقد خالجه شعور قوى بأنه قد اقترب من هذا البلد الحبيب الذى ينشده « المدينة المنورة] فصبر على هذا الحال وانصرف الى هذه الحياه الجديدة ، مؤملا منة الله عليه بذهابه الى تلك البلدة التى قطع شوطا طويلا من العمر فى السعى اليها ، والالتقاء بمنورها عليه الصلاة والسلام .

الدكتور ابراهيم هلال

وبينما هو يعيش فى هذا الامل وقد ملك عليه نفسه ، وانساه كل تعب ومشقة اذا بابن عم لسيده اليهودى يقدم عليه من بنى قريظة بجوار المدينة . واذا بهذا القادم الجديد يعجب بهذا العبد الطيع الذلول فيعرض على ابن عمه أن يبيعه له . وتتم الصفقة ويحتمل هذا اليهودى القريظى سلمان الى المدينة ، وهنا يرى عيانا ما تخيله من قبل ازمانا قال سلمان : « فوالله ما هو الا ان رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى » .

اقام سلمان فى المدينة يتابع عمله الذى الفه فى وادى القرى والرسول صلى الله عليه وسلم يواصل دعوته فى مكة ، ويلاقى من الأذى والاضطهاد ما يلاقى هو وأصحابه ، ووصل الاضطهاد ذروته ،وآن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهاجر هو واصحابه الى المدينة وبدأ الاسلام يتسلل الى المدينة شيئا فشيئا ، ويتلطف فى دخولها الى ان كانت بيعة العقبة الثانية وأسلم جل أهل المدينة ، وهاجر معظم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة اليها ، ولكن سلمان لا يعلم عن ذلك شيئا لما هو فيه من شغل الرق الذى حجبه هذه الفترة التى قضاها فى المدينة عن رؤية ذلك النور الذى جاء يسعى اليه ، وحتى عن تنسم أخباره .

وكان قد تعلم فيما تعلم من الاعمال التى لا عهد له بها أعمال النخيل واصلاحها والقيام على شأنها . ثم هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة .

قال سلمان : « فوالله انى لفى راس عذق « نخلة » لسيدى أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدى جالس تحتى ، اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قيلة والله انهم الان لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى ، فلما سمعتها أصابتنى انتفاضة شديدة حتى ظننت انى سأسقط على سيدى فتداركت نفسى ونزلت من على النخلة ، وفى لهفة شديدة وبدون وعى وجدتنى اقول لابن عمه ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ . فغضب سيدى ولكمنى بجمع يده ثم قال : مالك ولهذا ؟ أبلغ بك أن تترك عملك وتأتى لسادتك تستفسر عما يقولون ؟ ! ارجع الى عملك . فعاودت الصعود

الى النخلة وواصلت اصلاحها واكملت يومى عملا بلا واندماجا فى العمل على عادتى .

وفى المساء أخذت اتسلل ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء وأخذت اتعرف عليه ، وكان فى مجلسه بين اصحابه كأنه واحد منهم ، وعرفت فى وجهه الصدق وأمارات النبوة ، والرفق باصحابه ، فاطمأننت اليه ، وداخلت نفسى هزه نحوه ، وبدأت أكلمه ويكلمنى ولا أخبره عن نفسى ولا اعرفه من انا حتى كان اليوم التالى ، وقد جمعت له شيئا من الثمار مما احتصنى به سيدى ، فلما امسيت أخذته ، وذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه وقلت له : « انه قد بلغنى انك رجل صالح ، ومعك اصحاب لك غرباء ذو حاجة ، وهذا شىء قد كان عندى للصدقة ، فرأيتكم احق به من غيركم . وقربته اليه » . **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسكيده فلم ياكل . فقلت فى نفسى هذه علامة من العلامات التى ذكرها أسقف عمورية . ثم انصرفت عنه فجمعت ثمارا أخرى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحول الى المدينة فجئته بهذه الثمار وقلت له : انى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أرسلنى بها سيدى اليك ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وامر اصحابه فأكلوا معه . فقلت فى نفسى وهذه هى العلامة الثانية من علامات النبوة التى ذكرها لى صاحب عمورية .**

وبقيت الثالثة وهى خاتم النبوة : وكيف لى به : وهو بين كتفيه صلى الله عليه وسلم وقد فكر سلمان طويلا كيف يستطيع الوقوف على هذه العلامة الثالثة ؟ وهو الذى يريد الوصول الى اليقين : وقد هجر بلاده زمنا ، وتجرد من قصر أبيه ومن النعم التى كان يرفل فيها كابن لاحد سادات الفرس وعظمائهم : وتعرض لمشقات السفر والغربة ، **والعيش بعيدا عن الابوين والاسرة ؟ !** فلابد وأن يصل الى التوحيد وأن يؤمن ايمانا جازما ، وأن يفرغ الوسع فى سبيل الوصول **الى هذا الايمان ، واستقصاء علامات خاتم النبيين وامام المرسلين .**

وصبر على هذا أياما كان فى أثنائها يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فى غداوته وروحاته ويتحين الفرص للسير وراءه ، والتلطف **للوقوف على هذه** العلامة الثالثة عسى أن ينحسر رداءه صلى الله عليه وسلم من على كتفيه فيبصر سلمان ذلك عيانا .

وفى مرة جاء الى رسول الله وهو فى مقبرة اهل المدينه قد كان يشيع جنازة رجل من اصحابه وهو كلثوم بن الهدم وكان أول من توفى من المسلمين بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة . وكان قد عيل صبر سلمان على هذه العلامة الثالثة ، فلم يربدا من عمل شىء يقف به على هذه العلامة . قال سلمان : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى اصحابه فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر الى ظهره على أن ارى الخاتم الذى وصفه لى صاحبى ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم آستدير به عرف أنى آستثبت فى شىء وصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت الى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه اتبله وأبكى ....

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **تحول فتحولت فجلست بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : ما شأنك يا سلمان ، فقص عليه سلمان قصته ، والصحابة رضى الله عنهم يسمعون : فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع اصحابه هذه القصة ، وأن يقفوا على هذه الرحلة التى قطعها سلمان فى سبيل الاسلام .**

وهكذا ابت النفس السليمة ، وابت الفطرة المستقيمة الا ان تصل الى الايمان الحق ، والى الدين الحنيف دين الفطرة التى فطر الناس عليها . ولكن سلمان وان كان قد أسلم ، الا انه شغله رقة عن مشاركته فى النشاط الاسلامى العام والجهاد فى سبيل الله وحضوره معه صلى الله عليه وسلم الغزوات ، ففاته حضور بدر واحد . أما كيف تحرر سلمان من ربقة الرق والعبودية فموعدنا ذلك فى العدد القادم ان شاء الله .

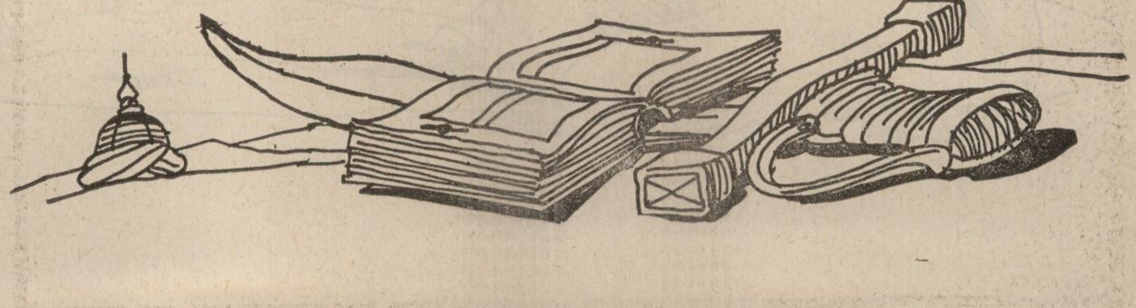

الشعر الإسلامي

لا ادعو سواك

الشاعرة روحية القليني

انا يا اله الكون بين يديك فاصنع ما تشاء
لا حيلة لى فى الحياة وانت عونى والرجاء
انا دمعة حيرى بجفن الكون فى دنيا الشقاء
انا آهة حرى تناجى الله فى صدق الولاء
انا فى الدجى قلب يصلى فى خشوع الاتقياء
وتمر بى الاحداث تترى والشجون بلا انتهاء
فادير وجهى فى السماء فعنده كل العزاء
انى لراضية بما قد راح فى الدنيا وجاء
انى اله الكون مؤمنة بحكمك والقضاء
يا رب نورك قبلتى فى عالمى فى الليلة الظلماء
هل اشتكى الا لربى فهو رب الاولياء
وهو بلسم لجراح قلبى عنده سحر الدواء
ان اظلمت عينى وضل الدرب فهو لى الضياء
انى اعيش بقدرة الله العلى على رضاء
مهما الحياة قست على فعنده حسن الجزاء
والصبر مفتاحى لباب الخير يكشف لى الغطاء
من يتخذ ايمانه ركبا الى شط البقاء
فحياته تغدو على رغم المقادر فى هناء
يرضى عن الدنيا فآخرة الحياة الى فناء
يا رب لا ادعو سواك فانت لى كل العطاء

نور على نور

الشاعر بدر الدين على الجارم

لاح بين الوهاد طيف رجاء
بدد النور ظلمة الصحراء
وبدا المهد جنه بالذى فيـ
ـه .. وضىء السنا جميل الرواء
طوفت حوله الملائك تشدو
ببشير الهدى ونبع الوفاء
تجتليه العيون آية سعد
طرزتها أنامل الشعراء
فرح فى السماء وفى الأر
ض .. وبشرى السماء الاحياء

• • •

هبط الوحى والرسول وحيد
داعيا ربه بغار حراء
سحق الشرك بالبليغ من القو
ل .. فدانت طوائف البلغاء
وهوى الكفر مؤذنا بتهاوى
ـ أبد الدهر ـ عصبة الاغبياء
وسرى فى السماء يستقبل الله
.. فتاهت به طباق الجواء
دعوة للنبى من قبل الله
.. هنيئا لصاحب الاسراء

• • •

فافاق العربان من غفوة الجهـ
ـل .. والغوا شريعة الجهلاء
هالهم روعة الضياء فساروا
فوق درب مساره من ضياء
عبدوا الله مخلصين له الديـ
ـن .. وعند الاله خير الجزاء
حطموا اللات ساخرين وساروا
فى ركاب النبى والخلفاء
حملوا السيف حينما أذن الله
.. برد الطغاة والاعداء
يفتدون النبى بالروح والما
ل .. سماح النفوس يوم الفداء
رحبوا بالممات فى نصرة الديـ
ـن .. ليحظوا برتبة الشهداء
حكموا الارض بالسماحة والعد
ل .. شديدى المراس فى استحياء

• • •

نزل الوحى بالكتاب وبالديـ
ـن .. فهل للكتاب من قراء !
شغل الناس بالمجون وباللهـ
ـو .. وفعل الخنا وسفك الدماء
لم يعد فيهمو من السلف الصا
لح .. ـ يا للأسى ـ سوى الاسماء
ولد الناس مسلمين وعاشوا
بين هذى الديار كالغرباء

• • •

سوف يبقى مدى الزمان صدى الهجـ
ـرة .. درس السماء للخلصاء
كيف ننسى نشيدهم : « طلع البد
ر » .. تعالى الى عنان السماء
يا نبى الهدى حننت فمن لى
بلقاء يفوق كل لقاء
لك قلبى وما ملكت وشعرى
وثنائى وانت فوق الثناء
يا نبى الرحمن فى النفس شوق
لبقاع النبوة الغراء
فكأنى بنصرك اليوم يهفو
فوق « بدر » بجندك البسلاء
وكأنى بارض « يثرب » تزهو
بلقاء النبى فى استعلاء
رب ارض تفيض زهوا وكبرا
كنفوس تفيض بالكبرياء

• • •

ان ذكرى الميلاد تنضح بالعطـ
ـر .. وتبدو كروضة فيحاء
فسلام على النبى مدى الدهـ
ـر .. سلام لخاتم الانبياء

شهيد العروبة

الشاعر محمد صلاح عفيفي

مماتك نار ما لها فى الحشا برد
وذكراك نور يستنير به المجد
الى جنة الرحمن سرت مشيعا
وفى الارض ناديناك فانقطع الرد
شهيد العلا لم تبق فى العين دمعة
من الهول ضل العقل وانعدم الرشد
سرت بين ارجاء الجزيرة لوعة
فلم يسل من حزن حجاز ولا نجد
وارق ابناء العروبة همهم
وفى أمة الاسلام يعتمل الوجد
احقا توارى النجم عن افق السماء
ومن ضم أسباب العلا ضمه اللحد
فواعجبا ان المنية تنتقى
وفى الروض اشواك ويقتطف الورد
اتقتل من سهم الخيانة بينما
تطيش سهام الكافرين وترتد
فيا ليته ما دب فى الارض مارق
ويا ليتها تبت يد وهى تمتد
ويا ليت أن الموت يقبلنا فدى
ولكن قضاء الله ليس له رد
وعندك يا رب احتسبنا مصابنا
كريما عظيما ما له فى الورى ند
لقد كنت فى عقد اللالىء درة
تزين جبين الشرق فانفرط العقد
وكنت امام المؤمنين وفيصلا
حليما ومن غضباته تفزع الاسد

اقمت لابناء الجزيرة سؤددا
وفى عهدك البسام قد ضحك السعد
وصلت بهم بر الامان فلم يعق
مسيرك نحو الشط جزر ولا مد
وأيدت فى ساح الجهاد كتائبا
فدكت حصون الشر وانحطم الكيد
ومن جاهدوا فى الله آخيت بينهم
لهم شوكة فى وحدة الصف تشتد
عدوك مقهور تكدر ورده
حليفك منصور ويصفو له الورد
وباركت ماء النيل من ماء زمزم
ففاض شعور الحب واتصل الود
فانت الذى أعطى المودة حقها
وفيا بعهد ليس يرعى به العهد
وفيضا من الايمان والصبر والتقى
وحربا على العدوان يوم دعا الجد
ستكتب فى لوح الميامين رائدا
من الصلب لا يثنيه جذب ولا شد
وتبقى على الاجيال رمزا وانما
سموت الى العلياء حين سما القصد
وتذكر فى التاريخ اسما معطرا
اذا ودع الدنيا يكون له الخلد
وانك بالذكرى مكانك بيننا
وان الذى شيدت يعلو ويمتد

إن من الشعر لحكمة

فضيلة الشيخ
محمد خليل الخطيب

صدق الشرع ولا تركن الى
ذى ابتداع عقله فيه خبل
واترك الطير ولا تعمد الى
رجل يرصد فى الليل زحل

• • •

حارت الافكار فى قدرة من
اوجد الخلق على غير مثل
من يؤدى شكره وهو الذى
قد هدانا سبلنا عز وجل

• • •

كتب الموت على الخلق فكم
غال من صح وأرباب العلل
والمداوى والمداوى ثم كم
فل من جيش وافنى من دول

• • •

اين نمروذ وكنعان ومن
منه نوع الانس فى الدنيا نسل
اين دارا اين اسكندر من
ملك الارض وولى وعزل
اين عاد ، أين فرعون الذى
قال : انى ربكم .. خاب وذل
اطبق البحر عليه جوفه
ونجا بالدرع للباقى مثل
أين أرسطو ، أين أفلاطون ومن
رفع الاهرام من يسمع نحل
اين من سادوا وشادوا وبنوا
مشرفات حاكيات للقلل
اين من اوتوا من المجد الذرا
هلك الكل ولم تغن الحيل
اين ارباب الحجا آل التقى
من همو فى القول والفعل مثل
اين من قد شيدوا الدين لنا
أين أهل العلم والقوم الاول
سيعيد الله كلا منهمو
ان يوم العرض لليوم الجلل
ان فيه العدل بالعدل قضى
وسيجزى فاعلا ما قد فعل

[من تشطير لامية ابن الوردى]

لله أشكو النفس

الشاعر أحمد عثمان المراغى

لله أشــــكو النفس من وجـدانى
في الســـر أشكوها وفي اعـلانى
فلمن ســـواه اليه •• رفع شكايتى
ولمن ســـواه أقـول ما اضـــنانى
شـــكواى عن علم بقـدر جـلاله
وكـذاك عن علم بقـــدر هـــوانى
فانا لـه العبـد الذليـــــل وانــه
هو ســيدى وهو العظيم الشــــان
بيـديه أمـر النفس وهـــو يـديرها
وهـــو الذى فى قبضــــتيه جنـانى
وهـــو العليم بكنههــــا وبســــرها
وبــكل مـــا تحـويه من وجـــدان
لكنمـــا قيـد المـذلة ســــاقنى
بشـــكايتى لله •• عن ايمــــــان
فالله للنفس التى ما ضـــــــرها
الا هـــــواها •• فالتقت بهــــوان
لكنمـــا النفس التى قــد عـــززت
بالحـــق •• فهى على اعـز كيـــان
لا ترتضى الا بيـــــانا خالصـــا
وحيـاة حــر •• مؤمن متفـــانى
ســـــبحانه الرحمن ربى ربهـــا
فهـــو الـذى من طينـة ســـوانى.

رضاك سر سعادتى

انا ان ضـــللت فلا أرى غير الاله يقينى
واذا غـــرقت فانه بحنــــانه ينجينى
واذا شقيت ضـــلالة فهو الذى يهدينى
واذا ألمت محنــــة من شـــــرها يكفينى
واذا مرضت فراحم وهو الذى يشفينى
واذا ســـألت فانه من فيضـــه يعطينى
مـــلأ الفـــؤاد بحبه واليه فاض حنينى
والنفس تشـــدو باسمه بسكينة وأنين
هو منيتى، هو غايتى، هو قبلتى، هو دينى
هو قادر ، هو مبدع ، هو سر ذا التكوين
وهو المدبر للامور يدبر كل شــئونى
واذا قضى بالكاف نفـــذ ما قضي والنون
ادعوه في جنح الدجي في خشية وذعون
والكون أغفى صـــامتا فى رقدة وسكون
أرجوك ربى ضارعا من ذا سواك معينى؟
لسواك لم أمدد يدى ان الرضا يغنينى

الشاعر عبد المنعم عبد الله حسن المقن

الطب فى الإسلام

الغذاء الصحيح واهتمام الإسلام به

الدكتور عبد العزيز شرف

لقد خلق الله خلقه وخلق معهم نعمة الصحة التى تعتمد كثيرا على الاغذية وخص كل غذاء بميزة تجعله مفضلا . لذلك كان من الواجب ان نهتم بالغذاء ونختار منه ما يلائم حياتنا لتصح الاجسام وتكون قادرة على ان تحيى حياة صحيحة تساعد المرء فى عمله وانتاجه . وكثيرا نرى عللا جسمانية وامراضا بدنية نتيجة لتغذية خاطئة لعدم استكمال الثقافة الصحية لذلك كان لزاما ان نتزود بمعلومات كافية عن كثير من الاطعمة وعملها من قيمة غذائية وفوائد طبية حتى نختار منها ما يناسب كل فرد . اذ لكل غذاء محتويات تتوقف عليها خواصه الطبية . فهناك مثلا أغذية ضرورية للطفولة وأخرى للشباب والكهولة كما أن هناك اغذية خاصة لبعض العلل واغذية أخرى للوقاية من الامراض لم يعد الغذاء للتغذية بل صار للعلاج والوقاية الامر الذى يحتم أن تكون أغذيتنا أدوية واقية شافية . وارجو ان نوضح هذا فى نقط نجملها فيما يلى :

العناصر الغذائية الاساسية فى الغذاء :

من واجبنا ان نشير الى العناصر الغذائية الضرورية على أن نختار الاطعمة التى تحويها حتى لا يكون نقص احدها سببا فى علة المريض . وأهم هذه العناصر : البروتينات وتوجد فى اللحوم والطيور والاسماك والالبان والجبن والبيض والبقول وغيرها . وهى ضرورية لنمو أجسام الصغار ومد انسجة الكبار باحتياجاتها تعويضا عما فقدته أثناء العمل والمجهود وهى كذلك ضرورية للحوامل والمراضع . فاذا لم تتضمنها قوائم الطعام يقف النمو وتضعف الاجسام وتسوء حالة الامهات والاطفال . والكربوايدرات وأهمها السكريات والنشويات وهذه توجد فى دقيق القمح والذرة وفى الارز والبطاطس والمكرونة والعيش وبانواعه ثم العسل والسكر والحلويات والفواكه الخ . وهذه ضرورية جدا لتوليد الطاقة الحرارية اللازمة للمجهود الجسمانى . فهى لازمة للعمال والشباب والرياضيين لتمدهم بالحرارة الكافية لانتاجهم العضلى فاذا قلت هذه المواد اعتمد الجسم فى توليد طاقته على المواد البروتينية الجسمانية مما يسبب الضعف العام وعدم المقدرة على العمل المثمر والدهنيات وتوجد فى الزبد واللبن والمسلى والزيوت ودهن الحيوانات الخ . وهى احدى مصادر الطاقة الحرارية أيضا وتساعد المواد الكربوايدراتية فى هذه الناحية وهى ضرورية فى تغذية النحفاء لتزيد تكوين الدهن وتراكمه فى أنسجتهم . والاملاح وتوجد فى الخضروات والفواكه واللحوم وغيرها وتعتمد الانسجة فى نموها وفى وظائفها على هذه الاملاح مثل الحديد اللازم لتقوية الدم والكالسيوم والفسفور لنمو العظام والاسنان . واليود الضرورى لتكوين هرمون الثيروكسين اللازم لنشاط الجسم والتمثيل الغذائى والنمو . واذا قلت الاملاح ضعفت الاعضاء الجسمانية عن اداء وظائفها . وقد تصاب بالكساح ولين العظم والانيميا وغيرها من العلل . والفيتامينات وتوجد فى الفواكه والخضروات والبيض والكبد واللبن وغيرها . ونقصها فى الغذاء يؤدى الى عيوب جسمانية وخلل فى وظائف الاعضاء . فيسبب قلة فيتامين أ لضعف فى البصر وقلة فيتامين ب ١٢ تضعف الاعصاب ونقص فيتامين ج يحدث مرض الاسقربوط . ومن قلة فيتامين ك تحدث الانزفة الدموية ونقص فيتامين د فى الغذاء تسبب الكساح فى الاطفال . والماء ونحصل عليه من ماء الشرب والمشروبات والمياه الغازية والالبان ومرقة اللحوم الخ . والماء ضرورى للحياة [وجعلنا من الماء كل شىء حى] وقلة الماء تسبب الجفاف والامراض اذا بها تدخل فى تكوين الخلايا الجسمانية والافرازات الداخلية التى

توقف عليها وظائف الاعضاء كما انها جزء هام فى تكوين الدم وهو أساس من أسس الحيوية ٠

الغذاء كمصدر للدواء :

الغذاء أول مصدر تعتمد عليه صحة الانسان ٠ واذا لم يحصل الجسم على العناصر الغذائية الاساسية أصيب بأمراض النقص الغذائى والعلل الجسمانية المختلفة ٠ فمثلا اذا ما نقصت أملاح الكالسيوم والفسفور وتسبب لين العظام فى الامهات والكساح فى الاطفال ولكن يمكن الحصول على هذين العنصرين من اللبن والخضروات والبيض ٠ وأما نقص الحديد فى الطعام فيسبب الضعف وفقر الدم ولتلافى ذلك نجد الحديد بكثرة فى الكبد والبيض والسبانخ والاسماك وغيرها ٠ ونقص أملاح اليود تسبب اضطراب التمثيل الغذائى نظرا لقلة تكوين هرمون الغدد الدرقية الذى يعتمد فى تكوينه على اليود الذى يوجد فى الاسماك البحرية والجنبرى والخضروات٠ وكذلك اذا مانقص فيتامين أ أحدث الضعف العام وضعف الابصار ويمكن الحصول على هذا الفيتامين من الخضروات والفواكه ٠ هذا وقلة فيتامين ج فى الطعام يسبب الانزفة وضعف الاسنان والاغشية المخاطية وهو مركز فى البرتقال والليمون والجوافه والبطاطا أما انعدام فيتامين د فيسبب أمراض العظام ولينها ويمكن أن يحصل الجسم عليه من اللبن والبيض وزيوت السمك ٠ واذا ما نقص فيتامين ﻫ يضعف التناسل ويسبب العقم ويمكن الحصول على هذا الفيتامين من الخضروات كالخس وزيوت الحبوب كالقمح والذرة ٠

هذا ويعترى الجسم نتيجة لتغذية خاطئة عللا كثيرة فالامساك مثلا من هذه العلل التى تحدث من اتباع الرجيم على غير أساس ونظام ٠ ولمقاومة الامساك وعلاجه بالغذاء يجب اختيار أطعمة غنية بالاملاح والاحماض العضوية مثل الطماطم والبرتقال والليمون والتمر هندى ، اذ تنبه الامعاء وتساعدها على طرد بقايا الغذاء منها كما يجب اختيار أغذية غنية بفيتاميناتها وخصوصا فيتامين ب الذى يساعد فى تنظيم حركة الامعاء وهذا الفيتامين يوجد كثيرا فى الحبوب وكذا فى خميرة البيرة ٠ واذا أردنا أن نمنع الامساك فعلينا كذلك أن ناكل الاطعمة ذات الخيوط السليولوزية التى بتراكمها فى الامعاء تزيد قوتها وتنبه حركتها مثل الجرجير والسبانخ والفواكه الغير مقشرة والتين والزبيب والتمر هندى ٠ ومما يساعد فى منع الامساك ايضا كثرة شرب السوائل خصوصا فى الصباح على معدة خاوية أو تناول الزيوت النباتية كزيت الزيتون ليسهل انزلاق المحتويات المعوية

ومن العلل الغذائية التى كثيرا ما تشاهدها الانيميا أو فقر الدم وهو مرض يصيب الاطفال والكبار وخصوصا الفتيات والسيدات نظرا لفقدهن كثيرا من الدم اثناء الدورة الشهرية ولمقاومة الانيميا وعلاجها غذائيا يجب تناول أغذية تتوافر العناصر الضرورية لتكوين الدم وهذه اما أغذية غنية بالحديد كالكبد وصفار البيض والسبانخ والباذنجان والخضروات الطازجة والمجففة وكذا الرنجة والسردين ٠ وأما أغذية غنية بفيتامين ب ١٢ وهو العامل الهام ضد ضعف الدم اذ يحول الحديد الى هموجلوبين فى كرات الدم الحمراء وأهم هذه الاغذية أكباد اللحوم البتلو التى تحتوى على هذا الفيتامين وكذا نسبة عالية من الحديد ٠ ويوجد هذا الفيتامين كذلك فى البيض واللحوم البقرى والكلاوى والقمح وبعض الاسماك ٠

واكثر علل التغذية شيوعا النحافة والسمنة ٠ فالنحافة تنشأ من قلة التغذية والسمنة من الافراد فيها ولمقاومة النحافة الغذائية يمكن تناول الاغذية التى تساعد على تكوين الشحم بالجسم مثل المواد الدهنية والكربوايدراتية وأحسن ما يقدم فى هذه الحالة النشويات مثل المكرونة والارز والبطاطس والسكريات مثل الحلويات وعسل النحل والشيكولاته والدهنيات مثل القشدة والزبد ولحوم الضأن والطيور السمينة ٠ وهذه كلها يتحول جزء كبير منها الى دهن يترسب فى الجسم ليساعد على السمنة وزيادة الوزن ٠ وليس معنى ذلك الاقلاع عن المواد البروتينية فهى ضرورية كذلك لبناء الانسجة ٠ ويستحسن فى هذه الحالة الراحة وعدم الاكثار من الرياضة وأما السمنة الغذائية فيجب فيها الابتعاد بقدر الامكان أو الاقلال من النشويات والسكريات والدهنيات بحيث لا يؤخذ منها الا قدر يسير يكفى للاحتياجات الضرورية للجسم مع الاكثار من الخضروات والقيام بحركات رياضية شديدة وكذا التدليك فى الاماكن الجسمانية المترهلة فكل هذا يساعد على احتراق ماترسب من الشحم فى الاجسام ٠

ولتلافى امراض النقص الغذائى يجب التنوع فى الاكل وتخلط الانواع حتى يستكمل بعضها بعضا وتصير الوجبة الغذائية كاملة العناصر متكاملة المكونات الغذائية التى يحتاجها الجسم ومن أجل ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم [اذا أكلتم فرازموا] أى أخلطوا ونوعوا بحيث يحتوى الطعام على أغذية حيوانية وأخرى نباتية ومن اغذية جافة وأخرى طرية حتى يأخذ من أحد الاطعمة ما ينقص فى الطعام الاخر ٠

التغذية الدوائية وعلاقتها بالأطوار الحيوية

يمر الجسم اثناء حياته فى طورين هامين : الطفولة والكهولة ٠ وبين هذين نرى الفتوة والشباب واثناء هذه الاطوار نجد الذكورة والانوثة والبدانة والنحافة والحمل والرضاعة والعمل العضلى ٠ والاجهاد الفكرى ٠ وكل هذه المظاهر الحيوية تتطلب اغذية تختلف من طور لطور ومن عمل لعمل ومن حالة لحالة ٠

ولذلك يجب مراعاة كل هذه العوامل عند تقديم الاطعمة والا يتقيد الطفل بغذاء أخيه الشاب ولا الفتاة بغذاء والدتها الحامل ولا الابن الرياضى بوالده المسن فلكل من هؤلاء نوع من الغذاء يلائمه اذا احتياجات الاجسام من العناصر الغذائية تختلف اختلافا بيناتبعا لاعمارها وعملها وجنسها وحالتها العامة ومن هنا وجب تشكيل الطعام تبعا لهذه العوامل تشكيلا مناسبا يجعل من الغذاء دواء واقيا يحمى الجسم فى كل اطوار حياته٠

فعلاقة التغذية بالعمر تدل على أن لعمر الافراد دخل كبير فى تغيير نوع الغذاء وطرق اعطائه ٠ ففى الطفولة وهى أولى مراحل الحياة تحتاج الاجسام الى مكونات النمو وعناصر التركيب الجسمانى والى مواد الحركة والنشاط التى تلاحظ فى الاطفال وكل هذه تحتم اختيار أطعمة مناسبة يستخدم الجسم عناصرها فى النمو كما يستخدم فى حركته ولعبه ونشاطه المستمر فأجسام الصغار لها قدرة كبيرة على النمو كما أن أنسجتهم تمتاز بنشاطها الحيوى عما نراه فى الكبار ومن هذا نجد أن ما يقدم فى سن الطفولة هو اللبن اثناء الرضاعة ٠ اذ أنه غذاء دوائى يناسب تكوينهم ثم تزداد المواد الاخرى الغذائية بعد فترة الرضاعة كالطيور والبيض والفواكه وشربة الخضار وخلافها من الاطعمة التى تغذى الجسم بالمكونات الطبية التى يحتاجها الطفل لنموه فى حركته ٠ أما فى دور المراهقة والشباب فتنشط انسجة الجسم نشاطا كبيرا وتزداد القوة والحيوية لان هذه الفترة من العمر تمتاز بالنمو السريع وبنشاط الغدد والافرازات الهرمونية ولذلك كان من الواجب مواجهة هذه الحيوية الشديد بامداد الاجسام بالعناصر الغذائية الطبية الضرورية وافضل ما ياكله المراهق فى شبابه المواد البروتينية كاللحم ٠ لتمد الخلايا الجسمانية بمكونات لزيادة نموه والمواد النشوية والدهنية لتمدها بمقومات الحركة والنشاط اللازمين للعمل والانتاج والرياضة وبالمواد الفيتامينية كالكبد والجزر والفواكه لتساعد افراز الهرمونات وتقوم بعمل البناء اللازم الذى تتطلبه الاجسام النامية ٠ أما فى حالة التقدم فى السن والكهولة فقد يعترى الجسم بعض التغييرات فى أنسجته وخصوصا فى العظام مما يصعب معها الحركة السريعة وقد تقل الافرازات الهضمية فى الفم والمعدة مما قد يسبب سوء الهضم هذا ويقل التمثيل الغذائى فى هذا الطور من الحياة مما يسبب قلة الحركة والنشاط ونظرا كذلك لضعف الاسنان وسقوطها فى هذه الفترة فقد يرفض المسن اكل اللحوم مع الميل الى النشويات لسهولة تناولها ومضغها مما قد يضعف الجسم ولذلك يجب فى هذه الحالة اعطاء البروتينات كاللحوم الصغيرة والطيور

والاسماك واللبن لضرورتها للمحافظة على حيوية الجسم ويمكن الاقلال من هذه البروتينات عند الاصابة بتصلب الشرايين الذى يشاهده فى كثير من المسنين ولا يمكن لهذا السن اغفال المواد الكربوايدراتية والنشوية والحلويات اما المواد الدهنية وهى أكثر المواد الغذائية ضررا للكبار والمسنين حيث يصعب عليهم هضمهما وتسبب لهم كثيرا من الاضطرابات المعدية والكبدية ولكن الالبان ومنتجاتها خير ما يعطى لهم لسهولة هضمها ومد الجسم بالدهنيات سهلة الهضم والبروتينات والاملاح والفيتامينات كذلك ومن الاملاح الهامة التى يجب اعطائها او اعطاء الاغذية التى تحويها للمسنين أملاح الحديد لتقوية الدم وتوجد فى الكبد والبيض والسبانخ وأملاح اليود لزيادة النشاط والتمثيل الغذائى وتوجد فى الاسماك والجنبرى وبعض الخضروات · أما الاغذية الفيتامينية كالفواكه والخضروات فمن أهم ما يجب الاهتمام به لمتقدمى السن · ومما يجب الاشارة اليه وجوب اعطائهم المياه بكثرة حتى لا يصاب اجسامهم بالجفاف وحتى تساعد الغدد على استمرار افرازاتها الطبيعية التى تهيمن على وظائف أعضاء الجسم المختلفة ·

أما علاقة التغذية بالجنس : فواضحة اذ من الثابت فى العلم والعرف أن اجسام الذكور اكبر واقوى من اجسام الاناث وان الحد الادنى للنشاط الحيوى فى المراة أقل منه فى الرجل وذلك يرجع الى صغر حجمها والى قلة مجهودها وهذا يدل دلالة واضحة على أن الرجل يحتاج الى أغذية مولدة للطاقة الحرارية أكثر من المراة مثل النشويات والسكريات التى تتركز فى الارز والبطاطس والسكر وخلافها وهذه تولد فى الجسم الحرارة وتعين على العمل المستمر · ولكن مثل هذه المواد قد تسبب فى المراة البدانة نظرا للمجهود القليل الذى تبذله بالنسبة للرجل · واذا ذكرنا احتياجات المراة يجب الا ننسى أن الفتاة البالغة والمراة كذلك تتعرضان دائما لانزفة دموية شهرية مما قد يسبب ضعف الدم والجسم ولذلك يجب الا تدخل المواد الغذائية التى تحوى الحديد وفيتامين ب ١٢ ضمن غذائهن واهمها البيض والسبانخ والخضروات والفواكه وهذه تنشط تكوين الكرات الدموية وتمنع مرض فقر الدم الذى نلاحظه دائما فى الفتيات المراهقات والامهات الوالدات · والكبد على وجه الخصوص به غير الحديد فيتامين ب ١٢ وحامض الفوليك وهما عاملان هامان ضد الانيميا ــ هذا وتحتاج الام الحامل والمرضعة الى أنواع خصة من الاطعمة لتقوى جسمها وتفيد جنينها وطفلها حتى لا يصيبها الضعف فى هذه المرحلة من الحياة · وأول ما يجب الاهتمام به فى هذه الحالة ان تاخذ الام فى طعامها الاغذية التى تحوى الكالسيوم والفسفور اللازمة لعظامها وعظام صغيرها مثل اللبن والبقول وغيرها · وعنصر الحديد والاغذية التى تحتويه هام جدا فى غذاء الحامل حيث تاخذ الام احتياجاتها ويختزن الزائد منه فى كبد جنينها لاستخدامه اثناء فترة الرضاعة اذ ينعدم هذا العنصر الغذائى الهام فى اللبن · هذا ويجب الا ننسى الاكثار من الخضروات والفواكه حيث تمد المراة بالاملاح اللازمة والفيتامينات الضرورية التى تساعدها اثناء الحمل وتفيدها وقت الرضاعة وبذلك يمكن حماية الام من امراض النقص الغذائى ·

اما علاقة العمل بالتغذية : فتتخلص فى أن الطاقة التى يبذلها الانسان فى العمل والنشاط تتوقف كثيرا على نوع الغذاء الذى يجب أن يتناسب مع مايبذل من جهد وينم من نشاط · فاحتياجات الاجسام فى العمل العضلى والاجهاد الجسمانى تختلف عن احتياجاتها فى العمل الذهنى والمجهود الفكرى ·· ففى الحالة الاولى يحتاج الجسم الى المواد الكربوايدراتية والنشوية والسكرية اذ انها أفضل مصادر الطاقة والحرارة اللازمة للنشاط وهى كالوقود للمحركات الالية كما أنها العنصر الغذائى الاساسى للعامل والرياضى مما جعلها عاملا هاما فى الانتاج الفردى · وليس معنى الاهتمام بهذه العناصر هو الامتناع عن العناصر الغذائية الاخرى كالبروتينات والدهنيات وغيرها بل كلها مكملة لاحتياجات الاجسام لتعوضها عما فقدته من مكونات أثناء المجهود العضلى اما فى حالة الاعمال الذهنية قد لا يستهلك الجسم طاقة كبيرة ولا مجهودا ظاهرا فاثناء التفكير يحتاج المخ الى كثير من الدم ليحصل على احتياجاته منه ليستكمل النشاط الفكرى وقد يتاثر المخ فى مقدرته بكثرة الطعام فيخمل ويضعف فيه التفكير لان غالبية الدم قد تتحول الى القناة الهضمية اثناء عملية الهضم وذلك يقلل كمية ما يرد للمخ من الدم · وهذا يعلل الخمول الذى نراه بعد الوجبات الشهية الكبيرة · ولذلك ننصح الطلبة وكل ما يتصل عملهم بالفكر بتناول وجبات غذائية صغيرة على فترات على أن تحوى هذه الوجبات أغذية سهلة الهضم · وواجب المشتغلين بالاعمال الذهنية أن يختاروا أنواعا من الاغذية البروتينية الحيوانية فهذه تفيد فى امداد الخلايا المخية بلوازمها وتجعلها قادرة على التفكير السليم هذا ويقال كذلك أن الاطعمة التى تحوى الفوسفور تفيد المفكرين وذوى الاعمال الذهنية ولذا كان البيض والاسماك والاطعمة الفوسفورية الاخرى من الاغذية التى يفضلها ذوو التفكير وكذا المواد السكرية تعتبر ضرورية للفكر لان المخ والخلايا العصبية تحتاج الى الجلوكوز الذى يعطيها النشاط اللازم والمقدرة الذهنية المطلوبة ·

اما علاقة الغذاء بالبدانة والنحافة :

فتدل على انهما عارضين غير مرغوب فيهما وانهما كثيرا ما ينشا من أسباب غذائية كما انها يمكن التخلص منهما بالغذاء ايضا فغالبا ما تنشا السمنة من تناول الاغذية المولدة للحرارة مع الكسل وقلة النشاط البدنى ومن الملاحظ كذلك أن التقدم فى السن يكون مصحوبا غالبا بالسمنة والترهل وذلك لانه كلما تقدم العمر اركن الجسم الى الراحة فيقل النشاط وتظل القابلية للغذاء قوية فياخذ اكثر مما يحتاج فيزداد تكوين الشحم تبعا لذلك وهذا يؤثر على نشاط العضلات والاعضاء الجسمانية المختلفة ويعرضها للضعف والخمول · واذا ماوجدت هذه البدانة والغذائية يمكن اتباع اسس التغذية الدوائية نلتخلص منها · اذ يجب العمل على استنفاذ الطاقة بالتمرينات والمجهود لامكان احتراق الشحم المتراكم فى الجسم · اماالنحافة الغذائية فتنشأ من سوء اختيار الاطعمة فنجد أن الجسم لا ياخذ ما يكفيه من الغذاء مع القيام بمجهودات جسمانية شاقة تستنفذ الطاقة بسرعة بدون رصيد لها فى الجسم وذلك بسبب حرمان الانسجة من الاغذية الضرورية فيحدث الارهاق الجسمانى والنحافة البدنية وفى هذه الحالة يمكن اختيار اغذية غنية بالمواد النشوية والسكرية والدهنية التى تمد الجسم بسعرات حرارية عالية اكثر من المقدار المطلوب مع الراحة وتجنب الارهاق وقد يسبب ترسيب الشحم بالجسم وزيادة وزنه وفى هذا المجال يجب الاهتمام بالاغذية البروتينية والمعدنية والفيتامينية فكلها ضرورية فى جميع حالات السمنة والنحافة الغذائية ·

من هذا الموجز يتبين لنا ان التغذية تلعب دورين هامين فى حياة الفرد والمجتمع فهى اما لمد الجسم باحتياجاته من العناصر الغذائية الضرورية واما كدواء لمقاومة ماقد يحدث فى الجسم من اعراض وما ينشا فيه من أمراض ·

كل ذلك يوجب أن يكون الغذاء متكامل العناصر حتى لا تصاب الاجسام بالعلل وأمراض النقص الغذائى · واذا كانت هذه الاحتياجات بقدر الضرورة فالامر يحتم أيضا الا ياخذ الجسم اكثر من طاقته فيرهق أعضائه وأنسجته ويسبب لها الامراض [كلو واشربوا ولا تسرفوا] ·

ولذلك كان الاسلام حريصا على صحة عباد الله المسلمين فنزلت الايات كاسس وتشريعات فى الطب الالهى ثم جاءت الاحاديث الشريفة لتفسر للعالم كله هذه الايات والتوصية والنصح فى كل مايهم الانسان المؤمن بالله ورسوله ومايوصله الى حياة سعيدة كلها صحة وقوة [المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف]

واذا كانت هذه بعض المبادىء والاسس الحديثة فى التغذية الصحيحة فقد جاء الاسلام ونزل القران منذ أربعة عشر قرنا من الزمان بنظم وتشريعات فى هذا الاتجاه لا تختلف فى كثير او قليل عما هو عليه الحال الان · وبذلك تكون مبادىء الاسلام قد حققها العلم الحديث ·

شركة التأمين الأهلية المصرية

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتأمين

تقدم إلى

جميع أعضاء النقابات المهنية

الوثيقة المهنية

هى الوثيقة التى تعبر بك وأسرتك الحياة فى أمان وسلام

إذ تكفل لك :

- مبلغ تأمين قدره ٢٠٠٠ جنيه عند نهاية مدة التأمين
- ٣٠٠٠ جنيه فى حالة الوفاة بحادث .
- ٢٠٠٠ جنيه فى حالة الوفاة العادية .
- ١٥ جنيه معاش عائلى بالاضافة إلى مبالغ التامين الأخرى المدفوعة فى حالة الوفاة .

دعنا نحقق لك الآمال لتستقر أمورك وأسرتك

القسط فى متناول الجميع

للاستعلام

القاهرة ٢٣ شارع قصر النيل ت ٧٩١٠٠
٢٨ شارع طلعت حرب ت ٤٧٠٤٩
اسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ت ٨٠٢٣٢٨
وجميع فروع الشركة بالمحافظات

شذرات

من تاريخ الطب فى الإسلام

لقد ارتضى الله سبحانه وتعالى الاسلام دينا لخلقه وجعله خاتما لكل الرسالات ومتمما لكل الديانات بما يكفل للبشر سعادة الدنيا ونعيم الاخرة . وقد كان الطريق الذى رسمه جل وعلا للبشر هو طريق العمل فقال تعالى فى محكم آياته : —

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

كما رسم سبحانه وتعالى العلم فنزلت اولى آياته البينات تشير الى ذلك « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم »

الدكتورة ابتسام عبد الحليم

وسيرا على هذا المنهاج نجد ان هناك علماء من المسلمين قد أفنوا حياتهم فى سبيل العلم والعمل حتى صاروا نبراسا مشى العالم على هديه .

والمتأمل لتاريخ علم الطب يجد ان علم الطب كفن له أصوله وقواعده وله ميدانه ومجالاته التطبيقية قد ازدهر فى ظل الاسلام ازدهارا عظيما استحق ان يشيد به عظماء الكتاب فى العالم أحدهم [السير ويليام أوسلى] فى كتابه [تطور الطب] فقال عن علماء الطب من المسلمين [انهم اشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية ، بلغت مهنة الطب عندهم اثناء القرن الثامن الى القرن الحادى عشر للميلاد من المكانة والاهمية مالا تكاد نجد له مثيلا فى التاريخ] .

وسنحاول الان ان نأتى ببعض القبسات المضيئة لتاريخ أعلام الطب فى الاسلام ومنهم :

[١] الطبيب العالم المتصوف [أبو بكر محمد بن زكريا الرازى] : —

ولد فى النصف الاخيرمن القرن الثامن الميلادى بالقرب من طهران . وقد اتجه لدراسة الطب بعد ان فات مرحلة الشباب كما درس الكيمياء . وعندما بلغ سن الاربعين كان اشهر أطباء عصره فى العالم . وقد دعا تلاميذه الى القراءة والاطلاع على أبحاث الغير فى قوله :

[ان الانسان لو عمر ألف سنة ، واكتفى فيها بمشاهداته واختباراته الخاصة لما استطاع ان يحيط علما بما وصل اليه الانسان بتعاقب الازمنة واختلاف الديار ، فهو مضطر لذلك الى انارة بصيرته بعلوم الغير] . وتلك هى الطريقة المثلى التى يجب ان يمشى على هديها المسلمون فى العصر الحديث وبصفة خاصة الدول النامية حتى تستطيع اللحاق بركب الحضارة وان تبدأ من حيث انتهى غيرها . كما أنه دعا الى ان يكون الطبيب حكيما فى تصرفاته وفى علاجه للمريض ولا ينفذ مافى الكتب بالحرف الواحد دون النظر الى طبيعة المريض . فقال : [العلاج حسب نصوص الكتب دون أعمال الفكر خطر] كما يقول [عليكم بما أجمع عليه الاطباء ، وشهد عليه القياس ، وأيدته التجربة وينبغى على طالب الطب ان يواصل زيارة دور العلاج وان يوجه انتباها لايفتر الى أحوال المرضى والاعراض الظاهرة عليهم ، ذاكرا ماقرأه عن هذه الاعراض فى الكتب ، وعليه ان يكون أثناء تلك الزيارات فى صحبة أعظم أساتذة الطب ذكاء] . وكان يقوم بالدروس العملية للطلبة لتعليمهم تشخيص الامراض وعلاجها . واكتشف حالة المريض النفسية وأثرها فى سرعة شفائه .

فقال : [من واجب الطبيب ان يوهم المريض ان صحته جيدة ، وأن الشفاء قريب ، وان لم يثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لاخلاق النفس] كما قال : [اذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة وسرعة الشفاء] .

وهو اول من أظهر الاختلاف بين الجدرى والحصبة بالرغم من ان المرضان يتشابهان فى أطوارهما الاولى .

وهو أولَ منَ كتب عنَ حصى الكلى والمثانة واعراضهما وعلاجهما . كماعالج الحمى بالماء البارد وهذا له تأثير فى تخفيض درجة الحرارة عن مخفضات الحرارة الكيميائية .

وقد أدخل الطب التجريبى بأن جرب تأثير الدواء على حيوانات التجارب وبخاصة القرد قبل تجربتها على الانسان وهذا النوع من الطب له أهميته القصوى فى الطب الحديث بالنسبة للعقاقير المكتشفة حديثا .

وقد بلغ عدد الكتب التى ألفها فى الطب ٢٢٩ كتابا ترجمت الى معظم اللغات العالمية وقاموا بتدريسها فى مختلف انحاء العالم .

كما روى عنه أنه كان يعالج الفقراء مجانا ويشترى لهم الدواء .

[٢] ابن سينا : — [وهو أبو على الحسين بن عبدالله بن سينا المعروف بالرئيس] ولد قبل بداية القرن العاشر الميلادى بسنوات ، وأصله فارس من بخارى وقد حفظ القرآن وتفقه فى أحكامه ثم اتجه الى دراسة الطب وبرع فيه وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره . وقد اشتهر بمعالجة الامراء فى مختلف بلاد العرب . وذلك لنبوغه ونجاحه . وهو أول من أكتشف ان الاضطرابات النفسية تصيب المعدة بالقرحة وهذا ما أثبته الطب الحديث من أن الاضطرابات النفسية تزيد من حموضة المعدة وبالتالى تؤدى الى تقرحها .

كما أنه أكتشف الدورة الدموية فى الانسان قبل [وليم هارفى] بستمائة سنة . وآراء ابن سينا عن السرطان مضبوطة كل الضبط ولا يسع ان ينكر أهميتها أحد بالنسبة للطب الحديث فاذا كان السرطان باطنيا فانه ينمو بطيئا ولا فائدة من العلاج عند ذلك اذ يعمل على الاسراع بموت المريض أما السرطان الظاهرى ففى الامكان انقاذ المريض اذا كان الورم صغيرا واستئصل مبكرا .

كما أنه أول من أكتشف مرض [الرهقان] والدودة المسببة له المسماه [بالانكلستوما] ويروى عنه أنه عالج بعض الامراض النفسية بطرق حديثة .

ومؤلفاته كثيرة ويفوق عددها المائة فى الطب وحده .

ويعد كتابه [القانون] من أكبر الموسوعات الطبية التى عرفها التاريخ ففيه كل مايتعلق بالطب والامراض وطرق علاجها وهو يتكون من خمسة أجزاء : الاول فى التشريح وعلم وظائف الاعضاء ، والثانى مايجب معرفته من أمر الطب ، والثالث الجزء العملى الحافظ على الصحة ، والرابع الجزء العملى المعيد للصحة والخامس الادوية المركبة وهى الاقر باذين .وقد قال عنه [السيرويليام اوسلى] : انه كان الانجيل الطبى لاطول مدة من الزمن .

« البقية ص ٢٢٠ »

الإسلام وعلاج المرضى ورعايتهم

نزل الوحى على النبى عليه الصلاة والسلام فنزلت آيات القرآن تحيط بكل مجالات الحياة فى الدنيا والاخرة علما. ويجد كل قارىء للقرآن فى آياته العلم والحكمة مهما اختلفت ثقافته أو جنسيته ولكن لا يستطيع أى مفسر أن يقول انه أحاط بكل مفاهيم القرآن اذ كلما تقدم العلم كلما انكشف المزيد من أسرار القرآن ومراميه التى تساير كل عصر وزمان وانا لنجد أن الدين والعلم دائما يتفقان مهما تطور العلم ومهما مر الزمان .

الدكتور أحمد حلمى محمود

نزل القرآن من عند الله الرحمن الرحيم وهو يريد لعباده الخير وهو بهم رءوف رحيم ومن يقنط من رحمة الله الا الضالون ولم يكن الله ليتركهم ليشقوا بل أرسل آياته بالهدى ليهدى الناس الى طريق السعادة ويجعلهم ينعمون بالحياة الهانئة فى ظل أحكام الدين والشريعة ولكى يقوموا بواجباتهم نحو خالقهم ونحو اخوانهم وليؤدوا واجبات احكام دينهم وعبادتهم فنزلت الايات توجه العباد الى مافيه صلاحهم وخيرهم والى مافيه أيضا تقوية أجسامهم وأرواحهم فمن الخير أن يكون العباد متمتعين بصحة جيدة لتمكنهم من القيام بعباداتهم ارضاء لخالقهم وذخيرة لاخرتهم كما تمكنهم من السعى فى الارض طلبا للرزق فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وتقتضى تحقيق متطلبات الدين والدنيا ان يكون المرء قوى الصحة حتى يقدر على قضاء أموره والحصول على عيشه والدفاع عن دينه ومقدساته ومحاربة الخارجين اعداء الله ويقول الله جلت قدرته « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » كما يقول أيضا « ان خير من استأجرت القوى الامين » .

وعندما يصيب المرض الانسان تعتل صحته وتضعف قوته ويعجز عن أداء واجباته وعندئذ وجب علاجه من المرض حتى يأذن الله ليعود الى حالته الطبيعية فيقوم بنشاطاته الواجبة عليه والله هو الذى يأمر بالشفاء واذا أراده لعبده وجهه الى طريقه عن طريق الطبيب أو الدواء . يقول تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض » وقال أيضا « واذا مرضت فهو يشفين » صدق الله العظيم .

وقد وضع الله فى الانسان أعضاء الحس ليشعر بما يدور فى جسمه وما يصيب بدنه من تعب أو ألم وقد سعى الانسان وراء العلاج منذ أن عرف الالم وأحس به « ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا » . وكان الانسان فى بحثه عن العلاج يهدف الى تخليص جسمه من مسببات المرض ليعود به الى الحالة الطبيعية ويؤدى ما عليه من أعباء وواجبات والمعروف أن العقل السليم لا يوجد الا فى الجسم السليم .

وقد بلغ من حرص الاسلام على صحة الاجسام أن أباح للمرضى الفطر فى رمضان قال تعالى « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » فنرى الدين السمح قد أوجب على المريض الفطر اذا كان الصوم يؤخر شفاءه .

وكذلك أباح الاسلام للمريض الصلاة فى جلوس أو اضطجاع أو ايماء فتجاوز له عن القيام والقعود بل واكتفى فى حالة المرض الشديد بحركة الرأس والعين لاداء الصلاة وقال تعالى « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » كما قال « ولا على المريض حرج » . كما أباح التيمم بدل الوضوء أن تعذر استعمال الماء لمقتضيات مرضية فقال تعالى « وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » .

كذلك حرص الاسلام على أن ينال المريض راحته حتى فى أحلك الظروف وفى وقت الجهاد اذ قال تعالى « ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم » وان الله يحب أن تؤتى رخصه

ودعا النبى الى التداوى والبحث عن العلاج فقد ورد فى الحديث الشريف « يا عباد الله تداووا فان الله لم يدع داء الا ووضع له شفاء » وفى حديث آخر ان الله لم ينزل داء الا أنزل له دواء » . وقد ذكر القرآن كيف جعل الله عيسى عليه السلام يعالج المرضى فيقول تعالى « وتبرىء الاكمه والابرص باذنى » كما قال جلت قدرته « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين» « قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » .

والله يهدى الى طرق العلاج والشفاء رحمة منه بعباده « ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا » وأصر القرآن الكريم على أن يعنى الانسان بنفسه ولا يهمل فيها « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

وقد خلق الله أشياء كثيرة فيها الشفاء من الامراض وحث عباده على البحث عن أسرار العلاج مادام لكل داء شفاء كما ذكر فى الحديث الشريف . ونرى ذلك واضحا فى ما أمر الله به مريم لما جاءها المخاض « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » فاراد الله برحمته أن يزيد نشاط مريم فى ولادتها بالطاقة التى تحصل عليها من سكريات البلح ثم تستفيد من البلح بما فيه من مواد ثبت أنها تقوى انقباضات عضلات الرحم فتسهل الولادة .

كما جعل الله من عسل النحل علاجا لبعض الامراض فقال تعالى « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » وها نحن نرى العلماء الان يتحدثون كثيرا عن عسل النحل وما فيه من مواد غذائية توفر الطاقة والنشاط للجسم كما يحتوى العسل على فيتامينات تحفظ على الجسم صحته وتزيد مقاومة أعضائه للامراض كما أن العسل ينشط الكبد وتستعمله شركات الادوية فى انتاج بعض مستحضرات التجميل لما له من تأثير مفيد على البشرة وفى تحضير أقراص مركزة منه تزيد من نشاط الجسم

وأن فى التشريعات الدينية نفتحصها علاج لكثير من الامراض فالصوم وهو احد اركان الدين علاج ناجح فى علاج اضطرابات المعدة والامعاء وارتفاع الضغط يوصى به الاطباء عند العلاج ويؤيد ذلك قول رسول الله « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان ربهم يطعمهم ويسقيهم » كما قال الله « وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » ·

كما ان الصلاة فى حركاتها وسجداتها نوع من الرياضة والتدريب الايجابى للعضلات والمفاصل تشد من قوتها وتزيد من قدراتها ·

ولم يجبر الاسلام المريض على اداء العبادات بخطواتها وحركاتها كلها كاملة سواء فى صلاته او صيامه او حجه · وقد حدث مرة أن رأى رسول الله رجلا طاعنا فى السن يمشى فى ضعف مستندا الى ولديه فسأل الرسول عن امره فقيل له انه نذر أن يحج ماشيا على قدميه فقال رسول الله وقد رأى ضعفه « ان الله غنى عن تعذيب هذا نفسه احملوه » فحملوه على بعير ·

وفى الحقيقة اننا نجد الاسلام دائما يطلب الاعتدال فى كل شىء فلا يؤيد الارهاق ولا الاسراف يقول تعالى«وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » وجاء فى الحديث « اياكم والغلو فى الدين فانما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين » ·

فالدين الاسلامى اذن يوصى برعاية المرضى الرعاية الكاملة الى أن يشفوا بتأثير ما ييسره الله لهم من طرق العلاج تختلف بين كل زمان ومكان ومع تطور العلوم والمعارف وقد ذكرت أحاديث كثيرة عن رسول الله تشير الى طرق العلاج التى كان يمكن استعمالها فى ذلك الوقت فيقول الرسول فى أحد الاحاديث « الشفاء فى ثلاثة : شربة عسل وشرطة محجم وكية نار » ولكنه نهى عن الحجامه بعد الخمسين مراعاة لمرحلة هذا السن فيقول « اذا بلغ الرجل من أمتى الخمسين سنة فليكل الحجامة » وقد كانت الحجامة حتى وقت قريب وسيلة متبعة لعلاج بعض الامراض وكان العلم قاصرا عن غيرها الى أن استبدلها الطب الحديث بالعقاقير الموسعة للشرايين والمنظمة لضربات القلب والمخفضة لارتفاع ضغط الدم ·

كما أن النبى نصح باستعمال [السنا] علاجا للامساك وما زالت خلاصة هذا النبات تستعمل حتى الان وفى ظل العلم الحديث وقد روى الترمذى عن أسماء بنت عميس أن رسول الله سألها «بماذا كنت تستمشين » قالت بالشبرم فقال لها رسول الله « حار استمشين بالسنا لو كان شىء يشفى من الموت لكان السنا » كذلك كان النبى يعالج الصداع بتغليف الرأس بالحناء وينصح بعلاج مرض ذات الجنب بالقسط البحرى والزيت · وكان النبى كذلك يقول « عليكم بألبان البقر فانها ترم من كل الشجر » وكما ورد فى الحديث « عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعة أشفية » وكذلك ورد فى الحديث « كلوا الزيت وادهنوا به » ويثبت العلم الان أن الزيوت النباتية لها دورها فى مقاومة تصلب الشرايين وتدخل فى تركيب علاجات الامراض الجلدية ·

وقد أحاطت رحمة الله بالانسان فى جميع مراحل حياته وفى ضعفه وفى قوته وفى مرضه وصحته وفى طفولته وشيخوخته فخلق للطفل الوليد لبنا يرضعه من أمه « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يتم الرضاعة » وقد اثبت الطب الحديث أن الرضاعة بلبن الام تقى الطفل من الاصابة بالامراض وتجنبه الكثير من المضاعفات والاعراض التى قد تنتقل مع الالبان الصناعية ·

كما أوصى الاسلام بالحوامل قال تعالى « وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن » وبذلك يعترف الاسلام بان الحامل تمر بفترة تحتاج فيها الى الرعاية والعناية لما يسببه لها الحمل من ضعف « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن » ·

وكذلك كان الاسلام يدرك ما قد يصيب المرأة وزوجها أثناء حيضها وتعتبر الحائض فعلا فى حالة غير طبيعية تستدعى الراحة وعدم تعريضها لما يؤذيها قال تعالى « ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض » ·

كل هذا يظهر لنا بوضوح أن الاسلام أوجب العناية بالمرضى والضعفاء حتى يبرؤوا من عللهم وذلك طبعا بعلاجهم بما هو فى متناول الانسان حسب امكانيات عصره وزمانه وهو يتطور بتطور الزمان والعصر · والاسلام فى ذلك يهدف الى الرحمة بالانسان والى اسعاد البشر فيكونوا عبادا قادرين على السير فى طريق الخير والصلاح ينعمون بما أتاهم الله من فضله ومن نعمه يتراحمون ويتعاطفون ينقذون المريض والضعيف والمسن ·

وهكذا نرى الاسلام دين الرحمة يرعى ابن آدم فى جميع أطواره وظروف حياته وأن الله الرحمن الرحيم يشمل عباده برحمته ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والله يستجيب دعوة الداعى المؤمن « فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » وقال تعالى « وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » صدق الله العظيم

بقية مقال « شذرات من تاريخ الطب فى الاسلام »

وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة اللاتينية وقاموا بتدريسه فى مختلف كليات الطب وهو يعتبر من المراجع الطبية .

وقد كتب أيضا كتابا بعنوان [الشفاء] ويعتبر أحد أئمة الفلسفة وله شأنه فى وضع نظريات علم الكيمياء .

[٣] ابن رشد : ــ [وهو أبو الوليد محمد بن رشد] .

ولد فى القرن الحادى عشر الميلادى ، وقد قسم دراسة الطب الى الاقسام التى ندرسها الان : دراسة أعضاء الانسان ، تعريف الصحة وأنواعها ، المرض وأنواعه وأعراضه ، العلامات الصحية والمرضية ، الاغذية والادوية ، الوجه فى حفظ الصحة ، الحيلة فى ازالة المرض».

وقد عرف الطب فى مقدمة كتابه [الكليات] فقال : [ان صناعة الطب هى صناعة فاعلة عن مبادىء صادقة يلتمس بها حفظ بدن الانسان وابطال المرض ، وذلك باقصى مايمكن فى واحد من الابدان ، فان هذه الصناعة ليست غايتها ان تبرىء ولابد ، بل ان تفعل مايجب بالمقدار الذى يجب ، وفى الوقت الذى يجب ، ثم تنتظر فى حصول غايتها كالحال فى صناعة الملاحة وقود الجيش] .

وفى قوله : [الرياضة المعتدلة فعلها بالجملة تنمية الروح الغريزية وتدفع الفضول عن آلات الغذاء وتحليلها ، وتطيب الاعضاء نفسها ، وهى فى هذا المعنى أفضل شىء تنمى به الحرارة] بين أثر الرياضة فى تحقيق صحة وسلامة الابدان وقد سبق الطب الحديث فى اكتشاف ذلك . وله مؤلفات عديدة فى الصحة الغذائية وبين فوائد الاصناف المختلفة من الخضروات والفاكهة والحبوب والبقول وبين مضار تعاطيها باسراف كما وأن له مؤلفات فى طب الاطفال .

ومن أقواله : [من اشتغل بعلم التشريح فقد ازداد ايمانه بالله] .

وبعد فهذه لمحة عابرة عن بعض ما فعله علماء المسلمين فى سبيل رفعة شأن الطب والمسلمين ، ويجب علينا ان ناخذ منهم القدوة الحسنة وأن نعيد أمجادهم وذلك بالجد والمثابرة والاقبال على الدرس والتحصيل ومتابعة ما يجرى فى العالم من اكتشافات وأهم من هذا وذلك : بايماننا بالله رب السموات والارض ليضيء لنا طريقنا الى العلم والهداية

شخصيات إسلامية

إبراهيم
عليه السلام

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : ١

[واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين] .

جرت سنة الله فى خلقه أن يختار أنبياءه من صفوة خلقه وأن يعدهم اعدادا خاصا يتناسب مع المهمة الجليلة التى اصطفاهم من أجلها من دعوة الخلق الى الخالق وتوحيد المولى وعبادته حق عبادته وتقديره حق قدره [**الله أعلم حيث يجعل رسالته**] ومع سمو هذه المهمة فقد ابتلاهم واختبرهم ابتلاهم بأوامر ونواهى آلهية فابتلى آدم ابا البشر بأوامر ونواهى [**وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**] وكانت المعصية بمخالفة امر الله والاقتراب من الشجرة والاكل منها وتجلت رحمة الله به [**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**] كلمات هى دعوات وتضرع وانابة الى الله واستغفار ولياذ برحمته آلهمه الله اياها فضلا منه واحسانا نرجع الى الله بها وهى كما ورد فى القرآن الكريم [**ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**] كلمات هى ذكر فتجلو القلوب وتذيب ما علق بها حتى تغدو مهيأة لتقبل وحى الله تلك الادعية والكلمات كما أمدت روح آدم بالتوبة الصادقة الخالصة أعدت كذلك روح ابراهيم عليه السلام لتحمل اعباء الرسالة وتقبل التزاماتها وتكاليفها وقد ابتلى الله ابراهيم عليه السلام بكلمات ككلمات آدم هى دعوات وذكر وابتهال الى الله واختبار فاتمهن فتأمل فى معانيها وعاش فيها وشغل قلبه ووجدانه بها حتى تمكنت من قلبه فأمدته بطاقات آلهية دفعته الى تحمل الرسالة وتحمل كل ما وجد من عنت وشدائد من قومه وأهله وفى هذا المقام يقول ابن كثير اذكر يا محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين يتبعونا ملة ابرهيم ونيسوا عليها اذكر لهؤلاء ابتلاء الله ابراهيم اى اختياره له بما كلفه له من الاوامر والنواهى فاتمهن وقام بهن كلهن كما قال تعالى [**وابراهيم الذى وفى**] اى وفى جميع ما شرع له فعمل به . ولقد قام ابراهيم أبو الانبياء وجد نبيا عليه السلام بالرسالة فدعا وهدى وارشد وبشر ووجه واقام أدلة وضاءة ترشد الى الفوز الى الحق والله هو الحق المبين .

وقد ذكر ابن عباس كثيرا من الاختبارات والمحن التى صادفها ابراهيم عليه السلام فى نشر دعوة التوحيد بين محافل الشرك والوثنية وهكذا كل داعيه الى الله عليه أن يثبت ويصبر ويثابر حتى يخرج من ظلمات الشرك والجهالة الى نور العلم والمعرفة والايمان . . والعاقبة للمتقين .

يقول ابن عباس الكلمات التى ابتلى الله بهن ابراهيم فاتمهن فراق قومه فى الله حين أمر بمفارقتهم ومحاجته نمروز فى الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الامر الذى فيه خلافه ، وصبره على قذفه اياه فى النار ليحرقوه فى الله على هول ذلك من امرهم والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده فى الله حين أمره بالخروج عنهم وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله وما ابتلى به من ذبح ابنه حين أمره بذبحه فلما مضى على ذلك من الله كله وأخلصه البلاء قال الله له أسلم [قال اسلمت لرب العالمين] .

لهذا الوفاء ولهذا الصبر على البلاء وثباته الى أن ادى الرسالة خير أداء مدحه الله سبحانه وتعالى فقال « **ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وأتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الاخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** » .

ولا غرو ان كان الدين الاسلامى امتدادا لدعوة ابراهيم عليه السلام الى التوحيد والى عبادة الله حق عبادته تنوت لله وتوحيد للمولى وشكر لانعمه وهداية الى صراط مستقيم [**قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين**]

« **البقيـة ص ٢٢٧** »

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها

الأستاذ توفيق أبو علم

ويتضح من الرواية الرابعة وضع قوله : « وعندك ابنته ، ولو زوجتك لقبضها ذلك » ان الخطبة لابنته كانت فى حياة الزهراء كما هو واضح .

ومن المعلوم أن عمر بن مخرمة كان عند وفاة الرسول ابن ثمانى سنين كما سيتضح بعد قليل من ملخص حياته .

وأن الزهراء عاشت بعد ابيها ستة أشهر على أشهر الروايات فيكون عمر بطل الروايات المغوار ثمانى سنين وستة أشهر ، فمتى تزوج المسور ومتى ولدت له بنت وقد خطبها الامام »

لاشك أن ابن مخرمة لم يتحدث عن هذه الخطبة في حياة الإمام ، وانما تحدث عنها بعد سنين وسنين فى وقت قد ضاع الحساب على الناس ، وما عرف ابن مخرمة ، أنا سنقف له بالمرصاد - بعون الله - بعد ألف ومئات من السنين .

وقد تسور ابن مخرمة على قدسى مقام الزهراء عليها السلام اذ قال ناسبا الى النبى انه قال : « ان فاطمه منى ، وأنا أتخوف أن تفتتن فى دينها » وهذا واضح بأنه ليس مما يتفوه به النبى الكريم وهو القائل بأنها سيدة نساء العالمين ، ومن كانت بهذه المنزلة فكيف يتخوف عليها ان تفتتن فى دينها ؟ !

ثم هناك شىء آخر يوضح لنا افتعال هذه الاقوال ، فان المسور يدعى أن الرسول كان يعلن هذه الاقوال على اعواد المنبر ، فلو صحت لنقلها غيره ممن حضر ، مع العلم ان المسور قد انفرد بالنقل ، ولم تنقل عن غيره ممن كان منحرفا عن الامام .

وترجمة حياة المسور تعطى ضوءا كاشفا عن بعده عن الامام وقربه من اعدائه مما يقرب الى الذهن وضع هده الاقوال .

ونستخلص من ترجمته فى [الاستيعاب] والاصابة عدة أمور :

١ - المسور ابن أخت عبد الرحمن بن عوف ، وأنه لم يزل مع خاله هذا مقبلا ومدبرا فى أمور الشورى وعبد الرحمن موقفه من الامام فى الشورى معلوم وابن أخته على شاكلته .

٢ - قبض النبى صلى الله عليه وسلم والمسور ابن ثمانى سنين « وانه بعد الهجرة ولد بسنتين » (٥)

٣ - يقول فى الاستيعاب : « وكان المسور لفضله ودينه وحسن رأيه تغشاه الخوارج وتعظمه وتنقل رأيه » .

٤ - ويقول فى [الاصابة] : « وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالى الشورى وحفظ عنه أشياء ، ثم كان مع ابن الزبير فلما كان الحصار الاول أصابه حجر من حجارة المنجنيق فمات » (٥)

٥ - يقول فى [الاصابة] : « واخرج البغوى من طريق ام بكر بنت المسور عن أبيها يقول : « من بنى يهودى والنبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ وأنا خلفه

فرفع ثوبه فاذا خاتم النبوة فى ظهره فقال لى اليهودى ارفع رداءه عن ظهره فذهبت افعل فنضح فى وجهى كفا من ماء».

٦ – ويقول فى [الاصابة] : « ومن طريق عثمان ابن حكيم عن أبى امامة بن سهل عن المسور اقبلت بحجر احمله ثقيل وعلى ازار خفيف فانحل فلم استطع ان اضع الحجر حتى بلغت به موضعه .فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم ارجع الى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة » . فالمسور كان حين روايته لهذه الاحاديث صغير السن لا تتجاوز سنه ثمانى سنين حين وفاة النبى ، وهو فى هذه السن لا يعرف مواقع الكلام ، ويدل على قلة ادراكه مشيه عاريا بدون ازار كما يحدث هو عن نفسه ، وكذلك اقدامه على رفع ثوب رسول الله ممتثلا قول يهودى أمره بذلك ، وقوله « فرفع ثوبه فاذا خاتم النبوة فى ظهره » كذب صريح لان خاتم النبوة على الكتف الايمن مما قام الاجماع عليه .

ثم قوله سمعت رسول الله يخطب على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم كذب آخر ، فان سنه كانت باتفاق المؤرخين ثمانى سنين عند وفاة النبى فلا يمكن احتلامه فى هذه السن .

وقد تاول بعضهم قوله – وأنا محتلم – قال فى [الاصابة] : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وانا محتلم » يدل على أنه ولد قبل الهجرة ، ولكنهم أطبقوا على أنه ولد بعدها ، وقد تاول بعضهم أن قوله محتلم من الحلم بالكسر ، لا من الحلم بالضم ، يريد أنه كان عاقلا ضابطا لما يتحمله ، وهذا خطأ لان لفظ محتلم لم يؤخذ من حلم وانما أخذ من احتلم كما هو واضح ، واحتلم معناه ادرك وبلغ مبلغ الرجال .

على أنه لو سلمنا أنه اراد من قوله [محتلم] العقل والضبط فانا نقول أن ابداء سوءته واقدامه على رفع ثوب الرسول يدل على غباوته ، وضعف ادراكه ، وأنه لا يعى ما يقال له أو يقول .

أضف الى ذلك أن سيرته توقفه موقف المتهم فى كل ما يحدث أو يقول حول الامام عليه السلام فقد كان ملازما لخاله عبد الرحمن كما عرفت ، ولازم بعده ابن الزبير ، وابن الزبير قد أثر على أبيه فحوله من صديق للامام ملازم الى عدو مقاوم فما ظنك بالمسور وهو رفيقه وقرينه .

ثم لازم الخوارج المسور ، تغشاه ، وتعمل بآرائه ، كما ترى من تصريح ابن عبد البر وهل تثق به الا لهذه الاقوال التى تدل بوضوح على انحرافه عن اهل البيت عليهم السلام ، فان هذه الاقوال التى زعمها كانت فى الواقع خارجة كلها عن المعقول ، وهى مسيئة كل الاساءة للرسول صلى الله عليه وسلم وللامام على والزهراء البتول .

انقشعت السحابة التى ظللت أفق الزهراء حينا لا نحدد مداه ، وعاد البيت أصفى جوا مما كان قبل أن يمتحن بتلك التجربة القاسية ، ومضت الحياة تسير بالزوجين الكريمين على مايرجوان من تعاون ومودة ، فاطمة فى الدار تقوم على خدمة زوجها ما وسعها الجهد ، وتتخلص شيئا فشيئا مما كان يعتادها من شجن وانقباض ، وعلى الى جانبها يبذل لها من الحدب والرعاية ما يعينها على مشقة العيش الكادح فى جو المدينة الذى لم تسعفها صحتها على أن تالفه بسرعه كما الفه كثير من المهاجرين ، ويحاول قدر ما أطاق أن يترفق بها ، ويروض نفسه على شىء من اللين واليسر .

بلاغتها وفصاحتها :

أوتيت الزهراء ، رضى الله عنها ، كسائر أهل البيت حظا عظيما من الفصاحة والبلاغة فكلامها متناسب الفقرات ، متشاكل الاطراف ، تملك القلوب بمعانيه ، وتجتذب النفوس بمحكم أدائه ومبانيه ، فهى فى البيان من اغزر القوم مادة ، واطولهم باعا ، وامضاهم سليقة ، واسرعهم خاطرا ، وانه ليبين ذلك خاصة فى خطبتها وكلامها فى بيعة أبى بكر رضى الله عنه وكلامها معه بشأن « فدك » .

وفى كتاب بلاغات النساء قال الامام أبو الفضل أحمد بن طاهر : « لما اجتمع ابو بكر رضى الله عنه على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم « فدك » وبلغ ذلك فاطمة لاثت خمارها على راسها واقبلت فى لمة من حفدتها تطأ ذيولها ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، حتى دخلت على أبى بكر ، وهو فى حشد من المهاجرين والانصار ، فنيطت دونها ملاءة ، ثم أنت أنة اجهش القوم لها بالبكاء وارتج المجلس ، فأمهلت حتى سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم ، فافتتحت الكلام بحمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاد القوم فى بكائهم ، فلما امسكوا عادت فى كلامها فقالت :

الحمد لله على ما انعم ، وله الشكر على ما الهم ، والثناء بما قدم ، من عموم نعم ابتداها ، وسبوغ آلاء اسداها ، وتمام نعم والاها ، جم عن الاحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الادراك أبدها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها ، واستحمد الى الخلائق بأجزالها ، وثنى بالندب الى امثالها ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الاخلاص تأويلها ، وضمن القلوب موصولها ، وأنار فى التفكير معقولها ، الممتنع من الابصار رؤيته ، ومن الالسن صفته ، ومن الاوهام كيفيته ، ابتدع الاشياء لا من شىء كان قبلها ، وانشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها ، كونها بقدرته ، وذراها بمشيئته ، من غير حاجة منه الى تكوينها ، ولا فائدة له فى تصويرها ، الا تثبيتا لحكمته ، وتنبيها الى طاعته ، واظهار لقدرته ، وتعبدا لبريته ، واعزازا لدعوته ، ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، زيادة لعباده على نقمته ، وحياشة لهم الى جنته ، وأشهد أن أبى محمدا عبده ورسوله ، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله ، وسماه قبل أن

اجتباه ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، اذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الاهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونه ، علما من الله تعالى بمآل الامور ، واحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع المقدور ، ابتعثه الله تعالى اتماما لامره ، وعزيمة على امضاء حكمه ، وانفاذا لمقادير حتمه ، فرأى الامم فرقا فى أديانها ، عكفا على نيرانها ، عابدة لاوثانها ، منكرة لله مع عرفانها ، فانار الله تعالى بأبى محمد صلى الله عليه وسلم ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها ، وجلى عن الابصار غممها ، وقام فى الناس بالهداية ، وأنقذهم من الغواية وبصرهم من العماية ، وهداهم الى الدين القويم ، ودعاهم الى الصراط المستقيم ، ثم قبضه الله اليه قبض رافة واختيار ، ورغبة وايثار ، فمحمد صلى الله عليه وسلم عن تعب هذه الدار فى راحة ، قد حف بالملائكة الابرار ، ورضوان الرب الغفار ، ومجاورة الملك الجبار ، صلى الله على أبى نبيه ، وأمينه على وحيه وصفيه ، وخيرته من الخلق ورضيه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته . [ثم التفتت الى أهل المجلس وقالت : [أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم ، وبلغاؤه الى الامم ، وزعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه اليكم ، وبقية استخلفها عليكم ، كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بينة بصائره ، منكشفة سرائره ، متجلية ظواهره ، مغتبط به أشياعه ، قائد الى الرضوان أتباعه ، مؤد الى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنورة ، وعزائمه المفسرة ، ومحارمه المحذرة ، وبيناته الجالية ، وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة ، فجعل الله الايمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ، ونماء فى الرزق ، والصيام تثبيتا للاخلاص ، والحج تشييدا للدين ، والعدل تنسيقا للقلوب ، وطاعتنا نظاما للملة ، وأمامتنا أمانا من الفرقة ، والجهاد عزا للاسلام ، وذلا لاهل الكفر والنفاق ، والصبر معونة على استيجاب الاجر ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر مصلحة للعامة ، وبر الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الارحام نسأة فى العمر ، والقصاص حقنا للدماء ، والوفاء بالنذر تعويضا للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغييرا للبخس ، والنهى عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس ، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة ، وترك السرقة ايجابا للعفة وحرم الله الشرك اخلاصا له بالربوبية ، [**اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون**] ، وأطيعوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه [**انما يخشى الله من عباده العلماء**] .

١٥ مايو موعدك مع
سحب توفير
بنك مصر
ذو الجوائز
بمزاياها الجديدة والتى تنفرد بها دون أوعية الإدخار الأخرى

٥٠٠٠ جنيه	جائزة أولى
١٠٠٠ جنيه	جائزة ثانية
١٤٤	جائزة مالية أخرى

٧ سحوبات فى السنة
ويسر البنك أن يرفع سعر الفائدة إلى ٤٪
وزيادة الحد الأقصى لودائع كل دفتر إلى ١٠٠٠٠ جـ
تقاليد وخبرة العمل المصرفى على أرقى مستوى
يجرى السحب علناً بمؤسسة الأهرام
بشارع الجلاء بالقاهرة

عوف بن الحارث إبن رفاعة

قاتل حاسراً حتى استشهد

الأستاذ عبد المنعم حسن الأيفرى

الايمان يوصل الى الشجاعة ، والشجاعة تسلم الى التضحية ، وبالتضحية تنصر القيم الخالدة ، ولابد لنصر القيم الخالدة من حماة يذودون عنها ويسترخصون فى سبيلها كل مرتخص وغال .. يسترخصون من اجلها الروح والولد والمال ، وكل ما تعنيه الحياة ، مما يراه الناس ثمينا وهو فى حقيقته رخيص .

وهذا الدين القيم — الاسلام — الذى ارتضاه الله تبارك وتعالى لعباده دينا ، ان الدين عند الله الاسلام لم ينتصر الا بحماتة الذين جادوا بانفسهم من اجل بقائه والتمكين له فى الارض والجود بالنفس غاية الجود ، لانه لاوجود بعده يبذله الانسان من أجل هدفه الاسمى .

وهذا واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باع نفسه لله بالصدق والحق ، واحد ممن اقاموا الدين ونشروا لواءه فى الخافقين وأذلوا الشرك والمشركين وغمسوا انوفهم فى ارغام وأذاقوهم وبال أمرهم استجابة لامر الله وتنفيذا لتعاليمه

انه عوف بن الحارث بن رفاعة .. انه ذلك الرجل العظيم الذى تضن الحياة بمثله ، لانه ذهب فريدا فى الجودوالباس روى عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال: لما التقى الناس يوم بدر قال عوف : يارسول الله مايضحك الرب من عبده ؟ .. قال : أن يراه قد غمس يده فى القتال يقاتل حاسرا ، فنزع عوف درعه ثم تقدم فقاتل حتى قتل شهيدا رضى الله عنه .

ان الايمان قد ملك على عوف كل جوانب نفسه ، والا لما قاتل حاسرا .. ان الايمان قد امتزج بنفسه وروحه ، والا لما أقدم على منازلة الرجال من المشركين دون أن يحتمى وراء درعه .. انه ساعتئذ خرج لبدر : كان يعيش الاستشهاد قبل وقوعه ، لهذا فهو قد شارك فى اللقاء والمواجهة بتصميم كانه عواصف الطبيعة التى تقتلع الاشجار وتدك المعاقل وتهدم الحصون المنيعة ، لاتصدها عن وجهتها حدود ولا سدود ولا قيود .

ان عوفا بتوجيه من مشاعره وصدق يقينه واستجابة لامر الله ودأب فى طاعته يريد أن يعرف من الرسول المعلم المبجل الذى يرضى الله عند الجهاد : ما يضحك الرب من عبده ؟ فيجيبه الرسول عليه الصلاة والسلام ان يبيع نفسه لله ، فينزع عوف درعه ، ثم يتقدم بدونها فيستشهد ، وقد يقال انه لاباس من لبس الدرع فى الحرب ، وهذا صحيح ، ولكن اذا رأى المؤمن المقاتل ان يخلص للمعركة فى خفة ، وان من مصلحته ان يتخفف من كل ما يثقله فلا حرج ، والتقدير هنا متروك له وهنا نحن أولاء اليوم نرى ان المقاتلين الذين يذودون عن أوطانهم ، قد يتركون فى بعض اللحظات دباباتهم وخنادقهم ليباشروا القتال بالسلاح الابيض مثلا ، فحتى فى الحروب الحديثة التى تعتمد على الالكترونيات ، نجد الجند فى

لحظة من اللحظات يتركونها ويستخدمون الايدى فى القتال .

ان الاسلام وجد فى أصحابه كل عوامل انتصاره وان أصحابه وجدوا فيه وجودهم الذاتى وكيانهم الذى لايزول ، فالاسلام كان قبل ظهوره مستكنا فى العرب ، ولهذا بعث الله خير الرسل منهم ، وهيأهم لتأييده ونصرته ، وقد كان .

ولهذا لعلك لا تعجب اذا ذكرناك بان لعوف هذا أخوين شقيقين اشتركا معه فى اول مواجهة بين الايمان والكفر . أول مواجهة كانت الباب الواسع العريض لاستمرار دعوة الحق ، دعوة الاسلام الى يوم القيامة .. ان اخويه هذين اللذين اشتركا فى بدر هما : معوذ ومعاذ وقد استشهد معوذ فى بدر ايضا وبايعا الرسول عليه الصلاة والسلام فى العقبة الاولى من بنى النجار ،وحضر البيعة الكبرى اخوه معاذ .

ومن قبل هذا — كما يقول ابن عبد البر فى الدرر فى اختصار المغازى والسير ، فقد شهد عوف بن الحارث العقبة الثانية وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى أن عوفا يجعل فى الستة النفر الذين اسلموا أول من أسلم من الانصار بمكة ، وشهد العقبتين الاولى والثانية الكبرى فى رواية محمد بن عمر ، وفى رواية محمد ابن اسحاق شهد العقبة الاخرة مع البيعة من الانصار .

وذكر ابن سعد أن عوفا شهد بدرا هو وأخواه معاذ ومعوذ فى رواية ابى معشر ومحمد بن عمر وعبد الله بن محمد ابن عمارة الانصارى .

وكان محمد بن اسحاق يزيد فيهم — اخوه عوف — ، واحدا فيجعلهم اربعة أخوة شهدوا بدرا يضم اليهم رفاعة بن الحارث بن رفاعة .

ان مشاركة أربعة اخوة فى حرب أعداء الله ، تدل أصدق الدلالة واوكدها على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان لديهم استعداد فطرى لتقبل الدعوة الجديدة والمكافحة دونها والكفاح من أجل استمرار بقائها .

وقد يكون من الجائز فيما تعارف عليه الناس فى كل زمان ومكان ، أن يظل أحد أفراد الاسرة بعيدا عن الحرب ليباشر شئون الحياة التى تتطلبها الاسرة وليكون بجانب نصفها الاخر من السيدات الفتيات والضعفاء والصغار ، يرعى الجميع ويحميهم ويهىء لهم مطالب العيش ، ويوفر لهم كل أسباب العزة والكرامة .

ولكن موقف عوف واخوته فى موقف بدر يشهد لهذه الاسرة بالايمان الصادق والاتجاه الكلى لاعلاء كلمة الله التى تكفل لا لهذه الاسرة فحسب ، ولكن تكفل لكل المسلمين الامن والطمانينة اللذين لا يتحققان بغير اخلاص العبادة لله وحده ، وبغير ارساء قواعد القيم العالية الغالية .. والحفاظ عليها ..

وهنا يجب الا تنسى أم المجاهدين الاربعة عفراء بنت عبيدا التى يجل لها ابن الاثير فى أسد الغابة دورها اذ ترجم لابنها عوف تحت عنوان عوف بن عفراء « انها ام مثالية ، لانها ساهمت بالفعل فى تكوين هؤلاء الابطال وأعدتهم للنضال وهيأتهم للعطاء والسخاء بدمائهم وأرواحهم .

وقد أخذ بثار عوف بن الحارث ، بعد استشهاده بلحظات ، فقد قتله عمرو ابن هشام ولم يلبث الا قليلا حتى قتله أخواه معوذ ومعاذ .. فيقول يزيد ابن هارون ، أخبرنى جرير بن حازم ، قال : سمعت محمد بن سيرين يقول فى قتل أبى جهل : اقعصه أبناء عفراء — أخوا عوف — ومعنى اقعصاه أصاباه بضربة أو رمية ، فمات مكانه ، ويظهر أنه بقى فيه نفس يتردد بعد ذلك فوقف عليه ابن مسعود ، أى أجهز عليه ، والعرب تعرف القعاص بانه داء ياخذ الغنم لايلبثها أن تموت .

والمتفق عليه أن عوفا . انصارى خزرجى من بنى النجار من جهتى أبيه وأمه .. يقول ابن سعد فى الطبقات الكبرى .. انه ابن رفاعة بن الحارث بن سواد ابن مالك بن غنم ، وامه عفراء بنت عبيد ابن ثعلب بن عبيد بن ثعلب بن غنم .

ذلك رجل من أعاظم الرجال الذين شاركوا بأرواحهم فى رفع بنيان الاسلام وتشييد صرحه ، وكانوا مثلا يحتذى فى دنيا التضحية ونكران الذات ، فما أجدرنا أن نقتدى بهم ونسير على نهجهم حتى يكتب الله تبارك العزة له ولرسوله وللمسلمين والعرب على أعداء الانسانية انه سميع قريب مجيب الدعاء .

بقية مقال « ابراهيم عليه السلام »

صلات بين ابراهيم ومحمد عليهما السلام . وأواصر تبدو واضحة فى كل منهما ، كل منهما فكر وتأمل وعزف عن معبودات قومه وشن الحرب على الفساد الذى انتشر فى المجال الخلقى والعقيدى وكل منهما صبر على الايذاء والمحن التى تعرض لها من قومه أعداء الله وأنصار الباطل .

وكل منهما كان حريصا على هداية قومه والاخذ بأيديهم الى العقيدة السليمة الصحيحة والى الايمان المتين المكين ، ورسول الاسلام — عليه الصلاة والسلام — من نسل ابراهيم ودعوة ابراهيم ، روى الامام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال [أنا دعوة ابراهيم] قال تعالى : [ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم] .

فاستجاب الله دعاءه وحقق سؤله ومن على ذريته من بعده بأن أرسل فيهم رسولا منهم جعله خاتم الانبياء والمرسلين وأنزل عليه كتابا خالدا تبيانا لكل شىء فيه تزكية للنفوس وتربية للافئدة والقلوب ، تربية عملية مثالية قوامها الفضائل والقيم بما فيه من شريعة وحكمة [ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا] .

وبقيت هذه الروابط والصلات يرددها المؤمنون بالحنيفية السمحاء فى صلواتهم واتجاههم الى الله [اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد] .

جعفر ابن أبي طالب

شهيد موقعة مؤتة

عقب وفاة عبد المطلب جد الرسول صلوات الله عليه وسلامه حدثت بـ « مكة » مجاعة ، ونزلت بالناس شدة أرهقتهم وأتعبتهم ، وكان أبوطالب يعيش فى ضيق شديد ، وذلك لكثرة ما عنده من الاولاد ، فى الوقت الذى كان فيه أخوه العباس على العكس من ذلك ، يعيش فى رغد ويسر •

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فعرض على عمه العباس أن يذهبا معا الى منزل أبى طالب ، ليأخذ كل منهما أحد ابنائه ، ليعيش معه تخفيفا عن أبى طالب حتى تزول هـذه الشدة التى نزلت بالنـاس ، فأعجب العباس بهذا الرأى ، ونفذ ما أشار به الرسول صلوات الله عليه وأخذ العباس جعفرا ، وأخذ الرسول الكريم على بن أبى طالب ، ومكث جعفر فى منزل عمه العباس الى أن بعث الرسول عليه الصلاة والسلام بدعوته الكريمة •

وكان جعفر يشبه الرسول الكريم فى خلقه وخلقه ، فقد كان غض الاهاب ، متسما بالوقار والجلال ، متميزا بالحلم والتواضع ، متصفا بالسخاء والمروءة والطهارة ، والعفاف والبر ، والصدق والامانة ، معروفا بالشجاعة والجرأة والاقدام ، لذلك قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: « أشبهت خلقى وخلقى » •

الأستاذ محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

سمع جعفر هو وزوجته اسماء بنت عميس بنبأ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يترددا فى الاستجابة لدعوته واعتناق هذا الدين الجديد الذى يدعو اليه ، لانه يدعو الى الحق والى صراط مستقيم ، ولان صاحبه معروف بين قومه بالصدق والامانة •

وقد أسلم جعفر قبل ان يتخذ الرسول عليه الصلاة والسلام من دار الارقم بن أبى الارقم مكانا لاجتماعه باصحابه ، ومقرا لنشر الدعوة الاسلامية ، وكانت سن جعفر يوم اسلامه ثمانى عشرة سنة

جهاده وهجرته :

جاهد جعفر ــ رضى الله عنه ــ بقلبه ولسانه وبنفسه وماله فى سبيل الله عز وجل ، وعانى هو وزوجته الامرين من اضطهاد المشركين لهما ، شأن الكثير من اخوانهما أصحاب هذا الدين الحنيف ولم يسلم الرسول صلوات الله وسلامه عليه نفسه من أذى « قريش » وعنتها •

لقد كان جعفر ثابت الايمان قـوى اليقين ، فلم يصرفه عن دينه ماناله من عذاب على أيدى المشركين ، فقد اشتد العذاب بالمسلمين وبلغ غايته ، وطـال مداه ، وأصبحت « مكة » غير « مكة » القديمة التى كان يجد فيها الانسان الامن والاستقرار بين ربوعها ، بل لقـد اصبحت تربة غير صالحة لغرس بذور الدعوة الاسلامية فيها ففكر الرسول الكريم فى تخليص اصحابه من هذا البلاء ، فاذن لمن يشاء من المسلمين بالهجرة الى « الحبشة » ، حرصا على مصلحتهم ومصلحة الدعوة الاسلامية ، فقال لهم : « لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحـد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما انتم فيه » •

واستجاب المسلمون لتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، وهاجروا الى « الحبشة » على دفعتين مضحين بكل مرتخص وغال ، مفارقين وطنهم وأهلهم فى سبيل عقيدتهم التى لهـا يحيون وبها يموتون ، وعليها يلقون الله تبارك وتعالى وهو راض عنهم فينالون سعادة الدارين •

وكان الفوج الاول من المهاجرين يتكون من خمسة عشر رجلا وامرأة ، وفى مقدمتهم عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ وزوجته السيدة رقية بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وكان جعفر بن ابى طالب وزوجته على رأس الفوج الثانى ، المـكون من اكثر من ثمانين رجلا وامرأة •

ونزل المسلمون بارض « الحبشة » وتمتعوا فيها بالحرية التامة فى دينهم ، ومارسوا شعائرهم الدينيـة بدون أى اضطهاد ، وقد ولد لجعفر فى هـذه الهجرة محمد ، وعبد الله ، وعوف •

وفى اعتقادى أن هجرة المسلمين الى « الحبشة » كانت بعيدة كل البعد عن اى غرض سياسى ، بل كان المقصود بهـا أن يأمن المسلمون على دينهم ، ويعبدوا الله عز وجل كما يحبون بعيدا عن أذى « قريش » واضـطهادها ، والدليل على هذا أنه لم تحدث منهم اية حركة سياسية خلال مدة اقامتهم هناك حتى عادوا الى بلادهم •

مؤامرة قريش ضد المسلمين :

كبر على نفوس المشركين أن ينجـو المسلمون من بين أيديهم ، ويستطيعوا الفرار من « مكة » الى أرض « الحبشة » ، فدبروا مؤامرة لاعادة هؤلاء المهاجرين الى « مكة » مرة أخرى ، فالسـكوت على مثل هذا الامر من شانه أن يشجع أفرادا آخرين على الهجرة ، وتتسـع دائرة انتشار الدعوة الاسلامية ، وبذلك

يفلت الامر من أيديهم ، وهذا مالا توده « قريش » مطلقا .

وأرسلت « قريش » وفدا الى بلاد « الحبشة » بزعامة عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، وبعثوا مع الوفد بالهدايا الثمينة ، لاستمالة النجاشي كى يرد المهاجرين الى « مكة » .

والتقى عمرو وعبد الله بالاساقفة فى « الحبشة » ، وطلبا مقابلة النجاشي ليكلماه فى شان هؤلاء المهاجرين ، وحدد الاساقفة مع النجاشي موعدا للقائه مع وفد « قريش » .

وفى الموعد المحدد التقى سفيرا « قريش » بالنجاشي الذى استقبلهما استقبالا حسنا ، فسلما عليه ثم قالا له : أيها الملك ، انه قد ضوى — أتى — الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرف نحن ولا انت ،وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم ، فهم أعلم بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه » .

وكان السفيران قد اتفقا مع أساقفة « الحبشة » على أن يعاونوهم على رد المسلمين الى « قريش » بدون أن يسمع النجاشي كلامهم ،فابى النجاشي انيفعل ذلك وقال : « لا والله ، لا أسلم قوما جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على سواى حتى أدعوهم وأسالهم عما يقول هذان ، فان كانا صادقين سلمتهم اليهما وان كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم » .

وعرف المهاجرون بأمر السفيرين وما يرميان اليه ، فتشاوروا فيما بينهم وطرحوا هذا السؤال للمناقشة : ماذا نقول للنجاشي اذا سألنا عن ديننا ؟ .
وجاءتهم الاجابة عن سؤالهم الذى طرحوه فى قول جعفر : « نقول الحق ولو ساءه ذلك » .

ودخل المهاجرون على النجاشي بعد أن استدعاهم ، وطلب منهم النجاشي أن يتقدم من ينوب فى الكلام عنهم ، فتقدم جعفر للتحدث معه ، فساله النجاشي : « ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى ديننا ؟ » ، فتقدم جعفر منه أكثر من ذى قبل ، ثم قال له : « انا كنا فى الجاهلية نعبد الاصنام ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى فينا الضعيف ، الى أن أرسل الله الينا هذا الرسول الذى نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى توحيد الله والفضائل وحسن الخلق ، ونهانا عن الفواحش والمنكرات ، فصدقناه وآمنا به ، واتبعنا ماجاء به من الاوامر ، وانتهينا عما حرمه علينا ، فعز ذلك على قومنا فاضطهدونا ، وفتنونا فى ديننا ليردونا الى عبادة الاصنام وما كنا عليه من المنكرات ، فلما ضيقوا علينا جئنا الى أرض الحبشة نرجو الامان عند ملكها وألا نظلم عنده » .

وتأثر النجاشي بكلام جعفر غاية التأثر وامتلأ قلبه روعة واحساسا ، فالتفت الى جعفر وساله : « هل معك مما جاء به عن الله من شىء تقرؤه على ؟ » فقال جعفر : « نعم » ، وتلا عليه سورة « مريم » من أولها الى قول الله عز وجل : « فاشارت اليه ، قالوا .. كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ؟ قال : انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

فتأثر النجاشي من قراءة جعفر ، وبكى هو وأساقفته وقالوا : « هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح » ، وقال النجاشي: « ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، والله لا أسلمهم اليكما أبدا » .

ولكن عمرا أبى أن يستسلم للهزيمة من أول مرة ، فعاود الكرة وأراد أن يكيد للمسلمين عند النجاشي ، فقال لصاحبه : « والله لاتينه غدا بما يبيد خضراءهم » ، فقال له صاحبه : « لا تفعل ، فان لهم أرحاما وان كانوا قد خالفونا ، ولكن عمرا لم يعبا بكلامه فهو كان قد بيت النية على أن يجعل الموقف فى الغد منفجرا ضد المهاجرين ، وذلك عن طريق ايغار صدر النجاشي عليهم .

وعندما التقى وفد « قريش » بالنجاشي فى اليوم التالى قال له عمرو : « ان هؤلاء يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما ، فأرسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه» ، فأرسل النجاشي فى استدعائهم، فلما حضروا قال لهم : « ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ » فاجابه جعفر قائلا نقول انه عبدالله ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول»، فاخذ النجاشي عودا وخط به على الارض وقال وقد بلغ به السرور أكبر مبلغ : « ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط » ، ثم قال : « اذهبوا فانتم آمنون بارضى ، ومن سبكم أو آذاكم فعليه غرم ما يفعل » ، ثم التفت الى الاساقفة وقال لهم وهو يشير الى عمرو وعبد الله : « ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه » .

وباءت مهمة وفد « قريش » بالفشل، وعاد عمرو وعبد الله الى « مكة » وقد تملك منهما الياس ، وأصيبت « قريش » بخيبة أمل ، وكتب الله عز وجل للمسلمين المهاجرين النصر ، وتمتعوا بالامن والطمانينة فى أرض «الحبشة» .

عودة جعفر من الحبشة :

كانت مدة هجرة جعفر ومن معه الى « الحبشة » خمسة عشر عاما ؛ فقد أقاموا بها من السنة الخامسة للنبوة الى السنة السابعة من الهجرة ، هذا باستثناء عدد قليل منهم عاد الى «مكة» فى خلال هذه المدة .

وعندما استتب الامر للمسلمين فى « المدينة » ، وأخذت الدولة الاسلامية تنمو وتشب وهى كاقوى ما تكون أرسل الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى النجاشي يطلب منه عودة المهاجرين ، فجهزهم النجاشي فى سفينتين ، وجاء وصول جعفر والمهاجرين الى « المدينة » أثناء فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم لـ « خيبر » ، فلما رجع الى « المدينة » والتقى بجعفر سر سرورا عظيما ، وقبله بين عينيه وقال : «ما أدرى بأيهما أنا أسر : بقدوم جعفر أم بفتح خيبر ؟ » .

واشتاق جعفر الى الجهاد عندما سمع بأخبار غزوتى « بدر » و « أحد » ، والذين استشهدوا فيهما ، وتمنى أن تواتيه الفرصة لينال شرف الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله عز وجل ، وقد آخى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بينه وبين معاذ بن جبل — رضى الله عنه — .

جعفر فى موقعة مؤتة :

عاش جعفر بن أبى طالب حياته مجاهدا مخلصا مضحيا بكل شىء فى سبيل الله عز وجل ، وصدق فيه قوله العزيز : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

وقد لبى جعفر نداء الجهاد فى جمادى الاولى من السنة الثامنة الهجرية ، حيث اشترك فى الحملة التى أعدها الرسول الكريم للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير ، رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمير « بصرى » ، وكان قد قتل قبل ذلك أمير غسانى مسلم بيد « الروم » ، فأراد الرسول الكريم أن يشعر هؤلاء المعتدين بقوة المسلمين ، فلا يظنون هم ومن والاهم من المبغضين للاسلام الضعف بالمسلمين والاستكانة للهزيمة .

وبلغ عدد المسلمين المشتركين فىهذه الحملة ثلاثة آلاف ، وأمر الرسول الكريم عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « ان أصيب فجعفر بن أبى طالب على الناس، فان أصيب فعبد الله بن رواحة ، فان قتل عبدالله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم » ، وخرج خالد بن الوليد مع المسلمين فى هذه الحملة ليبلى فى سبيل الله بلاء حسنا فى أول معركة يخوضها بعد اسلامه .

واتخذت الحملة طريقها صوب بلاد « الشام » ، وخرج المسلمون يودعون

أمراء الحملة وجنودها ، وسار الرسول الكريم معهم حتى خارج حدود «المدينة» يوصيهم بالا يقتلوا النساء ولا الاطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان ، والا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الاشجار ، ودعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه ودعا المسلمون لهم قائلين : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا سالمين .

ووصلت أنباء هذه الحملة الى «الروم» فتقدم « تيودور » أخو الامبراطور « هرقل » على رأس جيش كبير من « الروم » ومن القبائل ، وأعد هرقل قوات أخرى من « الروم » وتقدم بها الى « مآب » ، ليستطيع امداد جيوش امرائه فى وقت الحاجة ، وتقدمت الحملة الاسلامية الى « معان » ، ففوجئوا بجيوش « الروم » أمامهم على غير ما كانوا يتوقعون ، فاخذوا يتشاورون فيما بينهم ، أيقدمون على محاربة « الروم » أم ينتظرون حتى يكتبوا الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يطلبون رأيه ؟ .. وكاد الامر يستقر على الانتظار لولا أن تقدم عبد الله بن رواحة قائلا : « انكم لا تقاتلون العدو بالعدد أو بالقوة أو بالكثرة ، ولكنكم تقاتلون بهذا الدين الذى أكرمكم الله به ، وما هى الا احدى الحسنيين : اما النصر واما الشهادة . انطلقوا فقاتلوا هؤلاء القوم الذين غدروا بنا وبغوا علينا ، واخذوا يقتلون كل من أسلم من العرب ، ويتربصون بنا الدوائر ، فلنمض على بركة الله ، والله معنا ، وهو خير الناصرين » .

وانطلقت الحملة بقيادة زيد بن حارثة الى « البلقاء » جنوبى « البحر الميت » حيث كان « الروم » ينزلون ، واصطف جنود الاسلام عند شروق الشمس ، وأخذوا يتحركون بحركة واحدة ، وقد وقع اختيارهم على « مؤتة » لكى يتحصنوا بها ، فهى أنسب مكان يساعدهم على قتال العدو .

وبدأت المعركة بتحرك كل من الفريقين بجنوده وأسلحته ، وأمر زيد بن حارثة جنوده بالهجوم على العدو ، وألحق بهم خسائر فادحة ، وظل زيد يقاتل بشجاعة وبطولة وبسالة وايمان حتى وقع شهيدا برماح العدو التى مزقته .

استشهاد جعفر :

وحمل جعفر الراية ، وتولى القيادة بعد استشهاد زيد بن حارثة ، فقاتل قتال المستميت متمنيا أن يستشهد فى سبيل الله عز وجل ، مرتقبا تلك اللحظة السعيدة التى تتم له فيها هذه المكرمة .

وأحدقت به جموع الأعداء ، وعرقلت حركة فرسه ، فنزل عنها وأخذ يضرب بسيفه هنا وهناك ، وحاول أحد الجنود الروميين أن يركب فرسه فعقرها جعفر بسيفه حتى لا يركبها عدوه ، وواصل القتال وهو يردد هذه الابيات :

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
على اذا لاقيتها ضرابها

ورأى «الروم» شجاعة جعفر واقدامه وخطورة شأنه ، فهو يقاتل وكأنه جيش وحده ، فأحكموا حوله الحصار ، وتمكنوا من قطع يده اليمنى ، فأخذ الراية بيده اليسرى ، فضربوها وقطعوها هى الاخرى ، فاحتضن الراية بعضديه خوفا من أن تقع على الارض ، وظل كذلك حتى قتل ، ويقال أن رجلا من « الروم » ضربه يومئذ ضربة قطعته نصفين ، وبعد استشهاده كانت الراية مغروسة بين عضديه ، وقد قال عنه رسول الله صلوات الله عليه وسلامه عليه لما بلغه نبأ استشهاده : « اثابه الله بجناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء » ، ومن ثم سمى بجعفر الطيار .

وعقب استشهاد جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة ، ثم تقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ولكنه خاطب نفسه قائلا :

أقسمت يا نفس لتنزلنه
لتنزلن أو لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه
مالى أراك تكرهين الجنة

ثم أخذ سيفه وتقدم وقاتل الى أن استشهد ، وهنا تقدم أحد الجنود الشجعان من المسلمين ويدعى ثابت بن ارقم فأخذ الراية ، وابتدأ القتال يدور من جديد حول الراية التى تحرسها العناية الالهية ، وبينما كان المسلمون يفكرون فى التقهقر والتراجع قال ثابت : يا معشر المسلمين : اصطلحوا على رجل منكم . فقالوا : أنت . قال .. ما أنا بفاعل . فاصطلح المسلمون على خالد ابن الوليد .

وتسلم خالد بن الوليد قيادة الجيش فى وقت دارت فيه الدائرة على المسلمين وتمكنت فيه القوات الرومية من أن تحرز الانتصار على جيش المسلمين ، وأصبح الامل الوحيد للمسلمين هو وقف الخسائر وسلامة بقية الجيش .

وقرر خالد الانسحاب من هذه المعركة الغير متكافئة حتى يخلص الجيش الاسلامى من المأزق الحرج الذى وقع فيه ، فأصدر أمره بترتيب صفوف الجنود ووقف من محاربة العدو عند مناوشات امتدت به حتى حل الظلام محل النور واختفى النهار ، وخلال ساعات الليل أحكم خالد خطته ، لان الجيشين وضع كل منهما سلاحه الى صباح اليوم التالى ، واستفاد خالد من الظلام فأعاد تنظيم قواته ، فغير وبدل الجنود من أماكنهم ، ثم ألف قوة دفاعية مهمتها حماية الجيش أثناء الانسحاب .

وعندما أصبح الصباح شاهد «الروم» وجوها غير الوجوه التى كانت أمامهم بالامس ، وأعلاما غير الاعلام ، ورأوا غبارا كثيرا يتصاعد فى الجو ، وسمعوا صيحات تدوى فى الفضاء ، فظنوا أن المسلمين قد جاء اليهم المدد ، فخافوا لقاءهم ، خصوصا وأن المسلمين كانوا قد أجهدوهم وأرهقوهم فى لقاء الامس ، وقتلوا منهم عددا كبيرا ، ونجحت حيلة خالد فى خداع العدو ، وأخذ يدور بأصحابه ويتراجع بهم فى مهارة حتى خيل لـ « الروم » أنه يريد استدراجهم الى الصحراء ليحاصرهم ويوقع بهم الهزيمة ، فلم يتعقبوا المسلمين ورجعوا الى بلادهم ، وبذلك تمكن خالد بن الوليد من أن يحافظ على جيش المسلمين وينقذه من الورطة .

وقد أخبر الله عز وجل رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنباء هذه المعركة قبل رجوع جيش المسلمين منها ، فقام فى المسلمين خطيبا وأخبرهم بلقاء الجيش مع العدو ، ثم قال : « لقد قتل زيد شهيدا ، ثم أخذ الراية جعفرا فقاتل حتى قتل شهيدا ، ثم أخذ الراية عبد الله ابن رواحة » ، وبعد لحظات من الصمت أكمل الرسول صلى الله عليه وسلم حديثه قائلا : وقاتل حتى قتل شهيدا وقال عليه الصلاة والسلام لقد رفعوا الى الجنة على ما يراه النائم على سرير من ذهب ، فرأيت فى سرير ابن رواحة أزورارا عن سريرى صاحبيه ، فقلت : لم هذا ؟ فقيل لى : مضيا فى القتال وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى » ، ثم قال صلوات الله وسلامه عليه : «لقد أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد ابن الوليد ، فعاد بالناس » ، وقال عن جعفر : « دخلت البارحة الجنة فاذا فيها جعفر يطير مع الملائكة واذا حمزة مع أصحابه » .

وقد بلغ الالم من نفس الرسول صلى الله عليه وسلم منذ علم باستشهاد زيد وجعفر مبلغا كبيرا ، وحز الاسى فى نفسه من أجلهما ، وذهب الرسول الكريم عندما أصيب جعفر الى منزله ، ودخل على زوجته أسماء ، وكانت قد عجنت عجينها وغسلت بنيها ودهنتهم ونظفتهم ، فقال لها : ائتينى ببنى جعفر . فلما أتته بهم تشممهم وذرفت عيناه بالدمع ، فقالت له أسماء عندما شاهدت دمعه وقد ادركت ما أصابها .. يارسول الله : بأبى أنت وأمى ما يبكيك ؟ .. أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ .. فقال لها : نعم ، أصيبوا اليوم . وازدادت الدموع فى عينيه ، فقامت أسماء تصيح حتى اجتمع النساء اليها ، فخرج الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى أهله فقال : « لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » ، وشاهد ابنة مولاه زيد بن حارثة قادمة فربت على كتفيها وبكى ، فاظهر بعض المسلمين دهشتهم من بكاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه على

« البقية ص ٢٣٢ »

عمرو بن العاص
ذكاؤه ودهاؤه !

هو : عمرو بن العاص بن وائل ..
والده العاص بن وائل كبير بني سهم ؟ وبنى سهم بطن من بطون قريش
ومن المشهور عن العاص انه كان ذكيا قوى البصر من كبار التجار ، كان لتجارته مكان ممتاز بين القوافل الكبيرة التى كانت تخرج من مكة المكرمة الى اليمن والحبشة والشام ومصر ، وكان يصحبها هو أحيانا ، واحيانا اخرى يرسل معها احد ابنائه او احد اتباعه ..
اما ابنه عمرو فكان من صغره لبقا ذكيا معتزا بنفسه ينطق وجهه بالادراك والبصر ، ولذلك ارسله والده — وهو ما زال شابا — مع قوافله وتجارته لما تفرسه فيه من ذكاء وحسن تصرف فسافر الى البلاد التى كانت تسافر اليها قوافل والده ..
وقد اشتهر عن عمرو ذكاؤه ودهاؤه وفراسته . ويتجلى ذلك من عدة حوادث ، بعضها كان قبل ان يهديه الله الى الاسلام ، والبعض الاخر بعد اسلامه ..

المستشار عبد الستار آدم

ومن أبرز تلك الحوادث قبل اسلامه الحادثة التالية .. وتتلخص فى انه لما ازدادت موجة تعذيب الكفار للمسلمين فى أول عهد الاسلام ، والتآمر للقضاء عليهم ، قرر بعضهم ترك مكة الى بلاد يمكن لهم فيها أن يعبدوا الله تعالى ، حتى يحكم بينهم وبين اولئك الكفار ، فأشار عليهم النبى الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، بالهجرة الى الحبشة حيث قال لهم :

« لو خرجتم الى ارض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى ارض صدق ، حتى يجعل الله تعالى لكم مخرجا [وفى رواية أخرى فرجا] مما انتم فيه » ..

ويبدو ان الرسول الكريم اشار بذلك لان النجاشى ملك الحبشة كان مسيحى الديانة ، ويعلم ان نبى الله عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، قد بشر بسيدنا محمد خاتما للنبيين .

ولما دخل المسلمون الحبشة رحب بهم النجاشى وأوسع لهم صدره وأكرمهم .
ولما عرف كفار مكة بذلك ، وقدروا خطر تلك الهجرة عليهم ، وان المسلمين قد يفرون الى الحبشة فتشتد قوتهم ويكبر سلطانهم ، ثم يهاجمون مكة .. فقرروا ان يعيدوا أولئك المهاجرين الى مكة بأية وسيلة ، فاجتمعوا وتبادلوا الرأى وبحثوا عن رجل ذكى ذى دهاء يستطيع أن يقنع النجاشى بطرد المسلمين من بلاده ، فاتجهت عيونهم الى عمرو بن العاص — خاصة وانه قد سبق له أن سافر الى الحبشة مع قوافل والده ويعرف أهلها — فبعثوه وبعثوا معه عبد الله بن أبى ربيعه [وقيل عمارة بن الوليد] وجمعوا لهما هدايا قيمة للنجاشى وبطارقته ..

ولما دخل المبعوثان الحبشة قدما الهدايا للبطارقة ولم يبق بطريق الا دفعا اليه هديته قبل أن يقابلا النجاشى وقالا لكل بطريق :

« انه قد ضوى [أى آوى ولجأ] الى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا انتم ، وقد بعثنا الى الملك اشراف قومهم ليردهم اليهم ، فاذا كلمنا الملك فيهم ، فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم لان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوهم فيه » ..

وقد وافق البطارقة على ذلك ..
ولما دخل المبعوثان على النجاشى سجدا له وقدما له هداياه فقبلها شاكرا
وأخذ عمرو بن العاص ينسج شباكه حول النجاشى لتسليمه أولئك المهاجرين بما عرف فيه من ذكاء ودهاء وكان مما قاله للملك :

« أيها الملك أن نفرا من بنى عمنا سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا انت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم لتردوهم اليهم فهم أعلى واعلم بهم عينا وبما عابوا عليهم » ..
وكان عمرو بذلك يحاول أن يسلم النجاشى المهاجرين دون أن يراهم أو يسمع منهم ..
ولما انتهى عمرو من كلامه قالت البطارقة :

« صدق المبعوثان فان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم » .
فغضب النجاشى وقال :
« لا . أسلم قوما جاورونى ، ونزلوا بلادى ، واختاروا على من سواى ، حتى ادعوهم فاسألهم عما يقول هذان من أمرهم ، فان كانوا كما يقولان اسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم ، وان كانوا غير ذلك منعتهم منهما ، واحسنت جوارهم ما جاورونى .. » ثم ارسل الى المهاجرين فدعاهم ..
فلما جاءهم رسوله تشاوروا فيمايقولون للملك ، فقالوا :
« نقول له والله ماعلمنا ، وما امرنا به نبينا ، كائنا فى ذلك ما هو كائن » .

ثم حضر المسلمون بين يدى النجاشى الذى دعا بطارقته فنشروا مصاحفهم حوله .. حضروا فى ثبات وقوة ، وحيا جعفر ابن ابى طالب — الذى كان على راس المسلمين — الملك قائلا :

« السلام عليك ايها الملك ورحمة الله » ..

فانتهز عمرو هذه الفرصة ، وصاح — وهو ينظر الى المسلمين فى سخرية :

« ارايت يا مولاى هؤلاء المتكبرين الذين لا يسجدون للنجاشى المعظم ، أيابى مخلوق ان يسجد للنجاشى ويخضع لعزته ! » ..

فاسرع جعفر قائلا :

« النجاشى أكبر من أن تخدعه يا عمرو ، فنحن لا نسجد الا لله الذى يخرج الخبء من السموات والارض ، ويعلم ما يسرون وما يعلنون ، تحيتنا السلام، تحية اهل الجنة يوم يدخلها المؤمنون بما عملوا من خير » .

فاستحسن النجاشى قول جعفر ، وسأله عن دينهم ورسولهم ، فقال جعفر :

« ايها الملك .. كنا اهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش، ونقطع الارحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف ، كنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله والا نشرك به شيئا، وان نخلع ماكنا نعبد من الاصنام ،وامرنا بصدق الحديث ، واداء الامانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وامرنا انتعبدالله وحده لا نشرك به شيئا وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام ..

واخذ جعفر يعدد للملك امور الاسلام ثم قال :

« .. فصدقناه وآمنا به ، وحرمنا ما حرم علينا ، واحللنا ما احل لنا ، فاعتدى علينا قومناوعذبونا وفتنوناعن ديننااليردونا الى عبادة الاوثان عن عبادة الله وان نستحل ماكنا نستحل من الخبائث ، فلما ظلمونا وقهرونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا الى جوارك ، ورجونا الا نظلم عندك ايها الملك » ..

فقال النجاشى لجعفر : « هل معك شىء مما جاء به عن الله » ..

قال جعفر : « نعم » .

فقال له النجاشى : « فاقراه على » .

فتلا عليه جعفر جزءا من سورة مريم ولما استزاده الملك تلا عليه من سورة العنكبوت :

« ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون . وكذلك انزلنا اليك الكتاب ، فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون » ..

فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته [اى ابتلت] من الدمع ، وكذلك بكى البطارقة حتى اخضلوا مصاحفهم ..

ثم قال النجاشى :

«هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات السيد المسيح ، وان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » ..

ورفض ان يسلم المهاجرون الى عمرو وزميله فلما خرجا قال عمرو :

« والله لاتينه غدا عنهم بما استأصل به خضراءهم [يعنى جماعتهم ومعظمهم] فقال له زميله :

« لا تفعل ، فانا لهم ارحاما وان كانوا قد خالفونا » ..

قال عمرو :

« والله لاخبرنه انهم يزعمون ان عيسى ابن مريم عبد » ثم غدا الى الملك فى الغد وقال له :

« ايها الملك ، انهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما ، فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه » ..

فارسل اليهم يسألهم فيما قاله عمرو، فاجتمع المهاجرون وقال بعضهم لبعض:

« ماذا نقول فى عيسى ابن مريم اذا سألنا عنه » ..

فاتفقوا على أن يقولوا ما قال الله تعالى ، وما جاء به النبى الكريم ، صلى الله عليه وسلم ..

ولما دخلوا وسألهم عمايقولون فى عيسى عليه السلام ..

فقال جعفر :

« نقول فيه الذى جاءنا به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول ..

فاقتنع النجاشى بما قاله جعفر وقال للمهاجرين :

« مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، اشهد انه رسول الله الذى نجد فى الانجيل انه الرسول الذى بشر به عيسى ابن مريم ، انزلوا حيث شئتم » ..

وامر لهم بطعام وكسوة ثم قال :

« اذهبوا ايها المسلمون فانتم فى بلادى آمنون ، من سبكم غرم [اى نقد عصانى] وكررها ثلاثا ..

وفى رواية اخرى ان النجاشى قال للمسلمين :

« ايؤذيكم احد » ..

قالوا : « نعم » ..

فأمر النجاشى مناديا ينادى من آذى احدا منهم فاغرموه اربعة دراهم .. ثم قال : « ايكفيكم » ..

قالوا : لا

فقال : فاضعفوها ..

ثم قال لبطارقته :

« ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لى بها فو الله ما اخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما اطاع الناس فى فاطيعهم فيه » ..

فخرج عمرو وصاحبه من عند النجاشى خائبين مقبوحين وبذلك فقد اخفق عمرو فى اقناع النجاشى لتسليمه المهاجرين ، وكان هذا من فضل الله تبارك وتعالى على المسلمين :

وان كان عمرو قد اخفق قبل اسلامه — رغم دهائه وذكائه — وكان ذلك من فضل الله على المسلمين : الا انه لما هداه الله الى نور الاسلام واستغل ذكاءه ودهاءه لمصلحة الاسلام والمسلمين وفقه الله فى ذلك حسبما سنبين باذنه تعالى فى الاعداد التالية من هذه المجلة الغراء ان كان فى العمر بقية ..

والله : جل وعلا : ولى التوفيق والسداد ..

بقية مقال « جعفر بن ابى طالب »

من استشهد ، فقال ما معناه : انما هى عبرات الصديق يفقد صديقه .

وقام حسان بن ثابت شاعر الرسول — رضى الله عنه — فى مجلس اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ورثى الشهداء قائلا :

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم
الى الموت ميمون النقيبة ازهر

اغر كضوء البدر من آل هاشم
ابى اذا سيم الظلامة مجسر

فطاعن حتى مال غير موسد
لمعترك فيه القنا يتكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه
جنان وملتف الحدائق اخضر

وكنا نرى فى جعفر من محمد
وفاء وامرا حازما حين يأمر

فما زال فى الاسلام من آل هاشم
دعائم عز لا يزلن مفخر

هذا هو جعفر بن ابى طالب القائد ، والبطل الشجاع ، والمهاجر المجاهد فى سبيل الله عز وجل ، تنتهى حياته الدنيا باستشهاده فى سبيل اعلاء كلمة الحق ، ليبدأ عقبها حياته الابدية فى دار الخلود وجنات النعيم ، رضى الله تبارك وتعالى عنه وارضاه .

حسين مني وأنا من حسين

قال الرسول : صلوات الله وسلامه عليه : [حسين منى وانا من حسين : أحب الله من أحب حسينا : الحسن والحسين سبطان من الاسباط] : رواه الامام أحمد : فى مسنده ، والبخارى : فى كتابه الادب المفرد ، والترمذى ، وابن ماجة فى سننيهما ، والحاكم : فى المستدرك .

والسبط : فى اللغة – ولد البنت ، فالامام ابو عبد الله ، الحسين بن على : رضى الله عنهما – هو ابن السيدة فاطمة الزهراء ، ابنة رسول الله : صلى الله عليه وسلم : ولد : رضى الله : لخمس خلون من شعبان ، سنه اربع من الهجرة ، بالمدينة المنوره ، وقد دعا : صلوات الله وسلامه عليه – له رضى الله عنه ، يوم السابع من ولادته ، وسماه حسينا ، وذبح عنه عقيقة ، كبشا ، وقال لامه : احلقى راسه وتصدقى بزنة شعره فضة ، ومن اجل هذا التاريخ الصحيح لمولده ، رضى الله عنه – يحتفل – بالقاهرة – بالمشهد الحسينى ، فى ليلة الخامس ، من شعبان ، فى كل سنة ، بمولده ، ويسبق ذلك الاحتفال به ، فى كل عام : من ليله الاثنين الاول من ربيع الثانى الى ليلة يوم الاربعاء الاخير منه .

الشيخ محمد مصطفى أبو العلا

وقوله : علية الصلاة والسلام : [حسين منّى] اى بضعه ونسبها ، [وأنا من حسين] اى محبة وتقديرا وحسبا ، وفى قوله : صلى الله عليه وسلم [الحسن والحسين سبطان من الاسباط] – تنويه بشرفهما ، وعظم مجدهما ، وفى قوله : صلوات الله وسلامه عليه [احب الله من أحب حسينا] : على ان الجملة – خبريه ، او دعائية – افادة عظم الثمرة لمحبة الحسين : رضى الله عنه ، فما اعظم محبة الله تعالى ، وفيها الخير كله ، ومن ذلك – الوقاية من شر الدنيا ، وضررها ، وفتنها ، وتيسير الصالحات ، وعمل الخيرات فى الحياة : روى الطبرانى : فى معجمه الكبير : عن رافع بن خديج : رضى الله عنه ، وابن حبان : فى صحيحه ، والحاكم : فى مستدركه عن ابى قتادة : رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال : [اذا أحب الله : عز وجل عبدا – حماه الدنيا ، كما يظل احدكم يحمى سقيمه الماء] ، وروى ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم : فى مستدركه ، والبيهقى فى الشعب : عن عمرو بن الحمق : رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال : [اذا احب الله عبدا – عسله : قيل : ما عسله ؟ قال : يوفق له عملا صالحا بين يدى رحلته ، حتى يرضى عنه جيرانه ، ومن حوله » .

فما أعظم ثمرة حب الله تعالى لعبده ، فى دنياه وأخراه : تلك الثمرة ، التى من وسائلها – حب الحسين : رضى الله عنه ، وأرضاه ، وقد روى الامام أحمد : فى مسنده ، والبخارى فى الادب المفرد ، وابو داود ، فى سننه ، والترمذى ، وابن ماجه فى السنن ، وابن حبان : فى صحيحه ، والحاكم : فى المستدرك : عن المقداد بن معديكرب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال : [اذا احب احدكم اخاه – فيعلمه أنه يحبه] ، وروى الامام أحمد : فى المسند : عن ابى ذر : رضى الله عنه – أنه : صلى الله عليه وسلم – قال : [اذا أحب احدكم صاحبه – فياته فى منزله ، فليخبره انه يحبه لله] ، وواضح – أن زيارة المقام الحسينى – مبعثها الحب للحسين : رضى الله عنه ، فهى بمثابة الاخبار بحبه ، ولكن – من القضايا المسلمه – أن المحب – يطيع من احبه ، ويقتدى به فى خلقه ، ويفعل كفعله ، فمن احب الحسين – لا يقف عند حد زيارة قبره ، بل يسلك مسلكه ، ويسير سيره ، وانه لسير الامام ذى الرشد ، ومن شواهد ذلك – ما روى ابن عساكر : فى التاريخ الكبير – ان سائلا – خرج يتخطى ازقة المدينة ، حتى اتى باب الحسين ، فقرع الباب ، وانشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك ومن
حرك من خلف بابك الحلقة
أنت ذو الجود انت معدنه
ابوك قد كان قاتل الفسقة

وكان الحسين : رضى الله عنه ـ واقفا يصلى ، فخفف من صلاته ـ اى مع التمام والكمال ، من غير اخلال ، ولا نقص ـ وخرج الى الاعرابى ، فرأى عليه اثر ضر وفاقه ، فرجع ، ونادى بقنبر ـ خادمه ـ فأجابه ، لبيك يا بن رسول الله .... قال : ما تبقى معك من نفقتنا ؟ قال : مائتا درهم ، امرتنى بتفرقتها فى اهل بيتك ، فقال : هاتها ، فقد أتى من هو أحق بها منهم ، فأخذها ، وخرج يدفعها الى الاعرابى ، وأنشأ يقول

خذهـا ، فانى اليك ـ معتذر
واعلم بانى عليك ذو شفقة
لوكان ـ فى سيرنا ـ عصا تمداذا
كان سمانا عليك مندفقة
لكن ريب المنون ذو نكد
والكف منى قليلة النفقة

فاخذها الاعرابى ، وولى ، وهو يقول :

مطهرون نقيات جيوبهمو

تجرى الصلاة عليهم اينما ذكروا
وانتم ، انتم الاعلون عندكمو
علم الكتاب : وما جاءت به السور
من لم يكن علويا حين تنسبه
فما له ـ فى جميع الناس ـ مفتخر

ودخل : رضى الله عنه ـ على أسامة بن زيد ، الذى كان يقال له : الحب بن الحب ، اى لرسول الله : صلى الله عليه وسلم ، وكان مريضا ، فسمعه يقول : واغماه فقال الحسين : رضى الله عنه : وما غمك يا أخى « قال : دينى ، وهو ستون الف درهم ، فقال الحسين : رضى الله عنه : هو على : قال أسامة : رضى الله عنه : انى أخشى أن أموت : فقال : لن تموت ، حتى اقضيها عنك ، فقضاها الحسين ، قبل موت زيد رضى الله عنهما ، وروى ياقوت المستعصمى : فى رسالته ، نور الدين على بن محمد الصباغ : عن انس : رضى الله عنه : قال : كنت عند الحسين : رضى الله عنه ، فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان ، فحيته بها ، فقال لها : أنت حرة لوجه الله تعالى : فقلت له : جارية تحييك بطاقة ريحان ، فتعتقها ؟ فقال : كذا أدبنا الله ، فقال : تبارك وتعالى : [واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها] ، وكان ـ احسن منها ـ عتقها ، وليحفظ المسلم معتبرا ، فى تدبر ، ويقظة ، وحرص على الاقتداء ـ أن الحسين ـ كان ـ مع أخيه الحسن رضى الله عنهما ـ على شط نهر الفرات : بالعراق ، فنظر الى شيخ أعرابى ، خفف الوضوء والصلاة ـ تخفيفا اخل بهما ، فقالا : لو قلنا له : غلطت ـ ربما لا ينقاد الى الحق ، فقالا له : نحن شابان ، وانت شيخ ربما تكون أعلم منا بأمر الوضوء ، والصلاة ، فنتوضأ ، ونصلى امامك ، فان كان ـ عندنا ـ قصور ـ فعلمنا ، فتوضآ وصليا : كما رأيا من جدهما : صلى الله عليه وسلم ، فثاب الشيخ ، ورجع عن صنيعه ، وعرف كيف يحسن الوضوء والصلاة ، والى حسن أدبه : رضى الله عنه ، وظرفه ـ تلك المكارم ، التى طالت علوا ، والاداب ، التى شرفت سموا ، ومنها ـ حلمه ، وعفوه ، فقد جنى بعض مواليه جناية توجب التأديب ، فأمر بتأديبه ، فقال له : يا مولاى قال الله تعالى : [**والكاظمين الغيظ**] فقال : عليه رضوان الله تعالى : خلوا عنه ، فقد كظمت غيظى ، فتلا ذلك العبد ـ الاية ، المذكور فيها ذلك القول السابق ، فعند ذكره قوله تعالى : [**والعافين عن الناس**] : قال الحسين : عطر الله مثواه : قد عفوت عنك ، فأتم العبد الاية : [**والله يحب المحسنين**] . فقال الحسين : رضى الله عنه ، وأرضاه : للعبد : أنت حر لوجه الله تعالى ، وأجازه بجائزة سنية : **حرصا منه** : رضى الله عنه ـ على حب الله ، الذى يحب من احسن الى سواه ، ولقد كان الحسين : رضى الله عنه ، وارضاه ـ عفيفا ، عزيز النفس ، فما كان يأخذ ـ من معاوية : رضى الله عنه ـ صلاته : كما زعم بعضهم ، بل كان يأخذ منه حقه فى بيت مال المسلمين ، ولذلك ـ لما قدم معاوية الى مكة ، فوصله بمال كثير ، وثياب وافرة ، وكسوة فاخرة ـ رد ذلك كله اليه ، ولم يقبل منه شيئا : انطلاقا من عفته ، ونزاهته : طيب الله ثراه ، ولم يكن رضى الله عنه ـ مع جوده ، الذى امتاز به ، وسخائه ، وكرمه ، الذى يندر نظيره ـ يتجاوز الحد ـ الى الاسراف ، وروى ياقوت المستعصمى : فى كتابه ، اسرار الحكماء ـ قوله : رضى الله عنه وأرضاه : [لا تتكلف مالا تطيق ، ولا تنفق الا بقدر ما تستفيد] ، وكان الحسين : أدام الله عليه تغمده برحمته ـ شجاعا مقداما ، فكان أمام الجيش ، الذى أرسله ابن زياد : لقتاله ـ ثابتا لا تخف له شجاعة ، ولا تضعف له عزيمة ـ تقدمه فى المعترك ـ ارسى من الجبال ، وقلبه ـ لم يضطرب لهول القتال ، ولقد سجل له التاريخ ـ انه ـ سيد اهل الاباء ، الذى علم الناس ـ ان الموت تحت ظلال السيوف ـ خير من الحياة مع الذل ، فقد عرض عليه ابن زياد الامان له ولاصحابه ، فأبى ، وظل يقاتل ، ويحطم الفرسان حطما ، حتى قتل هو ومن معه .

وقال على بن عيسى : فى كشف الغمة : شجاعة الحسين ـ رضى الله عنه ـ يضرب بها المثل ، وصبره ـ فى الحرب ـ أعجز الاواخر ، والاوائل .

ومن مكارم الحسين ، وآدابه ـ رضى الله عنه ـ تواضعه . روى ابن عساكر فى تاريخه ، أن الحسين مر بمساكين ، يأكلون فى الصفة ، فقالوا : الغذاء ، فنزل ، وقال : ان الله لا يحب المتكبرين . فتغذى

معهم ، ثم قال لهم : قد أجبتكم فأجيبوني . قالوا : نعم . فمضى بهم الى منزله ، وقال لخادمته - الرباب - أخرجى ما كنت تدخرين . وفى التواضع عن جده - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : [**ما تواضع أحد لله الا رفعه الله**] رواه الامام أحمد فى مسنده ، ومسلم فى صحيحه ، والترمذى فى سننه . من حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه ، والصفه : مكان بالمسجد ، كان يقيم به الفقراء ، الذين احصروا فى سبيل الله وصبروا على الجهاد .

وروى ابن الاثير أن الحسين - رضى الله عنه - كان فاضلا ، كثير الصلاة ، والصوم ، والحج ، والصدقة ، وأفعال الخير جميعها . وذكر ابن عمر - رضى الله عنهما - أن الحسن ، والحسين - رضى الله عنهما - انما كانا يغران العلم غرا . وذكر ابن عساكر - فيما يروى عن الحسين رضى الله عنه - أنه قال لنافع بن الازرق لما قال له : صف لى آلهك الذى تعبد يا نافع . من وضع دينه على القياس - لم يزل الدهر فى الالتباس ، مائلا ، اذا كبا عن المنهاج ، ظاعنا بالاعوجاج ، ضالا عن السبيل ، قائلا غير الجميل ، يابن الازرق ، أصف الهى بما وصف به نفسه ، فأقول : لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، قريب غير ملتصق ، وبعيد غير مستقص ، يوحد ، ولا يبعض ، معروف بالايات ، موصوف بالعلامات ، لا اله الا هو الكبير المتعال . فبكى الازرق ، وقال : ما احسن كلامك ، فقال : بلغنى أنك تشهد على أبى ، وعلى أخى بالكفر ، وعلى . قال ابن الازرق ، أما والله ، ياحسين ، لئن كان ذلك - لقد كنتم منار الاسلام ، ونجوم الاحكام .

وصدق ابن الازرق ، فقد كان على ، وابناه الحسن والحسين ، منار الاسلام ، ونجوم الاحكام ، بهم يهتدى فى الظلام ، ويقتدى لبلوغ المرام ، ومن مواعظ الحسين - رضى الله عنه - وحكمه الهادية الى الخير ، وحسن الحال والمآل ، قوله - رضى الله عنه : أيها الناس . نافسوا فى المكارم ، وسارعوا فى المغانم ، واكتسبوا الحمد بالمنح ، واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ، ويعقب أجرا ، ولو رأيتم المعروف رجلا ، رأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم . رأيتموه سمجا مشوها ، تنفر منه القلوب ، وتغض - دونه - الابصار ، أيها الناس من جاد ساد ومن بخل ذل ، وان أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، وأعف الناس من عفا عن قدرة ، وافضل الناس من وصل من قطعه ، ومن يعجل - لاخيه - خيرا وجده ، اذا قدم عليه ، ومن أحسن ، أحسن الله اليه ، والله يحب المحسنين .

وكان الحسين - رضى الله عنه - يدعو ربه ، ونصب عينيه قول جده ، صلوات الله وسلامه عليه : [**الدعاء هو العبادة**] رواه الامام أحمد فى المسند ، والبخارى فى الادب المفرد عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، وقوله عليه الصلاة والسلام : [**الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والارض**] رواه الحاكم فى المستدرك عن ابى هريرة رضى الله عنه ، وابو يعلى ، والحاكم عن على كرم الله وجهه ، ولذلك كثر دعاؤه عليه رضوان الله تعالى له ، جل وعز ، ومنه ما روى محمد بن جرير ، الطبرى ، وابن كثير : أنه لما صبحت الخيل الحسين ، يوم الطف - يوم كربلاء - وهو اليوم الذى استشهد فيه - رضى الله عنه - رفع يديه ، فقال : [**اللهم أنت ثقتى فى كل كرب ، ورجائى فى كل شدة ، وأنت لى - فى كل أمر نزل - ثقة وعدة . كم من هم يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة : ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك ، وشكوته اليك . رغبة منى اليك عمن سواك ، ففرجته ، وكشفته ، وكفيتنيه ، فانت ولى كل نعمه ، وصاحب كل حسنه ، ومنتهى كل رغبة**] . والطف هو الموضع الذى يعرف أيضا بكربلاء ، فى أرض العراق ، بناحية الكوفة ، ولقد أبلى - رضى الله عنه - فى قتاله بلاء حسنا ، حتى اختار الله له ما عنده ، فاسلم الروح لباريها ، واختار الله لها ما عنده ، وقد قال جل شانه : [**ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**] ، فحلت تلك الروح الطاهرة حرم الرضوان ، وتمتعت فى فراديس الجنان ، وصدق الله العظيم ، اذ قال : [**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين**] .

وقد رثى الحسين ، رضى الله عنه ، منذ توفى ، شعراء كل جيل ، وممن رثاه زوجه ، الرباب بنت امرىء القيس ، قالت رضى الله عنها :

ان الذى كان نور ايستضاء به
بكربلاء - قتيل ، غير مدفون
سبط النبى : جزاك الله صالحة
عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلا صعبا ألوذ به
وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن
يغنى . ويأوى اليه كل مسكين
والله لا أبتغى صهرا بصهركمو
حتى اغيب بين الرمل والطين

وقيل خطبها يزيد ، والاشراف من قريش ، فقالت : والله لا كان لى حم آخر ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاشت - بعد الحسين - سنة ، ثم

ماتت ، ولم تستظل - بعد الحسين - بسقف ، وهى أم السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله عنها .

ومن كالحسين ، فى عصر الرباب - يحل محله ، ويكون لها زوجا صالحا مثله ، ولقد كان الحسين : رضى الله عنه - عنوانا عظيما لامجاد بنى هاشم ، ومفاخر عبد المطلب ، كما كان مثلا اعلى لمن اقتدى بالرسول : صلى الله عليه وسلم ، وحقيقا بقوله : عليه الصلاة والسلام فيه : [حسين منى وأنا من حسين]

ومن أمجاده : رضى الله عنه - ما سجله التاريخ : من أن معاوية - كتب اليه : رضى الله عنهما : قال : من أمير المؤمنين معاوية الى الحسين بن على : أما بعد : فانه بلغنى أنك - تزوجت جاريتك ، وتركت اكفاءك من قريش : ممن تستنجبه : للولد ، ونمجد به فى الصهر ، فلالنفسك - نظرت، ولا لولدك - انتقيت ، فكتب اليه الحسين : أما بعد : فقد بلغنى كتابك ، وتعييرك اياى - بأنى - تزوجت مولاتى ، وتركت أكفائى : من قريش ، فليس - فوق رسول الله - منتهى فى شرف ، ولا غاية فى نسب ، وانما كانت ملك يمينى ، خرجت عن يدى : بأمر : التمست - فيه - ثواب الله ، ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقدرفع الله بالاسلام الخسيسة ، ووضع عنا به النقيصة ، فلا لوم على امرىء مسلم الا فى امر مأثم ، وانما اللوم لوم الجاهلية ، فلما قرأ معاوية كتابه - نبذه الى يزيد ، ابنه ، فقرأه ، وقال : لشد ما فخر عليك الحسين : قال : لا ، ولكنها ألسنة بنى هاشم الحداد ، التى تفلق الصخر ، وتغرف من البحر ..

وغاية القول المستطاع ، فى سيد الشهداء ، وسبط سيد الانبياء ، الحسين ، شهيد كربلاء ، أنه جمع الفضائل ، وحاز - رضى الله عنه - مكارم الاخلاق ، ومحاسن الاعمال والشمائل ، من علو الهمة ، ومنتهى الشجاعة ، واقصى غاية الجود والكرم ، واسرار العلم ، وفصاحة اللسان ، ونصرة الحق ، والامر بالمعروف . والنهى عن المنكر ، وجهاد الظلم ، وتقوية دعائم العدل ، والتواضع عن عز ، والعفو ، والصبر ، والحلم ، والعفاف ، والمروءة ، والورع ، ونحوها ، مما ينتظم به عقد الكمال .

ولقد اختصه الله تعالى بسلامة الفطرة ، وجمال الخلقة ، ورجاحة العقل ، وقوة الجسم ، تلك الى محامد كثرة العبادة ، وأفعال الخير والتقوى ، ولقد مشى - رضى الله عنه - على قدميه ، من المدينة الى مكة ، حاجا ، خمسا وعشرين مرة ، وعاش - عليه رضوان الله - يقاتل مع أبيه - رضى الله عنه - أصحاب الجمل ، فجنود معاوية ، فالخوارج ، وينتقل - مع جيوش المسلمين - الى اقطار الارض ، فى فتح أفريقية ، وغزو قسطنطينية ، وغيرهما .

ولقد كان الحسين ، رضى الله عنه ، وأرضاه ، فى جميع أيام حياته ، مثابرا على الاهتداء بهدى جده ، صلى الله عليه وسلم ، القائل : [**أما بعد - فان أصدق الحديث ، فى كتاب الله : وان أفضل الهدى هدى محمد ، وشر الامور ، محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار**] رواه الامام أحمد ، ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجة ، من حديث عن جابر رضى الله عنه .

وبعد : فقد كانت حياة الامام ، أبى عبد الله الحسين ، منار هداية ، كذلك - كان مصرعه - عظة لمن اعتبر ، وباعثا على الاستبسال فى سبيل الحق ، ونصرة العدالة ، ولقد أبت نفسه الكريمة الضيم ، فاختار ان يموت عزيزا ، ولا يعيش ذليلا ، كما قال فيه أبو نصر بن نباتة :

والحسين الذى رأى الموت فى العز
حياة ، والعيش فى الذل - قتلا

ومع التفاوت ، الذى بلغ الغاية ، بين فئة الحسين القليلة ، اثنين وسبعين رجلا من أهله وأصحابه ، وبين جيش ابن زياد ، الذى كان يبلغ نحو أربعة آلاف رجل ، كان ثباته ، رضى الله عنه ، ورباطة جأشه ، وشجاعته ، تحير الالباب ، فلا عهد للبشر بمثلها ، كما كانت دناءة خصومه ، لا شبيه لها ، فقد منعوه كما منعوا من معه ، من شرب الماء ، قبل القتل بثلاثة أيام ..

وقد كان من عدل أحكم الحاكمين ، ان قتل عبيد الله بن زياد ، يوم عاشوراء ، كما قتل الحسين ، رضى الله عنه ، فى ذلك اليوم ، من قبل ، وأن بعث برأسه الى على بن الحسين ، كما بعث برأس الحسين اليه ، وصدق الله العظيم ، اذ قال : [**من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا**] ، وقد بقى أثر جهاد الحسين - رضى الله عنه - على مر الزمان ، مضيئا ، كلما أرهق الناس ظلم ، تذكرة لمن ندب نفسه لخدمة الحق ، وصلاح الامة ، فلم يضن ببذل حياته وراحته ، متى كان فى ذلك - للامة - صلاح ، وللحق ثبات فيها ، واستقرار .

وفقنا الله تعالى للسير على نهج هذا الامام الجليل ، الحسين ، رضى الله عنه ، وعمر قلوبنا بحبه ، وحب آله أجمعين ..

المسيرة الكبرى

فى ذكرى

الإمام الحسين

■ الأستاذ صلاح عزام ■

فى ذكرى مولد سيد الشهداء .. رضى الله عنه .. لنا وقفة مع أثر من آثاره الخالدة .. نستروح بها ذكراه العطرة .. ونتقوى بمواقفه على الايام ..

والذين أتاحت لهم الظروف بالوقوف أمام أرض المذبحة الرهيبة .. لا يمكن أن يغيب عن خواطرهم لحظة واحدة روائح ابن النبى .. وسيد شباب الدنيا والاخرة على الاطلاق .

ومع لحظات ذكراه عليه السلام التى لم يمض عليها غير أيام ثلاثة .. نعيش فى اجلال وتعظيم واكبار مع مسيرته الدامية من مكة الى كربلاء .. ووثائقها التى يحفظها لنا التاريخ بفضل من الله ..

● وفى البدء كانت رسالة شيعة العراق وفيهم شيت بن ربعى وحجار بن أبحر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمد بن عميره بن عطارد يقولون فيها .. « بسم الله الرحمن الرحيم . للحسين بن على بن أبى طالب أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين .. أما بعد .. فان الناس ينتظرونك لا رأى لهم غيرك فالعجل . العجل . يا ابن رسول الله فقد اخضر الجناب واينعت الثمار واعشوشبت الارض واورقت الاشجار فأقدم اذا شئت فانما تقدم على جنود مجندة لك والسلام .. » .

وبعدها .. أرسل الامام ابن عمه مسلم بن عقيل .. وبدات الرسائل بين الامام وأنصاره .

ثم .. بدأ التحرك من مكة المكرمة .. وكانت كلمات وداع دامية .. تعيش مع الايام .. وعبر الاجيال .

بدأها الامام بقوله « الحمد لله . ما شاء الله . ولا قوة الا بالله وصلى الله على رسوله . خط الموت على ولد آدم وما أولهنى الى أسلافى فى أشتياق يعقوب الى يوسف . لا محيص عن يوم خط بالقلم ـ رضا الله من رضانا آل البيت . نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين .

الا ومن كان فينا باذلا مهجته موطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا راحل مصبحا ان شاء الله تعالى .

● وبدأ بعدها حوار طويل مع عديد من المباركين رضى الله عنهم .. ليثنوا الامام عن الرحيل .. ومنهم .. أخوة محمد بن الحنفية اذ جاءه مع الليل يقول له .

عرفت غدر أهل الكوفة بأبيك وأخيك وانى اخاف أن يكون حالك : حال من مضى فأقم هنا .. فانه اعز من فى الحرم وأمنعه .

ـ فقال رضى الله عنه : اخاف أن يغتالنى يزيد بن معاوية فى الحرم فأكون الذى تستباح به حرمة هذا البيت

و .. كتب اليه عبد الله بن جعفر « أما بعد فانى أسألك الله لما انصرفت حين تقرأ كتابى هذا فانى مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك . ان هلكت اليوم اطفىء نور الارض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فانى فى أثر كتابى والسلام .

و . قال له ابن عباس « ياابن العم انى اتصبر وما أصبر وأتخوف عليك . ان أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم . أقم فى هذا البلد فانك سيد أهل الحجاز .. الخ » .

و .. التف الناس من حوله .. والكل يرجوه البقاء .. ولكن أمر الله لابد من نفاذه .. فأنشدهم أبيات أخى الاوس حين حذره ابن عمه من الجهاد مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« البقيـة ص ٢٧٧ »

خولة بنت الأزور

هى خولة بنت الازور ، اول فارسة مجاهدة فى الاسلام ، اشتركت فى قتال الروم ، متخفية فى زى فارس عربى ، فادهشت المحاربين واثارت فضول الفارس المجاهد فى سبيل الله خالد بن الوليد والمسلمين ، لبراعتها فى ركوب الخيل وحمل السلاح .. فلما دوى نفير الجهاد وتعالت صيحاته فى عهد الخليفة ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، خرج الرجال فى اثر الرجال من شتى القبائل والنواحى ، لتسهم بنصيبها فى الجهاد والزود عن الاسلام ..

أول مجاهدة فى الإسلام

الأستاذ سالم عرفات سالم

وكان ضرار بن الازور يستعد للخروج فى حملة جديدة ، لتكون مددا للفاتحين الظافرين من المسلمين .

وفى هماسة شديدة راح الفارس [ضرار] يحدث أخته [خولة] عن امانيه فى المستقبل ، وعن خططه التى امدها لتحطيم أعداء الاسلام وخاصة [الروم] والقضاء على فوارسهم . وانصتت خولة الى أخيها ذاهلة مأخوذة ، اذ كانت بدورها تتمنى أن يكون لها نصيب فى الجهاد فى سبيل الله .

ولكن ضرار صارح خولة بخوفه الشديد عليها ، مما يجره القتال على مغاوير الرجال ، فكيف بالنساء ؟ . ولم تنصت خولة الى أخيها ، وقالت له فى ايمان قوى وعزيمة ثابتة : « لئن كانت الحرب قد كتبت عليكم معاشر الرجال ، فان الله لم يكره لنا الجهاد ، بل فرضه علينا كما فرضه عليكم سواء بسواء » . وضم ضرار اخته الى صدره فى حنان قائلا لها فى حماس وقوة : أعدى نفسك يا خولة ، وكونى جديرة بحمل مشعل الجهاد فى سبيل الله .. والله معنا .

وبعث الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، بمدد جديد الى جيوش المسلمين ، وكان فيهم [ضرار] تصحبه اخته [خولة] . وما أن وطئت قدماها الارض المقدسة ، حتى أخذت مكانها بين الصفوف ، وأسعدها ان كان لها شرف القيام بخدمة المجاهدين المسلمين ، بين كثيرات من فتيات جنسها اللائى خرجن وراء جيش المسلمين ، ليرين آية النصر ، وينعمن بحياة الكفاح فى سبيل الله .

وفى ميدان القتال تعودت خولة أن ترقب المعارك فى هدوء المجربة المحنكة ، فلم يرهبها تراجع ، وكانت ثابتة الجنان قوية القلب ، تقدر الهزيمة قبل أن تقدر النصر ، وأنها كثيرة الحركة دائبة التنقل ، تسرع الى الظامىء وتعرف مكان من يحتضر ،وتحمل المئونة والسلاح الى من هو فى حاجة اليهما .

وشهدت خولة [موقعة صحورا] واكتوت بلظاها ، وشاء لها القدر ان تقع مع كثيرات من زميلاتها المجاهدات فى سبيل الله فى أسر الاعداء .

ونظرت حواليها فى ثورة مكبوتة ، وكرهت أن يكون الوقوع فى الاسر بداية جهادها ، ولكن الفرصة سنحت لها لتنفيذ ما دار بخاطرها ، بضرورة القيام بعمل حاسم وسريع ، فقد ذهب أكثر المحاربين من الاعداء الى ميدان المعركة ، وضعفت الحراسة المفروضة عليهن ، وأن فرصة الخلاص لتبدو مواتية ، وهبت خولة فى زميلاتها المجاهدات صائحة : خذن أعمدة الخيام والاوتاد فى أيديكن ، ولنحمل على هؤلاء الحراس من الاعداء ، فهيا ياحرائر المسلمين أشددن معى ، والله معنا . والهبت خولة قلوب المجاهدات المسلمات ، فاقتلعن الاعمدة والاوتاد ، وحملن على حراسهن من الاعداء حملة صادقة ، فراعهم هجوم الاسيرات ، واسقط فى أيديهم وكانوا قلة ، ففروا أمام بسالة المجاهدات المسلمات المندفعات وراء خولة بنت الازور ، تشق بهم طريق الخلاص .

وعادت المجاهدة الباسلة وزميلاتها الى معسكر رجالهن ، وقد تحررن جميعا من الاسر ، وهز خلاصهن الرجال ، فارتفعت الحناجر مرددة فى ايمان صادق وعزيمة قوية : [الله أكبر .. الله أكبر] ، وتخاذل الاعداء واضطربت صفوفهم ، وفروا لا يلوون على شىء ، وجرى فى اثرهم فرسان المسلمين ، ودارت رحى معركة رهيبة ، وخاضتها خولة بنفس الجرأة التى أذهلت الجميع حتى تخاذلت قوى العدو ، ففر من فر ، وألقى السلاح من آثر التسليم ، وتجلت آية النصر عالية ، وأصبحت خولة بنت الازور ، فارسة لا يشق لها غبار ، ورمزا خالدا للبطولة بين المسلمات الخالدات ●

فيصل ابن عبد العزيز

نظرة بين العاطفة والعقل

يد آثمة يحركها عقل مريض ، أطلقت رصاصات غادرة ، فكان لها دوى شديد ، تردد صداه فى أربعة أركان الارض ، وأصاب العالم بمزيج متفاوت من الدهشة والاسى واللوعة . وهكذا غاب عنا فيصل بن عبد العزيز آل سعود الى رحمة الله .

وعلى مختلف مستويات الشعب فى مصر ، استشعرنا فداحة المصاب ، وسادنا ذهول مقرون بعدم التصديق ... ولعله الامل يتعلق به الناس عندما يدهمهم مصاب جلل تهربا من قسوة الحقيقة وآلامها . وترتبط هذه المشاعر بناحيتين ، عاطفى وعقلى .

الأستاذ محمد سعد كرشاه

وفى معرض التحليل نقول : اننا شعب عاطفى ، شفيف القلب ، رقيق المشاعر تأسرنا الكلمة الطيبة ، والخلق القويم ، والارتفاع عن الصغائر واستهداف المثل العليا ، والنجدة وقت الضيق ؛ بلا من ولا استعلاء ، والتواضع الكريم فى استقامة لا التواء فيها ، والشهامة الصادقة التى تمثل فروسية العرب وكرمهم ونخوتهم .

وقد تمثلت هذه الصفات فى الفيصل ، فكانت شخصيته جماعا لها ، لا تشده ابهة الملك ، ولا تبطره سطوة المال ، يذكر دائما أنه بشر ، وعبد للخالق المنان ليس له فضل الا بالتقوى ،ورعاية حدود الله فى نفسه وشعبه .

قام يوما يخطب جمعا حاشدا - بعد البيعة - فقال « لقد تكرر على مسمعى لفظ صاحب الجلالة الجالس على العرش ... ارجو منكم ايها الاخوة ان تعتبرونى أخا وخادما فقط . ان الجلالة لله سبحانه وتعالى ، وان العرش لرب السموات والارض . ان هذه الكلمات دخيلة علينا ... اننى حين اسمعها اتأثر أشد التأثر لانى بشر ، وكل بشر يجب ان يكون عبدا لله ذى الجلال والاكرام . ولا يفرقنى عنكم الا أنكم تفضلتم فحملتمونى المسئولية لحسن ظنكم ، واسأل الله أن يوفقنى لخدمتكم الى أن يتوفانى الله فان أحسنت فمن الله ، وان اخطأت فمن نفسى » .

ولعل جماع هذه الصفات هو مبعث ذلك الشعور الفياض ، الذى عبر عنه شعب مصر ، للعاهل الراحل ، عندما زارها بعد معارك رمضان ، متمثلا فى روعة استقباله له ، وحفاوته البالغة به ، فى تلقائية سمحة نابعة من أعماقه .

ولقد تمثل ضمير الشعب ، فى كلمات قائده أنور السادات ، عندما وجه للملك حديثه عبر قناة السويس قائلا : « لقد عبرنا الان قناة السويس على اقدامنا بعد أن وعدت فصدقت ، وتعهدت فوفيت ، فلك منى ومن الشعب المصرى ومن القوات المسلحة ، ومن الامة العربية كل شكر وتقدير » .

ثم قول الرئيس وهو ينعاه لشعب مصر من فوق منبر مجلس الشعب معبرا عن مشاعرنا جميعا ، تجاه الفقيد الكريم « يهمنى أن أشترك فى تحية وتقدير الموقف فى فيصل ، اما الانسان فيه ، فرجل يعرف معنى الخلق ومعن الصداقة ، ومعنى الكرامة ، ومعنى الشرف . واما الموقف فيه فرجل قلت فيه فى حياته : انك عاهدت فصدقت ووعدت فوفيت . قلت له ذلك فى حياته ، واقوله اليوم بعد مماته ، ذاكرا بكل اعتزاز ،

وبكل عرفان وبكل محبة ؟ رجلا كان فى ذروة انسانا ؟ وهذا أعظم ما يقال عن رجل وكان فى حياته موقفا : وهل الانسان الا موقف حق والتزام » .

ولنا ان نتساءل هل كان مبعث هذه المشاعر الدافقة عاطفيا فقط ام ان له خلفيته العقلانية ؟ ولتحديد ذلك فان علينا ان نراجع مسالك الفيصل منذ النشاة الاولى ونتدرج معه خطوة خطوة ، لنرى كيف مضت حياته وكيف اكتسب ملكاته ليكون حكمنا سليما ومنطقيا .

ونقدم لذلك فنقول انه منذ زمان بعيد كانت شبه الجزيرة العربية مصدرا للشىء ونقيضه :

- من اعماق الجاهلية ، وجفاف البداوة ، أشرقت حضارة اسلامية عريقة عمت الافاق .

- ومن اعماق الفقر ، وجفاف العيش ، تفجرت ثروة البترول ، وقود الحضارة الحديثة .

- ومن اعماق مجتمع قبلى محافظ ، كانت قمة المواجهة مع تكنولوجيا الغرب الحديثة .

ويسود الجزيرة العربية مجتمع مسلم ، ذى تقاليد راسخة الجذور تتصارع فيه سمات القديم والجديد ، وتحكم تطوره قوة جذب لتقاليده الراسخة ومقتضيات المدنية الحديثة . وهنا تقوم المعادلة الصعبة بين رغبتين : رغبة التحرك مع القرن العشرين ، ورغبة الحرص على التقاليد الصارمة السائدة الامر الذى ينعكس اثره على الأوضاع الاجتماعية السائدةفيعمل فيها عوامل الشد والجذب .

ولقد كان قدر الملك فيصل بن عبد العزيز ، ان يكون مهندس هذه السياسة القائمة على التمسك بالعقيدة الاسلامية ، وتراثها العريق ، كمنطلق لوجه حضارى معاصر يأخذ كل ما فى الحضارة الحديثة ، من علوم وتكنولوجيا ، ليمزجها بهذا التراث ليخرج منها ، وجها تقدميا ، يناسب الامة العربية والاسلامية .

وقديما قيل : كل امرىء ميسر لما خلق له ، فلننظر معا كيف قاد الفيصل سفينته فى هذا البحر المتلاطم ليصل بها آمنة الى هدفها ، كأنما يمضى بها فى ريح رخاء .

ولقد علمنا جميعا ، كيف تخطط الاسر العريقة فى البلاد الغربية لتنشئة ابنائها منذ نعومة اظفارهم ، لتنتهى دراستهم العليا بالدراسة العسكرية والسياسية لتجعلهم مؤهلين لولاية حكمها . ولنقابل ذلك بنشاة الفيصل وسط اعماق الصحراء السعودية ، وكيف ربى وفقا لفطرة سليمة ، تدرجت به ، منذ ولد بالرياض سنة ١٣٢٤ هجرية « ١٩٠٦م » وكيف مضى لاكتساب خبراته العسكرية ثم السياسية ، بحيث اصبح مؤهلا لولاية الحكم ، على أعلى مستوى يضارع نتاج التخطيط الغربى العميق .

حياته :

١ - نشأ وتعلم تعليما دينيا ؟ كان الاساس فى تشبعه بتعاليم الاسلام والايمان العميق بقيمه واهمية الوحدة العربية الاسلامية .

٢ - وما ان اشتد عوده حتى دفع به والده الملك عبد العزيز الى قيادة معركة « ياطب » فى جنوب حائل ، فأثبت شجاعة ، وصلابة عود اهلاه للاشتراك فى جميع المعارك التى قامت تدافع عن المملكة العربية السعودية .

٣ - واستكمالا لتكوينه عهد اليه والده بالاشراف على الشئون الخارجية للمملكة - وكان من اصغر وزراء الخارجية سنا - وكانت له صولات وجولات فى عديد من المؤتمرات الدولية . ومواقفه فى معايشة القضية الفلسطينية منذ سنة ١٩٣٩ معروفه . وكذلك مواقفه بالامم المتحدة منذ وضع ميثاقها سنة ١٩٤٥ بسان فرنسسكو . ثم مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ ومؤتمر القمة الاسلامى بلاهور سنة ١٩٧٤بالاضافة الى العديد من مؤتمرات القمة العربية .

وقد اكتسب مكانته فى العالمين العربى والاسلامى والعالم الخارجى بسعة تجربته ومرونته وحكمته ورجاحة عقله ، وبعد نظره وقوة منطقه مع عذوبة عبارته . ولهذا اعتبر بحق ابو الدبلوماسيه السعودية ومحركها ومطورها .

٤ - ثم ولى رئاسة الوزارة وولاية العهد ، فانقذ البلاد من كارثتين اقتصاديتين وماليتين ، كادتا تطيحان بالدولة . ووضع بعد ذلك اسس بناء الدولة الحديثة واشرف على تطبيقها بنفسه من خلال الكوادر التى خلقها وتعهدها لحمل المسئولية .

٥ - وعندما دعته الظروف الى تحمل مسئولية الملك ، وضع لنفسه نهجا وهدفا :

- اما النهج : فقد اقتفى فيه طريق الخلفاء الراشدين حيث قال : « لكم على الاخلاص فى خدمتكم .. ولكم على ان اعدل بين صغيركم وكبيركم ، وان اطرفكم عندى مساو لاقربكم الى فى الحق » .

- اما الهدف : فكان تحويل المجتمع السعودى الى خلية عاملة متحررة من العوز والجهل والمرض وآخذة بأسباب الحضارة والتقدم علميا واقتصاديا واجتماعيا ، مع التمسك بالقيم الروحيه .

وهنا يستحق الموقف بعض التأمل ، لنرى كيف قاد الفيصل حركة التغيير الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ... كيف قاد النهضة الحديثة .. كيف دفع بالشعب السعودى مئات السنين فى عشر سنوات .. كيف ادخل تكنولوجيا القرن العشرين الى كل شعاب ووديان الصحراء المترامية ؟

تجاوبا مع صفاته وأخلاقه بدأ بنفسه وأمراء أسرته ، نخفض مخصصاتهم وانفذ بحزم سياسة التقشف فى نفقات الحكومة حتى ينجح فى سداد ديونها واستقامت ميزانيتها بعد طول معاناة . ثم اتجه بعد ذلك الى الاعمار ، فى كل مجالاته ، بادئا بالحرمين الشريفين قبلة المسلمين فى كل مكان ، وركز على الاصلاح فى مجالات الطرق والصناعة والزراعة والصحة والتعليم الذى ارتبط باسمه ، خاصة بالنسبة لانشاء الجامعات وتعليم البنات . وقد تصدى بنفسه للافكار الجامدة التى كانت ترفض منطق التعليم خاصة بالنسبة للبنات ، ثم اتجه الى تنظيم الجيش وتزويده باحدث السلاح والعتاد لحماية البلاد .

ومع كل هذا فقد آمن بأن النظام الاساسى للدولة يجب أن يضمن للمواطنين حريتهم وحقهم فى التعبير دون أن يكون على ذلك قيد الا حدود الاسلام السمحة . ولقد رأيت بنفسى فى موسم الحج الماضى كيف يحبه الناس ، ويعتزون به ، ويسعدون بحكمه ، وتلك لعمرى أرفع صور الديمقراطية : ديموقراطية صدر الاسلام .

وقد كان العاهل الراحل ، ثاقب البصر - منذ نشأته كما أسلفت - فى ايمانه بالعروبة والاسلام ، وتقديره السليم ، أن التضامن العربى والاسلامى هو حجر الزاوية لتخليص البلاد العربية والاسلامية من كل القوى المعادية وان ذلك هو الاساس لتهيئتها لانطلاقة حضارية جديدة ، قاعدتها الاسلام مع الحرص فى نفس الوقت على اقامة علاقات طيبة مع جميع الدول مبنية على مدى تجاوب هذه الدول مع القضايا العربية بصفة عامة والقضية الفلسطينية بصفة خاصة .

وهكذا كانت دعوته الدائبة الى وحدة الصف العربى وتضامنه ، وكراهيته للتناحر والتنابذ ، مؤمنا أن ذلك يجافى الاسلام فى مضمونه وروحه .

ولعل زيارته للقاهرة فى يونيه سنة ١٩٧١ كانت من ابرز معالم الطريق لوضع هذه الدعوة موضع التطبيق ، حيث القى بكل ثقله لدعمها ولم يكن الثقل بترولا فقط رغم خطورته ، ولا مالا فقط رغم سطوته ، بل كان الثقل الى جانب البترول والمال ، ثقلا روحيا لعب دوره الفعال فى اتساع الجبهة التى تعادى التوسع الاسرائيلى ، وذلك بانضمام سبعمائة مليون مسلم ، الى جانب اخوانهم العرب فى معركة المصير **الف الله بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا .**

ورغبة فى اتمام حلقة الحصار الدولى على اسرائيل ، دعا الفيصل الى اجراء حوار مسيحى اسلامى مع الفاتيكان ، كلل بالنجاح الكامل وهو ما كانت اسرائيل تخشاه دائما الا وهو اتفاق اهل الاسلام والمسيحية على تحرير القدس من الصهيونية .

ولم يكن الفيصل يشكل زاوية اساسية فى العمل العربى فقط ، بل كان دعما حقيقيا للعديد من حركات التحرير ، فى أرتريا والفلبين ودول أفريقيا بالاضافة الى كونه يشكل الخيط فى عقد التضامن الاسلامى كما يمثل السد المنيع أمام محاولات الضغوط الامريكية بكل انواعها .

ونتيجة لهذه الحركة السريعة فى جميع الميادين الداخلية والعربية والاسلامية والدولية وصلت السعودية فى عهده الى اعلى قمة تبوأتها فى تاريخها على الصعيدين الداخلى والخارجى . ويلفت النظر أن جميع هذه الانجازات قد سارت متكاملة هادئة بلا ضجيج او دعاية أو هزات وتلك لعمرى بلاغة التخطيط والتنفيذ والنجاح .

واخيرا نعود من حيث بدأنا ، فنقول ان شعورنا العميق بالمأساة والخسارة الثقيلة بفقد الفيصل ، احساس طبيعى وانسانى ، ولكننا لا نصدر فيه عن عاطفة جياشة ، وحب خالص ،وتقدير عميق - فقط - بل ان مشاعرنا هذه لترتد الى أسباب عقلانية ، محورها حياة هذا النموذج الفريد - كما تتبعناه - والذى رأينا كيف هيأته الاقدار ، لحمل الرسالة واداء الامانة ، مع بساطة النشأة ، وفطرة السلوك ، وعبقرية المعاناة .

وبرغم هول الفاجعة ، فان ضربات القدر تضاعف من قدراتنا على التحدى والانتصار . ان أمتنا العربية ، تنمو وتتضاعف قدراتها وتتزايد امكانياتها ، والفزع واليأس ليس من شيمتها ، وهى قادرة دائما على تجاوز أحزانها .

ان مصر بعد فيصل ، كما كانت فى حياته ، تضع يدها فى صدق واخلاص مع كل دولة عربية ، ان الفراغ الذى تركه رحيل الفيصل هو الحافز لنا جميعا على ملئه بمزيد من الترابط ومزيد من التضامن نحو الهدف الذى لن نيأس يوما من تحقيقه .

ولعل خير تكريم نقدمه للفيصل فى مثواه هو الالتزام بما جاء على لسان احد الامراء السعوديين « بالمضى على نهجه ، والسير فى الطريق الذى اختطه والذى قادنا الى ما نحن فيه اليوم ، وما نتطلع ان نكونه غدا » .

اللهم انك استرددت عاريتك ، واستعدت وديعتك وناديت عبدك الذى ابتغى وجهك ، ونصر دينك ، فاستقبل وجهك حين أدنت فوقف بسدرتك ، يعرض كتابه بيمينه ، فاكتبه اللهم عندك فى أم الكتاب عبدا راضيا مرضيا .

ولنردد معا قوله جل وعلا « **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** » ، صدق الله العظيم .

الخليل ابن أحمد ... مكتشف قواعد النحو

ليس فى دولة الاسلام التى اخرجت ابدع العلوم التى لم يكن لها علة العلماء العرب اصول ابرع من الخليل ، وليس على ذلك برهان اوضح من علم العروض الذى لا عن حكيم اخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، وانما اخترعه ممن له بالصفارين من وقع مطرقة على طست ليس فيها حاجة ولا بيان يؤديان الى غير رحلتهما او يفسران غير جوهرهما .

بهذه الكلمات تحدث المؤرخ حمزة الاصبهانى عن الخليل بن احمد عمرو ابن تميم الفراهيدى مكتشف قواعد النحو وسر الموسيقى وعلم العروض .

الأستاذ محمود معوض

وقد ابدع عبقرى اللغة العربية دون منازع اعمالا ثلاثة تعد الاولى من نوعها :

هى رسم حركات الحروف لاول مرة بعد ان كانت العرب تضع نقطا فوق الحروف ، و « علم العروض » الذى حطم به نظرية القائلين بان النظم العربى لا ضابط له ، ويدخل فى هذا اكتشافه سر الموسيقى واصلها ، اما عمله الكبير فهو اول من صنف معجما عربيا هو « كتاب العين » حصر فيه كل ما يمكن ان يتركب من الفاظ العرب ورتبه على حروف الهجاء .

واذا حاولنا ان نلقى الضوء على تلك الشخصية نجد ان الخليل بن احمد قد تخرج من البصرة . كما تخرج عدد كبير من اعلام الفكر الاسلامى درس الفقه واللغة على ابى أيوب السجستانى وراى الفروق فى صباه ، كما تلقى العلم على « عاصم الاحول و « العوام بن حوشب » .

وقد ذهب فى شبابه الى بلاد الروم مجاهدا للدفاع عن ثغور الاسلام ، وقد احب علماء العربية والنحو ، وأمضى ثلاث سنوات يجلس اليهم فيسمع منهم ولا يشترك فى الجدل والمناظرة وعاصر شيخ العربية « ابا عمرو بن العلاء » وحضر مجلسه . وكان قد مضى على ابى عمرو اكثر من خمسين سنة يدرس اللغة ، وقد اغراه بعض اصحابه ان يجادله ، وينتصر عليه فيتحدث عنه الناس ويرتفع اسمه ، ولكنه رفض ذلك وآثر ان يظل منه بمنزلة التلميذ مهما بلغ به العلم ، وكان الخليل محبا للوحدة ، راغبا فى الصحراء يخرج من المدينة اليها ، حيث ينفرد بنفسه ويدير فى عقله افكارا ومعانى كانت مقدمات لاكتشافه قواعد النحو وضوابطه .

ذلك انه بدأ يضع قواعد جديدة فيه لم يكتشفها اصحاب العربية ، ولم يلبث ان انقطع عن الناس كلية يخرج فى الصباح الى الصحراء ، فلا يعود الا فى الغسق يسير على غير هدى وهو فى خلال ذلك يدون شيئا فى صحيفة معه .

ولم تلبث التهويات ان تكشفت عن شيء واضح ناصع وصفه فى قوله « ان ابا الاسود الدؤلى ضبط حركات الحروف مع فتح وضم وسكون بوضع نقاط باعلى الحروف او اسفل منها او عن يمينها او شمالها ، وقد اختلطت النقاط المميزة للحروف بالنقاط المميزة للكلمات .

يقول الخليل « وقد اردت ان اسهل على الناس بان اوجد ما يضبط به الناس الكلمات دون الحاجة الى تغيير الجد ودون ان يضطروا من كثرة النقاط واستعمالها والامر الذى خطر فى بالى هو ان ارسم فوق كل حرف محرك صورة حرف المد الذى يقابل حركته ، فان كانت حركة الفتح وضعنا الفا صغيرة ... وان كانت الضم وضعنا واوا صغيرة ، وان كانت الكسرة وضعنا ياء صغيرة »

وقد كان صدى هذه الطريقة الجديدة التى ابدعها الخليل غريبا حيث قالوا انها بدعة وخروج عما الف الناس ، كما كانت عادة الناس فى مثل هذه الازمان عندما كانت تستقبل جديدا ! .

وقد دافع الخليل عن طريقته حتى اقنع الكثير من مخالفيه ، وكانوا قد خافوا على نص القرآن ان يغير بهذه البدعة ■

ومضت فترة من الزمن فاذا الخليل يخرج على الناس بشيء جديد . وذلك اذ كان يسير في السوق فسمع اصوات المطارق على الطسوت ، هناك اكتشف سر الموسيقى واصلها ، ولم يقف عند هذا ، بل قاده ذلك الى وضع اصول علم العروض .

قال الخليل . ان هناك ثلاث فقرات:
الاولى — دقة وسكون « تن » .
الثانية — دقتان وسكون « تتن » .
الثالثة — ثلاث دقات وسكون « تتتن » .

وقال : ان هذه الفقرات اذا تتابعت وتداخلت كونت الموسيقى ، وان اختلاف تداخلها وتتابعها هو الذى يولد اختلاف النغمات .

واتصل الخليل باهل الغناء واستاذهم « ابو رافع » ومضى يعيش فى الحانهم ويغشى مجالسهم ومعه لوح يكتب فيه رموزا لا يفهمها احد سواه .

ولم يلبث ان قال كلمته الخالدة : « السكون فى الشعر هو السكون فى الموسيقى » . وقد اداه ذلك الى ان يصل الى « العروض » فقد كان الشعر العربى قبله لا ضابط له ، فمضى يحصر اصول الانغام والتواقيع موقنا بانه يستطيع وضع مقاييس الشعر . وكان فى خلال تاملاته تلك يعكف فى منزله على بئر ، وقيل ان من يدخل عليه فى داره لا يرى منه الا قامته .... اما راسه فقد اخفاه فى فوهة البئر ، ويسمعونه يخرج اقوالا لا معنى لها يكررها ، ويقتربون منه ، فيروق راسه وقد تدلى فى البئر ملفوش الشعر.

ولما سئل فى ذلك ، قال : ان مقاطع الشعر تظهر واضحة فى الصدى الذى يحدثه البئر ، وانتقل بعد ذلك الى مرحلة اخرى فى عمله هذا ، حيث رجع الى اشعار العرب ، فاخذ يقطعها معتبرا الحرف الساكن آخر المقطع وقابل بين المقاطع ، وانتهى من ذلك بوضع اصول الشعر والنظم .

ولما اتم بحثه قصد المسجد الجامع وعرضه على الناس ذلك هو علم العروض الذى انهال الناس عليه لتعلمه فوقف نفسه على افهامه للناس .

وقد قال الخليل فى ذلك : « ان العرب استخدموا التفاعيل الثمانية خمسة عشرة بحرا مع انها تعطى اكثر من ذلك حين تجمع وتركب .

ومضى الخليل يركب بحورا جديدة ويخرج بها شعرا من اوزان جديدة .

وكان للخليل بن احمد الفضل فى اكتشاف فكرة المعجم حين الف اول معجم « كتاب العين » الذى كان يرمى به الى ضبط اللغة وحصرها ، فقد راى ان اللغة العربية تتالف من تسعة وعشرين حرفا لا يخرج عنها اية كلمة ولا اى حرف منها ، ووصل الى اليقين من ان الكلمات العربية تنحصر بين الثنائى والخماسى ، فلا تقل ولا تزيد الا بحروف زوائد لا دخل لها فى المعنى الاصيل .

واستطاع من خلال الحروف التسعة والعشرين وفيما بين الثنائى والخماسى فى الكلمات ان يحصر اللغة بتتبع دوران كل حرف فى كل بناء من هذه الابنية .

وقد قام الخليل بترتيب الحروف اولا، وابتكر نظاما جديدا قائما على الاصوات فالاصوات اللغوية اصوات شبيهة بانغام الالات الموسيقية ، فاقام دراسته حول الاصوات اللغوية او الحروف ، ثم رتب الابنية فيما بين الثنائى والخماسى ، وجعل هذه الابنية اساس تقسيم الكتب الى ابواب وكانت فكرة الخليل عامة ترمى الى حصر اللغة جميعا ،واستيعاب كلام العرب الواضح والغريب ، بينما كانت فكرة المعاجم فى اللغات الاخرى خاصة ترمى الى حصر موضوع معين .

وقد شهد المؤرخون للخليل بانه ابتكر طريقة « تدوين المعاجم » وانه صاحب الشكل المستعمل منها الى الان : فقال : [حمزة بن الحسن الاصفهانى] : ان دول الاسلام لم تخرج ابدع العلوم التى لم يكن لها عند العرب اصول الا بالخليل ، وليس على ذلك برهان اوضح من علم العروض الذى لا عن حكيم اخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه انما اخترعه .

وقد عانى الخليل فى ذلك العمل . فقد شافه الاعراب فى البادية ، فاحاط من ذلك بما لم يحط به احد ، وقد انبعث لهذا العمل من تحد خطير وواضح ، فقد راى ان العرب قد ضعفت فيهم السليقة العربية ، بعد ان تبلبلت الالسنة ، وفشا اللحن واخذت المقاييس غير العربية تسيطر .

فكان من ذلك عمله فى اللغة ، ثم عمله فى الشعر اما فى اللغة فقد وضع كتاب العين ، وفى الشعر جمع شعر العرب من كل فج ، ورتبه ترتيبا عجيبا ، وجعله طوائف ، وارجع كل طائفة الى اصل ، ووضع لكل اصل تفصيلات يعرف بها ، ويتميز ، وقد بلغت هذه الاصول خمسة عشرة اصلا سماها بحورا ، وجعل لكل بحر اسما يقاسيه .

فلما اظهر ذلك للناس دهشوا له وعجبوا .

وكان الخليل هو اول من علل اسباب النحو وادخل فيه القياس ، ولم يكن قبل ذلك علما له اصول وقواعد ما عدا جملا قصيرة وضعها ابو الاسود الدؤلى ومن خلال هذه الاعمال حفظ لغة القرآن من الاضطراب ، ووضع للغوى مقاييسه وللشاعر مقاييسه . وقد امتد هذا العمل بتلاميذه واتسع نطاقه ، فاكمل النضر بن شميل كتاب العين ومضى سيبويه فى اتمام عمله فى النحو .

واذا تناولنا الوجه الاخر لشخصية الخليل نجد ان حياته لم تكن صفوا .. كان رقيق الحال يملأ نفسه ورع عجيب، فهو لا يقبل العطاء ، ولا يريد ان يكون خادما للملوك والامراء حتى قالوا : « انه اقام فى خص من اخصاص البصرة لا يقدر على فلسين » واصحابه يكسبون بعلمه الاموال ، وآية خلقه انه كان يستمع فى حلقات العلم دون ان يشارك فى الجدل .

يقول سفيان الثورى : من احب ان ينظر الى رجل خلق من الذهب والمسك فلينظر الى الخليل بن احمد .

ولقد رحل الخليل فى ايامه الاخيرة من البصرة الى خراسان تلبية لدعوة تلميذه الليث بن المظفر امير خراسان ، وقد شيعه اثناء رحيله ثلاثة آلاف رجل ساروا معه حتى بلغوا « المربد » ، فاستوقفهم وخطب فيهم بما يشبه الاعتذار عن رحيله :

« كانت هذه ايام سد فيها باب المعاش على وتضرر الاهل والولد ، وكثر اللوم فلم يثنني عن عزمى الا دعوة رجل صالح عالم فقد اراد ان يوفر لى الراحة فى الشيخوخة باجر اتقاضاه على علمى ، فيسهل العيش على الاهل » .

ثم لم يلبث الخليل ان هتف به هاتف الحج ، فسافر الى مكة ، وقصد منها الى البصرة التى استقبلته مكرمة اياه حيث اقام بقية حياته .

وفى هذه الفترة التقى بتلميذه « سيبويه » الذى كان يكتب كل ما يقال والذى كثر تردده على مجالس الخليل حتى احبه ،وقال له عبارته الخالدة : « مرحبا بزائر لايمل » .

ثم جاء ختام حياته منسقا مع طبيعته العامة الحاذقة المندفعة الى البحث والى تجميع الاصول ذلك انه راى الجارية تخاصم البائع وهى تطالبه بدراهم اخذها منها بمغالطته اياها ، فاراد ان يقرب نوعا من الحساب تمضى به الجارية الى البائع فلا يمكنه ظلمها ، ودخل المسجد وهو يعمل فكره فى ذلك ، فاصطدم راسه بالسارية الضخمة فوقع واحدث صوتا شديدا وانقلب على ظهره وتدحرج الى الارض مضرجا بالدماء . وكانت هذه نهاية الراس المفكر الذى اخرج للناس علما وفكرا سيظل اثره باقيا ما بقيت العربية . فلما اجتمع الناس حوله قال لهم عبارته الاخيرة .

« لا تبكوا ، فوالله ما فعلت فعلا اخاف على نفسى منه ... وما علمت انى كذبت متعمدا قط ، وارجو ان يغفر لى التأول » وقد توفى عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ م ، بعد أن عاش حياة خصبة عريضة .

فى ذكرى اقبال

فضيلة الشيخ الصاوى شعلان

لقد وهب الله مسلمى شبه القارة الهندية الباكستانية رجلا واحدا نظم للمسلمين قصيدة كانت هى « الباكستان » ، واقبال هو الشاعر الذى يبدو فيه المجال متسعا للتحدث عن غزارة معينه ، وصفاء جوهره ، ونضارة اسلوبه ، وبعد مرماه ، وسمو غايته .. وعن المنابع الروحية التى امدته بما يثير الاعجاب من الادب اللباب ، وبما يملك الالباب من الحكمة وفصل الخطاب فى معان لا تحدها الآفاق ، والفاظ تحسد الصدورعليها الاوراق .. فكل فكرة تقويم ، وكل نقطة تعليم ، وكل بيت اقليم .

يمكن أن يقال باختصار أن شعر اقبال كان يتسامى الى المعانى التى اشرق بها نور الاسلام فى توحيد عقيدته واتحاد أمته واستمداد عناصر قوته من ذاتيته .. نظم شعره بالاردية والفارسية ، ولكنه عاش بالقرآن وللقرآن .. فشعره ، كما سماه بنفسه . « جناح جبريل » وفيه وفاء الخليل وثبات اسماعيل .. يقول للمسلم : انت وارث السفينة التى اجتازت الطوفان ، والروضة التى غرسها الايمان وسط النيران ، والعصا التى شقت الطريق فى البحر ، والدعوة التى أخرجت الفاقة من الصخر .. انت صاحب بدر وحنين والمترنم بتكبير الحسين .

فى العالم الاول من
مطالع الاكوان كنت
والناطق الاخير فى
رسالة الرحمن انت

● من هو المسلم الحر فى نظر « اقبال » ؟ .. هو مصنوع من اكسير لا تخف .. فرؤوس الخلق فى جيوبهم ، وراسه على الكف .. جمل يطعم الاشواك فى صحراء الحياة ؟ ومصباحه فى الطريق **لا اله الا الله** ، وروحه ابعد من مرمى سهام الموت ، ونداؤه فوق مقام الحرف والصوت ، لا حرارة الا من خمره ، ولا انهار للشعوب الا من بحره .. الدين عندنا رواية وخبر ، والدنيا عنده دراية ونظر .

لقد استشف من الاسرار كل حجاب ، ونحن خارج الدار وعلى الابواب .. هو الذى احمرت شقائق البستان من طل اجفانه ، واتقدت النيران من ظل دخانه .. انه مسلم حتى تستلهم الامم من صدره التكبير ، وتقرأ على جبينه آية التقدير .. تراه فى دنيا الزلازل ثابت الوجود ، وكان الموت عنده أحد منازل الخلود .. ولعلنا نبيع أرض المساجد للاغيار ، اما هو فقد باع نفسه للنبى المختار .. أوعيتنا فارغة وهو مملوء الوطاب ؟ ما حملت يده كأسا ولا اعتصر الاعناب ، ولكنه سمع « **الست بربكم** » فذاق كل الشراب .

هذا هو اقبال وقد عالجت من ترجمته ما استطعت وما زال فى شعره البقية مما ساحاول ترجمته ان شاء الله .

لبيك « اقبال » ان العالم اجمعه
ليوم ذكراك اقبال وايمان
ذكرى تجلى بها وجه الربيع سنى
وصافح المطر منها وهو جزلان
كانها ما يزف الطير من نغم
به الدجى حالم والصبح نشوان
المطر موقدها والزهر موسمها
غنى الربيع بها واختال نيسان
تلك القصائد من لفظ ومن كلم
لم هن ورد واطياف وافنان
ان البساتين شعر للربيع وفى
خميلة الشعر للارواح بستان
الشعر وصف وتعليم وموعظة
وفتنة واغاريد والحان
وبيت اقبال اقليم لامته
بل شعر اقبال فى الدنيا باكستان
قلب مذاب ونفس غير وانية
وعزمة عشقها للنجم ظمآن
مجاهد قوله فصل ومنطقه نصل
وهمته جيش وميدان
يا رب اعزل هابته السيوف وذى
كوخ له فى ذرى التاريخ ايوان
شعر تطل القوافى منه ناصعة
تظنها كلمات وهى عقبان
مبارك اللفظ علوى البيان على
وشى الربا منه انسام والوان
من الكتاب ومن اشراق حكمته
وما حكاه بروح القدس حسان
صنع الملائك الهاما وتبصرة
فمثل ذا النور لا يوحيه شيطان
يرمى عن الحق لا يالو مجالده
وملء عطفيه توحيد واذعان

داع الى شرف الآمال منتشق
بلاغة حدها نور ونيران
مؤذن بنداء الحق امته
كان صوت بلال منه رنان
ينبه الدهر للشرق المهيض وفى
شمس النهار لمجد الشرق عنوان
ما ينقم الكون منا فى ممالكه
أيام نحن به للعدل ميزان
عن خاتم الرسل أهدينا الحياة لها
هدى وشرعتها امن وايمان
سارت بتوحيدها الاجيال واتحدت
على هدى الله أقطار واوطان
كتاب ربك لم يجعل له عوجا
للمؤمنين به « نور وفرقان »
هو السكينة والاقدار عاصفة
هو السفينة حين الارض طوفان
لما سرت فى هداه الكائنات غدت
والسلم ضاف وكنز العيش ملآن
والفقر فخر وأخلاق الغنى نعم
والكل للكل فى الخيرات أعوان
كما تآخت على عقد جواهره
أو التقت فى بساط الروض أغصان
والارض جنة عدن فى فضائلها
والمالمون بها فى الله اخوان

من يرحم الخلق فليبعث لنهضتهم
شريعة صاغها للخلق « رحمن »
اقبال جاءك غيث الحمد من امم
لها بابياتك الشماء بنيان
من ضجة المحشر المرهوب ثورتها
وصوتها فى سبات الدهر بركان
للفارسية سحر من بلاغتها
والروح مكية والكرم عدنان
وللمدينة نور فى مطالعها
وللعروبة اعراب والحان
يضىء منها ابو بكر وصاحبه
كالنيرين وذو النورين عثمان
ومن على عليها رونق حسن
وللحسين بها روح وريحان
وخالد خالد فيها بعزمته
وحبذا عمرو لهم فى النيل عمران
ملائك صدقوا الرحمن ما وعدوا
فى الحرب انس ويوم الروع جنان
رعاة شاه سمت فى الله الفتهم
اذا بهم لشعوب الارض رعيان
الله جارك يا « اقبال » فى ملأ الاب
رار .. والدار جنات ورضوان
من كوثر المصطفى صغت البيان لنا
وانت بالمصطفى فى الخلد ريان

بقية مقال « المسيرة الكبرى الدامية »

سامضى فما بالموت عار على الفتى
اذا ما نوى حقا وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه
وفارق مثبورا وخالف مجرما

ثم قرأ قول الله تعالى « وكان امر الله قدرا مقدورا .

● وقبل المذبحة .. وعند كربلاء .. كانت كلمات محاسبة ومؤاخذة تهتز لها الدنيا عبر التاريخ حيث قال الامام عندما جمع ولده واخوته واهل بيته وصحبه ونظر اليهم باكيا « اللهم انا عترة نبيك محمد قد اخرجنا وطردنا وازعجنا عن حرم جدنا وتعدت بنى امية علينا . اللهم فخذ بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين » .

ثم نظر الى أصحابه وقال « الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون .. »

وصمت عليه السلام ثم قال « فقد نزل بنا من الامر ما قد ترون وان الدنيا قد تغيرت ،تنكرت وادبر معروفها ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل . الا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه يرغب المؤمن فى لقاء الله فانى لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الابرقا ..

ثم صمت الامام طويلا .. حتى قطع الصمت صوت زهير وهو يقول « سمعنا يا ابن رسول الله مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لاثرنا النهوض معك على الاقامة فيها » .

وقال من بعده برير .. يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة .

وقال نافع بن هلال طويلا .. ومن ذلك .. سر بنا راشدا معافى مشرقا ان شئت أو مغربا فوالله ما اشفقنا من قدر الله ولاكرهنا لقاء ربنا وانا على نياتنا وبصائرنا نوالى من والاك ونعادى من عاداك » .

وانتهى اللقاء الحزين .. ليكتب الامام الى اخيه ابن الحنفية وجماعة من بنى هاشم يقول لهم .. « اما بعد فكأن الدنيا لم تكن وكأن الاخرة لم تزل والسلام .. » .

● .. ومن بعد ذلك بأيام قلائل .. كانت المذبحة ومن بعدها العظة والموعظة .. وصلاة وسلام على آل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من اعلام الاسلام بمدينة الاسكندرية

العلامة الشيخ خفاجى سيف الله الاسكندرى

الاستاذ ابراهيم الغمام

انبعثت في مدينة الاسكندرية ، فى القرن الماضى ، حركة علمية مباركة ، حمل لواءها [الجامع الانور] الذى انشاه الشيخ ابراهيم بن عبد الله باشا المالكى الاسكندرى ، وافتتحه للصلاة والدراسة فى اوائل شهر المحرم سنة ١٢٤٠ هـ [اى اواخر شهر اغسطس سنة ١٩٢٤] .

ويعرف الجامع الان باسم [جامع الشيخ] او [جامع الشيخ ابراهيم باشا] وكلمة [باشا] هنا ليست رتبة منحت لذلك الشيخ الجليل ، بل كانت مجرد لقب ورثه عنه ابناؤه .

وقد اشار [على باشا مبارك] الى تدهور الحالة العلمية فى الاسكندرية قبل انشاء ذلك الجامع ، ووصفه المدينة فى ذلك العهد بانها « كانت تجردت من محاسنها ، وعريت من العلم واهله ، فكان لا يرى الا بعض وعاظ فى شهر رمضان ، والشهرين قبله ، الى ان بنى الشيخ ابراهيم باشا جامعه فى سنة ١٢٤٠ هـ . فاخذ العلم فى الظهور والانتشار » .

ثم وصف انتظام الدراسة فى ذلك الجامع ، وكثرة المستفيدين منها بقوله « وبه دروس العلم لا تنقطع ، فهو فى الاسكندرية كالازهر فى مصر » .

ولقد قدر عدد طلاب ذلك الجامع بعد نحو خمسين عاما من انشائه باكثر من اربعمائة طالب ، بعضهم من ابناء المدينة والبعض الاخر من ابناء اقليم البحيرة ، ومناطق الصحراء الغربية وبعض مناطق اقليم الغربية ، القريبة من الاسكندرية ، مثل فوه ، ومطوبس .

ومن اشهر العلماء الاجلاء ، الذين افادوا طلاب ذلك الجامع بعلمهم ، وتخرج على ايديهم كثير من علماء المدينة الذين اصبح لهم شان يذكر فيما بعد ، العلامة الشيخ خفاجى سيف الدين ابن ابراهيم بن الحاج محمد بن الشيخ عمر بن الشيخ خفاجى المعروف بالشيخ خفاجى سيف الدين الاسكندرى .

وقد شهد له السيد محمد البشير ظافر الازهرى ، فى كتابه [اليواقيت الثمينة ، فى اعيان مذهب عالم المدينة] بانه كان « الثقة ، الثبت ، القدوة ، الحجة ، الفهامة ، حامل لواء العلم ، شيخ الاوان ، المشار اليه فى المنطوق والمفهوم بالبنان » .

كما وصفه بانه « السيد فى البلاغة ، صاحب السعد فيها ، فهو منار الاصول ، وحامل الاحكام ، وصاحب التنقيح والتحرير فيها ، على ابدع «احكام» .

ولد — رحمه الله — فى سنة ١٢٤٥هـ [١٨٣٠ م] فى قرية الصالحية باقليم الشرقية ، وانتقل مع والده — قبل ان يتجاوز الثالثة من عمره — الى قرية سنخراط باقليم البحيرة ، حيث توفى والداه ، وكف بصره صغيرا ، وعوضه الله عنه شدة الحفظ والذكاء ، فحفظ القران جميعه ، وجوده تجويدا متقنا ، فى مدة قليلة ، فى سن مبكرة . ثم حفظ الفية العراقى فى مصطلح الحديث عندما شب عن طوقه ، ثم ذهب بعد ذلك الى الجامع الازهر الشريف ، حيث اكمل علومه الدينية واللغوية ، على نخبة من الاساتذة الاعلام ، امثال الشيخ مصطفى البولاقى ، والشيخ التلباتى ، والشيخ مصطفى الذهبى ، والشيخ ابراهيم الباجورى .

ثم سافر بعد ذلك الى الاسكندرية ، وقد اجتذبته انوار الجامع الانور ، فاجتمع بالشيخ سليمان باشا نجل الشيخ ابراهيم باشا ، وكان قد حل محل والده فى مشيخة علماء الاسكندرية فلازمه وانتفع به . كما لازم بعض العلماء الاخرين بذلك الجامع ، وافاد منهم ، كالشيخ عبد الله نوار ، من علماء الشافعية ، والشيخ مصطفى عابدين الشهير بالشامى واخذ عنهم .

وعندما اشتاقت نفسه الى الجامع الازهر عاد اليه ، غير انه وجده قد خلا من كثير من مشايخه ، الذين احبهم واجلهم ، فاستوحشت نفسه اسفا على موتهم ، وآثر العودة الى الاسكندرية ، حيث طابت له الاقامة فيها ، واخذ يتصدر حلقات العلم فى الجامع الانور ، وكثر طلابه ومريدوه ، فراح يصل ليله بنهاره فى اداء رسالة العلم ، حيث تخرج على يديه كثيرين من العلماء الافاضل ، كان من اشهرهم الاديب اللامع ، والصحفى البارع السيد عبد الله النديم ، خطيب الثورة العرابية الذى تلقى العلم فى ذلك الجامع ايضا على الشيخ ابراهيم السرسى ، والشيخ ابراهيم الشافعى ، والشيخ محمد العشرى وغيرهم .

وممن تخرجوا على الشيخ خفاجى من علماء المدينة ، الذين اسهموا فيما بعد ، فى الحركة العلمية بها ، الشيخ ابراهيم سليمان باشا ، واخواه الشيخ حسن والشيخ محمد انجال استاذه الشيخ سليمان ابراهيم باشا .

كما تخرج على يديه الشيخ محمود فتح الله البرينى ، والشيخ احمد المسيرى ، والشيخ احمد السعران ، والشيخ عمر بن خليفة ، والشيخ عبد العليم شريف ، والشيخ عبد الفتاح شريف ، والشيخ حسن السندريسى ، والشيخ سعيد المعداوى . فضلا عن انجاله الفضلاء الشيخ محمد خفاجى ، والشيخ احمد خفاجى والشيخ حسن خفاجى ، الذين اكملوا رسالته من بعده .

كما تخرج على تلامذته هؤلاء مئات من العلماء الاجلاء ، الذين ظلوا يفخرون بالانتساب اليه مباشرة ، او بالواسطة كالشيخ حمزة فتح الله ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ حسن منصور والشيخ احمد يوسف نجاتى ، والشيخ احمد السكندرى ، والشيخ احمد العوامرى ، والشيخ احمد ابو على

وعندما توفى — رحمه الله — فى ليلة الجمعة ، الرابع من شهر شوال سنة ١٣١٠ هـ . [١٨٩٣ م] عم الحزن المدينة ، واغلق التجار والصناع حوانيتهم واشتركت فى جنازته جموع لا تحصى من ابناء المدينة ، والمناطق المحيطة بها وصلى عليه بالمسجد العمرى المعروف بمسجد الرحمة ، وهو اقدم مساجد المدينة ، ودفن مبكيا عليه ، ورثاه عدد من العلماء الافاضل كالشيخ عبدالرحمن الابيارى ، قاضى الثغر ، والشيخ عبد العزيز العوامرى ، والشيخ جاد الحق كما رثاه نجله العلامة الشيخ محمد خفاجى بقصيدة مؤثرة .

رحم الله ذلك العالم الجليل ، وجزاه عما اداه للدين والوطن والعلم خير الجزاء .

العقاد الرجل والعقيدة

بدت ذراعا الجبل تحتضن ضفتى النيل بثياب قرمزية .. واخذت مياه النيل العسجدية تحيل أشعة مصابيح سهرات رمضان المتوهجة الى تموجات ذهبية ... تتراقص على أنغام موسيقى المياه المتدفقة .. تارة هادرة صاخبة !! .. وأخرى رقيقة حالمة !!

وعلى قمة من الجبل جلس ثلاثة من الصبية يسمرون ... لعب بخيالهم منظر نيل اسوان الساحر ..!! تجنح بهم الاحلام والامال على بساط التخيل للمستقبل الذى يتمنونه .. ويالها من مصادفة عجيبة !! كانت الليلة .. ليلة القدر !!

رفع الصبية الثلاثة اكفهم فى ضراعة وبراءة الى السماء .. طالبين من الله تعالى .. قبول الدعاء ...

تمنى الاول ان يكون قائدا عظيما ..!!
والثانى ان يكون من زوار بيت الله الحرام !!
والثالث ان يكون اشهر اهل زمانه !!

الأستاذ عبد الودود محمد طه

وكان الثلاثة كانوا على موعد مع القدر .. الاول هو صالح باشا حرب الذى اصبح من قواد مصر العظام ووزيرا للدفاع .. والثانى الحاج عبد الحميد صبرى الذى اتيحت له فرصة زيارة بيت الله الحرام اكثر من مرة !! اما الثالث فهو الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد .. الذى ملا سمع الدنيا وبصرها .. كاتبا وشاعرا ..اديبا وخطيبا .. مفكرا وفيلسوفا .. الف من الكتب ما يفوق السبعين .. كل منها يفوق رسالة الدكتوراه والماجستير .. عالج جميع مناحى الفكر الانسانى .. وتعشق العبقرية والعبقريات..والعظمة والعظماء وحاول التاسى بهم حقا لقد اصبح من اشهر اهل زمانه !!

وصدق العقاد حين وصف نفسه كما جاء فى كتابه « انا » ..

« اديب مشهور .. وليس بليسانس ولا دكتور ..!!

وعضو فى مجلس الاعيان وليس فى حوزته نصف فدان .. !

وليس ببيك ولا باشا .. ولكنه يقول للبيك والباشا كلا وحاشا !! وصاحب اعوان وانصار وما هو بزعيم حزب ولا بصاحب عصبية ولا مصطبة ولا دوار !!

فقير جد فقير .. ولكن ليس بهين ولا حقير .. !! وصاحب قلم مسموع الصرير .. مرهوب النفير .. ولكن ليس بصاحب صحيفة ولا بمدير .. ولا برئيس تحرير ولا سكرتير تحرير !! »

فمن يكون الرجل .. ؟؟ واى طراز من الرجال كان !!

الحق اقول لكم .. ان الذى يريد ان يكتب عن الرجل لا يستطيع ان يحيط به علما .. ولا يستطيع ان يوفيه حقا وقدرا ..لان الرجل كان كالماسة المتالقة لكل ضلع منها اشاع ولكل جانب منها بريق .. فلنقتبس من الماسة بعض شعاعها .. ومن بريقها بعض ومضاتها .. لعلى بها اكون قد وفيت للرجل بعض الدين فى يوم ذكراه ..

يقول الاستاذ العقاد فى كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم » :

« ان معرفة البيئة ضرورية فى نقد كل شعر فى كل امة وفى كل جيل » .

واذا كان الاستاذ العقاد يميل للتحليل النفسى فى تناول شخصياته فنحن هنا نسلك دربه ونسير على هديه :

الرجل نشا فى كنف والد كان يعمل امينا للمحفوظات فى مديرية اسوان فاسبغ على مهنته الدقة .. وحب النظام وكان جده الاكبر يعمل فى صناعة الحرير وهى مهنة تحتاج الى صبر وطول بال ولذلك سمى بالعقاد .. اما جده فقد كان :

يعمل فى حسابات مديرية اسنا حينذاك وهى مهنة تحتاج الى عقل منظم مرتب .

اما والدته فهى تنحدر من اصل كردى كان جدها احد قواد الفرق التى ارسلها محمد على لتاديب ملك شندى : كانت سيدة فيها اباء وشمم متوارث كثيرة الصمت فيها حب للعزلة اطلق عليها لقب المشدة وهو لقب كان يطلق على رؤساء العمال الذى كان يقودهم للعمل وهو دليل قوة شكيمة المراة وصلابة ارادتها يقول عنها الاستاذ العقاد :

« لم ار امراة اصبر على الصمت والاعتكاف من والدتى فلربما مضت ساعة وهى تستمع الى جارتها وهى تجيبهن بالتامين او التعقيب اليسير الخفيف ولربما مضت ايام وهى معتكفة فى بيتها او فى حجرتها لا تضيق ضجرا بعزلتها !!»

اما موطن العقاد فهو اسوان...وهى مدينة بلا غيوم او ضباب..فيها الخضرة الداكنة والصخور الصلبة والمعابد الشمخية وهى بلدة مفتوحة السماء فكانما الرجل قد اثر فيه كل ذلك فكان العقاد الواضح الراى القوى الحجة الصلب الارادة .. حتى كان يطلق عليه الكاتب الجبار..ولذلك نراه يقول عن بلدته « اذا ذكرت اسوان جاز لى ان اقول انها مدرستى لاننى كما استلهمت الدين بالانسانية فى الادب والعالمية فى السياسية وبالوطن الذى تتسع له آفاق الفكر وآفاق الشعور ولعلى قد تنفست هذه الدروس من هواء الوطن قبل ان اقبسها صفحات كتاب »

ان من يدرس هذه العوامل مجتمعة لتهوله شخصية هذا الرجل الجبار .. حين يراه شارعا قلمه طاعنا به يمينا ويسارا يمتطى صهوة الفكر كالفارس المغوار .. يلزم أعداءه الحجة ويجعلهم ينسحبون من ميدان المحاجة !! والذى يتتبع شخصية الرجل يجد ان ملامح العقاد الناشىء هى ملامح العقاد الرجل الانفة .. الترفع .. الجد وقوة المنطق .. الاصرار والمثابرة .. الارادة القوية حب الاطلاع والمعرفة .

فهاهو ذا مدرس الحساب يعتمد على المسائل المحلولة فى كراسة التحضير فى تقديمها للتلاميذ .. واذا ببعض التلاميذ يقدمون للمدرس مسالة ليست موجودة فى دفتر التحضير .. ولايستطيع الجميع حل المسالة !! واذا العقاد التلميذ الناشىء بعد ان انصرف الى منزله كانت المسالة شغله الشاغل !! يسهر الليل بطوله حتى يحلها ويقوم للمدرسة صباحا متهلل الوجه .. ويعرض

على المدرس المسألة واذا بالمدرس يوهن عزيمته بعد أن قدم الحل على السبورة .. وقول له ساخرا .. لقد أضعت وقتنا.. انها مبنية على مجهولين ولن تاتى فى الامتحـــان ..!! واذا بالتلاميذ فى صوت واحد .. لقد اضعت وقتنا ما الفائدة !! !! بعلق العقاد على هذه الحادثة بقوله .. « كانت الصدمة كفيلة بان تكسرنى كسرا لو أن اجتهادى كان محل شك عندى ..وهذه لم تكسرنى بل نفعتنى أكبر نفع حمدته فى حياتى وصح قول نيتشة كل ما لم يقتلنى يزيدنى قوة » لاننى لم احفل بعدها بافكار زميل أو رئيس وعلمت أن الفضل قيمته فيه لا فيما يقال عنه » هذه صورة !!

اما الصورة الثانية .. زعيم الامة مصطفى كامل كان فى زيارة اســوان ودعى لزيارة مدرسة اسوان الاسلامية وكان العقاد مدرسا متطوعا فى المدرسة وهو تلميذ .. وكان سنه خمسة عشر عاما .. وتقوم المدرسة وتقعد لزيارة زعيم الامة ويدخل الفصل عند العقاد ويقدم بيتا من الشعر للتلاميذ طالبا تفسيره :

والمرء ان لم يفد نفعا اقامته

غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

واذا بالتلاميذ لا يستطيعون جوابا.. واذا بالعقاد الفتى الناشىء ذى الخمس عشرة سنة يتقدم من الزعيم ويقــول متحديا ..

ــ سيدى الزعيم ان التلاميذ معذورون فى عدم فهم بيت الشعر لاننا فى اسوان نعتبر الغيم نعمة لا نقمة .. لانه يحول دون حرارة الشمس فى اسوان .. بالها من جراة من صبى نكرة .. لزعيم مصر وخطيبها المفوه آنذاك مصطفى كامل باشا !!

الصورة الثالثة .. الشيخ الامام محمد عبده كان فى زيارة اسوان ويدخل المدرسة التى كان العقاد تلميذا صغيرا فيها وكانت حصة التعبير وكان الموضوع الحرب والسلام .. واذا بكل التلاميذ .. يكتبون فى موضوع السلام الا العقاد فقد اختار موضوع الحرب .. وأخــذ يصول ويجول ويقيم الحجة ويدعم بالدليل صدق دعواه واذا بالامام يلفت نظره منظر الصغير ويربت على كتفه ويقول له :

« ما اجدر هــذا ان يــكون كاتبا بعد !! »

شهادة من امام مصر ومجدد ذكرها .. لتلميذ مغمور ونبوءة صدقت أصبح التلميذ كاتب مصر الجبار !!

اما العقاد الشاب فقد كان عجبا .. انه اول موظف يستقيل من عمله !! فبعد حصوله على الابتدائية..عين موظفا .. وبعد جهد جهيد من ذوى الشأن من معارف والده .. وحصل على راتب اربعة جنيهات .. وياله من مبلغ فى زمنه .. ويالوظيفة من بريق .... يخطف الابصار .. حتى أصبح المثل السائد اذا فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه .. ولكن لم يمرغ العقاد آنفا ولم يقبل ذلا .. ولم يبع رايا .. اختلف مع رئيسه فقدم استقالته .. وهجا رئيس القلم بقصيدة قال فيهما :

الدهر غير حــــالى
ياسوء ، دهــر تمــادى
شــفيق أمسى رئيســـا
ويوســـف قد تســامى
وقبـــل كانا ســـويا
لاحمــــد خــــداما
مابال هـــذا وذاك
تراســـا الاقـــلاما

فشفيق كان رئيسا للقلم ويوســف كان وكيله ورفع الاثنين قضية على العقاد .. واعجب القاضى بشعر العقاد ودفاعه عن نفسه ولكنه أوقع عليه غرامة خمسين قرشا ولما ذهب العقاد لدفع المبلغ لخزينة المحكمة وجد القاضى قد دفع المبلغ ..

وظل العقاد يتقلب فى وظيفة التدريس ووزارة الاوقاف ولكن الامــور كانت لاتعجبه فكان يفضل الجوع والضياع.. على امتهان مهنة لا تعجبه .

اما عن العقاد الكاتب السياسى لا نبالغ اذا قلنا ان المحافل السياسية والادبية لم تر رجلا مثل العقاد له كثرة كثيرة من المعجبين به وله كذلك كثرة من الحاقدين عليه كذلك ولنترك العقاد يصف نفسه فى هذه الفترة .

لى بحمد الله اصدقاء
لى كذلك اعداء بحمد الله

واحمد الله على الاصدقاء حمد الغبطة والرضا والمسرة واحمد الله على الاعداء حمد الانعام بالبلوى ..

وقد ينعم الله بالبلوى وان عظمت
ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

لقد حاربت الطغيان وحاربت الفوضى .

لقد حاربت رؤوس الاموال وحاربت مذاهب الهدم والبغضاء .

لقد حاربت التبشير وحاربت التقليد الاعمى والدجل باسم الدين

لقد حاربت الجمود وحاربت الافكار والجحود .

لقد حاربت الاحزاب وحاربت الملوك .
لقد حاربت هلتر وحاربت المستعمرين فى صفوف الديمقراطيين .

لقد حاربت أعداء الادب المسمى بالقديم وحاربت أصدقاء الادب المسمى بالجديد .

لقد حاربت الصهيونية وحاربت النازية أكبر أعداء الصهيونية .

لقد حاربت جميع هؤلاء فالتقى على محاربتى أناس من جميع هؤلاء :

صهيونى الى جانب نازى الى جانب فوضوى الى جانب رجعى الى جانب ملحد الى جانب حامل اللحية باسم الدين الى جانب الماركسى من اليسار والمبشر من اليمين .

فلقد اختار الرجل لنفسه الطريق الصعب طريق الحق : وصدق حين قال .

من يبغى الحق فى الدنيــا
فلا أسف على السلامة أن خانته دنياه
قد يهجر الامن من ذلوا ومن هنوا
وما تفرق قط الهول والجاه
فاختر لنفسك اما المجد فى خطر
او الهوان وقد تشعر ببلواه

كان الرجل عضوا فى مجلس النواب وحاول الملك فؤاد العبث بالدستور واذا بالرجل يقول كلمته المشهورة « ان الامة على استعداد ان تحطم اكبر راس يعتدى على الدستور ..!! » واذا بالدنيا تقوم وتقعد وتلفق للرجل جناية العيب فى الذات الملكية ويدخل السجن تسعة أشهر .. ويعانى الرجل من المرض الرئوى ... ويزوره على ماهر باشا وزير الحقانية فى حينه ويطلب منه تلبية خدماته ولكن العقاد ابدا ... يقول السجن احب الى مما تدعوننى اليه ...!!

ويخرج من السجن بعد قضاء المدة ليقول قصيدته العصماء .

وكنت جنين السجن تسعة أشهر
وها أنا فى ساحة المجد أولد
ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجا
وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد
وما افقدت لى ظلمة السجن عزمة
فما كل ليل حين يغشاك مرقد
عداتى وصحبى لا اختلاف عليهم
سيعهدنى كل كما كان يعهد

البقيه ص ٢٦٢

المكتبة الإسلامية

الله

فى العقيدة الإسلامية

« جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأنزل فى الارض جزءا واحدا ، فمن هذا الجزء تتراحم الخلائق حتى لترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه ».

حديث شريف

رحمة الله تعالى

فصل من كتاب
تحت الطبع

للأستاذ أحمد بهجت

بحار الرحمة الالهية بلا ساحل ..

ليس لها ابتداء وليس لها انتهاء ..

هى بحار بلا قاع ولا قرار ولا شاطىء ..

لا ياخذ منها الخلق الا بمقدار ما ياخذ الطفل من مياه المحيط فى حفرة حفرها الى جوار الشاطىء..

تأمل صور الرحمة الانسانية على الارض . رحمة الاباء بالابناء ، ورحمة العاشقين بمن يحبون ورحمة الاخلاء بالاصدقاء ،ورحمة الانسان بالحيوان .. ورحمة الحيوان بالحيوان .

تأمل هذا كله خلال تعاقب الايام والعصور وتتالى القرون والدهور .. تصوره منذ خلق الله الارض الى أن يرث الارض ..

هذه الرحمة الهائلة كلها جزء من مائة جزء خلقه الله ، واحتفظ لنفسه بتسعة وتسعين جزءا وانزل فى الارض جزءا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« جعل الله الرحمة مائة جزء ، فانزل فى الارض جزءا واحدا ، فمن هذا الجزء تتراحم الخلائق ، حتى لترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه ».**

لا حدود لرحمة الله عز وجل ..

ومن الخطأ ان تقاس عليها الرحمة البشرية ، أو تقارن بها ..

فرحمة الانسان سجينة فى حدود طاقته المحدودة وهى مقيدة على قدر عطائه الذى ينفد ، وهى لا تسع الا قدر ما يسعه احتمال عقله وأحزان قلبه وهى مثل الاناء ان امتلا فاض ولم يعد يقبل المزيد.. وما اسرع ملل الرحمة الانسانية ..

اما الرحمة عند الله فافق اعلى من ان يستشرق، وعمق بلا قاع ، هو سبحانه الذى وسع كل شىء رحمة وعلما .

يصلى له الملائكة بقولهم « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » .

ويقول عز وجل فى صفة رحمته « ورحمتى وسعت كل شىء » .

يقول العارف بالله « المحاسبى » ..

عرفت رحمة الله طريقها اليك قبل أن تولد .

كنت ذرة فى صلب أبيك آدم حين تعرف الله اليك ، واشهدك على الوهيته فشهدت ، واخذ عليك عهده فاقررت .

قال تعالى « **واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم .. قالوا بلى** » .

تعرف الله اليك قبل أن تولد فعرفته ، وتجلى بنعمه عليك لك فشهدته ، والهمك الاقرار بربوبيته فوحدته ، ثم انه جعلك نطفة مستودعة فى الاصلاب فتولاك بتدبيره هنالك حافظا لك ومحافظا عليك ، موصلا لك المدد بلطفه ومنته من الاباء الى ابيك آدم ، ثم تذفك فى رحم الام فتولاك برحمة التدبير ، وجعل الرحم لك ارضا يكون فيها نباتك ، ومستودعا تنشأ فيها حياتك ، ثم جمع بين النطفتين والف بينهما فكنت ترجمة لسر الازدواج الذى انبنى عليه الوجود كله ، ثم جعلك بعد النطفة علقة مهياة لما يريد سبحانه ان ينقلها اليه ، ثم بعد العلقة مضغة ، ثم فتق سبحانه فى المضغة صورتك ، واقام فيها بنيتك ، ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ، ثم غذاك بدم الام فى رحم الام فاجرى عليك رزقه من قبل ان يخرجك الى الوجود ، ثم ابقاك فى رحم الام شهورا حتى قويت اعضاؤك واشتدت اركانك ، ليهيئك الى البروز الى ما قسم لك او عليك ، وليبرزك الى دار يتعرف منها بفضله وعدله ورحمته اليك ، ثم انزلك الى الارض فعلم سبحانه انك لا تستطيع ان تتناول الطعام الخشن ، وليس لك اسنان تستعين بها على ما تاكله ، فاجرى الثديين بالغذاء اللطيف . ووكل بهما منبع الرحمة التى جعلها فى قلب الام ، فكلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التى جعلها لك فى الام منبعا لا يفتر ، ثم انه شغل الام والاب بتحصيل مصالحك والرأفة عليك والرحمة لك والمودة .. **وما هذا كله الا رحمته ـ هو ـ ساقها للعباد فى مظاهر الاباء والامهات تعريفا بالوداد ، وفى حقيقة الامر ما كفلتك الا ربوبيته، ولا حضنتك الا ألوهيته ، ثم انه ألزم الاب القيام بك الى ان تبلغ وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك ، ثم رفع كلم التكليف عنك الى ان يكتمل فهمك ، ثم انه مضى يتعرف اليك برحمته الى ان صرت كهلا ، لم يقطع عنك نوالا ولا فضلا ، ثم اذا انتهيت الى الشيخوخة ، ثم اذا قدمت عليه بالموت ، ثم اذا حشرت اليه ، ثم اذا اقامك بين يديه ثم اذا سلمك من عقابه ، ثم اذا ادخلك دار ثوابه ، ثم اذا كشف عنك وجود حجابه، واجلسك مجالس اوليائه واحبابه ..**

قل لى : لاى احسانه تشكر .. ولاى اياديه تذكر ، وانت لم تخرج عن احسانه ، ولم تدعك رحمته وفضله وامتنانه .

اتسال عن احسانه وجحودك .

اتسال عن اكرامه وذنوبك .

اتسال عن لطفه وخطيئتك .

لا تيأس من رحمة الله .. ورد فى الحديث عن رسول الله قوله :

« **رب ذنب ادخل صاحبه الجنة**
قالوا : وكيف ذلك يارسول الله ؟

قال : لا يزال تائبا فارا منه خائفا من ربه حتى يموت فيدخله الجنة » .

يقول العارفون بالله : **ان معصية تورث ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا ..**

وقال الشيخ ابو العباس المرسى : **كل اساءة ادب تثمر ادبا فليست باساءة أدب ، وكان رضى الله عنه يكرم الناس على قدر رتبتهم عند الله ، حتى انه ربما يدخل عليه مطيع فلا يبالى به ، وربما دخل عليه عاصى فأكرمه ، لان ذلك الطائع اتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله مستحسن لنفسه ، وذلك العاصى جاء منكسرا بمعصيته وذلته ومخالفته .**

ولقد ورد عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« **والذى نفسى بيده ، لولا انكم تذنبون لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم** »

لهذا الحد تصل رحمة الحق ..

يقول تعالى « **قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم** » .

وقد ورد فى الحديث القدسى قوله تعالى :

« **يا ابن آدم ، انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا ابالى ..**

يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك » .

« **من لقينى بقراب الارض خطيئة لا يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة** » ورد فى الصحيحين [البخارى ومسلم] عن ابى ذر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد قال لا اله الا الله .. ثم مات على ذلك الا دخل الجنة .

سأله ابو ذر : **وان زنى وان سرق**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **وان زنى وان سرق ..**

عاد ابو ذر يقول متعجبا : **وان زنى وان سرق .**

قال الرسول : **وان زنى وان سرق .. [قالها ثلاثا ثم قال فى الرابعة] على رغم انف ابى ذر ..**

فخرج ابو ذر وهو يقول : وان رغم انف ابى ذر

ليس معنى الحديث الشريف ان الله تعالى يتهاون فى الكبائر ، وانما يعنى الحديث فتح باب التوبة على نهايته للخاطئين كى يدخلوه ، عارفين ان الاسلام يجب ما قبله .. مدركين أن رحمة الله تبارك وتعالى لا يعجزها شىء .. والى ذلك يشير الاثر « من تصور ان ذنوبه أعظم من رحمة الله فهذا هو الذنب حقا » ..

ليس هناك ذنب لا يغفره الله تعالى .

كل الذنوب يغفرها الله .. الا الشرك ..

هو الذنب الوحيد الذى اقتضى عدله الا يغفره .

. . . .

افتح اى سورة من سور القرآن ..

تجدها مبدوءة « بسم الله الرحمن الرحيم » ..

الاسمان مشتقان من الرحمة .. وهما من اسماء الله الحسنى .. والرحمة التامة هى اضافة الخير على المحتاجين ، والرحمة العامة هى التى تتناول المستحق وغير المستحق ، ورحمة الله تبارك وتعالى تامة وعامة .. والرحمة فى الانسان كمال فى طبيعته يجعله يتأثر لرؤية الالم ، ويرق قلبه له ..

يقول الامام الغزالى ان الرحمة لا تخلو من رقة مؤلمة تعترى الرحيم فتحركه الى قضاء حاجة المحتاج والرب تعالى منزه عن ذلك فلعلك تظن ان ذلك نقصان فى معنى الرحمة .. فاعلم ان ذلك كمال وليس بنقصان ..

ليست نقصانا فى معنى الرحمة

لان كمال الرحمة بكمال ثمرتها .. وما دامت حاجة المحتاج قد تقضيت بكمالها فلا معنى لتألم الراحم وتفجعه .. وانما تألم الراحم لضعف نفسه ونقصانها ولا يزيد ضعفها فى غرض المحتاج شيئا بعد أن قضيت حاجته .

وانما هى كمال فى معنى الرحمة

لان الرحيم من رقة وتألم يكاد يقصد بفعله دفع الرقة والالم عن نفسه ، فيكون قد نظر لنفسه وسعى فى غرض نفسه وذلك ينقص من كمال معنى الرحمة ..

كمال الرحمة أن يكون النظر الى المحتاج لاجله لا لاجل الاستراحة من الم الرقة ..

لا يرحم هذه الرحمة السابقة غير الله ..

« قل ادعو الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى » ..

هو الرحيم ..

وهو الرحمن ..

الرحمن معنى ابعد من الرحيم .. معنى يتجاوز مقدورات العباد .. معنى يتعلق بسعادة الدار الاخرة ..

الرحمن وهو العطوف على العباد بالايجاد اولا . والهداية الى الايمان ثانيا . والاسعاد فى الاخرة ثالثا .. والانعام بالنظر الى وجهه الكريم رابعا ..

روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله لما خلق الخلق كتب فوق عرشه « ان رحمتى تغلب غضبى » » .

واذن .. لا يكاد الانسان يبدا احتراقه فى ندم التوبة ..

لا يكاد الانسان يبدا سيره فى طريق الاخلاص لله .. حتى ينطبق عليه قوله تعالى : « اولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات » .

. . . .

سئل احد العارفين عن الطريق الى رحمة الله فقال :

ـ توحيد الله

وقرا قوله تعالى « **ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** » .

محمد رسول الله

في نظر فلاسفة الغرب

لعل اروع مانقدمه لامتنا.. ولشبابنا راى العالم وفلاسفته ومشاهير كتابه المستشرقين فى دين الاسلام ، وقد تعمقوا بدراستهم بتطورات حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مبتدئين من اول الطريق مستلهمين الاسوة الحسنة فى رسول الله وليستضيئوا بنور رسالته العظمى الذى ارسله الله سبحانه وتعالى من اجلها ، فدرسوا حياته من منبته حتى وفاته ، وقرأوا القرآن الكريم واعترفوا باعجاز حروفه المضيئة وبانه اكمل الدساتير السماوية ، ولا شك بانه انزل على نبى مثل محمد خاتم الرسل والانبياء .

عرض وتقديم : كمال حامد

وقد دافع كثير من اولئك الفلاسفه العظام عن الاسلام وعن كتابه فى مجتمعهم الغربى والشرقى دفاع المؤمنين الصادقين وذادوا عن صاحب رسالة بكل مايملكون من الحجج والمنطق والبيان.

وقالوا ان محمدا رسول الاسلام — عليه الصلاة والسلام ولد حوالى سنة ٥٧١م من الميلاد فى قبيلة عربية كانت تعبد الاصنام ، وبنور رسالته وبشخصيته الخارقة للعادة وما طعمه الله بها من القدرة فى الحكمة والمنطق والبيان امكنه ان يحدث ثورة فى شبه الجزيرة العربية بل فى الشرق كله ليغير بها وجه العالم، منذ حطم الاصنام بيديه واقام دينا حنيفا خالدا يدعو الى الايمان بالله وحده ، وانهى عن الشرك به شارحا للعالم رسالة الواحد القهار حاملا بيده القرآن ليخرج باياته الناس من الظلمات الى النور ، ولتتصور القبائل حينما راوا اصنامهم تكسر على مراى ومسمع منهم وهم المشهورون بالشجاعة والبطش بمن يعارضهم فى جاهليتهم المشبعة بالفتن والاضطرابات بينهم فى كل مكان بالجزيرة

واعترف الفلاسفة فى كتبهم . بان محمدا عليه السلام لم يكن فليسوفا او كاذبا او صاحب نظرية يدعو لها بدون وجهحق ، وتحققوا بدراساتهم بان صوت محمد عليه الصلاة والسلام كان صوتا صادقا قويا يدعو بالحق لدينه ويأتى من عالم الغيب الذى يجهله الناس ، كلاما محمد عليه الصلاة والسلام بالكاذب ولا بالملفق وانما هو قطعة من الحياة قد تفطر منها قلب الطبيعة فاذا هو شهاب قد اضاء العالم اجمع وذلك بامر الله .

وقد عجز الفلاسفة والكتاب عن التفسير بامية محمدعليه الصلاة والسلام ، وقالوا ان محمدا خارقا فى علمه ومعرفته لكل الامور ، ولم يسترشد فى دينه بمذهب يتقدم عليه ، ولقد خلقه الله ذا نفس تمحصت للدين من اجل ذلك احتاج الى العزلة من الناس لكى يهرب من عبادة الاوثان ، وقالوا ان محمدا نبى الاسلام هجر عبادتها سواء كانت من النجوم أو من الكواكب السيارة أمر غير ذلك .

وقالوا فى كتبهم ان رسالة محمد التى بعث بها قوية وسر قوتها انها تنادى بوحدانية الله والايمان به — مقام عبادة الاوثان — ... واما مسالة الوحى بالقران قالوا ... كيف يتاتى ان تصدر تلك السور والايات عن رجل امى يعجز ذكر بنى البشر عن الاديان بمثلها لفظا ومعنى.. وقالوا هذا سر اعجاز القرآن . واتفق راى الفلاسفة واهل الفكر من العرب والمستشرقين ، بان محمدا الرسول والخطيب والمشرع والقائد وناتج افكار الفكر ، ورائد الانسان الى العقل وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب ، ومؤسس دين ، ومنشىء [٢٠] دولة فى الارض ، وناتج دولة واحدة فى السماء من ناحية الروح والفؤاد فذلكم محمد صلى الله عليه وسلم .

ان محمدا نبى مبعوث وقد ابدى طول حياته اعتدالا لافتا للنظر ، فقد برهن فى انتصاره النهائى على عظمة نفسية قل ان يوجد لها مثيل فى التاريخ، اذا امر جنوده ان يعفوا عن الضعفاء والمسنين والاطفال والنساء ، وحذرهم من ان يهدموا البيت او يسلبوا التجار ، او يقطعوا الاشجار المثمرة ، وامرهم ان يجددوا السيوف الا فى حالة الضرورة القاهرة .

وقال الفلاسفة عن محمد عليه الصلاة والسلام .

ان محمدا عليه السلام يكاد يكون هو الوحيد الذى نعرفه عن طريق التاريخ من بين عظماء مؤسس الاديان ، اذ ان الخرافات لم تستطع ان تنال منه لانه رسول الله سبحانه وتعالى ، فكان موفقا عظيما فريدا فى بابه لم يحدثنا التاريخ عن مثله فقد جمع بين زعامات ثلاث ، هى زعامة الشعب ، وزعامة الدين ، وزعامة الحكم والسلطان وقالوا عن اخلاقيات محمد صلى الله عليه وسلم .

ان محمدا كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كالعطف والشجاعة ومكارم الاخلاق،وقد احتمل عداء أهله وعشيرته اعواما ، لم يهن له عزم ولا ضعفت له قوة ... وقد بلغ من نبله انه لم يكن طول حياته هو البادىءبسحب يده من يد مصافحه ، حتى ولو كان المصافح طفلا أو عدوا ، وانه لم يمر بجماعة يوما رجالا كانوا او اطفالا دون ان يقرىء

البقية ص ٢٦٢

أمجاد الرسالة المحمّدية

تأليف فضيلة الشيخ
مصطفى الحديدي الطير

الامة المسلمة هى خير امة اخرجت للناس ، بما وضع الله لها فى كتابه العزيز من اسس قوية تقيم بنيانها عليها فلا يستطيع الزمان ان ينال منها ولا معاول الهدم ان تؤثر فيها كلما اقامت مجتمعها على الاسس التى ارتضاها الله لها . فلقد اشتمل القرآن الكريم على قواعد متينة ينبغى ان تقوم عليها الدولة المسلمة منها ما هو اساس لعقيدتها ومنها ماهو اساس لعبادتها لربها ومنها ما تبنى عليه معاملاتها .

عرض : محمود فايد

ومع هذا الكتاب نقضى رحلة فكرية ممتعة ، حول بعض ما انطوت عليه الرسالة المحمدية من المبادىء الرشيدة ، التى تدعو اساسا الى توحيد الله سبحانه وتعالى لتقضى على عبادة الاوثان وتصحيح اخطاء سواها من الاديان . ولقد عرض المؤلف فى بداية كتابه بيانا مجملا لمزايا الاسلام وفضله وحرص خلاله على توجيه الشباب المثقف وتحذيرهم من المادية التى غزت بلادنا وعرفت طريقها وسط بعض الشباب الذين باعوا اخراهم بدنياهم .. وقد اكد ان العقيدة الاسلامية لاتقف عقبة فى سبيل الفكر ..بل ان الاسلام منذ نشاته يصلح لجميع الشعوب والاجناس وهو صالح ايضا لكل العقليات وجميع درجات المدنيات . فهو كما يجذب اليه الرجل العلمى فى اسواق لندن مثلا — حيث الوقت من ذهب — فانه ياخذ بلب الفيلسوف الروحانى ، وكما يتقبله الشرقى صاحب الخيال الشعرى فى السماء والماء وضوء القمر وهدوء السحر والصحراء والمدر والزرع والشجر ، ياخذ بمجامع الفكر فى الغربى الذى عكف على الابداع فى الفن ورسم الصور الرائعة فى الشعر والنثر فكم من فيلسوف وقسيس ومصور وشاعر وطبيب وصيدلى ومحام وسياسى فى اوروبا وامريكا قرءوا عن الاسلام فبهرهم رواؤه واستحوذ عليهم تناسبه مع الفطرة السليمة وجذبتهم اليه عقيدته وعبادته فآمنوا به راسخين عن اقتناع عميق .

ولم ينس المؤلف ان ينبه الى خطورة دور العلماء فى هذا العصر الذى انتشرت فيه المادية واستحوذت على افكار الناس حتى ادار الكثير منهم ظهورهم الى القيم الروحية وتنكروا للمعايير الخلقية وهذا انحدار خطير .. وواجب العلماء مضاعفة جهودهم وان يغيروا اسلوب دعوتهم وليتنبهوا لمن يصطادون فى الماء العكر فيقطعوا شباكهم ويذودوهم عن حمى الدين ، ويصدوهم عن اغواء الشباب ويحرسوا بعيون حذرة امتهم ودينهم واخلاقهم ولاتشغلهم دنياهم عن دينهم فالدنيا فانية والاخرة خير وابقى .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى ذكر الوان من المبادىء والاداب الرفيعة ، والوان السلوك الفاضل والخلق الكامل والتشريع البناء لبيان ما للدين الاسلامى من قيمة عظيمة .

دعائم الدولة المسلمة :

لابد لكل بنيان من اساس يقوم عليه وكلما كان الاساس قويا عميقا كان

والبنيان متينا ثابت لاينال منه الزمان ويؤثر عليه مرور الحدثان ولقد وضع الله فى القرآن قواعد الاسلام المتينة ويمكن اجمالهما فى قوله تعالى « ان الله يامر بالعدل والاحساس وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » فهذه الاية الكريمة تعطينا بيانا وافيا للدعائم التى ينبغى ان تقوم عليها عقائد المسلمين وعباداتهم ومعاملاتهم وقال بعض أولى العلم : [لو لم يكن فى القرآن غير هذه الاية الكريمة لكانت كافية فى كونه تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة] . ولقد كان من مآثر الخليفة عمر بن عبد العزيز حين آلت اليه الخلافة ان جعل هذه الاية مقام ماكان بنو أمية يجعلونه فى اواخر خطبهم من سب الامام على — كرم الله وجهه — بسبب الخلاف الذى نشب بينه وبين معاوية بن ابى سفيان الاموى .

العدل : وقد أمر الله تعالى فى هذه الاية بثلاث من امهات الفضائل ونهى عن ثلاث من امهات الرذائل واول ما أمر الله به فيها — العدل .

والعدل هو الانصاف والتوسط فى الامور بين طرفى الافراط والتفريط ففى العقيدة مثلا التوحيد هو وسط بين النفى والانكار وبين الشرك واعتقاد التعدد . وفى الحديث يجب الاعتدال والصدق وتجنب الكتمان والكذب .. وفى المعاملات يجب ان يكون الاعتدال هو طابع المسلم مع الزوجة والجيران والاولاد فى كل مسئولية يتولاها الانسان . كذلك القاضى لاينبغى له ان يقبل شفاعة فى حق الله فالمخزومية التى سرقت لم يبال الرسول عليه الصلاة والسلام بنسبها ولم يقبل فيها شفاعة اسامة بن زيد — وكان ذا مكانة لديه .. واقام فيها الحد .. وامثلة كثيرة رائعة يسوقها المؤلف للدلالة على روائع القضاء فى الاسلام .

الاحسان : مما اوجبه الله فى الاية الكريمة السابق ذكرها الاحسان ، وهو القيام بالامر حسبما يليق به شرعا فالاحسان فى العقيدة الاخلاص فى توحيد الله تعالى ووصفه بكل كمال ، والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره . والاحسان فى العبادات ان تاتى بها على وجهها المشروع وذلك باتمام اركانها وشروطها مع اخلاص النية فى ادائها لله ، واعلى درجات الاحسان « ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » . واحسان القول ان يكون فى حدود الاعتدال بحيث تؤلف القلوب ولا تنفرها وتجمع بين الناس ولاتنفرهم ، واحسان الاعمال باتقان الصنعة والحرفة وادائها فى احسن وجه . واحسان الاخلاق يكون بالصدق والعفاف والمروءة والنجدة والعفة والالفة والصبر وسعة الصدر والحلم وكظم الغيظ . قال الله تعالى « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

مأثورات فى مكارم الاخلاق :

عنيت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق لما لها من منزلة فى شريعة المجتمع الانسانى ، وقد جعلت الغرض الاساسى لبعثة النبى صلى الله عليه وسلم كما قال : « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » . وقد جاء فى السنة ان الاسلام لايكمل الا بحسن الخلق ، قال صلى الله عليه وسلم « ان الله اختار لكم الاسلام دينا فاكرموه بحسن الخلق والسخاء فانه لايكمل الا بهما » . واعلى مراتب الاحسان فى الاخلاق ان تحسن الى من اساء اليك فانه هو الفضل اما الاحسان على من احسن اليك فهو مكافأة وليس فضلا .

وجاء فى قول حكيم : من ساء خلقه ضاق رزقه : وذلك واضح ، فان سوء الخلق يصرف الناس عن معاملة صاحبه فيضيق بذلك رزقه .

وحسن الخلق له حدود اذا جاوزها انقلب الى الضد فمثلا اذا استعمل لين الخلق مع من لايقدره ولا يستفيد به خرج عن الاحسان واتى بعكس المطلوب . كذلك المودة اذا بولغ فيها او كانت غير نابعة من القلب كانت نفاقا والملق ذل والنفاق لؤم . قال صلى الله عليه وسلم « شر الناس ذو الوجهين الذى ياتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » .

ومن اخلاق الاسلام وواجباته الانتصار للحق ورد الباطل حتى لايجترىء الناس على حرمات الله تعالى ويعم الفساد الارض كما حدث فى بنى اسرائيل فانهم « كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه » . وكان سلفنا الصالح يؤدى واجبه فى ذلك لايخاف فى الله لومه لائم ولا عقاب اخير . فداعى الحق لايرهب الا الله ولا يثنيه عنه التهديد بالقتل ممن يقدر عليه ولا يمنعه عنه مانع ولا يخاف فى الله لومه لائم وان الله ولى هذا الداعى وناصره على اهل الباطل .

وقد خص الله ذوى القربى بالذكر لحقهم فى البر والصلة واولويتهم على سواهم . وذوى القربى هم اصحاب القرابة من جهة الام او الاب وقد أمر الله بايتائهم من النعم التى انعم الله بها على المسلم ، على وجه الهبة او الهدية او الصدقة . وعلى المسلم ان يحرص على براقاربه فان ذلك من صدق الايمان وحسن النظر فى العواقب .

يقصد بالفحشاء ما افحش من قول او فعل ، فسرها بعض المحققين بما اشتدقبحه من الذنوب اما الامام ابن عباس يرى ان المراد بها فى الاية الزنا . ولا يوجد فى كبائر الذنوب بعد الشرك بالله وعقوق الوالدين افحش من الزنا فانه فاضح للعرض مفسد للخلق مستتبع لاثار سيئة فى المجتمع الاسلامى . ولخطورة الزنا على المجتمع شرع الله فى اول التشريع الاسلامى وجوب امساك الزانيات فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا . وشرع لها ولرفيقها وجوب الايذاء ثم تدرج الحكم الى جلد البكر — ذكرا كان او انثى — مائة جلدة ولمن تزوج منهما الرجم حتى الموت .

ثم بدأ المؤلف فى ذكر دروس مستفادة من أحكام الاسلام فى التزين للصلاة وآداب الطعام والشراب عامة وفى الحج خاصة وهى امور تمس الفرد فى حياته اليومية . وقد كان كثير من السلف الصالح يحبون اظهار نعمة الله عليهم ولا يرون باسا عن التجمل بثياب قيمة مع ارفع درجات التقوى .

العمل للدنيا والاخرة :

قال الله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين » وقال صلى الله عليه وسلم : « ليس خيركم من ترك الدنيا للاخرة ولا الاخرة للدنيا ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه » . وعلى ذلك فلابد ان يكون الانسان عادلا فلا يكون اهتمامنا بالجانب الدنيوى على حساب الجانب الاخروى فاذا عمل المسلم لدنياه من اجل دينه ووطنه ونفسه واسرته ولم يؤثر ذلك على اخلاقه وعقيدته وعمله للدار الاخرة فان عمله للدنيا يصبح واجبا شرعيا فان من القواعد الاصولية ان مالايتم الواجب الا به فهو واجب . ولابد للمسلم وهو يسعى وراء لقمة العيش من ان يلتمسها من مصادرها المشروعة فالحلال بين والحرام بين ومن الناس من يستحل الرشوة ويزعم انها هدية وهو فى الحقيقة

ياكل نارا فى بطنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية » .

ويعرض المؤلف صورا مشرفة للسلف الصالح فى الانفاق فى سبيل الله فهذا ابو بكر رضى الله عنه أسام وعنده خمسون الف درهم انفقها كلها فى سبيل الله تعالى فكان يشترى الارقاء المسلمين من سادتهم المشركين ثم يعتقهم . وهذا عثمان بن عفان تبرع لجيش العسرة بثلثمائة بعير بأحلاسها واقتابها وبخمسين فرسا وعشرة آلاف دينار . وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله لانفاقها فى سبيل الله وكانت عائشة — رضى الله عنها — كثيرة الصدقات وغيرهم كثيرين من المياسير فى أبواب البر فمنهم من كان يقف على تزويج البنات والشبان ومنهم من وقف على تعويض الاطباق التى تكسر من الخدم والاطفال .

من الاخلاق الكريمة ان تتودد الى الناس وتصطنع المعروف معهم قال صلى الله عليه وسلم « راى العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » • أما عن اصطناع المعروف الى أهل الشر والفجور فهو بالبشاشة والقول اللين، اتقاء شرهم والاتة لطباعهم وترويضا لهم قال تعالى « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » •

ومن الاخلاق الكريمة ان تكف اذاك عن اخيك قال صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » والوفاء بالوعد فهو شيمة المؤمن وميزان الرجولة الفاضلة واساس الثقة بين الناس •

الجهـــاد :

ويتابع المؤلف تنقله السريع الممتع بين احكام الاسلام كقاطف الزهر من الحدائق الى أن يصل باب الجهاد واثره فى المجتمع الانسانى الذى ذخر بالعديد من الامثلة فى سرد تاريخى حتى ظهور الاسلام الذى رفع راية الجهاد • يقول الله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » • هكذا شرع الله القتال فى حالتين الاولى رد الاعتداء والثانية تامين المسلمين من اهل الخيانة والغدر .

والجهاد لغة بذل الجهد والطاقة فى أمر من الامور وقد غلب فى عرف الشريعة الاسلامية على بذل الجهد فى سبيل الله تعالى • والقتال كريه لدى النفوس لما فيه من ازهاق الارواح واحداث التشويه والجروح ودك الحصون وتدمير العمران وبذل الاموال واضعاف الانتاج ولكنه أمر لابد منه لما يترتب عليه من مصالح عظيمة الشان رفيعة المكان فيه يصان الدين والاخلاق والاوطان والاعراض •• واشرف الحروب تلك التى تسترد بها الكرامة وتسترجع بها ارض سليبة •

وهذه الحرب التى خضناها مع اسرائيل فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ الموافق ٦ــ١٠ــ١٩٧٣ وبهرنا بها العالم حيث عبرنا قناة السويس واستولينا على خط بارليف المنيع فى ست ساعات ثم تقدمنا الى مسافة تسعة عشر ميلا شرق قناة السويس • وقد برهن العرب بتعاونهم الصادق مع مصر وسوريا على انهم سلالة خير امة اخرجت للناس فقد وضعوا مواردهم المالية تحت تصرف المعركة وارسلوا فرقا ممتازة من جنودهم لتشارك فى معركة الشرف والكرامة واستخدموا سلاح الحرمان من البترول ضد من يتعاونون مع اسرائيل وهم اذ يفعلون ذلك يحققون ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » واسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه •

الوفـــاء

•• كان رسول الله اوفى الناس ذمة ، وقد عظم وفاؤه واتسع فشمل كل ضروب الوفاء فكان عليه السلام وفيا لنعمة الله عليه ، وبكل عهد عاهد عليه ، وللاهل والزوج والولد والاقارب والصحب والوطن وحتى الحيوان • قال عليه السلام

— « اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » .

الإفتاء

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور
عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر

س ١ : من حاج من حجاج بيت الله الحرام -

عندما كنت طالبا كنت أتعامل مع أحد البقالين وكنت اسدد حسابه كل شهر ثم تخرجت والتحقت بالعمل باحدى الشركات وكنت مدين له ببضعة جنيهات لا تتجاوز أصابع اليد ولما توجهت الى محله لسداده لم أجده ووجدت شخصا آخر مكانه فلم أدفع له شيئا . وعلمت بعد ذلك أنه توفى والذى كان مكانه هو ابنه . والان وقد انقضى على ذلك ثلاثون عاما اريد رد المبلغ وارباحه ان سمح الشرع بذلك .. فما افعل ؟

الجواب :

الطريقة المثلى لرد هذا الدين هو الذهاب الى محل الدائن والتعرف على ورثته فان عرفوا رد الدين خاليا من الارباح . لان الارباح على الديون ربا . والربا محرم بصريح القرآن الكريم . والسنة النبوية الصحيحة . فان لم يتعرف المدين على أحد من ورثة الدائن فارى ان يتصدق بمثلما عليه من الدين للفقراء أو لاى جهة من جهات البر . والله الموفق .

س ٢ : من نفس السائل :

أثناء عملى بفرع الشركة التى بدأت حياتى العملية بها اقترضت مبلغا من احد الزملاء . ثم اكتشفت بعد ذلك ان هـذا المال كان من اموال الشركة . وقبض عليه . وحكم عليه بالسجن لعدة سنوات ثم خرج من سجنه وتوفى الى رحمة الله . وقد انقضت على ذلك ما يقرب من خمسة وعشرين عـاما والان اريد معرفة الطريقة التى اسدد بها هذا المبلغ وارباحه . فلاى جهة أرده مع العلم بـان هذه الشركة كانت شركة مساهمة ثم اممت . ؟

الجواب :

الذى أراه هو التحرى عن اصل هذا المبلغ الذى اقترضه السائل . فاذا تبين انه من مال المقترض الخاص فهو حق لورثته وعلى السائل ان يبحث عن هؤلاء الورثة ويرد المبلغ اليهم فان لم يجدهم او لم يتعرف بشتى الوسائل عن أحد منهم فعليه أن يتصدق بهذا المبلغ للفقراء .

وان تبين أن المبلغ المقترض كان من أموال الشركة فعلى المدين أن يرده الى خزينة الشركة . فان لم يتعرف عن المصدر الحقيقى لهذا المبلغ أن كان من مال المقترض الخاص أو من المال المختلس فارى أن يرده الى بيت مال المسلمين .

س ٣ : من نفس السائل :

عندما ارادت المرحومة والدتى اداء فريضة الحج اعطيتها جزءا من هذا المال المقترض فما حكم الشرع فى هذا وهل يشوب الحج شائبة . واذا كان فكيف السبيل الى الاصلاح . ؟

الجواب :

الحج صحيح وقد سقطت الفريضة عن الحاجة .
وما دمت لم تكن تعرف أن المال المقترض مختلس فلا تثريب عليك . ومع ذلك وبعد أن اتضح أن المقترض كان يختلس من مال الشركة فاذا ما دفعت المبلغ المقترض الى خزينة الشركة أو رددته الى ورثة المقترض او الى بيت مال المسلمين على الوجه المبين فى الاجابة عن السؤال السابق فلا اثم ولاحرج عليك بعد ذلك . والله أعلم ..

س ٤ : من نفس السائل :

انقطعت فترة شبابى عن الصلاة . والان اقضى فى كل يوم خمس فرائض مما على لله تعالى أؤديها مرة جملة واحدة . واحيانا أقضى مع كل فريضة وقتية فريضة فائتة كما اصلى قبل صلاة الصبح ركعتين سنة الصبح . واصلى بعد صلاة العشاء ركعتى الشفع وركعة الوتر واداوم الان على هذه الصلاة . وهذه الطريقة . فما هو راى الشرع فى ذلك . ؟

الجواب :

ما تفعله بالنسبة لقضاء الفوائت جائز وصحيح . وما تفعله بالنسبة لسنة الصبح والشفع والوتر بعد صلاة العشاء صحيح كذلك .. نسأل الله القبول .

س ٥ : من المواطن السيد عبد الرازق على أحمد المدرس بمدرسة المجمع بالمعصرة ـ بلقاس دقهلية :

خطب احد الوعاظ بمسجد الناحية وتناول فى كلمته موضوع تحريم اتيان النساء فى زمن الحيض وقال فيما قاله انمن اتى امراته فى دبرها فهوكافر . وفى الاسبوع التالى تكاثرت الاسئلة على خطيب المسجد حول هذا الموضوع . فراى فضيلته أن يتناول الموضوع بشموله فى الخطبة . وتناول فى خطبته تحريم اتيان الزوجة فى قبلها حين الحيض . اما حين الاستحاضة فقد قرر الخطيب ان على المراة أن تحسب ايام الحيض وتتعرف لون الدم . وان تتيقن من ايام الاستحاضة ومن تغيير لون الدم فيها وقال ان الحكم يختلف فى حالة الاستحاضة عنه فى أيام الحيض . ففى أيام الحيض يحرم عليها أن تصلى او تصوم كما يحرم جماعها . اما فى ايام الاستحاضة فلا يحرم عليها شيء من ذلك . اما موضوع اتيان المراة فى دبرها فقد قرر الخطيب أن هذا فعل حرام وهو امر قبيح لا يفعله الا كل جاهل ولكن لا كفر على فاعله . وقد أدى هذا الى أن ثار بعض الناس ودفعوا تلميذا الى التشهير بهذا الخطيب وادعوا أنه يقول بجواز اتيان المراة فى دبرها أيام الحيض مما سبب الفتنة وعدم الاستقرار والضيق الشديد الى الخطيب والى المصلين . فماذا ترون فى ذلك ..

الجواب :

موضوع تحريم جماع المراة أثناء حيضها أمر مجمع عليه بين فقهاء المسلمين لم يشذ منهم أحد حتى ان فقهاء الحنفية قالوا بتحريم الاستمتاع بما بين السرة والركبة أثناء الحيض . لان من حام حول الحمى يوشك أن يواقعه . واما الاستحاضة فلا يحرم فيها شيء من ذلك . الا اذا كان هناك ضرر من الجماع اذ أن الاستحاضة مرض يعترى النساء وهى ما يسمى الان بالنزيف ، ففى هذه الحالة يحرم على الرجل ان يجامع زوجته منعا من وقوع هذا الضرر . اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام . فالحرمة منعا لموضوع الضرر لا غير .

أما موضوع اتيان المراة فى دبرها سواء أكانت حائضا ام غير حائض . فالقول بالكفر لفاعله رأى بعض الفقهاء الذين يأخذون بظاهر الحديث استنادا لقوله صلى الله عليه وسلم « من أتى امرأته فى دبرها فقد كفر » وفى رواية أخرى « من أتى حائضا او امرأة فى دبرها . او أتى كاهنا وصدقه فيما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ، صلى الله عليه وسلم .

وجمهور الفقهاء يرى أن فاعل ذلك ليس بكافر ولكنه ارتكب معصية من أكبر المعاصى لقوله صلى الله عليه وسلم « ملعون من أتى امرأته فى دبرها » وهو الصحيح والتكفير فى الحديث من باب التغليظ والمراد كفر من فعل ذلك مستحلا له والله أعلم . وعلى فاعل ذلك ان يتوب الى الله وأن لا يعود اليه مرة أخرى .

بقى أن نقرر انه لا يجوز للمسلم أن يتخذ الدين أو اختلاف الفقهاء وسيلة من وسائل الخلاف بين صفوف المسلمين وايقاع الفتنة والشوشرة فى المسجد وعدم مراعاة حرمته أو التشهير بمن اقامهم الله تعالى للدعوة وامامة المسلمين وتبصيرهم لامور دينهم ودنياهم . والله تعالى هو الهادى الى سواء السبيل .

س ٦ : من السائل أ . م . ح . ع :

أنا تاجر ومحلى فى حالة خسارة فهل تجب على الزكاة . وهل الزكاة على رأس المال . أم على الارباح وهل لى أن أساعد ابنتى فى تجهيزها من مال الزكاة حيث أن ذلك من الضروريات كإيجار المنزل وثمن الطعام وغيره من المصروفات الضرورية .

الجواب :

واضح من السؤال ان السائل يسأل عن زكاة ما يتجر فيه . وهذا ما يعرف فى عرف الفقهاء بعروض التجارة . وتجب الزكاة فى عروض التجارة اذا بلغ ما يتجر فيه الشخص نصابا مقدرا بنصاب الذهب أو الفضة وحال عليه الحول . وكان فارغا عن الدين وعن حاجة المزكى وحاجة عياله الاصلية . ومدخل فى ذلك الطعام والمسكن والملبس ومصروفات التعليم وتجهيز البنات الى غير ذلك من المصروفات . والله أعلم .

س ٧ : من المواطن العربى نور الاسلام عبد الله ـ ليبيا :

ما الحكم فى من امنى فى نهار رمضان متعمدا بطريقة سرية بدون جماع . فهل عليه القضاء فقط ام القضاء والكفارة . وما الراى فيما اذا كان فعل ذلك فى شهرين او ثلاثة من اشهر رمضان .. ؟

الجواب :

جمهور الفقهاء يرى وجوب القضاء على من أمنى بالطريقة المنوه عنها فى السؤال فعلى من فعل ذلك أن يقضى الايام التى أبطل فيها صيامه بهذا الفعل سواء اكانت شهرين او ثلاثة أو اكثر من ذلك ولا كفارة عليه عند الجمهور . ويرى السادة المالكية وجوب القضاء والكفارة فى مثل هذه الحالة . والله اعلم ..

س ٨ : ومن نفس السائل :

يسأل عن كيفية سجود السهو :

الجواب :

سجود السهو سجدتان يؤديهما المصلى اذا سها عن شىء من الواجبات بنقص أو زيادة فيسجد بعد أن يفرغ من التشهد الاخير قبل التسليم عند السادة الشافعية وبعد التسليمة الاولى عند الحنفية . ويرى المالكية أن السهو أن كان بنقص فالسجود قبل السلام . وان كان بزيادة فالسجود بعد السلام واذا اجتمع نقص وزيادة فالسجود قبل السلام وسواء أكان السجود قبل السلام او بعده فهما سجدتان يتشهد بعدهما ثم يسلم على اليمين ثم على الشمال .. والله اعلم ..

ويستفسر السائل بعد ذلك عما اذا كان من الممكن أن يدرس علوم الدين فى الازهر الشريف مع أى مادة أخرى كالطب أو العلوم فى جامعة الازهر .

وللاجابة على ذلك نفيد أن جامعة الازهر كغيرها من الجامعات تخضع لنظم ومناهج . وان جميع كلياتها ينال الطالب فيها حظا من الثقافة الاسلامية بالاضافة الى العلوم الاساسية من الطب والهندسة وغيرها . وهذا بالنسبة للكليات العملية أما كليات الشريعة واصول الدين واللغة العربية والدراسات الاسلامية فالدراسة فيها دراسة دينية عربية محضة بالاضافة الى القانون فى كلية الشريعة والقانون .

وانا لنرجو الله تعالى للاخ التوفيق فى بلوغ ما يتمناه فان من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين .

س ٩ : من المواطن العربى حسن دنوشى ـ طرابلس لبنان .

يسأل عما اذا كان يجوز له أخذ الفائدة على المال المودع فى البنوك أم لا ، ويقول أنه قد بلغه أننا نقول بجواز أخذ الفائدة والتصدق بها للفقراء أو لاحدى المنشآت الخيرية ويطلب لذلك توضيح هذا الامر .

الجواب :

لقد سبق أن قلنا وما زلنا نقول ونكرر القول بأن اخذ الفوائد على الاموال المودعة فى البنوك أو صناديق التوفير حرام لان هذه الفوائد « ربا » والربا محرم بصريح القرآن الكريم والسنة الصحيحة كما سبق لنا القول بأن هناك فرقا بين مال يودع للادخار ومال يعطى للاستغلال والاستثمار والاموال المودعة فى صناديق التوفير انما تعطى لصندوق باسم الايداع وينص على ذلك فى الاستمارة الخاصة بالايداع كما ينص على ما اذا كان المودع يقبل الارباح أو لا يقبلها، والمال المودع أمانة فى يد المودع عنده ، فاذا ما استغله فقد أصبح ضامنا له وليس للمودع غير ما أودعه والفوائد التى يأخذها مال حرام ليس له أخذه ، لكن اذا حدث واخذه بسبب أو لاخر فعليه أن يتصدق به للفقراء لانه مال خبيث ، والمال الخبيث سبيله الصدقة تخلصا من هذا المال الحرام لا لقصد الحصول على الاجر والثواب لان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا .

أما المال الذى يعطيه شخص لاخر ليستغله ويستثمره، فان له أن يشارك فى الربح كما أن عليه أن يتحمل فى الخسارة ، ومالك المال هنا ليس مودعا كما أن المال ليس وديعة انما هو مال أعطاه مالكه لشخص آخر للاستثمار والاستغلال ، فهما شريكان فى هذا العمل احدهما بالمال والاخر بالعمل ، وهذه الشركة هى المعروفة فى عرف الفقهاء «بالمضاربة» والفرق واضح بين هذه الصورة وبين الايداع فى صناديق التوفير أو البنوك، فالاولى طلب الاستغلال والاستثمار ، ففيها ربح يشارك فيه رب المال وفيها خسارة يشارك أيضا فى تحملها أما الثانية فانها طلب للتوفير والادخار فلا ربح فيها لرب المال ولا خسارة عليه اذا ما استغلها المودع فى مشروع ربح فيه أو خسر والله يوفق المسلمين الى التخلص فى معاملاتهم مما هو محرم أو فيه شائبة التحريم .

س ١٠ : من المواطن ابراهيم محمود سالم اليمانى ـ محافظة سيناء .

يقول أنه موظف صغير ومرتبه صغير لا يكفى لفتح بيت وهو مهاجر من سيناء ويريد أن ينتظر بالزواج حتى يعود الى وطنه وأرضه وتحسن أحواله المادية لكن والداه يصران على زواجه بحدى قريباته ليفرحا به قبل موتهما خصوصا وأن والده يبلغ من العمر ٨٧ عاما وهو الان حائر بين اغضاب والديه اذا لم يتزوج الان وبين حياة قلقة غير مريحة اذا ما اطاعهما وتزوج الان ويسأل عن حكم الاسلام فى ذلك ..

الجواب:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة** » وهى المقدرة على القيام بتبعات الزواج « **فليتزوج ومن لم يستطع فعليه**

بالصوم فانه له وجاء » . فالزواج مشروع ومامور به للقادر عليه الذى يستطيع القيام بتبعاته وتكاليفه فللزوجة حقوق وللحياة الزوجية تبعات،فمن استطاع القيام بها فلا حرج عليه أن يتزوج، بل يأمره الاسلام بذلك ، اما من لم يستطع القيام بحقوق الزوجية الماليه وغيرها، فليس مطالبا بالزواج بل يكره له أن يتزوج وقد يحرم عليه الزواج اذا تأكد من ظلمه لزوجته وايقاع الجور بها وما لا ريب فيه ، أن من ظلم الانسان لنفسه ولزوجه ، بل ولمجتمعه أن يقدم على الزواج وبناء أسرة فى المجتمع وهو عاجز عن القيام بواجب الاسرة وتكاليف الحياة لانه سيعرض هذه الاسرة لامور قد لا تحمد عقباها .»

والذى نراه‌ان ينتظر بالزواج حتى يعود الى‌ارضه ووطنه وتتحسن حالته المالية ويصبح قادرا على ما للزواج وبناء الاسرة من تكاليف ليعيش مع زوجته حياة سعيدة مستقرة بفضل الله تعالى وتوفيقه وعليه ان يحاول ترضية والديه بالحسنى واقناعهما بأن من الخير له ولهما أن يحيا مستقبلا حياة طيبة ينعم فيها مع زوجته وأولاده بالسعادة وراحة البال فاذا أصر الوالدان على زواجه الان فعليه ان يتوكل على الله ويطيعهما ولعل الله سبحانه وتعالى أن يجعل من زواجه مخرجا مما هو فيه من ضائقة ببركة طاعة الوالدين وبرهما ولتكن حياته مع زوجته متناسقة مع دخله والله تعالى يبارك له فى ماله وفى عياله، قال تعالى«**وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ، والله واسع عليم**» . والله الموفق.

س ١١ : من أحمد محمد حسين من الاردن :

السؤال كما يقول موجه الى علماء المسلمين :

وسؤاله هـو اذا أتى شخص عياله فى النهار وهو صائم صيام سنة فهل يبطل الصيام وهل عليه وعلى الزوجه كفارة واذا سب الشخص دين الله هل يفطر ؟

الجواب:

واضح من الشق الأول من السؤال انه يقصد جماع زوجته فى النهار وهو صائم صيام سنة ومن فعل ذلك فسد صومه وعليه القضاء فقط ولا كفارة عليه لان الكفارة خاصة بصيام شهر رمضان فقط اداء . أما صيام‌السنة او قضاء رمضان فلا كفارة فى ابطاله‌بل الواجب قضاء ما أفسده .

أما الشق الثانى من السؤال وهو سب الدين أو سب الذات الاقدس « والعياذ بالله » فقد كان الاجدر بالسائل ان يقول هل يكفر من فعل ذلك ام لا يكفر اذ كيف يجرؤ مسلم على التعرض للذات العلية بالسب وبكل أسف وهو صائم ان من يفعل ذلك لا يكون قد أفطر فقط بل انه « وقانا الله شره» قد خرج عن الدين وارتد عن الاسلام وعليه ان‌يتوب الى الله‌ويستغفره **فى هذا الجرم الاكبر وأن يعود الى حظيرة الاسلام** تائبا الى الله منيبا اليه نادما على تطاوله على الدين وربه عازما على عدم العودة الى ذلك أبدا .

وانى لاهيب بالمسلمين فى شتى الارض وفى بقاع خاصه عرفت بجريان لسانها بسب‌الدين والتعرض لذات الاله الواحد الاحد المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص . أهيب بهم أن يقلعوا عن هذه العادة المنكرة وان يعودوا الى ربهم متأدبين بآداب الاسلام منفذين لتعاليم الدين لعل الله سبحانه ان يرضى عنهم وان يكتب لهم النصر والفتح المبين .»

س ١٢ : لعابدة الله [رد خاص]

اعتمدى على الله واقبلى الزواج بهذا الشاب الصالح الذى تقدم لخطبتك ومتى انك مررت بخير ومع ذلك تستطيعين استشارة أحد الأطباء فسيخبرك بكل شىء ويعالج لك كل شىء والله معك وهاديك الى سواء السبيل .

س : ١٤ من الطالب محمد السيد جمعة من صنافير مركز قليوب

قرات فى أحـاديث المنتخب من السـنة النبوية الشريفه ان الذهب يحرم لبسه على الرجال ويحل للنساء .

فهل لبس الذهب حرام للرجال واذا كان حراما فأمثالنا مرتكب ذنبا بدلت لبس دبلة الخطوبه من الذهب فهل يجـوز اتخاذها من الفضـه تعبيرا عن الزواج وتخلصا من الحرام ؟

الجواب

ثابت من الاحاديث الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ قطعه من الحرير فى احدى يديه وقطعة من الذهب فى اليد الاخرى وقال« **هذان حرام على رجال أمتى حل لنسائها** » وقد اجمع الفقهاء على أن لبس الذهب حرام على الرجال ولو كان دبله الخطوبه ومن الجائز اتخاذ هذه الدبلة اذا كان لابد منها تحقيقا للعرف السائد من الفضة فالتحريم وارد على الذهب خاصة فتطبيقا للسنة الشريفة واشباعا لهديها وتمشيا مع العرف فان المسلم المتمسك بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم يستطيع ان يتخـذ « دبلة » الخطوبة من غير الذهب حتى لا يقع فى المحظور وقد صح ان رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم كان يتخذ خاتما له من الفضة فما اجدر المسلمين أن يتبعوا هدى‌رسول الله‌صلى الله عليه وسلم‌ويسلكوا مسلكه والله تعالى يقول « **لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا** » ويقول سبحانه :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهـاكم عنـه **فانتهوا**» والله الموفق .

بقية مقال (عظمة رسول الله)

عليهم السلام ولى شكلية ابتسامة حلوة وفى فمه نغمة جميلة كانت تكفى لسحر سامعها فيجذب القلوب اليه .

وضرب كذلك المثل الاعلى فى مكارم الاخلاق فامر باطلاق سراح عشرة آلاف اسير كانوا يعملون فى يوم من الايام على الفتك به ، وتسامحه مع اعدائه وصبره على اذاهم وعفوه عن اولئك الذين قضوا فى محاربته ثمانية عشر عاما ، اذاقوه فى خلالها كل انواع الجور والاضطهاد والظلم

ان حياة محمد التاريخية لا يمكن ان توصف باحسن مما وصفه الله بالفاظ قليلة بين فيها صفته عليه الصلاة والسلام حيث قال « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » .

وقالوا الفلاسفة .. ان الدين المحمدى قد احدث رقيا عظيما جدا فى تدرج العاطفة الدينية فقد أطلق العقل الانسانى من قيوده التى كانت تجعله أسيرا حول المعابد بين ايدى الكهنة من ذوى الاديان المختلفة ، وقد امر عليه الصلاة والسلام من وحى من ربه سبحانه وتعالى بخمس صلوات فى اليوم ليتخلى الانسان عن انشغالاته المادية لحيظات من الساعات وذلك لكى يرتفع من خلالها الى مولاه عز وجل ، كما امر محمد عليه الصلاة والسلام بالا توجه العبادة للاغراض الذاتية فان الله اعلم بما هو الاصلح لنا ، وقد اوجب الدين على المسلم ان يتصدق بحصة من ايراده للفقراء والمساكين ، كما اوجب حماية المراة بالاعتراف لها بحقوقها التى كانت غير معترف بها ، ولا سيما بتهذيب وتعديل عادة تعدد الزوجات المعروفة فى الجاهلية بدون تحديد عدد .

... وانه ليعجز القلم ولاتكفى الاوراق التى تعدد وتحكى عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أن العلماء والمستشرقين أستفاضوه بالقراءة عن الرسول فمنهم من أسلم عن اقناع بالدراسة والعلم ومنهم من آمن بالقرآن .

ومنذ منتصف هذا الشهر العربى طالعتنا الصحف اليومية باعتناق قسيس لدين الاسلام بعد ان خدم الكنيسة أكثر من عشرين سنة ويدعى الدكتور جوهانز ليهمان قسيس الكنيسة الكاثوليكية فى كوالالمبور وقال للصحفيين فى ماليزيا اننى اتخذت هذا القرار بعد ان اقتنعت بالدين الاسلامى وقال الدكتور يحيى « بعد اسلامه » لقد كنت محظوظا حقا ، فبعد سنوات من الدراسة المقارنة فى الاديان تاكد لدى أن الاسلام دين ذو قوة روحانية تقود الانسان الى الوحدة الاخوية وترشد الى الله وتؤكد له وحدانية الخالق .

بقية مقال (العقاد)

واذا كان السجن لا يجدى مع الرجل فليجرب معه الاغراء يحاول القصر جذب العقاد اليه وعرضت عليه رآسة الديوان فرفض وعرض عليه ان يؤلف كتابا عن الملك فؤاد باربعة آلاف جنيه واذا بالعقاد يقول للوسيط اذا الفت كتابا عن فؤاد اقول فيه انه عدو الدستور ...!! ويتمثل بيت الشعر :

وما من كاتب الا سيفنى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بيمينك غير قول
يسرك فى حياتك ان تراه

اختلف الرجل مع حزب الوفد برئاسة النحاس باشا لانه كان يعتقد ان الوزارة التى يؤيدها الوفد كانت تعمل لصالح السراى والانجليز وتضطهد الوطنيين ويحمل حملة شعواء على وزير المعارف نجيب الهلالى باشا ويدخل الوزير حاملا استقالته فى يد ومقالات العقاد فى اليد الاخرى .

ويستدعى النحاس العقاد ويقول له : تخالفنى وأنا زعيم هذه الامة فيرد العقاد ويقول انت زعيم هذه الامة بهؤلاء الاشخاص الذين انتخبوك اما انا :

فكاتب هذه الامة بالحق الالهى ...!!
ويخرج بروة صغيرة من القلم ويقول انها لا تنتهى هذه البروة الصغيرة حتى تسقط الحكومة وقد كان ...!!

هذا هو العقاد فى مراحل حياته ...
لكن هل كان الرجل بهذه الصرامة المطلقة فى الواقع لا .. ! الرجل كان صاحب مبدا وكان قاسيا مع من يخالفه ولانه كان يعتقد ان الحق فى جانبه وليس المظهر الجاد دليل شدة الرجل وقسوته وصدق حين قال :

اذا استعصبت نفسى وضاقت فجاجها
ولاحت لمرأى العين كالجبل الوعر
فلا تنكروا منها جفاء ، ووحشة
ولا ترجموها بالقبيح من النكر
فتلك ظلال الناس فيها ودونها
طبائع كالماء النمير ! اذا يجرى
ولولا صفاء الماء ما علقت به
مشابة من أوعار شطانه الغبر

فهذا القلم الذى كان مرهوب الجانب يجرى سيالا فى رثاء كلب عاش فى فترة فى كنفه يداعبه ويلاعبه ويذرف عليه الدموع ... ويصدع له الضلوع .

حزنا على بيجو نثور الضلوع
حسرنا على بيجو تثور الضلوع

وهو يحنو على الفقير ويطالب بانصافه

لا تحسبوا أمة يعلو أعاظمها
اذا الفقير طلاب القوت أعياه

رحم الله العقاد لقد كان كاتبا ملتزما يدافع عن الحق ويتجرع فى سبيله كاسات العذاب ولكن لم يحن هامة وام يذل جبهة ولم يضعف عزيمة ولم يجبن امام الشدائد .. عاش رجلا .. ومات رجلا ووهب قلمه فى سبيل كرامة الرجال .

فالموت عنده كاس شهية ... والذكرى ليست دموعا وانما هى غناء كما قال .

اذا شيعونى يوم تقضى منيتى
وقالوا اراح الله هذا المعذبا
فلا تحملونى صامتين الى الثرى
فانى أخاف اللحد أن يتهيبا
وغنوا فان الموت كأس شهية
ومازال يحلو أن يغنى ويشربا
فلا تذكرونى بالبكاء وانما
اعيدوا على سمعى القصيد فاطربا

الأسرة المسلمة

الإسلام يكرّم المرأة وينهض بها

الأستاذ عبد المعطى اسماعيل عبادة

يصور المراة فى الجاهلية امير المؤمنين «عمر بن الخطاب» فيقول: «والله كنا فى الجاهلية ما نعد النساء شيئا حتى انزل الله فيهن ما انزل، وقسم لهن ما قسم».

فرسم بذلك صورتها، وانزلها منزلتها، وابان مكانها، فما كان لها مع الرجل راى، ولا حظ من الحرية، ولاحق فى ملك او ميراث، ولا كفل من عطف، او رحمة. تكاد تعيش عيش من لا يكترث له، ولا يعبأ به.

ومن الناس من ابغضها، خوف العار او الفقر فوأدها بدارا وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى: «واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، ايمسكه على هون، أم يدسه فى التراب؟ الا ساء ما يحكمون».

فلما اختار الله للناس دينا حنيفا رفع المراة ونهض بها من الذل والهوان الى ما هى جديرة به من الحقوق والمكان:

فأعد لها ما اعد للرجل، ومنحها ما منحه: من الانسانية، والواجب، والجزاء.

قال تعالى: «**فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم، من ذكر او انثى، بعضكم من بعض**».

فما كان فضل عمل الرجل لرجولته، وما كان حرمان المراة منه لانوثتها، وانما كانت «التقوى» سبيل الخير لكليهما «**ان أكرمكم عند الله أتقاكم**».

وعنى بتربية «البنت» وجعلها كالابن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنفق على ابنتين او أختين أو ذواتى قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما من فضل الله، او يكفيهما كانتا له سترا من النار» — رواه «احمد». وجعل على الزوج حقوقا لزوجته:—

فالمهر والنفقة لها ولاولاده، وللمطلقة أجر ارضاعهم بعد الزوجية.

واوجب العدل بين الزوجات اذا كن اكثر من واحدة، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من كان له امراتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**» — رواه «أبو داود».

ولا اثم عليه اذا احب احداهن اكثر من حبه سائرهن، لانه لا يملك ذلك.

وجعل للزوجة حق حضانة الصغار، لانها ارفق بهم، واحنى عليهم: —

روى أن امراة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: «**يارسول الله، ان ابنى هذا كان بطنى له وعاء، وحجرى له حواء، وثديى له سقاء، وان اباه طلقنى وزعم انه ينتزعه منى**» فقال لها الرسول الحكيم: «**انت احق به**».

وعلى الزوج لزوجته حقوق أخر قد أمرت بها الشريعة الغراء.

ولم يجعل لاحد على أولاده غاية الطاعة والاحترام والبر سوى «الام» قال تعالى: «**ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن**».

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله، اردت ان اغزو وقد جئت استشيرك» فقال: «**هل لك من ام**» **قال: «نعم» قال: «فالزمها، فان الجنة عند رجلها»** — رواه «النسائى».

وقد فرض الله على المراة ما فرضه على الرجل: من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، فوجب أن تتعلم من العلوم الدينية ما تؤدى به ما فرض عليها تأدية صحيحة.

وقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يعلم النساء امور دينهن — فى ايام — كما يعلم الرجال.

وأن تتزود بما يوافقها من العلوم، والفنون والاداب ما استطاعت الى ذلك سبيلا، لتكون الى جانب الرجل فى بناء المجتمع.

قال جل شأنه: «**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يامرون بالمعروف، و ينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، اولئك سيرحمهم الله، ان الله عزيز حكيم**».

وشرع لها حق التملك بما تقوم به من الاعمال اللائقة بها، ومنحها نصيبا مفروضا من الميراث لم يكن لها من قبل «**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون، مما قل منه أو كثر. نصيبا مفروضا**».

حق الحضانة

المستشار أحمد محمود خليل

عرضنا في مقالنا السابق نشره لحضانة النساء ونتناول فيما يلي حضانة الرجال وبقية أحكام الحضانة .

حضانة الرجال :

اذا لم توجد حاضنة من النساء أو وجدت ولم تكن أهلا للحضانة أو كانت أهلا لها وانتهت مدة حضانة النساء للصغير والصغيرة انتقل حق الحضانة الى العصبات من المحارم بترتيب الارث . فيقدم الاب ثم الجد الصحيح مهما علا . ثم الاخ الشقيق فالاخ لاب ، ثم ابن الاخ الشقيق فابن الاخ لاب .

ويشترط في الحاضن من العصبات المحارم ما يأتي :

ا - ان يكون قادرا على تربية الصغير . ب - ان يكون أمينا على اخلاق المحضون . فلو كان فاسقا مفسدا الى حد يخشى منه على أخلاق المحضون فلا يكون أهلا للحضانة .

جـ - ان يكون موافقا للمحضون في الدين . لان ثبوت الحضانة للعاصب ينبني على الارث . ولا ارث مع اختلاف الدين لانه مانع من موانع الارث . فاذا وجد للصغير غير المسلم اخوان شقيقان أحدهما مسلم والاخر غير مسلم فحضانته لشقيقه غير المسلم . واذا لم يوجد للصغير عاصب ذو رحم محرم أو وجد ولم يكن أهلا للحضانة انتقلت الحضانة الى اقاربه من الرجال ذوى الرحم المحرم من غير العصبات . فيقدم الجد لام . ثم الاخ لام . ثم ابن الاخت الشقيقة فابن الاخت لاب . ثم ابن الاخ لام وابن الاخت لام ثم العم لام . ثم الخال الشقيق فالخال لاب فالخال لام .

وفى هذه الحالة لا يشترط فى الحاضن ان يكون متفقا مع الصغير فى الدين . لان مبنى الحضانة فى هذه الحالة القرابة المحرمية لا الارث . ويشترط فيه باقى الشروط التى تشترط فى الحاضن من العصبات المحارم .

واذا لم يوجد للصغير والصغيرة الا أقارب غير محارم كأولاد العم والعمة وأولاد الخال والخالة .

فللذكور منهم حق حضانة الذكور ، وللاناث منهم حق حضانة الاناث .

ولا يثبت حق الحضانة للمحارم من غير النسب كالام والاب والاخت رضاعا . لان مناط الحضانة الشفقه بالصغير والعطف عليه ، ومحل ذلك القرابه النسبية . واذا لم يوجد للصغير من يحضنه من الاقارب وضعه القاضى عند من يثق به من النساء أو الرجال .

واذا وجد متعدد ممن لهم حق الحضانة وكانوا أهلا لها وتساووا فى درجة القرابه وكانوا فى مرتبة واحدة كاخوات شقيقات أو اخوة لاب يقدم أصلحهم لتربية الولد ، فان تساووا فى الاصلحية فالامر موكول الى القاضى يختار منهم من يشاء لحضانة الصغير والصغيرة .

مدة الحضانة : وتبتدىء مدة حضانة النساء للصغير والصغير بالولادة ، وتنتهى باستغناء كل منهما عن خدمتهن . وذلك بان يقدر كل منهما على القيام بحاجاته الاولية ، فيأكل ويلبس وحده بدون حاجه الى الاستعانة بغيره . وقدرت سن الاستغناء بالنسبة للصغير بسبع سنوات ، وبالنسبة للصغيرة بتسع سنوات . والمعول عليه فى مذهب الحنفية ان الصغير يسلم الى أبيه متى استغنى عن خدمة النساء . وقدر بعض فقهاء الحنفية سن الاستغناء بسبع سنين ، وقدرها بعضهم بتسع سنين . وان الصغيرة تسلم الى أبيها اذا بلغت حد الشهوة ، وقدر بعض فقهاء الحنفية بلوغ حد الشهوة بتسع سنين وقدره بعضهم باحدى عشر سنة . ومن المعلوم ان السنة المعهودة عند الفقهاء هى السنة القمرية .

ولم يرد من الشارع نص فى تقدير سن الاستغناء ولا فى تحديد بلوغ حد الشهوة لان ذلك مما يختلف باختلاف مواقع البلدان وباختلاف البيئة والمعيشه ، وباختلاف الجسم قوة وضعفا وصحة ومرضا . ولما كان كل من الصغير والصغيرة قد لا يستغنى عن خدمة النساء فى هذه السن التى قدرها الفقهاء للاستغناء ، وقد يتضرران من ضمهما الى غير النساء لاسيما اذا كان والدهما متزوجا بغير أمهما فقد أباح القانون الوضعى للقاضى ان يقر بقاء الصغير فى يد الحاضنة أما كانت أو غيرها الى ان يتم تسع سنين ، وبقاء الصغيرة الى ان تتم احدى عشر سنة اذا رأى ان مصلحتهما فى هذا البقاء والا قرر ضمهما الى غير النساء . فتقدير مصلحة الصغير بعد سبع سنين ، والصغيرة بعد تسع سنين فى بقائهما فى يد الحاضنة أو عدم بقائهما فى يدها متروك لرأى القاضى ، عملا بنص المادة ٢٠ من القانون ٢٥ سنة ١٩٢٩ ونصها « للقاضى ان يأذن بحضانة النساء الصغير بعد سبع سنين الى تسع ، وللصغيرة بعد تسع سنين الى احدى عشرة سنة اذا تبين ان مصلحتهما تقتضى ذلك .

ولا يؤخذ فى ذلك رأى الصغير والصغيرة ولا يخيران . لانهما لا يدركان مصلحتهما ، ويختاران عادة من يجدان عنده الراحه المؤقتة والمتعه الحاضرة الزائله بدون تقدير للعواقب . ولا يختاران من هو أنفع واصلح لتربيتهما واقدر على القيام بشئونهما لقصور ادراكهما .

انتقال الحاضنة بالصغير : الحاضنة للصغير اما أمه واما غيرها . فان كانت الحاضنة له غير الام من الحاضنات كالجدة لام أو لاب ، والاخت والخاله فليس لها ان تنتقل بالمحضون الى غير بلد أبيه الا باذنه . فلو انتقلت به الى بلد آخر بغير اذنه فانها تؤمر بان تعود الى محل الحضانه . وان كانت الام هى الحاضنة لولدها فلها ثلاث حالات : ا — ان تكون زوجيتها لابى الصغير قائمة وقت حضانتها لولدها ب — ان تكون معتدة لا تزال فى العده ج — انتكون منقضيه العدة . فان كانت الزوجيه قائمة بينهما فمكان الحضانة مسكن الزوجية ، وقرارها فيه حق للزوج لا تبرحه الا باذنه — حتى لو تركت مسكن الزوجية بغير اذنه اعتبرت ناشزة عن طاعته — فلا تملك الانتقال الا باذن الزوج . وان قامت بحضانته وهى لاتزال فى العدة بعد ان فارقها زوجها فمكان الحضانة مسكن العدة وليس لها أن تخرج منه حتى تنقضى عدتها منه ولو أذنها مطلقها الا بعذر مبيح للخروج منه لان الاعتداد فيه حق للشرع أيضا كما أنه حق لمطلقها . قال تعالى فى شأن المطلقات « **يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة** » . فلا يجوز لها الانتقال بالصغير مادامت فى العدة . فاذا انتهت عدتها يجوز لها أن تنتقل بالصغير من غير اذن مطلقها فى أثناء مدة الحضانة الى بلدها الاصلى الذى تزوجها فيه أبو الصغير . سواء كان بلدها الاصلى قريبا من مسكن العدة الذى اعتدت فيه أو بعيدا عنه وسواء كان بلدها قرية أو مصرا . لان الظاهر كما قال الفقهاء أن من يتزوج بامرأة فى بلدها أنه يرضى باقامتها فيه ، ولان فى اقامتها ببلدها بعد انقضاء عدتها مصلحة لها حيث توجد بين أهلها وذويها وتعيش فى البيئة التى نشأت فيها ، وتكون تحت رعايتهم ورقابتهم ومصلحة للصغير أيضا . وتغلب هذه المصلحة على ما عساه يلحق الاب من ضرر بعده عن ابنه لو كان بلدها الاصلى الذى تزوجها فيه بعيدا عن محل اقامته . واذا انتفى الامران ، البلد الاصلى والتزوج فيه — أو انتفى أحدهما فليس لها أن تنتقل بالصغير من مكان الحضانة الا الى بلد قريب بشرط ألا يكون انتقالها من مصر الى قرية . لان فى أخلاق أهل القرى جفاء فيخشى أن يتخلق الصغير بأخلاقهم . ويجوز لها الانتقال به من قرية الى قرية ، ومن مصر الى مصر ، ومن قرية الى مصر اذا كان البلد الذى انتقلت اليه بالصغير قريبا من البلد الذى انتقلت منه .

ويعتبر البلد قريبا على ما نص عليه الفقهاء اذا كان بحيث يستطيع الاب أن يذهب لرؤية ولده الصغير ويعود الى محل اقامته قبل دخول الليل ، وان لم يكن كذلك يعد بعيدا فلا يجوز الانتقال بالصغير لما فى ذلك من الاضرار بالاب .

والظاهر أن مسألة انتقال الحاضنة بالمحضون الى مكان غير محل الحضانة ، والقول بعدم انتقالها به الى مكان بعيد عن مكان الحضانة خاص بالمطلقة والاب فقط ، فقد جاء فى رد المختار لابن عبدين سئل شيخ مشايخنا العلامة مثلا | مثلا كلمة تركية معناها عالم | على التركمانى : عن يتيم فى حضانة امه وله جد لاب تريد أمه السفر من بلدها التى تزوجت فيها الى بلدة أخرى فهل لجده منعها : فأجاب بأن الواقع فى كتب المذهب متونا وشروحا تقيد المسألة المطلقة والاب ولم نر من اجراها على غيرهما ، ومفاده ان الجد ليس له منعها .

والسر فى عدم جواز انتقال الحاضنة بالصغير على التفصيل الذى ذكر مراعاة مصلحة الصغير ومراعاة حق الوالدين والا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده . وذلك بالجمع بين حضانة الام لولدها مادامت أهلا للحضانة ورعاية أبيه واشرافه عليه ، فلا يحرم من حضانة أمه وشفقتها عليه ولا من رعاية أبيه وعطفه عليه . ولهذا المعنى لا يجوز للاب أن يخرج الصغير من البلد الذى تقيم فيه أمه الحاضنة مادام فى حضانتها ومتى كانت اهلا لها لما فى هذا الاخراج من تفويت حقها فى الحضانة وحق الصغير فى أن يكون بيد أمه الحاضنة فى المدة المقررة لحضانة النساء للصغير والصغيرة .

والا يجوز شرعا للحاضنة ان تمنع الاب من رؤية ولده اذا كان الولد عندها كما لا يجوز للاب أن يمنع الام من رؤيته اذا صار الولد فى يده بعد سقوط حقها فى الحضانة أو بعد انتهاء مدة حضانة النساء .

ومما تحسن الاشارة اليه هنا أن الفقهاء لم ينصوا على أن انتقال الحاضنة من مكان الحضانة الى مكان آخر مسقط لحقها فى الحضانة مع نصهم على وجوب اقامتها بالصغير فى مكان الحضانة . فاذا ما انتقلت به الى مكان لا يجوز لها الانتقال به يجب أمرها بأن تعود بالصغير الى مكان الحضانة .

صاحب الحق فى الحضانة : اختلف الفقهاء فى أن الحضانه حق للحاضنة أو هى حق للولد ؟ فقيل انها حق الحاضنة . فاذا امتنعت عن الحضانة فلا تجبر عليها ، لان بامتناعها أسقطت حقها . ولا يجبر صاحب الحق على استيفاء حقه . وقيل أن الحضانة حق الصغير . فاذا امتنعت من لها حق حضانته أجبرت عليها . لانها واجبة عليها وحق للصغير عليها فلا تملك اسقاطها ، لان الانسان انما يملك اسقاط حقه لا اسقاط حق غيره . والرأى فى المسألة أن الحضانة حق للصغير وللحاضنة معا ، وأن أقوى الحقين فى الحضانه هو حق الصغير ، وأن مصلحته مقدمة على مصلحة أبويه ، وانه يجب العمل بما هو الاصلح والانفع للصغير فى باب الحضانة . وأن الحاضنة أما كانت او غيرها اذا تعينت للحضانة أجبرت عليها محافظة على الصغير . كما اذا لم توجد له سوى أمها من ذوات المحارم . وأما اذا لم تتعين فلا تجبر على احضانه ولا تلزم بها كما اذا وجد للصغير أكثر من حاضنه مثل الام والجدة والخالة والعمة ، فان حقه فى هذه الحالة أن تحضنه واحدة من هؤلاء . فلا تجبر الام على أن تقوم بحضانة ولدها ، لان حقه فى الحضانه لم يتعلق بها على التعيين متى أمكن أن تحضنه غيرها من الحاضنات اللاتى هن أهل للحضانة . فاذا امتنعن عن حضانته اجبرت الام عليها ، لانها تعينت لحضانته حيث لا توجد غيرها تقوم بحضانته .

ويتفرع على أن فى الحضانة حقا للصغير المسائل الاتية : ا ـ ليس لام الصغير أن تصالح اباه على اسقاط حقها فى حضانته فتتركه عنده مدة حضانة النساء فى مقابل عوض تاخذه منه فلو وقع هذا الصلح بينهما فهو باطل ، لما فى ذلك من تفويت حق الصغير واسقاطه . والانسان لا يملك اسقاط حق غيره وانما يملك اسقاط حقه . ب ـ اذا خالعت الام زوجها على أن يبقى عنده ولدهما الصغير الذى فى سن حضانه النساء فى المدة المقررة لحضانة النساء فالخلع صحيح والشرط باطل لا يعمل به ، لان بقاء الصغير فى يدها مدة حضانة النساء حق له فلا يجوز الاتفاق على اسقاط هذا الحق . جـ ـ اذا تعينت امراة لحضانة الصغير بأن لم توجد حاضنة سواها من محارمه وامتنعت عن حضانته أجبرت عليها محافظة على الصغير ومراعاة لحقه . واذا لم تتعين لحضانه فلا تجبر عليها . فلو امتنعت عن حضانته اعتبرت كأنها غير موجودة ويثبت حق الحضانة لمن تليها فى الرتبة من الحاضنات .

وتنبنى على أن فى الحضانة حقا للحاضنة المسائل الاتية :

١ ـ ليس للاب أن يأخذ الصغير من صاحبة الحق فى الحضانة ويعطيه لمن دونها فى الرتبة ، لما فى ذلك من تفويت حقها الا بمبرر شرعى كما اذا كانت من دونها متبرعة بالحضانة وصاحبة الحق تأبى الحضانة بدون أجر .

٢ ـ ليس للاب أن ينقل الصغير من البلد مكان الحضانه الذى تقيم فيه صاحبة الحق فى الحضانة لما يترتب على ذلك من تفويت حقها فى الحضانة .

٣ ـ لو كانت للصغير مرضعة غير حاضنته يجب عليها أن ترضعه عندها فى مكان الحضانة حتى لا يفوت حقها فى الحضانة .

وللبحث بقية نختمه فى مقالنا القادم ـ ان شاء الله ـ والله الموفق لما فيه رضاه .

من تعاليم الإسلام في حقوق المرأة وهي مطلقة

وقبل ان نبين هذه التعاليم يحسن ان نفيد القراء الاعزاء عن الطلاق قبل الاسلام ، وعن الطلاق بعد الاسلام.

كان الطلاق قبل الاسلام شائعا بين جميع القبائل العربية ، بدون فرق بين اليهود والمسيحيين والوثنيين كما كان الطلاق جائزا بين الرومانيين طبقا لقانون معروف عندهم بـ «الموائد الاثنى عشر» مع انهم كانوا يبيحون للزوج قتل زوجته على جريمة السكر ومعاقبتها اذا طلبت الطلاق من زوجها .

كما ان الدين المسيحى لم يمنع الطلاق اصلا وغاية ما ورد فى تعاليم الانجيل هو : « ان من طلق امرأته وتزوج بامرأة اخرى فهو زان »ونصه لا يدل على منع الطلاق ، وانما يمنع التزوج بالاخرى بعد طلاق الزوجة الاولى.

هذا ولم يكن للطلاق قبل الاسلام اى نظام او قانون يحمى للمرأة حقوقها ويحفظ كرامتها ويراعى حياتها فى المجتمع الانسانى حياة طيبة محترمة عزيزة.

الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

اما الطلاق فى الاسلام ، فانما هو يعتمد على سبب معقول شرعى يتم لمصلحة الزوجة أيضا ، ولا يختص بمصلحة الزوج ، ولا يجوز ويحرم الطلاق على هوى بلا مبرر وسبب مبيح له .

مع ان الاسلام قد أوجب الحكمية بين الزوجين قبل ايقاع الطلاق ، وذلك عن طريق تعيين حكم [واحد ، أو أكثر] من أهل الزوج ، وحكم [واحد، او أكثر] من أهل الزوجة ، ممن يصلح الحكمية ويستطيع أن يقوم بأعبائها خير قيام ، وانما ذلك بذلا للجهود لغرض اصلاح البين ولحفظ رابطة الزوجية وصون بيت العائلة عن الانهيار والخراب

والاصل فى هذا قوله تعالى [وان خفتم شقاق بينهما] أى انفصالهما [فابعثوا حكما من اهله] اهل الزوج، [وحكما من أهلها] أهل الزوجة ، [ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما] اى يوفق الله للاصلاح بين الزوجين ، [ان الله كان عليما خبيرا] الاية ٣٥ ـ النساء .

وقد اتفق فقهاء الاسلام [عن طريق استنباط الاحكام عن نصوص كتاب الله وسنة رسوله] على أن الطلاق انما شرع عند اقتضاء الضرورة بسبب تباين الاخلاق بين الزوجين ، وحدوث البغض، او الكراهة فى الشئون الدينية أو الاجتماعية بين الزوج والزوجة الى حد ان الزوج قد عجز عن اقامة حقوق الزوجية كما يجب ، وكذلك الزوجة .

قال العلامة ابن عابدين فى رد المحتار حاشية الدر المختار ما نصه :

[وأما الطلاق فان الاصل فيه الحظر، بمعنى أنه محظور الا لمعارض يبيحه ، وهو معنى قول الفقهاء « الاصل فيه الحظر ، والاباحة للحاجة الى الخلاص، فاذا كان بلا سبب أصلا ، لم يكن فيه حاجة الى الخلاص . بل يكون حمقا وسفاهة رأى ومجرد كفران النعمة ، والايذاء بها [أى بالزوجة] وبأهلها وأولادها ، ولهذا قالوا أن سبب الحاجة الى الخلاص عند تباين الاخلاق وعروض البغضاء الموجبة عدم اقامة حدود الله] يريد حقوق الزوجية بين الزوجين .

ثم قال ابن عابدين : « فحيث تجرد الطلاق عن الحاجة المبيحة له شرعا ، فانه يبقى على أصله من الحظر ، ولهذا قال الله تعالى [**فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**] أى لا تطلبوا الفراق . وعليه حديث [**ابغض الحلال الى الله الطلاق**] انتهى .

ومن هنا يظهر أن الطلاق انما شرع فى الاسلام لحدوث الضرورة والاضطرار اليه ، على خلاف ما كان فى الجاهلية من السلطة المطلقة للزوج بالتصرف بشأن زوجته ، حيث كان ايقاع الطلاق على هوى لا يستند على سبب أو مبرر له ، وللزوج أن يطلق زوجته متى شاء ويعيدها الى زوجيته متى شاء . شأن الفوضوية فى الحياة الزوجية .

هذا ، وحدوث الضرورة والاضطرار الى الطلاق والانفصال بين الزوجين أمر طبيعى ، كما يشاهد فى كل مجتمع ، اذن فان تشريع الطلاق سد للحاجة ، وحل للمشكلة فى الحياة العائلية مما يتم لمصلحة الشئون البشرية .

[مشكلة فى حياة الزوجين فى الغرب]

وهناك مشكلة فى حياة الزوجين فى قارة الغرب فى المجتمع الغير الاسلامى، لايجدون لحلها طريقا ، وذلك لحرمانه عن هذا التشريع الحكيم ، والذى يتمنى اباحة الطلاق ، وقد أبيح فى بعض بلاد أوربا ، وذلك بوضع قانون بشأنه .

ونشر الاهرام فى عدد ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٦ ما نصه :

[أعلنت جمعية اباحة الطلاق التى تكونت فى ايطاليا من خمسة آلاف عضوا، أن عدم اباحة الطلاق فى ايطاليا يؤدى الى انفصال عشرة آلاف زوج من زوجاتهم كل عام بعد استحالة حياة الزوجية بينهم] ثم قالت الجمعية :

[ان عدم استطاعة هؤلاء الرجال الزواج مرة ثانية [بحكم المسيحية] يضطرهم الى العيش فى الخطيئة]

أقول : ولكن الاسلام كما شرع الطلاق شرع الزواج [مرة ثانية] لمن شاء بمن شاء ، وبهذا قد سد باب الوقوع فى الخطيئة [يعنى الزنا] حتى يعيش الانسان شريفا فى مجتمعه الذى يعيش فى ظله وفى هذا الباب قال الله سبحانه [**وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته**] أى بزواج الزوج بزوجة اخرى ، وزواج الزوجة بزوج آخر . الاية ١٣٠ ـ النساء

ونشر الاهرام أيضا فى عدد ١٢ ديسمبر سنة ١٩٦٧ ما يلى :

[قدمت أمس رابطة اباحة الطلاق فى ايطاليا التماسا الى مجلس النواب موقعا عليه من طرف ٢٠٠ ألف ايطالى يطلبون فيه اباحة الطلاق ، تقول الرابطة أنه يوجد فى ايطاليا ٢ مليون شخص لا يستطيعون تكوين أسر مستقرة نتيجة الانفصال دون استطاعة الحصول على الطلاق]

أقول : هكذا تظهر حكمة تشريع الاسلام فى كل موضوع من شئون الحياة الاجتماعية كلما مرت الايام وتقدمت الثقافة فى المجتمع الانسانى العام ، ونضج العقل البشرى وميز بين ما يصلح أن يكون الانسان عليه وبين ما لا يصلح.

ومن المعلوم أن الطلاق مما يمسه الميل الطبيعى الى اعتناقه وتنفيذه فى الحياة الانسانية .

وهنا نقف عن سرد المقال ، خشية الاملال .

وصحبتنا مع القراء الاعزاء سيكون بقية « الطلاق فى الاسلام » والله هو الموفق .

أسس بناء الفرد المسلم

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

يعنى الاسلام بالفرد باعتباره اللبنة الاساسية فى بناء المجتمع ، ويرسم له المنهج السوى الذى يحقق له السعادة فى دنياه ، والنعيم المقيم فى آخراه ..

وتقوم هذه العناية على ثلاث دعائم أوضحها رسول الله صلى الله عليه وسلم هى جمل ثلاث ، تنتظم كل جمله أربع كلمات ، قال : [اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن] .

الدعامة الاولى : حسن صلة الانسان بربه الذى خلقه فسواه وجعله فى أكمل صورة وأكرم هيئة [**لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم**] وركبه أجمل تركيب. وجعل له عينين ولسانا وشفتين ، وقال فى ذلك مخاطبا اياه [**يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك**] . واسجد للاب الاول لهذا الانسان — وهو آدم عليه السلام — ملائكته ، تكريما له ، واعلانا لمنزلته [**واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا**] وسخر له كل ما فى الكون ، الارض بخيراتها ، والسماء بما فيها ، وسخر له البحار والجبال والصحارى والقفار وسخر له الشمس والقمر والكواكب ، وقال فى ذلك « **الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار**] .

وتحسن صلة الانسان بربه عن طريق التقوى ، التى هى عبارة عن امتثال ما أمر ، واجتناب ما نهى ، يعنى ان يتخذ الانسان لنفسه وقاية تقيه غضب الله وسخطه ، فمتى كنت أيها الانسان فى خلواتك أو جلواتك ، فى سرك أو علانيتك ، بينك وبين نفسك أو بينك وبين الناس اعتقد أن الله يراك وان كنت لا تراه ، محافظا على نقاء سريرتك وحسن سلوكك واخلاصك الكامل له وحده ، ولقد قال ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى [**اتقوا الله حق تقاته**] **قال :** أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وسئل أبو هريرة رضى الله عنه عن التقوى فقال لسائله : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ قال نعم ، قال : فكيف صنعت ؟ قال : اذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته ، قال ذاك التقوى .

وأخذ هذا المعنى أحد الشعراء فقال :

خل الذنوب صغيرها
وكبيرها فهو التقى
واصنع كماش فوق أر
ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة
ان الجبال من الحصى

والتقوى هى وصية الله لجميع خلقه [**ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله**» وصية رسول الله لامته ، فكان اذا ما بعث أميرا على

سرية أوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا .. ولما خطب فى حجة الوداع يوم النحر وصى الناس بتقوى الله وبالسمع والطاعة لائمتهم . وهى وصية السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كتب عمر بن عبد العزيز الى رجل ، اوصيك بتقوى الله عز وجل ، التى لا يقبل غيرها ولا يرحم الا أهلها ، ولا يثيب الا عليها ، فان الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل جعلنا الله واياك من المتقين ...

الدعامة الثانية : [وأتبع السيئة الحسنة تمحها] فاذا ما اقترنت سيئة من السيئات أو ارتكبت اثما من الاثام ، فلا تيأس من رحمة الله ، فربك واسع المغفرة ، والله لا يغلق باب رحماته فى وجه من يطرقه ، ويقول : يارب ، انه يسمع النداء من مولاه : عبدى ادعنى أستجب لك ، واسألنى أعطك ، واستغفرنى أغفر لك ، قال تعالى : [**وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**] وقد وصف الله المتقين فى كتابه بأن من شأنهم أن يرجعوا اليه فى حال الهفوات ، قال تعالى : [**وسارعوا الى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا** فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم : **ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**] ..

ان الاسلام لا ييئس المذنب من عفو الله ، وبذلك يبعد عنه عقدة الذنب التى اذا لاحقته عاش حياته كئيبا كاسف البال قليل الرجاء ، انه يفتح أبواب الامل أمامه فيحيا بحب الخير والبسمة المشرقة على وجهه فيزداد انتاجه ، ويثرى الحياة بعطائه .. وما أجمل هذا الحديث الشريف الذى يملأ قلوب الحائرين أملا وطمأنينة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [**يدخل أهل الجنة الجنة على اربعة أصناف ، المتقين ، ثم الشاكرين ، ثم الخائفين ، ثم أصحاب اليمين قيل لما سموا أصحاب اليمين قال لانهم عملوا الحسنات والسيئات ، فاعطوا كتبهم بايمانهم فقرءوا سيئاتهم حرفا حرفا قالوا يا ربنا هذه سيئاتنا . فاين حسناتنا ، فعند ذلك محا الله السيئات فجعلها حسنات ، فعند ذلك قالوا : هاؤم اقرءوا كتابيه : فهم أكثر أهل الجنة**] ..

الدعامة الثالثة : [وخالق الناس بخلق حسن] ..

ان بعض الناس يظن أن التقوى هى مجرد القيام بحق الله دون حق عباده فهو يحسن صلته بالله ، ويسىء صلاته باخوانه فى المجتمع ، ان مثل هذا الانسان لا يكون متقيا لربه حق تقواه . فالمؤمن الحق ألف مالوف ، يحب الخير للناس ويعاملهم بالمروءة والسماحة ، ويقول فى ذلك رسول الله [**أكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا**] ... ولقد مدح الله نبيه بالخلق الحسن فخاطبه بقوله [**وأنك لعلى خلق عظيم**] .. ويكون حسن الخلق كما فسره الامام احمد بأن لا تغضب ولا تحقد ، وفى مسند الامام أحمد من حديث معاذ بن أنس الجهنى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : [**أفضل الفضائل أن تصل من قطعك : وتعطى من حرمك ، وتصفح عمن شتمك**] وحثنا رسول الله على حسن الخلق بقوله [**ما من شىء يوضع فى ميزان العبد اثقل من حسن الخلق ، وأن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**] .

ان أفراد المجتمع اذا حسنت أخلاقهم عاشوا متحابين متعاونين ، فيسعدون فى دنياهم وتسعد بهم مجتمعاتهم ، وتحيا عزيزة فى دنيا الناس .... وتلك هى المجتمعات التى طبقت تعاليم الاسلام روحا وعملا وهى بحق مجتمعات العلم والايمان .

بقية مقال « الاسلام يكرم المرأة وينهض بها »

ولم يكلفها الاسلام من الاعباء المالية ما كلف الرجل ، ونفقة أبيها أو أخيها نفقتهما قبل الزواج ، وعلى زوجها بعده نفقتها ، ونفقة أولادها ، أما مهرها فخالص لها .

وكفل لها من حرية الرأى ما لا يتوقف على رأى أحد ، فى بيع ، أو شراء ، أو تأدية شهادة ، اعلاء للحق ، أو مشاركة برأيها فى الحياة العامة : —

فقد روى أن « عمر بن الخطاب » خطب الناس فقال : « **ما اكثاركم فى المهور** »؟ — أراد ذلك تحديد المهور ، ولم تكن تزيد فى عهد الرسول على أربعمائة درهم » فقالت امرأة من « قريش » : «**ان الله تعالى** يقول« **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، أتاخذونه بهتانا واثما مبينا** » **فقال « عمر » ، اصابت امرأة ، وأخطأ « عمر » ، أو قال : « كل أحد اعلم من عمر ، تزوجوا على ما شئتم** »

وجعل الصلة بين الرجل والمرأة «التكامل» و «التعاون» فالمرأة تكمل الرجل فى المجتمع كما تكمله فى الاسرة .

هذا — وما سما بالمرأة أحد الى المكان اللائق بها ما سما « محمد » ، وما احترمها أحد ما احترم «محمد» .

الإسلام منقذ المرأة ومحررها الأول

مبعوثة الامم المتحدة فى لجنة « حقوق الانسان » — وهي سيدة سويدية — زارت مصر أوائل هذا العام ، فى جولة استطلاع ، وقد تحدثت — فى حديث صحفى نشر باحدى صحفنا العربية — عن انطباعاتها الفكرية فى هذه الزيارة ، فقالت :

« اننى معجبة جدا بالدين الاسلامي وموقفه من المراة ؛ وعدم تمكنها من أخذ فرصتها فى المجتمع لا يرجع الى الاسلام وأننا فى السويد لم نكن نفهم ذلك ، ولكننى حين عرفت الدين الاسلامى وفهمته أعجبت به تماما .. » .

الأستاذ أحمد وافى

شهادة حق لها وزنها ومغزاها لغير واحد من الامر : لصدورها عن سيدة قادمة من بلاد بحر الشمال وفى ذهنها غيوم من الاباطيل التى تنشرها الدعايات الاستعمارية والعنصرية ضد الاسلام ، فهى تقول مقالتها فيه نتيجة البحث والمعايشة والرؤية السليمة ، ثم انها فى الوقت نفسه مبعوثة الامم المتحدة وتعمل فى ساحتها ، فرأيها سوف يتردد فى مجالات البحث عن علاج المشكلات الخاصة بالمراة هنا وهناك .

وأكثر من هذا ، فان شهادة هذه السيدة ذات الصفة العالمية ، تجىء فى مستهل العام الحاضر ، الذى قررت هيئة الامم المتحدة اعتباره عام المراة الدولى ، فكأنها تقول لهذه الهيئة أن مشكلات المراة المطروحة ، والتى تدعى شعوب العالم جميعا لبحثها وعلاجها ، قد حسمها الاسلام ، وقضى فيها أسمح وأعدل قضاء منذ أربعة عشر قرنا ، فان شئتم الخير المحض لهذه القضية ، فهاكم الاسلام : خذوا عنه ، واسلكوا سبيله ؟ ..

ومهما يكن من أمر ، فان قضية المراة وقد أصبحت موضوعا عالميا تحت مظلة هيئة الامم المتحدة ، خليقة أن تعرض بحقائقها الاسلامية ، عرضا اعلاميا صحيحا ، ليس فقط لدحض المفتريات التى اقحمت على الاسلام ، ولكن كذلك لترشيد الناس فى شتى المجتمعات ، اسلامية وغير اسلامية ، وتسديد خطواتهم ، نساء ورجالا ، على طريق الحق والمحبة والتكافل ، وفق احكام هذا الدين الحنيف .

والحقيقة التاريخية الاولى فى قضية المراة ، وهى حقيقة يعترف بها المنصفون من المؤرخين والدارسين من نفس الامم الاستعمارية المعادية للاسلام — هذه الحقيقة : أن الدين الاسلامى هو أول دين انقذ المراة وحررها واعطاها حقوقها الانسانية المتكاملة التى لم يكن أحد فى أى نظام اجتماعى يعترف بها .

فقبل الاسلام فى كل أمم الارض ، حتى الامم ذات الحضارة القديمة ، كالاغريق والرومان والفرس ، كانت المراة « شيئا » تافها ، لا تبلغ درجة الانسان ولا تعلو عن منزلة الحيوان ، فهى لخدمة الرجل وفراشه ، راضية أو كارهة ، مسلوبة الارادة لا يحق لها أن تملك شيئا ، ولا أن تتصرف فيما قد تملك من شىء ؟ .

يقول المغفور له فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى فى كتابه «المجتمع الاسلامى» كما تنظمه سورة النساء :

« ويحدثنا التاريخ أن المراة كانت تلاقى من العنت وألوان الشقاء حتى فى المجتمعات المتمدنة والبلاد المتحضرة ، مالا يلاقى الرجل بعضه ، فكان يحكم عليها بالموت مثلا اذا خالفت زوجها أو اسرفت فى ماله ، وكانت تعد روحا شريرة فى بعض المجتمعات ، بل عدها مجمع من مجامع روما مخلوقا لا نفس له وزعم أنه لا حق لها فى الحياة الاخرة ، أى انها لا تبعث كما يبعث الناس ، وانما تنتهى حياتها بالموت ، كالحيوان فى رأى من يقول ان الحيوان لا يبعث ، فهى فى هذا نظير للحيوان الاعجم فى نظرهم ، هذا فضلا عن حرمانها التصرف فى أموالها بالبيع والشراء أو الهبة أو غير ذلك من ألوان التصرف الا باذن زوجها ، وما زالت بقايا هذا الحكم راسبة فى أعماق بعض الشعوب الى يومنا هذا ، ولا يزال فى شعوب اوربا من يحرم على المراة أن تتصرف فى خالص مالها الا بموافقة زوجها » .

كانوا يجتزون شعور النساء ويبيعونها مثلما يفعلون فى أصواف الاغنام ، ويجمع الرجل من النساء ما يشاء ويخرجهن من حياته متى شاء بلا حساب واذا مات الزوج ترملت امرأته أو نساؤه ، فلا يحق لها أو لهن التزوج أو التزين ، وفى بعض الشعوب كانت المراة اذا مات زوجها قتلت نفسها حيث لايجوز لها أن تعيش بعده ، وقد سمح لها فى بعض البلاد أن تعيش أرملا لا تتزوج حتى تموت . ولكى لا تتزوج كانوا يحلقون شعرها ويجدعون أنفها ، ويصلمون أذنيها ويشوهون وجهها تنفيرا للرجال منها ؟

وفى مجتمعات أخرى كان الرجال يتبادلون نساءهم فى بساطة متناهية ، وربما أعطى الرجل زوجته لرجل آخر بلا بديل ؟

وبلغ من هوانها عند بعض عرب الجاهلية الذين تاثروا بمساوىء العادات فى الدول المجاورة لهم ، انهم كانوا يعتبرونها جزءا من ميراث زوجها ، فالارامل يصبحن ارثا لابن الرجل فهو يخلف أباه فى زوجاته كما يخلفه فى أى مال أو متاع آخر ، وكانوا يحرمونها من الميراث فهى تورث ولا ترث ؟

ومن العادات المنكرة التى كانت قائمة قبل ظهور الاسلام ، عادة وأد البنات البنات فى العرب ، كان يسخطهم أن تكون لهم بنات يجلبن عليهم العار ، بالسباء ، أو غيره ، اذ كانت حياتهم غارات وحروبا متصلة ، ولهذا كانوا يفضلون الابناء الذكور ، واذا ولدت المراة انثى ركب الرجل الغضب واسود وجهه ، واضطرب فكره ، فيما يصنع بها ، يقول الله تبارك وتعالى : « واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون » — وقد عاب الاسلام هذه العادة الجاهلية الاثمة وابطلها فيما أبطل من عادات كثيرة ليست دونها اثما ..

ورفع الاسلام المرأة الى حيث ينبغى أن يكون مكانها من الرجل ، مكان انسان مثله ينتميان معا الى أصل واحد ونفس واحدة ، فيقول الله عز وجل : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » .

وتطبيقا لمبدأ انسانيتها ومساواتها ، قرر الاسلام حقها فى الارث « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف » و : « وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون » .

وحكمة التشريع الاسلامى فى جعل نصيب البنت فى الميراث نصف نصيب الولد ، هى أن على الولد من أعباء الحياة وتكاليفها ماليس على البنت ، انه يعمل ويكدح وينفق على بيته واذا تزوج دفع مهرا لزوجته وانفق عليها وعلى من يعول من أولاد واهل ، ولا شىء من ذلك على البنت ، فانها فى حياة أبيها أو اخيها غير مكلفة بانفاق ، واذا تزوجت قبضت مهرا لنفسها مضافا الى نصيبها فى الميراث ، واحتمل زوجها حق الانفاق عليها ، ومن هنا يمكن القول انها احظى واوفر نصيبا من الولد فى الميراث اذا ما روعيت هذه الاعتبارات ؟ .

وحرم الاسلام العادة القبيحة التى كانت فاشية فى الجاهلية ، وهى عادة أن يرث الابن زوجة أبيه فيعاشرها معاشرة زوجية ، فقال تبارك وتعالى : « ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء » .

وحطم الاغلال التى كانت ترسف المرأة فيها ، فاعطاها الحرية فى اختيار زوجها فلا ينعقد لها زواج بغير رضاها ، وربما كان فى قصة الجارية « بريرة » اوضح اوضح دليل على ذلك ، فانها كانت قد تزوجت وهى فى الرق بمن لا رأى لها فيه ، فلما اعتقتها السيدة عائشة رضى الله عنها ، وملكت أمرها ، فارقت هذا الزوج ، وكان هائما بها فراح يلاحقها ويشكو ، وكأنما اشفق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألها أن ترحمه بالعودة اليه ، فقالت : اتامرنى يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « لا ، بل انا شافع » قالت : فانا لا أريده ، فكان لها ما أرادت ، اذ قد صارت حرة تختار لنفسها من ترضاه زوجا وشريك حياة ؟

ومثل ذلك ما كان من أمر خنساء بنت خزام الانصارية ، فقد زوجها أبوها — وهى ثيب — بمن لا ترغب فيه ، فكرهت ذلك ، فاتت رسول الله شاكية ، فرد هذا الزواج وقرر لها حريتها فى الرفض وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الايم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن » .

وتثبيتا لحق وجودها الانسانى المستقل واستقلالا بمكانتها واثرها فى الدنيا والدين ، فرض الله عليها ، كالرجال تماما ، فرائض الاسلام جميعا ، فهى مكلفة بالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وعلى ذلك بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيعة الرجال ، فلم يزد فيها الا ماكان لابد منه ، من اشتراط شرائف الخصال ، لطبيعتهن الخاصة ، وفى ذلك يقول الله عز وجل : « يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ، ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم » .

ولا يمنعها الاسلام من الخروج للصلاة فى المسجد أوفى أداء حق من حقوق الله ، وكان منهن من خرجن مع رسول الله واشتركن فى القتال .

واختصها دون الرجال بالتزين ولبس الحرير والذهب ، وعن ابى موسى الاشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكورا متى واحل لاناثهم» .. وكانت تاتى رسول الله الهدايا وفيها خواتم الذهب فيامر بها الى النساء ..

وفرض عليها ان تطلب العلم كالرجل فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» والعلم لا يطلب فى الدور ، ولا فى داخل الستور ، وانما هو فى مدارسه ومعاهده ومنها القريب ، ومنها البعيد ، ويعنى ذلك أن للمرأة حق الخروج للعلم حيثما يوجد ، أى أن الاسلام لا يفرض عليها أن تكون اسيرة البيت قعيدته أو مايسمى بحياة « الحريم » ؟ .

والواقع ان ما تحصله المرأة من علم ومعرفة ، وما يحققه ذلك من سعة فى الرزق وزيادة فى المورد انما يكون كله « عائدا » للمنزل والاسرة، فالصلة بين المرأة ومنزلها وأسرتها لا تنقطع ولا يمكن أن تنقطع وهذا موضوع له حديثه فى مقال آخر .

وفى المعاشرة الزوجية أوجب الاسلام أن يسودها روح المحبة والتعاون، وعلى الزوج أن ينفق على زوجته وعلى أولادها منه من طعام أو شراب ، وكسوة ومسكن ، وان يخدمها اما بنفسه واما أن يجعل لها خادما ، وفى حالة ارضاع الاطفال أوجب على الاب أجرة الرضاع، فاذا ارضعت الام الصبى كان من حقها ان تاخذ منه على ذلك أجرا .

وفى حديث للسيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بيته يخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويعمل فى مهنة أهله ، وللمسلمين بالرسول الكريم أسوة حسنة . فلامعنى بعد ذلك للانفة ، والاستعلاء اذا مادعى الزوج الى معاونة زوجته فى كذا او كيت من مطالب الخدمة فى البيت ، فهو بيتهما المشترك . وخاصة فى ايامنا هذه حيث تعمل الزوجة خارج البيت كزوجها وتحقق دخلا مساعدا ..

أما المشاكل التى تقع بين الازواج ، وينتفى بها حسن المعاشرة ، ومنها تعدد الزوجات والطلاق ومعقباته وأثاره وكل ما يتصل بذلك من احوال تختلف باختلاف الطبائع والاخلاق والظروف فقد شرع الله لها أحكاما وحدودا ، تصان بها حقوق المرأة ، فلا ضرر ولا ضرار ولا اعضال ، وشرح ذلك طويل ، ولمن شاء مزيدا من التفصيل أن يرجع الى كتب الفقه الاسلامى وهى غزيرة حافلة.

وما أردنا بهذا الحديث اليوم الا أن نقدم صورة — فى حدود الامكان — من موقف الاسلام تجاه المرأة تاكيدا للحقيقة التاريخية التى لا خلاف عليها ، وهى انه منقذ المرأة ومحررها الاول وسيظل كذلك مرفا أمنها وسلامتها الى آخر الدهر .

انقذها من ظلم الرجال وظلمات الجهل واعطاها حق الحياة ، وحق الارث ، والتملك ، وحرية التصرف وحرية التعليم وحرية العمل ، وحرية الزواج .

ولم يبق الا أن لهذه الحريات معالم تنتهى اليها ، وحدودا تقف عندها ، فليست هناك حرية مطلقة ، وقد اقام الاسلام هذه المعالم والحدود ، حتى تتكافأ الحقوق والواجبات ، فى مثل قول الله سبحانه وتعالى : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » الى آخر ما جاء بالاية من ذكر محارمها .

فاذا خرجت المرأة للشارع أو للعمل متزينة متعطرة مرتدية من الملابس مايظهر المفاتن ويثير الفتن فقد خرجت بذلك من حدود الحرية ، وليس لها أن تشكو اذا عيب عليها ذلك أو عيب على صاحب أمرها زوجا كان أو أبا أو حاكما ، أن لا يمنعها من ذلك ؟

ومن الظواهر الطيبة أن تتجه الميول الان الى الاخذ باسباب الحشمة فى بعض ساحات العلم والمصالح العامة والخاصة فهناك كثيرات من الطالبات والموظفات صرن يفعلن ذلك ، وكان لهذا الاحتشام أثره المفيد فى احترام الشخصية وفى نتائج الدراسة بالنسبة للطالبات ، ولابد أن يكون له نفس الاثر فى نتائج العمل فى المصالح المختلفة ، وكمثال ننقل هنا ماقاله الدكتور محمد نصار وكيل كلية البنات الاسلامية كما جاء باهرام ٨ ابريل « أن الطالبة التى ترتدى الزى المحتشم تلقى احتراما عظيما فى داخل الكلية وخارجها وقد أثبتت احصائيات الامتحانات أن هذا النوع من الفتيات ينجح بامتياز وتفوق عن غيره من الطالبات » وفى ذلك عبرة لمن يعتبر .

إحصائية من معهد أمريكي تفيد:

ان المستقبل للإسلام

خبر قصير في الصفحة الاخيرة من جريدة الاهرام .. لم أشأ أن أمر عليه دون تعليق ، وقفت عنده وتأملت فيه ، وأردت أن أخرج منه للشباب بدرس أى درس ، لان مغزاه عميق .. الخبر نشره الاهرام بتاريخ ١٥ من ربيع ثان لعام ١٣٩٥ ويقول عنوانه :

« جيل جديد من السكارى يكلف أمريكا كل عام ٢٥ ألف مليون دولار .. » ويمضى فى التفاصيل فيقول :

الأستاذ ناصف سليم

• تقرير خطير أصدره المعهد الوطنى لدراسة أخطار الخمور فى الولايات المتحدة الامريكية ، يقول : ان الصبايا والصبيان الامريكيين يشربون خمرا بـ ٢٥ الف مليون دولار سنويا ، وهذا الجيل الجديد من السكارى فى أمريكا يتراوح سنه بين ١٢ و ١٥ عاما . و ٥٤ فى المائة من الصبايا الامريكيات اللاتى يدمن الخمر تتراوح اعمارهن بين ١٢ و ١٣ سنة ، أما الصبيان المدمنون فان ٦٣ فى المائة منهم فى مثل هذه المرحلة من العمر .•

• • •

وعند هذا الخبر الوارد من تقرير رسمى أصدرته جهة اختصاص ، نقف طويلا لنقول لشبابنا المسلم انتبهوا ، هذه هى حضارتهم ؟ .. هذا هو المال الذين تشرئب أعناقكم اليه ، هذه هى سياسة تربية الاجيال ، من وجهة نظر المنادين بالتقليد ، واللحاق بركب التطور المزعوم .. نقف طويلا أمام هذا الخبر لنقول :

١ – **ان فساد الجيل الناشىء فى الامم المتحضرة لم يأت صدفة ولا عفوا ، بل كان نتيجة فساد الاسرة** ، وسبق أن نقلت الى هذا المكان آراء زملاء لنا يعملون فى الدعوة الاسلامية فى أمريكا ، وكيف صدمهم الواقع ، حين رأوا من يستفتونهم هناك ، فى ضرورة تبادل الزوجات ، حتى يقضوا على الملل الاسرى !!

٢ – **ان وفرة المال والانتعاش الاقتصادى فى كثير من الدول المتقدمة صناعيا وعلميا ، ساعد على انتشار الفساد وتفكك الاسرة** ، فهذا الاستقلال الذى ترك للفتاة وللولد الصغير فى مقتبل العمر أدى الى انحراف وشر مستطير ، ذلك لان عقلية الناشىء حتى وهو فى بداية مرحلة البلوغ ، لا تمكنه من التمييز بين ما ينفعه وما يضره .

٣ – **ان اشتغال الرجل والمرأة طول الليل وطول النهار ، مع حرصهما على شغل وقت فراغهما فى اللهو والمتعة** ، حرم الاولاد من العناية والرعاية ، والتوجيه السليم ، فقلما تجتمع الاسرة ، أو تتقابل ، كل فرد فيها أصبحت له شئونه الخاصة ، وعلاقاته الجنسية وغير الجنسية ، المشروعة وغير المشروعة .

٤ – **ان الاعتماد على المدارس الداخلية فى تربية الاولاد لا يغنى عن رعاية الام لابنائها** ، وحرص الاب على مستقبل أبنائه ، وسبق أن أشرت الى حديث سفير مصرى لى فى احدى رحلاتى للخارج عندما توجه الى مدرسة ابنه الطفل ، فوجد الناظرة مشغولة بالتحقيق فى أمر طفلين يحتفظان بكمية من المخدرات فى حقيبتهما ، ولم تعترض الناظرة على ما ارتكبه الطفلان من عمل فاضح ، بل كان كل احتجاجها على كمية المخدرات التى يحتفظان بها ، وليس على تعاطيها !

٥ – يعنى الخبر أيضا ، أن مستقبل هذه الشعوب سيكون مظلما حين يتحكم فيها جيل ، لم تعوده التربية من صغره على التحكم فى غرائزه ، ولم توضح له الفواصل والحواجز بين ما يجب أن يستمتع به ، وما يجب أن يتجنبه ، هذا الى جانب ما يسببه اطلاق

الغرائز من امراض عصبية ونفسية تؤثر على قدرة الفرد فى التمييز بين الخطأ والصواب .

٦ ـ واخرج من هذا الخبر ايضا بنظرة تفاؤل الى مستقبل الاسلام ، اذا تمسكنا به ، وآمنا بتعاليمه وطبقناها ، فى مجال الاسرة والمدرسة والمجتمع . انها تعاليم متحضرة فعلا ، لانها تحد من اشباع المتعة الحرام ، وتمنعها ، وتحول بين المسلم وبينها باصول ومبادىء تربوية منذ الطفولة ، وقبل الطفولة فى مجال الاسرة ، بل قبل الزواج عندما يرشد الاسلام الزوج الى اختيار الزوجة الصالحة التى تقدر على التربية وتخريج جيل قوى قادرة على التحكم فى اهوائه ونوازعه .

٧ ـ والنتيجة التى نخرج منها ايضا من قراءة تقرير المعهد الوطنى الامريكى ، هى اننا يجب ألا نتصدى للدعاة الذين ينادون فى صراحة بعدم تقليد الفتاة المسلمة للاوروبية فى كل شىء ، بل يجب أن نتصدى للمغرورات الجاهلات ، هواة التقليد فيما يعود عليهن بالشر المحض والضرر المحقق . وأن ننادى بقصر التقليد فى النافع المفيد ومنه ان تكون للفتاة شخصيتها ، وكيانها ، وعملها المناسب ، وأن نفكر بجدية بعيدة عن الاهواء فى حياتها المقبلة . بعيدا عن التباهى بالجمال ، والرشاقة ونحول الخصر وخفة الحركة ، واستنباط أرخم الكلمات وآخر صيحات الموضة !!

٨ ـ وحتى نأخذ من الحضارة بقسط يدفعنا الى أمام ، ولا يدعنا فى مؤخرة الركب ، يجب ان نوائم جيدا وبحساب ، بين ما يجب ان نأخذه وبين ما جاءت به تعاليم الاسلام .. والاسلام بمفهومه الصحيح لا يمنعنا من الاخذ بهذا الحساب ، وليست هناك أى تعارض بين الاستفادة بكل ما اسفرت عنه جهود العلماء فى الخارج ، وما جاء به الاسلام منذ اربعة عشر قرنا ، لا تعارض فى ان نعلم المرأة العلم والتربية لتعود اولادها منذ نعومة اظفارهم خصال الرجولة وتحملهم على الشجاعة ، والاقدام ، والاعتداد بالنفس . ولقد كان دور الاب فى صدر صدر الاسلام لا يقل عن دور الام فى صدر الاسلام لا يقل فى تربية الاولاد عن دور الام التى هى مدرسة ، كان الاب اذا صار ابنه غلاما يفعه ألبسه السلاح ، وغامر به فى الحروب ، ولعل أقرب مثل لنا يأتى من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد شهد وهو صغير حرب الفجار مع قريش ، فكان يلتقط النصال من ميدان القتال حيث الخطورة والاهوال ، ويناولها بعض عمومته ، وقد نهج بعد مبعثه فى تربية اولاد المسلمين نفس النهج الذى يعلم الاولاد كيف يكونوا رجالا وكيف يبنون امة ، وكان عمر بن الخطاب يقول :

علموا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا وخير خلق المرأة المغزل !!

٩ ـ ان واجب المرأة المسلمة ، وهى تتابع أسلوب التربية فى الخارج .. فى الامم التى تفهم الحضارة بغير ما تفهمها من الاسلام ، أن تعود فى تربيتها لاصغارها الى اسلوب الاسلام وتعاليمه .. لتعرف كيف تخلق من الطفولة رجولة .. واجبها ان تختط الطريق الوسط فى تربية أبنائها ، فلا تكون جامدة ، تقسو على ابنها فيصبح جبانا منطويا مسلوب الارادة ، ولا تفتح له الباب على مصراعيه فيسرف على نفسه ثم يعجز عن ضبط هواه !

١٠ ـ اننا نريد فى المرحلة الراهنة أن ننتفع بالحضارة الحديثة من غير أن نفقد فى سبيل ذلك شيئا من عقيدتنا أو ميزاتها وفضائلها . ورسم هذا السبيل وتوضيحه مهمة العلماء النابهين الذين يعيشون المدنية ويعرفون أسرارها ، ويدرسون الاسلام ويفهمون روحه وتعاليمه الصالحة لكل زمان ومكان

١١ ـ وللحق يجب أن نقول ان المسئولية ليست رجال الدين والدعاة من المسلمين فحسب ، بل مسئولية كل فرد فى الدولة ، مسئول أو غير مسئول ، « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » . واذا كنا بصدد الحديث عن أفساد الخمر لجيل جديد فى الولايات المتحدة الامريكية ، كما أفسدت أجيالا كثيرة فى دول أوروبا الشرقية ، فان من الحق أن نقول ، بأن العرب فى الجاهلية قد تنبهوا الى خطر الخمر قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقد تنزه بعضهم عنها ، ومن هؤلاء اعرابية سقاها قوم مسكرا فقالت :

أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ فقالوا : نعم !!
قالت : فوالله لا يدرى أحدكم من أبوه ؟ !

ومن هؤلاء ايضا قيس بن عاصم المنقرى ، وكان من سبب ذلك انه سكر فغمز ابنته فلما صحا أخبروه فحرمها على نفسه .

ومنهم العباس بن مرداس قيل له :

لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك ؟ !
فقال : أكره أن أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم !!

وقال قصى بن كلاب لبنيه :

اجتنبوا الخمر فانها تميت الابدان ، وتفسد الاذهان !!

فلما حرمها الاسلام .. صلح المجتمع كله ، وبنى دولة هزت أركان العالم ، وفتحت الدنيا وبثت حضارة !!

● ● ●

أليس من واجبنا بعد ذلك .. وتقرير المعهد الوطنى الامريكى شهادة عالمية بفساد جيل أقبل على الخمر ، أن نطالب بتحريم الخمر .. لا فى ليلة المولد النبوى الكريم فقط .. كما هو معتاد !! بل فى كل يوم وليلة الى أن تقوم الساعة .. أليس من واجبنا أن نقول للاندية وهى مؤسسات لتربية الشباب : اهدموا البارات ، واقيموا بدلا منها مكتبات أو مساجد ، لنبنى أمة قادرة على أن تتصدى لاعدائها .. أعتقد ان هذا واجب والله يهدى السبيل !

مع القراء

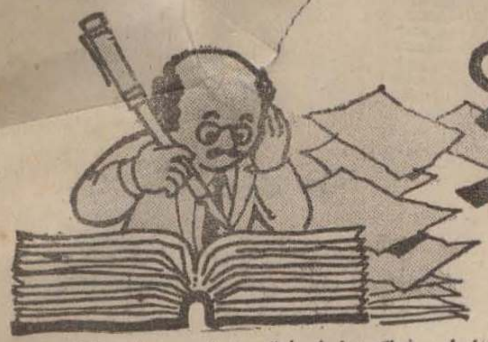

إعداد: فؤاد هيبه

تستقبل مصرنا الحبيبة ثورة التصحيح فى عامها الرابع شاكرة لها ما قدمت فى صدق واخلاص مباركة ما حققت من عزة واباء متمنية لها التوفيق فيما التزمت به تجاهها وتجاه امتها العربية والاسلامية بفضل ما افاء الله به على قائد ها المؤمن الرئيس محمد انور السادات من فدائية المؤمن وحكمة المخلص واصرار المتوكل وصبر الواثق من نصر الله.

نعم .. يحق لنا ان نشارك مصرنا هذا الاحتفاء لمعطياتها الانسانية الواعية فبفضلها تحقق لنا الخلاص من متاهات الضياع التى ارادتها لنا تلك المراكز المتسلطة التى استغلت ما حاق بأمتنا عام الهزيمة فراحت تسعى فى الارض فسادا وتشيع الفساد وتصر على اهدار كل ما هو كريم وارهاب كل من هو آمن وتشويه كل ما هو امين وجميل دون حياء او ضمير ..

حتى كانت تلك الانتفاضة العظيمة التى اظهرت فى وضوح وجلاء براعة القيادة وحنكة الرياسة نعم .. كانت ثورة التصحيح بقيادة الرئيس السادات مدخل صدق لانتصارات العاشر من رمضان تلك الانتصارات التى أعادت لنا الحرية فى أجلى معانيها وحققت لنا العزة فى اسمى مراميها وخلصت نفوسنا من شبح الهزيمة .. وابرات تصورنا من جدار الخوف فحققت لنا العزة والكرامة ولفكرنا الابتكار والابتداع ولامتنا الامن والاستقرار والعدل والعدالة والانفتاح والرخاء ..

من خلال هذا التصور يصبح من الواجب علينا اتجاه ثورة التصحيح الالتزام بكل ما نادت به من سيادة للقانون واقامة دولة العلم والايمان والاحتفاء بكل ما حققته من انتصارات العاشر من رمضان وتحقيق العدالة الاجتماعية بعيدا عن الحقد والبغضاء فالحقد معول هدم لا اداة بناء .. وكل ما نسعى اليه من تشييد وتعمير واصرار على تحقيق تحرير الاراضى العربية المغتصبة واسترداد حقوق الشعب الفلسطينى وتحقيق الوحدة العربية القائمة على التعاون والتكافل والتآزر من اجل دفع عجلة الحضارة **بهذا وكل ما هو على نمطه نكون قد ادينا واجبنا تجاه ثورتنا الحبيبة التى فجرها القائد المؤمن بطل العبور الرئيس محمد انور السادات « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »**

• • •

يقول الصديق ابراهيم عبد العزيز محمد
محافظة البحيرة

عزيزتى « منبر الاسلام » أكتب اليك ، وشخصك ماثل فى قلبى ، وخيالك مطبوع فى مرآة روحى .. فقد بديت كشعاع الشمس يربط بين قلوبنا ، وجمعت على كتاب الله ارواحنا ، مما بعث فى نفسى الرغبة الصادقة الى متابعتك يا مجلتى .. وقراءة ما بك من شتى الموضوعات التى ما يزال كثير منها عالقا فى ذهنى .. وانى اذ اكتب اليك « يا منبر الاسلام يا داعية المسلمين الى طريق النور والسلام .. فانى أرجو التكرم بارسال عدد منبر الاسلام الذى ظهر يوم ١٢ يناير سنة ١٩٦٧ م .. وعدد آخر صدر عقب قيام ثورة ٢٣ يولية المجيدة ، التى كانت طعنة سددها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه نحو قلب الاستعمار الذى ولى الى الفرار من قوة ابناء الثورة الاحرار ..

ونحن اليوم اذ نواجه خطرا صهيونيا استعماريا .. فان ارادتنا لن تلين .. وعزيمتنا لن تستكين .. بل سنقاتل بأقوى سلاح منحه الله لنا .. وهو سلاح الايمان بالله والوطن وعدالة القضية التى لن تحل سوى عن طريق القوة .. ونتمنى من الله النصر والتوفيق .. واننا على طريق النضال سائرون .. وعلى طريق الثورة مستمرون ..

• • •

ويقول الصديق محمود سلطان
الزقازيق — مصر

لست ادرى ما بى من حنين وانجذاب نحو هذه المجلة المرموقة الشيقة .. المجلة التى شع من سطورها نور العلم والادب وتعلم الدين الحنيف ،

واننى لشديد الاعجاب بهذه المجلة لما تقوم به ؟ واريد ان اكون صديقا مخلصا لهذه المجلة التى احبها منذ خلقت ، كأنها ولدت يوم ميلادى ورافقتنى حتى بلغت ١٦ عاما .

• • •

ويقول الصديق رمزى حمزة

بعد تحية واشواق ، اتمنى لكم التوفيق والتقدم فى عملكم لخدمة المجتمع الاسلامى الذى يستطيع ان يتقبل من النصائح النسبة الكبيرة عن طريق الصحافة التى تعتبر جسرا صلبا بين العلم والمجتمع ، فلابد وان يكون لكم الفضل وانتم اكثر الخادمين لهذا المجتمع ، والعاملين فى سبيل اصلاح ما يبدو غير صحيح ، وازالة الشوائب التى لابد وان تكون موجودة فى نفوس اى قوم من الاقوام ، وفقكم الله لخدمة الاسلام والانسانية ورعاكم لخير البشرية جمعاء ، وادامكم فى العمل والمثابرة على نفعنا جميعا ، لكم يجب ان يكون الجزاء المقابل عند الله ، وهو كما يظهر ان شاء الله ... ختاما .

- ارجو لكم الحياة السعيدة والتوفيق .

• • •

ويقول الصديق أحمد محمد حسن النجمى
كلية التربية ـ قنا

فى متابعة عن قرب لمجلتنا السامية ، الواعية الفياضة الشاملة ، منبرنا المنير بضوء الاسلام .. وفى عدد ربيع الاول الذى يتوقف القلم مبهورا عن وصف البراعة فى الاخراج ، وفى موضوعاتها المتعددة ، وعن الكتاب الثمين عن رسول الهدى صلى الله عليه وسلم ، ونتمنى ان يكون لمجلتنا السبق فى كشف النقاب عن التغيرات العصرية والتقدم فى التكنولوجيا والعلاقة الموجبة بينها وبين الموضوعات الدينية التى تخص كثيرا من الناس ولا سيما الشباب منهم ، ونرجو بصدق ان تتناول الحقائق العلمية التى وردت فى آيات كتاب الله الكريم والتى تحقق منها ، والذى لم يظهر لنا حتى الان او ما لم نستطع حتى الان تحقيقه لتكون مجالا للبحث للتقدم والرقى فلقد تنبأ القرآن الكريم بغزو الفضاء حين يقول جل وعلا .. **بسم الله الرحمن الرحيم « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا ... »**

ولقد اكد ايضا ان كل شىء حى يكون من الماء **« وجعلنا من الماء كل شىء حى ... »**

●● شكرا لاصدقائنا الاعزاء على هذه المشاعر النبيلة التى تدفعنا الى المزيد من العمل .. والله ولى التوفيق .

رســــالة الخليج البحرى
بقلم الصديق يوسف السيد صالح بدر
مدرسة أبو عبيدة بن الجراح ـ دولة البحرين

قال تعالى « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء » صدق الله العظيم . نعم ذلكم هى منبر الاسلام ومنبر الحق الذى تتحطم عليه صخرة الباطل.

انها مجلتى الحبيبة وحبيبة على قلب كل مسلم يعيش على وجه هذه المعمورة . انى انتظرها فى مطلع كل شهر عربى بفارغ الصبر فهى عندى نوران نور فى الدنيا يضىء الطريق فيفصل ظلامه عن نهاره واهتدى بها سواء السبيل .

اما نور الاخرة فان كل صديق وكل قارىء لمنبر الاسلام ومتفهم لكل كلمة تكتب فى سطورها فهو بلا ريب وبمشيئة الله سيكون من الذين ينعم الله عليهم فى الدنيا بالهداية ونور البصيرة واتباع الحق والسير فى طريق الاستقامة والعمل بما أمر الله والابتعاد عما نهى عنه ولا شك ان جائزة من يجتاز هذا الامتحان العظيم هى الجنة ونعيمها الخالد مما لم تره العين ولا سمعت به الاذن ولا خطر على بال أحد .

هذا هو طريق منبر الاسلام منبر النور انه طريقها منذ ان بزغت وظهر نورها فبدد ظلام الكفر والالحاد واظهر كلمة الله عالية رغم انف الحاقدين الذين يتربصون بالدين الدوائر .

فتحية وتقديرا واجلالا لكل العاملين بهذه المجلة الغراء . فسيروا ايها الاخوة على بركة الله والله يرعاكم ويحرسكم بعنايته وينصركم على اعدائكم اعداء الله واعداء رسله قاتلهم الله أنى يؤفكون .

وبعد فلى كلمة وهى بمثابة اقتراح والذى أرجو بعد درسه من قبل القائمين على المجلة أن يكون مقبولا لديكم :

هذا الاقتراح هو ان تقوم المجلة بوضع **مسابقة دينية ثقافية** اجتماعية يكون الهدف منها الاطلاع والبحث لكل ما يتعلق بموضوع المسابقة المطروحة على القراء . على أن تخصص جوائز تقديرية ومعنوية اكثر منها مادية لمن يأتى بالحلول الصحيحة والمقبولة لديكم .

● شكرا كثيرا أما عن اقتراحك فلعلك طالعت فى صحف القاهرة وفى مجلتك منبر الاسلام ايضا خبر مسابقة العاشر من رمضان التى اقامها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية والتى اشترك فيها ٥ آلاف طالب جامعى فى ٣٣ موضوعا اسلاميا وفازوا بجوائز مادية وعينية ثمينة والله يوفقنا للمزيد من هذه المسابقات التى تربط الشباب بدينهم وتراثهم الاسلامى الاصيل .

بريد التعارف

الاسم : فيصل عبد العظيم أبو السعود .
البلد : ج ٠ م ٠ ع
السن : ١٧
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : قراءة الكتب الاسلامية. ومراسلة أبناء العالم الاسلامى .
العنوان: بلقاس ــ دقهلية ــ شارع السلام .

الاسم : عمر عبدالسلام العزومى
البلد : الجمهورية العربية الليبية
السن : ١٨
المهنة : طالب
الهواية: المراسلة وجمع الطوابع وتبادل الاراء الدينية .
العنوان: مدرسةسبها الثانوية.

الاسم : هشام عبد المنعم عبد البصير .
البلد : جمهورية مصر العربية .
السن : ١٦
المهنة : طالب
الهواية: المراسلة والاطلاع على الكتب الدينية .
العنوان: محافظة المنيا ــ مركز سمالوط شارع شكرى القوتلى منزل رقم ١٤ .

الاسم : مجدى عبد الصمد عبد الجليل .
البلد : جمهورية مصر العربية .
السن : ١٧
المهنة : طالب
الهواية: قراءة القصص والمجلات الدينية .
العنوان: ش الرحمة حارة النجوى رقم ١٨ مينا البصل ــ الاسكندرية .

الاسم : عادل عبد الجواد أحمد شريف .
البلد : جمهورية مصر العربية .
السن : ١٧
المهنة : طالب ثانوى
الهواية: قراءة الكتب الدينية والمراسلة وجمع الطوابع
العنوان: المصيلحة مركز شبين الكوم منوفية .

الاسم : ممدوح عبد العزيزمحمد
البلد : جمهورية مصر العربية .
السن : ١٩
المهنة : طالب
الهواية: المراسلة وتبادل المناظر الطبيعية وقراءة الكتب الاسلامية .
العنوان: محافظة البحيرة ــ مدينة حوش عيسى ش.على ابن أبى طالب .

الاسم : قاضى الصديق .
البلد : المملكة المغربية .
السن : ١٨
المهنة : طالب ثانوى
الهواية: جمع الطوابع البريدية والمراسلة .
العنوان: البريد المحفوظ وجدة المملكة المغربية .

الاسم : برحيل الماود
البلد : الجمهورية الجزائرية .
السن : ٢٢
المهنة : معلم
الهواية: المراسلة وتبادل الاراء والمطالعة .
العنوان: فدان السبع تيران جوار رقم ٦ تلمسان .

الاسم : ابراهيم مجاهد احمد الرفاعى .
المهنة : طالب ثانوى
السن : ١٨
المهنة : طالب ثانوى
الهواية: قراءة الكتب الدينية وممارسة الرياضة .
العنوان : البحلات — دكرنس — دقهلية .

الاسم : محمود حسن محمود جمعة .
البلد : جمهورية مصر العربية .
السن : ٣٢
المهنة : موظف .
الهواية: المراسلة وتبادل الاراء الدينية .
العنوان: الاسكندرية ص‌ب ٧١٢

الاسم : ثروف يونس
البلد : الجمهورية الجزائرية .
السن : ٢٢
المهنة : طالب
الهواية: الادب والشعر والموسيقى
العنوان: نمهج رومانيا رقم ١٦١ بقسنطينة الجزائر

الاسم : ابن بالى الهوارى .
البلد : الجزائر .
السن : ١٣
المهنة : طالب ثانوى
الهواية: تبادل الطوابع والمراسلات .
العنوان: رقم ١١ نهج سانتونج كرتوتر ٢ وهران .

الاسم : محمد ابو الخير سليمان
البلد : جمهورية مصر العربية .
المهنة : طالب بكلية الشريعة والقانون .
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى والثقافى .
العنوان: مدينة الطلبة بامبابه مبنى [٤] حجرة [٦١]

الاسم : تومى نور الدين .
البلد : الجزائر .
السن : ١٥ عاما .
المهنة : طالب
الهواية: تبادل الاراء والطوابع الرياضية .
العنوان: ١٨ شارع دورسى كارتو وهران .

اقـــرأ
فى هذا العدد

■ معـــالم الطريق :

مع القائد المؤمن الرئيس محمد أنور السادات والخطاب التاريخى الهام الذى القاه فى الحفــل العظيم الذى أقــيم فى أسيوط بمناسبة عيــد العمال ٣

■ دراسات قرآنية :

تفسير سورة البقرة	الاستاذ أحمد حسين	١٤
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى	٢٤
درجات التائبين	الدكتور أحمد الحوفى	٢٨
من أخلاق القرآن : الثقة بالله	الدكتور أحمد الشرباصى	٣٠
الحياة من القرآن	الدكتور محمد عبد المنعم القيعى	٣٢
تاملات فى البيان القرآنى	الدكتور ابراهيم عوضين	٣٤
القرآن والاحرف السبعة	الدكتور عبد العزيز رضوان	٣٨
الفاتحة معجزة القرآن	الاستاذ محمد العفيفى	٤١
تطور الانسان فى القرآن	الاستاذ فتحى رضوان	٤٥
العلم فى القرآن : وجها لوجه سليمان وجنوده أمام نمله	الدكتور أحمد حسنين القفل	٥٠
قضايا فكرية فى فهم العربية	الدكتور محمد بدرى عبد الجليل	٥٤
السيرة فى ضوء القرآن الكريم	الاستاذ محمد شديد	٥٨
القرآن والانبياء	الاستاذ محيى الدين بلتاجى	٦١
خصائص الحــوار القرآنى	الاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر	٦٣
الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم	الدكتور محمد كمال جعفر	٦٥
من صور التربية القرآنية	الاستاذ محمود عمارة	٦٨
من هدى القرآن الكريم	الدكتور أحمد عمر هاشم	٧٠
أسلوب القرآن فى الدعوة الى الاحسان	الاستاذ أحمد أبو طه	٧٢
الذكر فى القرآن الكريم	الدكتور السيد رزق الطويل	٧٤

■ التشريع الاسلامى :

الاعجاز العلمى للسنة النبوية	الدكتور عبد الرزاق نوفل	٧٨
كلمات الله	الشيخ أحمد كامل الخضرى	٧٩
الله والعقل	الاستاذ أحمد زين	٨٤
المال والنقود فى الاقتصاد الاسلامى	الدكتورشوقى اسماعيل شحاته	٨٥
الاقتصاد ومنزلته فى الاسلام	الشيخ الطنطاوى عمر	٨٩
من توجيهات النبوة	الشيخ عبد الحميد بلبع	٩٣
أزمة الضمير أمام المال	الاستاذ عبد العظيم منصور	٩٤
لحظات مع الاوابين	الدكتور محمد خليفة	٩٧
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	الشيخ رجب العايدى	٩٩
أحكام البيع فى الاسلام	الدكتور محمد عبد المنعم خميس	١٠١
من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها	الشيخ محمد خاطر	١٠٢
الكسب الحرام فى التشريع الاسلامى	المستشار جمال الدين محمود	١٠٤
الامام أحمد بن حنبل	الدكتور عبد العزيز عزام	١٠٦
مكانة المعاملات فى دين الله	الدكتور عبد الفتاح عاشور	١٠٨
القضاء فى الاسلام	الاستاذ محمد النظامى	١١٠

■ التصوف :

الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	١١٤

■ العلم والايمان :

انور السادات مؤسس دولة العلم والايمان	الاستاذ صبرى أبو المجد	١٢٠
وحدة العالم الاسلامى وفتح قناة السويس	الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف	١٢٦
فى الذكرى الرابعة لحركة التصحيح	الدكتور يس محمد يحيى	١٢٨
من وحى خطاب الرئيس فى أول مايو	الاستاذ محمد دياب	١٣٠
الذين فى قلوبهم مرض والانتصارات التى حققناها	الدكتور حامد محمد شعبان جمعه	١٣٣
دولة العلم والايمان والمثل الناجح		١٣٧
منهج الاسلام فى توجيه الشباب	الشيخ منصور عبيد	١٤٢
أعظم حوار ديمقراطى فى الاسلام	الاستاذ ابراهيم مصباح	١٤٧
السرايا والغزوات الاولى	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٥٠
أرادها الصهاينة فتنة فكانت الفة	الشيخ فراج أحمد دردير	١٥٣
بطل ومعارك	الاستاذ محمد صالح	١٥٦
صور من البطولة الاسلامية	الدكتور عصام الدين عبد الرءوف	١٥٨

	الاسلام وثورة العلم	الدكتور أحمد محمد عوف	١٦٠
	مثالية الاسلام	الدكتور نصر فريد واصل	١٦٢
	الرقابة الادارية فى الدولة الاسلامية	الدكتور ابراهيم العدوى	١٦٥
	الاسلام دين الانسانية	الاستاذ عبد الفتاح العدوى	١٦٦
	ملامح شخصية المؤمن كما يحددها الرسول	الاستاذ مصطفى الجندى	١٦٩
	منهج التربية فى الاسلام	الدكتور عبد الحميد أبو المكارم	١٧٢
	العدالة الاجتمـاعية شريعة أبى بكر	الاستاذ مصطفى حسن	١٧٤
	ذاتية الاسلام وسيطة وتـكامل	الاستاذ انور الجندى	١٧٦
	الدين ضرورة اجتماعية	الشيخ عبدالحكيم سرور	١٧٨
	الطريق الى الدين والعلم	الاستاذ عبد المنعم مغربى	١٧٩
	المسجد فى الاسلام	الشيخ محمد هلال عبد الرسول	١٨٢
	أثر اللغة العربية على اللغة الفارسية	الدكتور ميرولى خان المسعودى	١٨٣
	الايمان والتقوى	الاستاذ محمد عبد اللطيف بن الخطيب	١٨٦
	مسئولية الكلمة فى الاسلام	الاستاذ محمد عبد الحافظ	١٨٨
	تآلف القلوب من أهداف الاسلام	الاستاذ عبد الغنى ناجى	١٩٠
	والعاقبة للمتقين	الدكتور زكى مشعل	١٩٢
■ الفن :	اصول روحية للعمارة الاسلامية	الاستاذ عبد المجيد وافى	١٩٤
	مشغولات الجلود فى مصر الاسلامية	الاستاذة سلوى شعبان أحمد	١٩٦
	بدائع الزخرفة على المصحف الشريف	الاستاذ اسماعيل أحمد اسماعيل	٢٠٠
■ القصة :	اسلام سلمان الفارسى	الدكتور ابراهيم هلال	٢٠٤
■ الشعر :	لا أدعو سواك	الشاعرة روحية القلينى	٢٠٨
	نور على نور	الشاعر بدر الدين على الجارم	٢٠٩
	شهيد العروبة	الشاعر محمد صلاح حلمى	٢١٠
	ان من الشعر لحكمة	الشيخ محمد خليل الخطيب	٢١١
	لله أشكو النفس	الشاعر أحمد عثمان المراغى	٢١٣
	رضاك سر سعادتى	الشاعر عبد المنعم القن	٢١٢
■ الطب :	الغذاء الصحيح واهتمام الاسلام به	الدكتور عبد العزيز شرف	٢١٤
	شذرات من تاريخ الطب فى الاسلام	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	٢١٨
	الاسلام وعلاج المرضى ورعايتهم	الدكتور أحمد حلمى محمود	٢١٩
■ شخصيات اسلامية :	ابراهيم عليه السلام	الشيخ محمود هاشم	٢٢٢
	السيدة فاطمة الزهراء	الاستاذ توفيق أبو علم	٢٢٣
	عوف بن الحارث قاتل حتى استشهد	الاستاذ عبد المنعم الادفوى	٢٢٦
	جعفر بن أبى طالب	الاستاذ محمد رجاء حنفى	٢٢٨
	عمرو بن العاص	المستشار عبد الستار آدم	٢٣١
	حسين منى وأنا من حسين	الشيخ محمد مصطفى أبو العلا	٢٣٣
	المسيرة الكبرى الدامية فى ذكرى الامام الحسين	الاستاذ صلاح عزام	٢٣٧
	خولة بنت الازور	الاستاذ سالم عرفات سالم	٢٣٨
	فيصل بن عبد العزيز نظرة بين العاطفة والعقل	الاستاذ محمد سعد كرشاه	٢٣٩
	الخليل بن أحمد	الاستاذ محمود معوض	٢٤٢
	فى ذكرى اقبال	الشيخ الصاوى شعلان	٢٤٤
	الشيخ خفاجى سيف الله الاسكندرى	الاستاذ ابراهيم الفحام	٢٤٦
	العقاد الرجل والعقيدة	الاستاذ عبد الودود طه	٢٤٧
■ المكتبة :	الله فى العقيدة الاسلامية	الاستاذ أحمد بهجت	٢٥٠
	محمد رسول الاسلام	عرض : كمال حامد	٢٥٣
	من أمجاد الرسالة المحمدية	عرض : محمود فايد	٢٥٤
■ الافتـاء :	أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود	٢٥٧
■ الاسرة المسلمة :	الاسلام يكرم المرأة	الاستاذ عبد المعطى عبادة	٢٦٤
	حق الحضانة	المستشار أحمد محمود خليل	٢٦٥
	من تعاليم الاسلام	الاستاذ مبشر الطرازى الحسينى	٢٦٨
	أسس بناء الفرد المسلم	الشيخ عبد الرحمن النجار	٢٦٩
	الاسلام منقذ المرأة	الاستاذ أحمد وافى	٢٧١
	المستقبل للاسلام	الاستاذ ناصف سليم	٢٧٣
	مع القراء	اعداد : فؤاد هيبة	٢٧٥
	بريد التعـارف		٢٧٧

علامة هادية ..
ترشدك إلى الطريق الصحيح
للسعادة والاستقرار ...
وتقودك أنت وأسرتك
إلى المستقبل الآمن المضمون

تعطيك من المزايا مالم
يتوفر فى وثيقة من
قبل .. اقرأ مزاياها
وابدأ حياة جديدة لك
ولأسرتك .

وثيقة الشرق الجديدة

- فى حالة بقاء المؤمن عليه على قيد الحياة حتى نهاية مدة التأمين تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين .
- تدفع الشركة للمستحقين فوراً مبلغ التأمين الأصلى مضافاً إليه زيادة سنوية قدرها ٥ ٪ عن كل سنة تأمينية بحد أقصى ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- فى حالة الوفاة بحادث تدفع الشركة مبلغ التأمين الأصلى بالإضافة إلى مبلغ التأمين المستحق فى حالة الوفاة العادية .
- فى حالة الإصابة بعجز كلى دائم تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- فى حالة وفاة الأرملة (بعد وفاة المؤمن عليه وقبل نهاية مدة التأمين) تدفع الشركة مبلغ التأمين الأصلى مرة أخرى دون سداد أقساط .
- للمؤمن عليه الحق فى الحصول على قرض بعد سداد أقساط سنتين فقط ويعفى هذا القرض من الفوائد فى حالة الحج أو التقديس أو العمليات الجراحية .
- يغطى أخطار الحرب للمدنيين بدون قسط إضافى .

شركة الشرق للتأمين

المركز الرئيسى:
١٥ شارع قصر النيل
القاهرة